مجاني الأدب
في
حدائق العرب

المطبعة الكاثوليكية - بيروت

مجاني الأدب

في

حدائق العرب

للأب لويس شيخو اليسوعي

الجزء الثاني

المطبعة الكاثوليكية
بيروت

الباب الأول
في التدين

في الإخلاص لله تعالى والثناء عليه

١ إِنَّ اللّهَ تَعَالَى وَاحِدٌ لَا أَوَّلَ لِوُجُودِهِ وَلَا آخِرَ لِأَبَدِيَّتِهِ . قَيُّومٌ لَا يُفْنِيهِ الْأَبَدُ . وَلَا يُغَيِّرُهُ الْأَمَدُ . بَلْ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ . مُنَزَّهٌ عَنِ الْجِسْمِيَّةِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ . وَهُوَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ . فَوْقِيَّتُهُ لَا تَزِيدُهُ بُعْدًا عَنْ عِبَادِهِ وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْعَبِيدِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ . وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ . لَا يُشَابِهُ قُرْبُهُ قُرْبَ الْأَجْسَامِ . كَمَا لَا يُشَابِهُ ذَاتَهُ ذَوَاتُ الْأَجْرَامِ . مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يَحُدَّهُ زَمَانٌ . مُقَدَّسٌ عَنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ مَكَانٌ . تَرَاهُ أَبْصَارُ الْأَبْرَارِ فِي دَارِ الْقَرَارِ . عَلَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ . حَيٌّ قَادِرٌ . جَبَّارٌ قَاهِرٌ . لَا يَعْتَرِيهِ عَجْزٌ وَلَا قُصُورٌ . وَلَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ . لَهُ الْمُلْكُ وَالْمَلَكُوتُ . وَالْعِزَّةُ وَالْجَبَرُوتُ . خَلَقَ الْخَلْقَ وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ وَآجَالَهُمْ . لَا تُحْصَى مَقْدُورَاتُهُ . وَلَا تَتَنَاهَى مَعْلُومَاتُهُ . عَالِمٌ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ . لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ . يَعْلَمُ السِّرَّ وَالْخَفِيَّ وَيَطَّلِعُ عَلَى هَوَاجِسِ الضَّمَائِرِ . وَخَفِيَّاتِ السَّرَائِرِ . مُرِيدٌ لِلْكَائِنَاتِ . مُدَبِّرٌ لِلْحَادِثَاتِ . لَا يَجْرِي فِي مُلْكِهِ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ . جَلِيلٌ وَلَا حَقِيرٌ . نَفْعٌ أَوْ ضَرٌّ إِلَّا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَحُكْمِهِ . فَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ

يَشأ لَمْ يَكُنْ . فهوَ الْمُبدِئُ الْمعيدُ . الْفَاعِلُ لِمَا يُرِيدُ . لَا مُعقِّبَ لِحُكْمِهِ . وَلَا رَادَّ لِقضَائِهِ . وَلَا مَهْرَبَ لِعَبْدٍ عَنْ مَعْصِيَتِهِ . إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ وَرَحْمَتِهِ . وَلَا قُوَّةَ لَهُ عَلَى طَاعَتِهِ . إِلَّا بِمَحَبَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ . سَمِيعٌ بَصِيرٌ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ لَا يُشْبِهُ كَلَامَ خَلْقِهِ . وَكُلُّ مَا سِوَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَهُوَ حَادِثٌ أَوْجَدَهُ بِقُدْرَتِهِ . وَمَا مِنْ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ إِلَّا وَلَهُ فِي ذٰلِكَ حِكْمَةٌ دَالَّةٌ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ . قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يَعْصِي الْإِلٰـهَ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَـةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّـهُ الْوَاحِدُ
وَلِلّٰهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ وَتَسْكِينَةٍ فِي الْوَرَى شَاهِدُ

وَقَالَ غَيْرُهُ :

كُلُّ مَا تَرْتَقِي إِلَيْهِ بِوَهْمٍ مِنْ جَلَالٍ وَقُدْرَةٍ وَسَنَاءِ
فَالَّذِي أَبْدَعَ الْبَرِيَّةَ أَعْلَى مِنْهُ سُبْحَانَ مُبْدِعِ الْأَشْيَاءِ

(مستقطف الابشيهي)

تنزيه الخالق تعالى

٢ إِعْلَمْ أَنَّ الْبَارِئَ تَعَالَى لَيْسَ لَهُ صُورَةٌ وَلَا قَالَبٌ . وَأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَنْزِلُ وَلَا يَحُلُّ فِي قَالَبٍ . وَأَنَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ الْكَيْفِ وَالْكَمِّ . وَعَنْ لِمَاذَا وَلِمْ . وَأَنَّهُ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ . وَكُلَّمَا يَخْطُرُ فِي الْوَهْمِ وَالْخَيَالِ وَالْفِكْرِ مِنَ التَّكْيِيفِ وَالتَّمْثِيلِ . فَإِنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ ذٰلِكَ . لِأَنَّ تِلْكَ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ وَهُوَ خَالِقُهَا فَلَا يُوصَفُ بِهَا . وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّهُ لَيْسَ

فِي مَكَانٍ وَلَا عَلى مَكَانٍ . فَإِنَّ ٱلْمَكَانَ لَا يَحْصُرُهُ وَكُلُّ مَا فِي ٱلْعَالَمِ فَإِنَّهُ تَحْتَ عَرْشِهِ وعَرْشُهُ تَحْتَ قُدْرَتِهِ وَتَسْخِيرِهِ فَإِنَّهُ قَبْلَ خَلْقِ ٱلْعَالَمِ كَانَ مُنَزَّهًا عَنِ ٱلْمَكَانِ . وَلَيْسَ ٱلْعَرْشُ بِحَامِلٍ لَهُ بَلِ ٱلْعَرْشُ وَحَمَلَتُهُ يَحْمِلُهُمْ لُطْفُهُ وَقُدْرَتُهُ . وَأَنَّهُ تَقَدَّسَ عَنِ ٱلْحَاجَةِ إِلَى ٱلْمَكَانِ قَبْلَ خَلْقِهِ ٱلْعَالَمَ وَبَعْدَ خَلْقِهِ وَأَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِٱلصِّفَةِ ٱلَّتِي كَانَ عَلَيْهَا فِي ٱلْأَزَلِ . وَلَا سَبِيلَ لِلتَّغَيُّرِ وَٱلِٱنْقِلَابِ إِلَى صِفَاتِهِ . وَهُوَ سُبْحَانَهُ مُتَقَدِّسٌ عَنْ صِفَاتِ ٱلْمَخْلُوقِينَ مُنَزَّهٌ . وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مَرْئِيٌّ كَمَا نَعْلَمُهُ فِي ٱلدُّنْيَا بِلَا مِثْلٍ وَلَا شِبْهٍ . كَذٰلِكَ نَرَاهُ فِي ٱلْآخِرَةِ بِلَا مِثْلٍ وَلَا شِبْهٍ . لِأَنَّ تِلْكَ ٱلرُّؤْيَةَ لَا تُشَابِهُ رُؤْيَةَ ٱلدُّنْيَا . لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

(التبر المسبوك للغزالي)

عظمة الخالق

٣ قَالَ ٱلْإِمَامُ عَلِيٌّ :

كَيْفِيَّةُ ٱلْمَرْءِ لَيْسَ ٱلْمَرْءُ يُدْرِكُهَا فَكَيْفَ كَيْفِيَّةُ ٱلْجَبَّارِ بِٱلْقِدَمِ
هُوَ ٱلَّذِي أَنْشَأَ ٱلْأَشْيَاءَ مُبْتَدِعًا فَكَيْفَ يُدْرِكُهُ مُسْتَحْدَثُ ٱلنَّسَمِ

قَالَ آخَرُ :

تَبَارَكَ ٱللّٰهُ فِي عَلْيَاءِ عِزَّتِهِ فَكَلَّ كُلُّ لِسَانٍ عَنْ تَعَالِيهِ
لَا كَوْنَ يَحْصُرُهُ لَا عَيْنَ تَنْظُرُهُ لَا كَشْفَ يُظْهِرُهُ لَا جَهْرَ يُبْدِيهِ
حَارَتْ جَمِيعُ ٱلْوَرَى فِي كُنْهِ قُدْرَتِهِ فَلَيْسَ يُدْرِكُ مَعْنًى مِنْ مَعَانِيهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي جَلَالَتِهِ وَجَلَّ عِزًّا وَلُطْفًا فِي تَسَامِيهِ

٤ قَالَ حَكِيمٌ : أَشْهَدُ أَنَّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ آيَاتٌ دَالَّاتٌ . وَشَوَاهِدُ قَائِمَاتٌ . كُلٌّ يُؤَدِّي عَنْهُ ٱلْحُجَّةَ وَيَشْهَدُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ . وَقَالَ آخَرُ : سَلِ ٱلْأَرْضَ مَنْ غَرَسَ أَشْجَارَكِ . وَشَقَّ أَنْهَارَكِ . وَجَنَى ثِمَارَكِ . فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ إِخْبَارًا . أَجَابَتْكَ ٱعْتِبَارًا . وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

لَقَدْ جِئْتُ أَبْغِي لِنَفْسِي مُجِيرًا فَجِئْتُ ٱلْجِبَالَ وَجِئْتُ ٱلْبُحُورَا
فَقَالَ لِيَ ٱلْبَحْرُ إِذْ جِئْتُهُ فَكَيْفَ يُجِيرُ ضَرِيرٌ ضَرِيرَا

رحمة الله

٥ سَمِعَ ٱلْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَجُلًا يَشْكُو بَلَاءً نَزَلَ بِهِ فَقَالَ : يَا هٰذَا أَتَشْكُو مَنْ يَرْحَمُكَ إِلَى مَنْ لَا يَرْحَمُكَ (العقد الفريد لابن عبد ربّه)

أَبْيَاتٌ عَنْ فَمِ ٱلرَّحْمَانِ :

فَكَمْ لَبَّيْتُ عَبْدِي إِذْ دَعَانِي وَرَاعَيْتُ ٱلْوِدَادَ وَمَا رَعَانِي
أَنَا ٱلْمُرْخِي ٱلسُّتُورَ عَلَى ٱلْمَعَاصِي عَلَى ٱلْعَبْدِ ٱلْجَسُورِ إِذَا عَصَانِي
وَأَصْفَحُ لِلْأَثِيمِ إِذَا أَتَانِي وَعَاتَبَ نَفْسَهُ عَمَّا جَفَانِي
وَإِنْ نَادَانِيَ ٱلْخَاطِي بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ حَوَى كُلَّ ٱلْمَعَانِي
فَمَنْ يَأْتِي إِلَيَّ يَنَالُ عِزًّا وَيَحْظَى بِٱلْمَسَرَّةِ وَٱلْأَمَانِي

(فِي ٱلْخَبَرِ) إِنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى خَلَقَ جَهَنَّمَ مِنْ فَضْلِ رَحْمَتِهِ سَوْطًا يَسُوقُ بِهِ عِبَادَهُ إِلَى ٱلْجَنَّةِ . (وَفِي ٱلْخَبَرِ أَيْضًا) إِنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى يَقُولُ : إِنَّمَا خَلَقْتُ ٱلْخَلْقَ لِيَرْبَحُوا عَلَيَّ وَلَمْ أَخْلُقْهُمْ لِأَرْبَحَ عَلَيْهِمْ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

محبة الخالق

٦ كُلُّ فِعلٍ يُقَرِّبُ صَاحِبَهُ مِنَ ٱللهِ تَعَالَى فَهُوَ بِرٌّ . وَلَا يَحْصُلُ ٱلتَّقَرُّبُ إِلَيْـهِ إِلَّا بِٱلتَّبَرِّي مِمَّنْ سِوَاهُ . فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا فَقَدْ حُجِبَ عَنِ ٱللهِ تَعَالَى وَأَشْرَكَ شِرْكًا خَفِيًّا لِتَعَلُّقِ مَحَبَّتِهِ بِغَيْرِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ (للقاشاني)

دَخَلَ هَارُونُ عَلَى بَعْضِ ٱلنُّسَّاكِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَقَالَ : وَعَلَيْكَ ٱلسَّلَامُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَتُحِبُّ ٱللهَ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتَعْصِيهِ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : كَذَبْتَ وَٱللهِ فِي حُبِّكَ إِيَّاهُ إِنَّكَ لَوْ أَحْبَبْتَهُ لَمَا عَصَيْتَـهُ . ثُمَّ أَنْشَدَ يَقُولُ :

تَعْصِي ٱلْإِلٰهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هٰذَا لَعَمْرِي فِي ٱلْفَعَالِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ إِنَّ ٱلْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيـعُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْتَدِيكَ بِنِعْمَـةٍ مِنْهُ وَأَنْتَ لِشُكْرِ ذَاكَ مُضِيعُ

(سراج الملوك للطرطوشي)

قَالَ عِزُّ ٱلدِّينِ ٱلْمَقْدِسِيُّ فِي ٱلْهِيَامِ بِحُبِّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ :

قَبِيحٌ عَلَى قَلْبٍ يَذُوبُ صَبَابَةً
وَتَنْظُرُ عَيْنَـاهُ لِمَنْ لَيْسَ هُوَ ٱللهُ
أَيَجْمُـلُ أَنْ تَهْوَى هَوَاهُ وَتَـدَّعِي
سِوَاهُ وَمَا فِي ٱلْكَوْنِ يُعْشَقُ إِلَّا هُوْ
فَإِنْ كَانَ مَنْ تَهْوَاهُ فِي ٱلْحُسْنِ وَاحِدًا
فَكُنْ وَاحِدًا فِي ٱلْحُبِّ إِنْ كُنْتَ تَهْوَاهُ

٧ مِنْ كَلامِ ٱبْنِ زُهْرَةَ ٱلأَنْدَلُسِيِّ : لَا يَكُونُ ٱلْعَبْدُ مُحِبًّا لِخَالِقِهِ حَتَّى يَبْذُلَ نَفْسَهُ فِي مَرْضَاتِهِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً . فَيَعْلَمُ ٱللهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ لَا يُرِيدُ إِلَّاهُ . وَسُئِلَ مَا عَلَامَةُ ٱلْعَارِفِ فَقَالَ : عَدَمُ ٱلْفُتُورِ عَنْ ذِكْرِهِ وَعَدَمُ ٱلْمَلَالِ مِنْ حَقِّهِ وَعَدَمُ ٱلْأُنْسِ بِغَيْرِهِ . وَقَالَ : لَيْسَ ٱلْعَجَبُ مِنْ حُبِّي لَكَ وَأَنَا عَبْدٌ فَقِيرٌ . وَلٰكِنِ ٱلْعَجَبُ مِنْ حُبِّكَ لِي وَأَنْتَ مَلِكٌ قَدِيرٌ (لبهاء الدين العاملي)

حمد الله

٨ قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَلْحَمْدُ لِلهِ بِقَدْرِ ٱللهِ ... لَا قَدْرِ وُسْعِ ٱلْعَبْدِ ذِي ٱلتَّنَاهِي

قَالَ مَحْمُودُ ٱلْوَرَّاقُ :

إِلٰهِي لَكَ ٱلْحَمْدُ ٱلَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ ... عَلَى نِعَمٍ مَا كُنْتُ قَطُّ لَهَا أَهْلَا
أَزِيدُكَ تَقْصِيرًا تَزِدْنِي تَفَضُّلًا ... كَأَنِّي بِٱلتَّقْصِيرِ أَسْتَوْجِبُ ٱلْفَضْلَا

وَلَهُ أَيْضًا :

أَيَا رَبِّ قَدْ أَحْسَنْتَ عَوْدًا وَبَدْأَةً ... إِلَيَّ فَلَمْ يَنْهَضْ بِإِحْسَانِكَ ٱلشُّكْرُ
فَمَنْ كَانَ ذَا عُذْرٍ إِلَيْكَ وَحُجَّةٍ ... فَعُذْرِي إِقْرَارِي بِأَنْ لَيْسَ لِي عُذْرُ

قَالَ أَبُو ٱلْأَسْوَدِ ٱلدُّؤَلِيُّ :

وَإِذَا طَلَبْتَ عَنِ ٱلْحَوَائِجِ حَاجَةً ... فَٱدْعُ ٱلْإِلٰهَ وَأَحْسِنِ ٱلْأَعْمَالَا
إِنَّ ٱلْعِبَادَ وَشَأْنَهُمْ وَأُمُورَهُمْ ... بِيَدِ ٱلْإِلٰهِ يُقَلِّبُ ٱلْأَحْوَالَا
فَدَعِ ٱلْعِبَادَ وَلَا تَكُنْ بِطِلَابِهِمْ ... لَهِجًا تُضَعْضِعُ لِلْعِبَادِ سُؤَالَا

وَمِمَّا أَوْرَدَهُ ٱلْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ ٱلتَّيْمِيِّ قَوْلُهُ :

لَا تَخْضَعَنَّ لِمَخْلُوقٍ عَلَى طَمَعٍ ... فَإِنَّ ذَاكَ مُضِرٌّ مِنْكَ بِٱلدِّينِ
وَٱرْغَبْ إِلَى ٱللهِ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ ... فَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ ٱلْكَافِ وَٱلنُّونِ
أَمَا تَرَى كُلَّ مَنْ تَرْجُو وَتَأْمُلُهُ ... مِنَ ٱلْخَلَائِقِ مِسْكِينَ ٱبْنَ مِسْكِينِ

(الاغاني)

الرجاء بالله والتوكل عليه

٩ لَمَّا حَضَرَ بِشْرَ بْنَ ٱلْمَنْصُورِ ٱلْمَوْتُ فَرِحَ فَقِيلَ لَهُ : أَتَفْرَحُ بِٱلْمَوْتِ فَقَالَ : أَتَجْعَلُونَ قُدُومِي عَلَى خَالِقٍ أَرْجُوهُ كَمُقَامِي مَعَ مَخْلُوقٍ أَخَافُهُ

قَالَ ٱلشَّيْخُ شِهَابٌ :

تَوَكَّلْ عَلَى ٱلرَّحْمَانِ فِي ٱلْأَمْرِ كُلِّهِ ... فَمَا خَابَ حَقًّا مَنْ عَلَيْهِ تَوَكَّلَا
وَكُنْ وَاثِقًا بِٱللهِ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِهِ ... تَفُزْ بِٱلَّذِي تَرْجُوهُ مِنْهُ تَفَضُّلَا

وَلِلهِ ٱلشَّافِعِيُّ حَيْثُ يَقُولُ :

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي ... جَعَلْتُ رَجَائِي نَحْوَ عَفْوِكَ سُلَّمَا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ ... بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا

قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ وَقَدْ مَرِضَ : إِنَّكَ تَمُوتُ . قَالَ : وَإِذَا مُتُّ فَإِلَى أَيْنَ يُذْهَبُ بِي . قَالُوا : إِلَى ٱللهِ . قَالَ : فَمَا كَرَاهَتِي أَنْ يُذْهَبَ بِي إِلَى مَنْ لَمْ أَرَ ٱلْخَيْرَ إِلَّا مِنْهُ

الدعاء الى الله

١٠ قَالَ ٱلْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا وَهُوَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : أَللَّهُمَّ إِنِّي

أسألكَ عملَ الخائفينَ وخوفَ العاملينَ حتى أتنعمَ بتركِ النعيمِ طمعاً فيما وعدتَ وخوفاً مما أوعدتَ. أللهمَّ أعذني من سطواتكَ وأجرني من نقماتكَ. سبقتْ لي ذنوبٌ وأنتَ تغفرُ لمن يحوبُ إليكَ بلْ أتوسلُ وأفرُّ منكَ إليكَ

العفو من الله

١١ قالَ الإمامُ عليٌّ:

إلهي لا تعذبني فإنّي مقرٌّ بالذي قد كانَ منّي
فما لي حيلةٌ إلّا رجائي بعفوكَ إن عفوتَ وحسنُ ظنّي
فكم من زلةٍ لي في الخطايا عضضتُ أناملي وقرعتُ سنّي
يظنُّ الناسُ بي خيراً وإنّي لشرُّ الخلقِ إن لم تعفُ عنّي

(دعاء) أللهمَّ إنَّ مغفرتكَ أرجى من عملي وإنَّ رحمتكَ أوسعُ من ذنبي. أللهمَّ إن لم أكنْ أهلاً أنْ أبلغَ رحمتكَ فرحمتكَ أهلٌ أنْ تبلغني لأنها وسعتْ كلَّ شيءٍ يا أرحمَ الراحمين

١٢ (دعاء آخر). أللهمَّ إني أسألكَ باسمكَ العظيمِ الأعظمِ الأعزِّ الأجلِّ الأكرمِ الذي إذا دُعيتَ بهِ على مغالقِ أبوابِ السماءِ للفتحِ بالرحمةِ انفتحتْ. وإذا دُعيتَ بهِ على مضايقِ أبوابِ الأرضِ للفرجِ انفرجتْ. وإذا دُعيتَ بهِ على العسرِ لليسرِ تيسرتْ. وإذا دُعيتَ بهِ على الأمواتِ للنشورِ انتشرتْ. وإذا دُعيتَ بهِ على كشفِ البأساءِ والضراءِ انكشفتْ. وبجلالِ وجهكَ الكريمِ أكرمِ الوجوهِ.

وَأَعَزَّ ٱلْوُجُوهِ . ٱلَّذِي عَنَتْ لَهُ ٱلْوُجُوهُ . وَخَضَعَتْ لَهُ ٱلرِّقَابُ . وَخَشَعَتْ لَهُ ٱلْأَصْوَاتُ . وَوَجِلَتْ لَهُ ٱلْقُلُوبُ . مِنْ مَخَافَتِكَ . وَبِقُوَّتِكَ ٱلَّتِي تُمْسِكُ ٱلسَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِكَ . وَتُمْسِكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا . وَبِمَشِيئَتِكَ ٱلَّتِي دَانَ لَهَا ٱلْعَالَمُونَ . وَبِكَلِمَتِكَ ٱلَّتِي خَلَقْتَ بِهَا ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ . وَبِحِكْمَتِكَ ٱلَّتِي صَنَعْتَ بِهَا ٱلْعَجَائِبَ وَخَلَقْتَ بِهَا ٱلظُّلْمَةَ وَجَعَلْتَهَا لَيْلًا . وَجَعَلْتَ ٱللَّيْلَ سَكَنًا . وَخَلَقْتَ بِهَا ٱلنُّورَ وَجَعَلْتَهُ نَهَارًا . وَجَعَلْتَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا مُبْصِرًا . وَخَلَقْتَ بِهَا ٱلشَّمْسَ وَجَعَلْتَ ٱلشَّمْسَ ضِيَاءً . وَخَلَقْتَ بِهَا ٱلْقَمَرَ وَجَعَلْتَ ٱلْقَمَرَ نُورًا . وَخَلَقْتَ بِهَا ٱلْكَوَاكِبَ وَجَعَلْتَهَا نُجُومًا وَبُرُوجًا وَمَصَابِيحَ وَزِينَةً وَرُجُومًا . وَجَعَلْتَ لَهَا مَشَارِقَ وَمَغَارِبَ . وَجَعَلْتَ لَهَا مَطَالِعَ وَمَجَارِيَ . وَجَعَلْتَ لَهَا فَلَكًا وَمَسَابِحَ وَقَدَّرْتَهَا فِي ٱلسَّمَاءِ مَنَازِلَ . فَأَحْسَنْتَ تَقْدِيرَهَا . وَصَوَّرْتَهَا فَأَحْسَنْتَ تَصْوِيرَهَا . وَأَحْصَيْتَهَا بِأَسْمَائِكَ إِحْصَاءً . وَدَبَّرْتَهَا بِحِكْمَتِكَ تَدْبِيرًا . فَأَحْسَنْتَ تَدْبِيرَهَا . وَسَخَّرْتَهَا بِسُلْطَانِ ٱللَّيْلِ وَسُلْطَانِ ٱلنَّهَارِ وَٱلسَّاعَاتِ وَعَدَدِ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابِ . وَجَعَلْتَ رُؤْيَتَهَا لِجَمِيعِ ٱلنَّاسِ مَرْأًى وَاحِدًا (لبهاء الدين)

اغراء بايثار الدين

١٣ قَالَ لُقْمَانُ لِٱبْنِهِ : إِنَّ ٱلدُّنْيَا بَحْرٌ عَرِيضٌ قَدْ هَلَكَ فِيهِ ٱلْأَوَّلُونَ وَٱلْآخِرُونَ . فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ تَجْعَلَ سَفِينَتَكَ تَقْوَى ٱللهِ وَعُدَّتَكَ

اَلتَّوَكُّلَ عَلَى ٱللهِ وَزَادَكَ ٱلعَمَلَ ٱلصَّالِحَ فَإِنْ نَجَوْتَ فَبِرَحْمَةِ ٱللهِ وَإِنْ هَلَكْتَ فَبِذُنُوبِكَ (لابن عبد ربه)

أَرَى رِجَالًا بِأَدْنَى ٱلدِّينِ قَدْ قَنِعُوا
وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي ٱلعَيْشِ بِٱلدُّونِ
فَٱسْتَغْنِ بِٱلدِّينِ عَنْ دُنْيَا ٱلْمُلُوكِ كَمَا م
ٱسْتَغْنَى ٱلْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ ٱلدِّينِ

مِنَ ٱلدِّيوَانِ ٱلْمَنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ:

أَبُنَيَّ إِنَّ مِنَ ٱلرِّجَالِ بَهِيمَةً فِي صُورَةِ ٱلرَّجُلِ ٱلسَّمِيعِ ٱلْمُبْصِرِ
فَطِنٌ لِكُلِّ رَزِيَّةٍ فِي مَالِهِ فَإِذَا أُصِيبَ بِدِينِهِ لَمْ يَشْعُرِ

قَالَ ٱلرَّافِعِي:

أَقِيمَا عَلَى بَابِ ٱلرَّحِيمِ أَقِيمَا
وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِهِ فَتَهِيمَا
هُوَ ٱلْبَابُ مَنْ يَقْرَعْ عَلَى ٱلصِّدْقِ بَابَهُ
يَجِدْهُ رَؤُوفًا بِٱلْعِبَادِ رَحِيمَا
(لبهاء الدين)

قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ:

حَتَّى مَتَى ذُو ٱلتِّيهِ فِي تِيهِهِ أَصْلَحَهُ ٱللهُ وَعَافَاهُ
يَتِيهُ أَهْلُ ٱلتِّيهِ مِنْ جَهْلِهِمْ وَهُمْ يَمُوتُونَ وَإِنْ تَاهُوا
مَنْ طَلَبَ ٱلْعِزَّ لِيَبْقَى بِهِ فَإِنَّ عِزَّ ٱلْمَرْءِ تَقْوَاهُ

ذكر فروع شجرة الايمان اي الاعمال

١٤ أَلْأَعْمَالُ ٱلَّتِي هِيَ فُرُوعُ ٱلْإِيمَانِ هِيَ تَجَنُّبُ ٱلْمَحَارِمِ وَأَدَاءُ ٱلْفَرَائِضِ . وَهِيَ قِسْمَانِ أَحَدُهُمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللهِ تَعَالَى مِثْلُ ٱلصَّوْمِ وَٱلصَّلَاةِ وَٱلزَّكَاةِ وَٱلْعِفَّةِ عَنِ ٱلْحَرَامِ . وَٱلْأُخْرَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلْخَلْقِ وَهِيَ ٱلْعَدْلُ فِي ٱلرَّعِيَّـةِ وَٱلْكَفُّ عَنِ ٱلظُّلْمِ . وَٱلْأَصْلُ فِي ذٰلِكَ أَنْ تَعْمَلَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلْخَالِقِ تَعَالَى مِنْ طَاعَةِ أَمْرِهِ وَٱلِٱزْدِجَارِ بِزَجْرِهِ مَا تَخْتَارُ أَنْ يَعْتَمِدَهُ عَبْدُكَ فِي حَقِّكَ . وَأَنْ تَعْمَلَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلنَّاسِ مَا تُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ مَعَكَ مَنْ سِوَاكَ إِذَا كَانَ غَيْرُكَ ٱلسُّلْطَانَ وَكُنْتَ مِنْ رَعِيَّتِـهِ . وَٱعْلَمْ أَنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلْخَالِقِ تَعَالَى فَإِنَّ عَفْوَهُ قَرِيبٌ وَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . أَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِمَظَالِمِ ٱلْخَلْقِ فَإِنَّهُ لَا يُتَجَاوَزُ بِهِ عَنْكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ . وَخَطَرُهُ عَظِيمٌ وَلَا يَسْلَمُ مِنْ هٰذَا ٱلْخَطَرِ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُلُوكِ إِلَّا مَلِكٌ عَمِلَ بِٱلْعَدْلِ فِي رَعِيَّتِهِ (للغزالي)

قَالَ ٱلْمَعَرِّيُّ :

لَوْ يَعْلَمُ ٱلْإِنْسَانُ مِقْدَارَهُ ... لَمْ يَفْخَرِ ٱلْمَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ
لَوْلَا سَجَايَاهُ وَأَخْلَاقُهُ ... لَكَانَ كَٱلْمَعْدُومِ فِي وَجْدِهِ
وَمَجْدُهُ أَفْعَالُهُ لَا ٱلَّذِي ... مِنْ قَبْلِهِ كَانَ وَلَا بَعْدِهِ

١٥ كَانَ يَزِيدُ ٱلرَّقَاشِيُّ يَقُولُ : يَا يَزِيدُ مَنْ يَقُومُ عَنْكَ أَوْ يُصَلِّي لَكَ أَوْ يَتَرَضَّى لَكَ رَبَّكَ إِذَا مُتَّ . وَكَانَ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ يَقُولُ :

إذا أَنتَ لَمْ تَزرعْ وَأَبصرتَ حَاصِدًا
نَدِمتَ عَلَى ٱلتَّفريطِ فِي زَمَنِ ٱلبَذرِ

مِمَّا يُنسبُ لِحَضرَةِ ٱلإمامِ ٱلشَّافِعِي:

إنَّ لِلهِ عِبَادًا فُطَنَا طَلَّقُوا ٱلدُّنيَا وَخَافُوا ٱلفِتَنَا
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيستْ لِحَيٍّ وَطَنَا
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَٱتَّخذُوا صَالِحَ ٱلأَعمَالِ فِيهَا سُفُنَا

مِن كَلَامِ بَعضِ ٱلأَكَابِرِ: لَيسَ ٱلعِيدُ. لِمَنْ لَبِسَ ٱلجَدِيدَ. إنَّمَا ٱلعِيدُ. لِمَنْ أَمِنَ ٱلوَعِيدَ. سُئِلَ بَعضُ ٱلرُّهبَانِ مَتَى عِيدُكُمْ. فَقَالَ: يَومَ لَا نَعصِي ٱللهَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى فَذَلِكَ عِيدُنَا. لَيسَ ٱلعِيدُ لِمَنْ لَبِسَ ٱلمَلَابِسَ ٱلفَاخِرَةَ. إنَّمَا ٱلعِيدُ لِمَنْ أَمِنَ عَذَابَ ٱلآخِرَةِ. لَيسَ ٱلعِيدُ لِمَنْ لَبِسَ ٱلرَّقِيقَ. إنَّمَا ٱلعِيدُ لِمَنْ عَرَفَ ٱلطَّرِيقَ (لبهاء الدين)

١٦ قَالَ أَبُو ٱلعَتَاهِيَةِ:

تَرجُو ٱلنَّجَاةَ وَلَمْ تَسلُكْ مَسَالِكَهَا إنَّ ٱلسَّفِينَةَ لَا تَجرِي عَلَى ٱليَبَسِ

وَقَالَ ٱلآخَرُ:

إعمَلْ وَأَنتَ مِنَ ٱلدُّنيَا عَلَى حَذَرٍ وَٱعلَمْ بِأَنَّكَ بَعدَ ٱلمَوتِ مَبعُوثُ
وَٱعلَمْ بِأَنَّكَ مَا قَدَّمتَ مِن عَمَلٍ يُحصَى عَلَيكَ وَمَا خَلَّفتَ مَورُوثُ

وَقَالَ غَيرُهُ:

إحزَنْ عَلَى أَنَّكَ لَا تَحزَنُ وَلَا تُسِئْ إنْ كُنتَ لَا تُحسِنُ
وَٱضعُفْ عَنِ ٱلشَّرِّ كَمَا تَدَّعِي ضُعفًا عَنِ ٱلخَيرِ وَقَدْ يُمكِنُ

قَالَ الْحَسَنُ : بَادِرُوا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ قَبْلَ حُلُولِ الأَجَلِ. فإنَّ لكُمْ مَا أَمْضَيْتُمْ لَا مَا أَبْقَيْتُمْ

الحجاج والاعرابي

١٧ خَرَجَ الْحَجَّاجُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَصْحَرَ وَحَضَرَ غَدَاؤُهُ. فَقَالَ: اُطْلُبُوا مَنْ يَتَغَدَّى مَعَنَا. فَطَلَبُوا فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَعْرَابِيًّا فِي شَمْلَةٍ فَأَتَوْهُ بِهِ. قَالَ لَهُ : هَلُمَّ. قَالَ لَهُ : قَدْ دَعَانِي مَنْ هُوَ أَكْرَمُ مِنْكَ فَأَجَبْتُهُ. قَالَ : وَمَنْ هُوَ. قَالَ : اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دَعَانِي إِلَى الصِّيَامِ فَأَنَا صَائِمٌ. قَالَ : صَوْمٌ فِي مِثْلِ هٰذَا الْيَوْمِ عَلَى حَرٍّ. قَالَ : صُمْتُ لِيَوْمٍ هُوَ أَحَرُّ مِنْهُ. قَالَ : فَأَفْطِرِ الْيَوْمَ وَتَصُومُ غَدًا. قَالَ : أَوَيَضْمَنُ لِي الأَمِيرُ أَنْ أَعِيشَ إِلَى غَدٍ. قَالَ : لَيْسَ ذٰلِكَ إِلَيَّ. قَالَ : فَكَيْفَ تَسْأَلُنِي عَاجِلًا بِآجِلٍ لَيْسَ لِي إِلَيْهِ سَبِيلٌ. قَالَ : إِنَّهُ طَعَامٌ طَيِّبٌ. قَالَ : وَاللهِ مَا طَيَّبَهُ خَبَّازُكَ وَلَا طَبَّاخُكَ وَلٰكِنْ طَيَّبَتْهُ الْعَافِيَةُ. قَالَ الْحَجَّاجُ : تَاللهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ (لابن عبد ربه)

الصلاة

١٨ إِنَّ الصَّلَاةَ عِمَادُ الدِّينِ وَعِصَامُ الْيَقِينِ وَرَأْسُ الْقُرُبَاتِ وَغُرَّةُ الطَّاعَاتِ. قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ الصَّلَاةَ تَمَسْكُنٌ وَتَوَاضُعٌ وَتَضَرُّعٌ وَتَأَوُّهٌ وَتَنَادُمٌ. وَرُوِيَ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ أَنَّهُ قَالَ : لَيْسَ كُلُّ مُصَلٍّ أَتَقَبَّلُ صَلَاتَهُ. إِنَّمَا أَقْبَلُ صَلَاةَ مَنْ تَوَاضَعَ لِعَظَمَتِي وَلَمْ يَتَكَبَّرْ عَلَى عِبَادِي وَأَطْعَمَ الْفَقِيرَ الْجَائِعَ لِوَجْهِي (احياء علوم الدين للغزالي)

تَفَقَّدَ هِشَامٌ بَعْضَ وَلَدِهِ لَمْ يَحْضُرِ ٱلْجُمُعَةَ فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ مِنَ ٱلصَّلَاةِ. قَالَ: نَفَقَتْ دَابَّتِي. قَالَ: أَفَعَجَزْتَ عَنِ ٱلْمَشْيِ. فَمَنَعَهُ ٱلدَّابَّةَ سَنَةً.

(لابي الفرج)

خَسِرَ ٱلَّذِي تَرَكَ ٱلصَّلَاةَ وَخَابَا ‏ وَأَبَى مَعَادًا صَالِحًا وَمَآبَا
إِنْ كَانَ يَجْحَدُهَا فَحَسْبُكَ أَنَّهُ ‏ أَضْحَى بِرَبِّكَ كَافِرًا مُرْتَابَا
أَوْ كَانَ يَتْرُكُهَا لِنَوْعِ تَكَاسُلٍ ‏ غَطَّى عَلَى وَجْهِ ٱلصَّوَابِ حِجَابَا

١٩ (بَيَانُ ٱخْتِلَافِ ٱلْخَلْقِ فِي لَذَّاتِهِمْ). أُنْظُرْ إِلَى ٱلصَّبِيِّ فِي أَوَّلِ حَرَكَتِهِ وَتَمْيِيزِهِ فَإِنَّهُ يَظْهَرُ فِيهِ غَرِيزَةٌ بِهَا يَسْتَلِذُّ ٱللَّعِبَ حَتَّى يَكُونَ ذٰلِكَ عِنْدَهُ أَلَذَّ مِنْ سَائِرِ ٱلْأَشْيَاءِ. ثُمَّ يَظْهَرُ فِيهِ بَعْدَ ذٰلِكَ ٱسْتِلْذَاذُ ٱللَّهْوِ وَلُبْسِ ٱلثِّيَابِ ٱلْمُلَوَّنَةِ وَرُكُوبِ ٱلدَّوَابِّ ٱلْفَارِهَةِ فَيَسْتَخِفُّ مَعَهُ ٱللَّعِبَ بَلْ يَسْتَهْجِنُهُ. ثُمَّ يَظْهَرُ فِيهِ بَعْدَ ذٰلِكَ لَذَّةُ ٱلزِّينَةِ وَٱلْمَنْزِلِ وَٱلْخَدَمِ فَيَحْتَقِرُ مَا سِوَاهَا لَهَا. ثُمَّ يَظْهَرُ فِيهِ بَعْدَ ذٰلِكَ لَذَّةُ ٱلْجَاهِ وَٱلرِّئَاسَةِ وَٱلتَّكَاثُرِ مِنَ ٱلْمَالِ وَٱلتَّفَاخُرِ بِٱلْأَعْوَانِ وَٱلْأَتْبَاعِ وَٱلْأَوْلَادِ وَهٰذَا آخِرُ لَذَّاتِ ٱلدُّنْيَا. وَإِلَى هٰذِهِ ٱلْمَرَاتِبِ أَشَارَ ٱلْقَائِلُ: إِنَّمَا حَيَاةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ. ثُمَّ بَعْدَ ذٰلِكَ فَقَدْ تَظْهَرُ لَذَّةُ ٱلْعِلْمِ بِٱللّٰهِ تَعَالَى وَٱلْقُرْبِ مِنْهُ وَٱلْمَحَبَّةِ لَهُ وَٱلْقِيَامِ بِوَظَائِفِ عِبَادَاتِهِ وَتَرْوِيحِ ٱلرُّوحِ بِمُنَاجَاتِهِ فَيَسْتَحْقِرُ مَعَهَا جَمِيعَ ٱللَّذَّاتِ ٱلسَّابِقَةِ وَيَتَعَجَّبُ مِنَ ٱلْمُنْهَمِكِينَ فِيهَا. وَكَمَا أَنَّ طَالِبَ ٱلْجَاهِ وَٱلْمَالِ يَضْحَكُ مِنْ لَذَّةِ ٱلصَّبِيِّ بِٱللَّعِبِ بِٱلْجَوْزِ مَثَلًا كَذٰلِكَ صَاحِبُ ٱلْمَعْرِفَةِ وَٱلْمَحَبَّةِ يَضْحَكُ مِنْ لَذَّةِ

الطالب الجاه والمال . وانتهى بوصوله إلى ذلك

لذات الجنة

٢٠ جاء في الحديث إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (لبهاء الدين)

قال بعضهم :

ألا قل لسكان وادي الحمى هنيئاً لكم في الجنان الخلود
أفيضوا علينا من الماء فيضاً فنحن عطاش وأنتم ورود

الباب الثاني
في الزهد

حدّ الزهد

٢١ قيل للزهري ما الزهد . قال : أما أنه ليس تشعيث اللمة ولا قشف الهيئة . ولكنه صرف النفس عن الشهوة . وقيل لآخر : ما الزهد في الدنيا قال : أن لا يغلب الحرام صبرك . ولا الحلال شكرك . وقيل لمحمد بن واسع : من أزهد الناس في الدنيا . قال : من لا يبالي بيد من كانت الدنيا . وقيل للخليل بن أحمد : من أزهد الناس في الدنيا . قال : من لم يطلب المفقود حتى يفقد الموجود

(لابن عبد ربه)

ذلة الدنيا

٢٢ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : ٱلدُّنْيَا كَٱلْمَاءِ ٱلْمَالِحِ كُلَّمَا ٱزْدَادَ صَاحِبُهُ شُرْبًا ٱزْدَادَ عَطَشًا . وَكَالْكَأْسِ مِنَ ٱلْعَسَلِ فِي أَسْفَلِهِ ٱلسُّمُّ فَلِلذَّائِقِ مِنْهُ حَلَاوَةٌ عَاجِلَةٌ وَفِي أَسْفَلِهِ ٱلْمَوْتُ ٱلذُّعَافُ . وَكَأَحْلَامِ ٱلنَّائِمِ ٱلَّتِي تُفْرِحُهُ فِي مَنَامِهِ فَإِذَا ٱسْتَيْقَظَ ٱنْقَطَعَ ٱلْفَرَحُ . وَكَالْبَرْقِ ٱلَّذِي يُضِيءُ قَلِيلًا وَيَذْهَبُ وَشِيكًا وَيَبْقَى رَاجِيهِ فِي ٱلظَّلَامِ مُقِيمًا . وَكَدُودَةِ ٱلْإِبْرِيسَمِ ٱلَّتِي لَا يَزْدَادُ ٱلْإِبْرِيسَمُ عَلَى نَفْسِهَا لَفًّا إِلَّا ٱزْدَادَتْ مِنَ ٱلْخُرُوجِ بُعْدًا وَفِيهِ قِيلَ :

كَدُودٍ كَدُودِ ٱلْقَزِّ يَنْسِجُ دَائِمًا ... وَيَهْلِكُ غَمًّا وَسْطَ مَا هُوَ نَاسِجُهْ

الراهب والمسافر

٢٣ قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : صَحِبَ رَجُلٌ بَعْضَ ٱلرُّهْبَانِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ لِيَسْتَفِيدَ مِنْهُ شَيْئًا فَوَجَدَهُ مَشْغُولًا عَنْهُ بِذِكْرِ ٱللّٰهِ تَعَالَى وَٱلْفِكْرُ لَا يَفْتُرُ . فَٱلْتَفَتَ إِلَيْهِ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلسَّابِعِ فَقَالَ : يَا هٰذَا قَدْ عَلِمْتُ مَا تُرِيدُ . حُبُّ ٱلدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَٱلزُّهْدُ فِي ٱلدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ . فَٱحْذَرْ رَأْسَ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَٱرْغَبْ فِي رَأْسِ كُلِّ خَيْرٍ . وَتَضَرَّعْ إِلَى رَبِّكَ أَنْ يَهَبَ لَكَ تَاجَ كُلِّ خَيْرٍ . قَالَ : فَكَيْفَ أَعْرِفُ ذٰلِكَ . قَالَ : كَانَ جَدِّي رَجُلًا مِنَ ٱلْحُكَمَاءِ قَدْ شَبَّهَ ٱلدُّنْيَا بِسَبْعَةِ أَشْيَاءَ فَشَبَّهَهَا بِٱلْمَاءِ ٱلْمِلْحِ يَغُرُّ وَلَا يُرْوِي . وَيَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ . وَبِٱلْبَرْقِ ٱلْخُلَّبِ يَغُرُّ وَلَا يَنْفَعُ . وَبِسَحَابِ ٱلصَّيْفِ يَمُرُّ وَلَا يَنْفَعُ . وَبِظِلِّ ٱلْغَمَامِ يَغُرُّ وَيَخْذُلُ .

وبزهر الربيع ينضر، ثم يصفر فتراه هشيما. وبأحلام النائم يرى السرور في منامه فإذا استيقظ لم يكن في يده إلا الحسرة. وبالعسل المشوب بالسم الزعاف يغر ويقتل

٢٤ كتب علي بن أبي طالب إلى سلمان إنما مثل الدنيا كمثل الحية لين لمسها ويقتل سمها. فأعرض عنها وعما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها. ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها. وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكره منها. فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور أشخص منها إلى مكروه. وقال أبو العتاهية:

هي الدار دار الأذى والقذى ودار الغرور ودار الغير
فلو نلتها بحذافيرها لمت ولم تقض منها الوطر
أيا من يؤمل طول الحياة وطول الحياة عليه خطر
إذا ما كبرت وبان الشباب فلا خير في العيش بعد الكبر

من الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين:

حلاوة دنياك مسمومة فما تأكل الشهد إلا بسم
فكن موسرا شئت أو معسرا فما تقطع الدهر إلا بهم
إذا تم أمر بدا نقصه توقع زوالا إذا قيل تم

٢٥ قال حكيم لبعض أصحابه: تريد أن أريك الدنيا. فقال: نعم. فأخذ بيده وانطلق حتى وقف به على مزبلة فيها رؤوس الآدميين ملقاة. وبقايا عظام نخرة وخرق قد تمزقت وتلوثت بنجاسات. فقال:

هٰذِهِ رُؤُوسُ ٱلنَّاسِ ٱلَّتِي تَرَاهَا كَانَتْ مِثْلَ رُؤُوسِكُمْ كَانَتْ مَمْلُوءَةً مِنَ ٱلْحِرْصِ وَٱلِٱجْتِهَادِ عَلَى جَمْعِ ٱلدُّنْيَا. وَكَانُوا يَرْجُونَ مِنْ طُولِ ٱلْأَعْمَارِ مَا تَرْجُونَ. وَكَانُوا يَجِدُّونَ فِي جَمْعِ ٱلْمَالِ وَعِمَارَةِ ٱلدُّنْيَا كَمَا تَجِدُّونَ. فَٱلْيَوْمَ نَخِرَتْ عِظَامُهُمْ وَتَلَاشَتْ أَجْسَامُهُمْ كَمَا تَرَى. وَهٰذِهِ ٱلْخِرَقُ كَانَتْ أَثْوَابَهُمُ ٱلَّتِي كَانُوا يَتَزَيَّنُونَ بِهَا عِنْدَ ٱلتَّجَمُّلِ وَقْتَ ٱلرُّعُونَةِ وَٱلتَّجَمُّلِ وَٱلتَّزَيُّنِ. فَٱلْيَوْمَ قَدْ أَلْقَتْهَا ٱلرِّيحُ فِي ٱلنَّجَاسَاتِ. وَهٰذِهِ عِظَامُ دَوَابِّهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا يَطُوفُونَ أَقْطَارَ ٱلْأَرْضِ عَلَى ظُهُورِهَا. وَهٰذِهِ ٱلنَّجَاسَاتُ كَانَتْ أَطْعِمَتَهُمُ ٱللَّذِيذَةَ ٱلَّتِي كَانُوا يَحْتَالُونَ فِي تَحْصِيلِهَا لَا يَقْرَبُهَا أَحَدٌ مِنْ نَتْنِهَا. فَهٰذِهِ جُمْلَةُ أَحْوَالِ ٱلدُّنْيَا كَمَا تُشَاهِدُ وَتَرَى. فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْكِيَ عَلَى ٱلدُّنْيَا فَلْيَبْكِ فَإِنَّهَا مَوْضِعُ ٱلْبُكَاءِ. (قَالَ) فَبَكَى جَمَاعَةُ ٱلْحَاضِرِينَ

وَلِلّٰهِ ٱلْحَرِيرِيُّ حَيْثُ قَالَ:

يَا طَالِبَ ٱلدُّنْيَا ٱلدَّنِيَّةِ إِنَّهَا   شَرَكُ ٱلرَّدَى وَقَرَارَةُ ٱلْأَكْدَارِ
دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكَتْ فِي يَوْمِهَا   أَبْكَتْ غَدًا تَبًّا لَهَا مِنْ دَارِ
غَارَاتُهَا لَا تَنْقَضِي وَأَسِيرُهَا   لَا يُفْتَدَى بِجَلَائِلِ ٱلْأَخْطَارِ
فَٱقْطَعْ عَلَائِقَ حُبِّهَا وَطِلَابِهَا   تَلْقَ ٱلْهُدَى وَرَفَاهَةَ ٱلْأَسْرَارِ

٢٦ مَثَلُ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا وَٱشْتِغَالِهِمْ وَٱهْتِمَامِهِمْ بِأَحْوَالِهَا وَنِسْيَانِ ٱلْآخِرَةِ وَإِهْمَالِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ رَكِبُوا مَرْكَبًا فِي ٱلْبَحْرِ فَعَدَلُوا إِلَى جَزِيرَةٍ لِأَجْلِ قَضَاءِ ٱلْحَاجَةِ. فَنَزَلُوا إِلَى ٱلْجَزِيرَةِ وَٱلْمَلَّاحُ يُنَادِيهِمْ لَا تُطِيلُوا ٱلْمُكْثَ

لِئَلَّا يَفُوتَ الْوَقْتُ وَلَا تَشْتَغِلُوا بِغَيْرِ الصَّلَاةِ فَإِنَّ الْمَرْكَبَ سَائِرٌ . فَمَضَوْا وَتَفَرَّقُوا فِي الْجَزِيرَةِ وَانْتَشَرُوا فِي نَوَاحِيهَا فَالْعُقَلَاءُ مِنْهُمْ لَمْ يَمْكُثُوا وَعَادُوا إِلَى الْمَرْكَبِ. فَوَجَدُوا الْأَمَاكِنَ خَالِيَةً فَجَلَسُوا فِي أَطْهَرِ أَمَاكِنِهِ وَأَوْفَقِهَا. وَأَطْيَبِ مَوَاضِعِهِ وَأَرْفَقِهَا . وَمِنْهُمْ قَوْمٌ نَظَرُوا إِلَى عَجَائِبِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ . وَوَقَفُوا يَتَنَزَّهُونَ فِي زَهْرِهَا وَأَثْمَارِهَا . وَرَوْضِهَا وَأَشْجَارِهَا . وَيَسْمَعُونَ تَرَنُّمَ أَطْيَارِهَا . وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ حَصْبَائِهَا الْمُلَوَّنَةِ وَأَحْجَارِهَا . فَلَمَّا عَادُوا إِلَى الْمَرْكَبِ لَمْ يَجِدُوا فِيهِ مَوْضِعاً وَلَا رَأَوْا مُتَّسَعاً . فَقَعَدُوا فِي أَضْيَقِ مَوَاضِعِهِ وَأَظْلَمِهَا . وَمِنْهُمْ قَوْمٌ وَقَفُوا مَعَ عَجَائِبِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ فَتَحَيَّرُوا . وَفِي الرُّجُوعِ لَمْ يَتَفَكَّرُوا . حَتَّى سَارَ الْمَرْكَبُ فَبَعُدُوا عَنْهُ وَانْقَطَعُوا فِي أَمَاكِنِهِمْ تَخَلَّفُوا . إِذْ لَمْ يُصْغُوا إِلَى الْمُنَادِي وَلَمْ يَسْمَعُوا . فَمِنْهُمْ مَنْ هَلَكَ مِنَ الْجُوعِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَكَلَتْهُ السِّبَاعُ . وَنَهَشَتْهُ الضِّبَاعُ . فَالْقَوْمُ الْمُتَقَدِّمُونَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ . وَالْقَوْمُ الْمُتَخَلِّفُونَ الْهَالِكُونَ هُمُ الَّذِينَ نَسُوا اللّٰهَ وَنَسُوا الْآخِرَةَ وَسَلَّمُوا كُلِّيَّتَهُمْ إِلَى الدُّنْيَا وَرَكَنُوا إِلَيْهَا وَاسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ . وَأَمَّا الْجَمَاعَةُ الْمُتَوَسِّطُونَ فَهُمُ الْعُصَاةُ الَّذِينَ حَفِظُوا أَصْلَ الْإِيمَانِ وَلٰكِنَّهُمْ لَمْ يَكُفُّوا يَدَهُمْ عَنِ الدُّنْيَا . فَمِنْهُمْ مَنْ تَمَتَّعَ بِغِنَاهُ وَنِعْمَتِهِ . وَمِنْهُمْ مَنْ تَمَتَّعَ مَعَ فَقْرِهِ وَحَاجَتِهِ . إِلَى أَنْ ثَقُلَتْ أَوْزَارُهُمْ . وَكَثُرَتْ أَوْسَاخُهُمْ وَآصَارُهُمْ

(للغزالي)

٢٧ لَمَّا حَضَرَتْ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الْوَفَاةُ نَظَرَ إِلَى أَهْلِهِ يَبْكُونَ

حَولَهُ فقالَ : جادَ لكُمْ هِشامٌ بِٱلدُّنيا وجُدتُمْ لهُ بِٱلبُكاءِ . وتركَ لكُمْ ما جَمَعَ وتركتُمْ عليهِ ما حَمَلَ . ما أعظَمَ مُنقَلَبَ هِشامٍ إنْ لمْ يَغفِرِ ٱللهُ لهُ

قالَ أبو ٱلعَتاهِيَةِ :

أيا مَنْ عاشَ في ٱلدُّنيا طَويلًا   وأفنى ٱلعُمرَ في قِيلٍ وقالِ
وأتعَبَ نفسَهُ فيما سيَفنى   وجَمَّعَ مِنْ حَرامٍ أوْ حَلالِ
هَبِ ٱلدُّنيا تُقادُ إليكَ عَفوًا   أليسَ مَصيرُ ذلِكَ لِلزَّوالِ

(للطرطوشي)

زوال الدنيا

٢٨ إعلَمْ أنَّ ٱلدُّنيا مَنزِلةٌ ولَيستْ بدارِ قَرارٍ وٱلإنسانَ فيها على صُورةِ مُسافِرٍ . فأوَّلُ منازِلِهِ بطنُ أُمِّهِ وآخِرُ منازِلِهِ لَحْدُ قبرِهِ . وإنَّما وَطَنُهُ وقَرارُهُ ومُكثُهُ وٱستِقرارُهُ بعدَها . فكلُّ سنةٍ تنقَضي مِنْ عُمرِ ٱلإنسانِ كالمَرحلَةِ . وكلُّ شهرٍ يَنقَضي مِنهُ كٱستِراحةِ ٱلمُسافِرِ في سَفَرِهِ . وكلُّ أُسبوعٍ فكَقَريَةٍ تَلقاهُ في طَريقِهِ . وكلُّ يومٍ فكَفَرسَخٍ يَقطَعُهُ . وكلُّ نفَسٍ فكَخُطوةٍ يَخطوها . وبِقَدْرِ كلِّ نفَسٍ يتنفَّسُهُ يَقرُبُ مِنَ ٱلآخِرةِ . وهذهِ ٱلدُّنيا قنطرةٌ فمَنْ عبرَ ٱلقنطرةَ وٱشتغَلَ بعِمارَتِها فَنِيَ فيها زَمانُهُ . ونَسِيَ ٱلمَنزِلةَ ٱلَّتي إليها مَصيرُهُ وهي مكانُهُ . وكانَ جاهِلًا غيرَ عاقِلٍ . وإنَّما ٱلعاقِلُ ٱلَّذي لا يَشتغِلُ في دُنياهُ إلَّا بإعدادِ زادِهِ لِمَعادِهِ . ويكتفي مِنها بقَدْرِ حاجَتِهِ . ومهما جمَعَهُ مِنها فوقَ كِفايتِهِ كانَ سُمًّا قاتِلًا . وتمنَّى أنْ تكونَ جميعُ خزائنِهِ وسائرُ

ذخائره فانية رمادًا وترابًا لا فضة وذهبًا. ولو جمع مهما جمع فإنما نصيبه ما يأكله ويلبسه لا سواه. وجميع ما يخلفه يكون حسرة وندامة ويصعب عليه نزعه عند موته. فحلالها حساب. وحرامها عذاب. إن كان قد جمع المال من حلال طلب منه الحساب. وإن كان قد جمعه من حرام أوجب عليه العقاب. وكان أشد عليه من حسرة حلول العذاب به في حفرته وآخرته. واعلم أن راحة الدنيا أيام قلائل وأكثرها منغص بالتعب. ومشوب بالنصب. وبسببها تفوت راحة الدنيا الآخرة التي هي الدائمة الباقية والملك الذي لا يفنى ولا نهاية له. فسهل على العاقل أن يصبر في هذه الأيام القلائل لينال راحة دائمة بلا انقضاء. والدنيا ليست بشيء في جنب الآخرة ولا نسبة بينهما لأن الآخرة لا نهاية لها ولا يدرك الوهم طولها (للغزالي)

٢٩ لما بنى المأمون بن ذي النون وكان من ملوك الأندلس قصره وأنفق في بنائه بيوت أمواله فجاء على أكمل بنيان في الأرض. وكان من عجائبه أنه صنع فيه بركة ماء كأنها بحيرة. وبنى في وسطها قبة وسيق الماء من تحت الأرض حتى علا إلى رأس القبة على تدبير قد أحكمه المهندسون. وكان الماء ينزل من أعلى القبة حواليها محيطًا بها متصلًا بعضه ببعض. فكانت القبة في غلالة من ماء سكبًا لا يفتر والمأمون قاعد فيها. فروي عنه أنه بينما هو نائم إذ سمع منشدًا ينشد هذه الأبيات:

أَتَبْنِي بِنَاءَ ٱلْخَالِدِينَ وَإِنَّمَا مُقَامُكَ فِيهَا لَوْ عَقَلْتَ قَلِيلُ
لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ ٱلْأَرَاكِ كِفَايَةٌ لِمَنْ كَانَ يَوْمًا يَقْتَضِيهِ رَحِيلُ
فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَهَا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى قَضَى نَحْبَهُ (للطرطوشي)

قَالَ بَعْضُ ٱلْأَكَابِرِ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ:

نَمْضِي كَمَا مَضَتِ ٱلْقَبَائِلُ قَبْلَنَا لَسْنَا بِأَوَّلِ مَنْ دَعَاهُ ٱلدَّاعِي
تَبْقَى ٱلنُّجُومُ دَوَائِرٌ أَفْلَاكُهَا وَٱلْأَرْضُ فِيهَا كُلَّ يَوْمٍ نَاعِ
وَزَخَارِفُ ٱلدُّنْيَا يَجُوزُ خِدَاعُهَا أَبَدًا عَلَى ٱلْأَبْصَارِ وَٱلْأَسْمَاعِ

خطبة ابي الدرداء في اهل الشام

٣٠ لَمَّا دَخَلَ أَبُو ٱلدَّرْدَاءِ ٱلشَّامَ قَالَ: يَا أَهْلَ ٱلشَّامِ ٱسْمَعُوا قَوْلَ أَخٍ لَكُمْ نَاصِحٍ. فَٱجْتَمَعُوا عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكُمْ تَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ. وَتَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ. وَتَقُولُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ. إِنَّ ٱلَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ بَنَوْا مَشِيدًا. وَأَمَّلُوا بَعِيدًا. وَجَمَعُوا كَثِيرًا. فَأَصْبَحَ أَمَلُهُمْ غُرُورًا. وَجَمْعُهُمْ بُورًا. وَمَسَاكِنُهُمْ قُبُورًا

وَرَوَى ٱلْجَاحِظُ قَالَ: وُجِدَ مَكْتُوبًا عَلَى حَجَرٍ: إِبْنَ آدَمَ. لَوْ رَأَيْتَ يَسِيرَ مَا بَقِيَ مِنْ أَجَلِكَ. لَزَهِدْتَ فِي طُولِ مَا تَرْجُو مِنْ أَمَلِكَ. وَلَرَغِبْتَ فِي ٱلزِّيَادَةِ مِنْ عَمَلِكَ. وَلَقَصَّرْتَ عَنْ حِرْصِكَ وَمَيْلِكَ. وَإِنَّمَا يَلْقَاكَ غَدًا نَدَمُكَ. وَقَدْ زَلَّتْ بِكَ قَدَمُكَ. وَأَسْلَمَكَ أَهْلُكَ وَحَشَمُكَ. وَتَبَرَّأَ مِنْكَ ٱلْقَرِيبُ. وَٱنْصَرَفَ عَنْكَ ٱلْحَبِيبُ. فَلَا أَنْتَ فِي عَمَلِكَ زَائِدٌ. وَلَا إِلَى أَهْلِكَ عَائِدٌ (للطرطوشي)

قَالَ فَخْرُ ٱلدِّينِ ٱلْبَكْرِيُّ :

نِهَايَةُ إِقْدَامِ ٱلْعُقُولِ عِقَالُ وَأَكْثَرُ سَعْيِ ٱلْعَالَمِينَ ضَلَالُ
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا وَحَامِلُ دُنْيَانَا أَذًى وَوَبَالُ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ عَنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ رِجَالٍ وَدَوْلَةٍ فَبَادُوا جَمِيعاً مُسْرِعِينَ وَزَالُوا

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

لِكُلِّ ٱجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ وَإِنَّ ٱلَّذِي دُونَ ٱلْفِرَاقِ قَلِيلُ
أَرَى عِلَلَ ٱلدُّنْيَا عَلَيَّ كَثِيرَةً وَصَاحِبُهَا حَتَّى ٱلْمَمَاتِ عَلِيلُ
وَإِنَّ ٱفْتِقَادِي وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا يَدُومَ خَلِيلُ

وَقَالَ أَيْضاً :

أَلَا أَيُّهَا ٱلْمَوْتُ ٱلَّذِي لَيْسَ تَارِكِي أَرِحْنِي فَقَدْ أَفْنَيْتَ كُلَّ خَلِيلِ
أَرَاكَ بَصِيراً بِٱلَّذِينَ أُحِبُّهُمْ كَأَنَّكَ تَنْحُو نَحْوَهُمْ بِدَلِيلِ

وَقَالَ بَعْضُ بَنِي ضَبَّةَ :

أَقُولُ وَقَدْ فَاضَتْ دُمُوعِي حَرَّةً
أَرَى ٱلْأَرْضَ تَبْقَى وَٱلْأَخِلَّاءُ تَذْهَبُ
أَخِلَّايَ لَوْ غَيْرُ ٱلْحِمَامِ أَصَابَكُمْ
عَتَبْتُ وَلَكِنْ مَا عَلَى ٱلْمَوْتِ مَعْتَبُ

(للطرطوشي)

٣١ أَلدُّنْيَا لَا تَصْفُو لِشَارِبٍ. وَلَا تَبْقَى لِصَاحِبٍ. يُقَالُ كَانَ عَلَى قَبْرِ

يَعْقُوبَ بْنِ لَيْثٍ مَكْتُوبٌ . هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتُ عَمِلَهَا قَبْلَ مَوْتِهِ وَأَمَرَ أَنْ تُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ هٰذِهِ :

سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ ٱلْقُبُورِ ٱلدَّوَارِسِ   كَأَنَّهُمُ لَمْ يَجْلِسُوا فِي ٱلْمَجَالِسِ
وَلَمْ يَشْرَبُوا مِنْ بَارِدِ ٱلْمَاءِ شَرْبَةً   وَلَمْ يَأْكُلُوا مَا بَيْنَ رَطْبٍ وَيَابِسِ
فَقَدْ جَاءَنِي ٱلْمَوْتُ ٱلْمَهُولُ بِسَكْرَةٍ   فَلَمْ تُنْجِنِي مِنْهُ أُلُوفُ فَوَارِسِ
فَيَا زَائِرَ ٱلْقَبْرِ ٱتَّعِظْ وَٱعْتَبِرْ بِنَا   وَلَا تَكُ فِي ٱلدُّنْيَا هُدِيتَ بِآنِسِ

(للغزالي)

قَالَ ٱبْنُ سَادَةَ :

بَنُو ٱلدُّنْيَا بِجَهْلٍ عَظَّمُوهَا   فَجَلَّتْ عِنْدَهُمْ وَهِيَ ٱلْحَقِيرَهْ
يُهَارِشُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهَا   مُهَارَشَةَ ٱلْكِلَابِ عَلَى ٱلْعَقِيرَهْ

قَالَ ٱلْإِمَامُ عَلِيٌّ :

إِذَا عَاشَ ٱلْفَتَى سِتِّينَ عَامًا   فَنِصْفُ ٱلْعُمْرِ تَمْحَقُهُ ٱللَّيَالِي
وَنِصْفُ ٱلنِّصْفِ يَذْهَبُ لَيْسَ يَدْرِي   لِغَفْلَتِهِ يَمِينًا عَنْ شِمَالِ
وَثُلْثُ ٱلنِّصْفِ آمَالٌ وَحِرْصٌ   وَشُغْلٌ بِٱلْمَكَاسِبِ وَٱلْعِيَالِ
وَبَاقِي ٱلْعُمْرِ أَسْقَامٌ وَشَيْبٌ   وَهَمٌّ بِٱرْتِحَالٍ وَٱنْتِقَالِ
فَحُبُّ ٱلْمَرْءِ طُولَ ٱلْعُمْرِ جَهْلٌ   وَقِسْمَتُهُ عَلَى هٰذَا ٱلْمِثَالِ

٣٢ يَا أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ لَا تُخْدَعَنَّ كَمَا خُدِعَ مَنْ قَبْلَكَ . فَإِنَّ ٱلَّذِي أَصْبَحْتَ فِيهِ مِنَ ٱلنِّعَمِ إِنَّمَا صَارَ إِلَيْكَ بِمَوْتِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ يَدِكَ مِثْلَ مَا صَارَ إِلَيْكَ . فَلَوْ بَقِيَتِ ٱلدُّنْيَا لِلْعَالِمِ لَمْ تَصِرْ لِلْجَاهِلِ . وَلَوْ

بقيت للأول لم تنتقل للآخر. يا أيها الرجل لو كانت الدنيا كلها ذهباً وفضة ثم سلمت عليك بالخلافة وألقت إليك مقاليدها وأفلاذ كبدها ثم كنت طريدة للموت ما كان ينبغي لك أن تتهنأ بعيش.

لا فخر فيما يزول ولا غنى فيما يفنى

٣٣ قال مالك بن أنس: ركب ملك يوماً في زي عظيم فتشرف له الناس ينظرون إليه أفواجاً حتى مر برجل يعمل شيئاً مكباً عليه لا يلتفت إليه ولا يرفع رأسه. فوقف الملك عليه وقال: كل الناس ينظرون إلي إلا أنت. فقال الرجل: إني رأيت ملكاً مثلك وكان على هذه القرية فمات هو ومسكين فدفن إلى جانبه في يوم واحد. وكنا نعرفهما في الدنيا بأجسادهما. ثم كنا نعرفهما بقبريهما. ثم نسفت الريح قبريهما وكشفت عنهما فاختلطت عظامهما فلم أعرف الملك من المسكين. فلذلك أقبلت على عملي وتركت النظر إليك.

وقد قيل في المعنى:

وحقك لو كشفت الترب عنهم لما عرف الغني من الفقير
ولا من كان يلبس ثوب شعر ولا البدن المنعم بالحرير

قال التهامي:

وإنا لفي الدنيا كركب سفينة نظن وقوفاً والزمان بنا يجري

وقال آخر:

لا تخدعنك بعد طول تجارب دنيا تغر بوصلها وستقطع

أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كَظِلٍّ زَائِلٍ إِنَّ اللَّبِيبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخْدَعُ

٣٤ إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ لَبِسَ أَفْخَرَ ثِيَابِهِ وَمَسَّ أَطْيَبَ طِيبِهِ وَنَظَرَ فِي مِرْآةٍ فَأَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ وَقَالَ: أَنَا الْمَلِكُ الشَّابُّ. وَخَرَجَ إِلَى الْجُمُعَةِ وَقَالَ لِجَارِيَتِهِ: كَيْفَ تَرَيْنَ. فَقَالَتْ:

أَنْتَ نِعْمَ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
لَيْسَ فِيمَا بَدَا لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ عَابَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنَّكَ فَانِ

فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ ثُمَّ خَرَجَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَصَوْتُهُ يُسْمِعُ آخِرَ الْمَسْجِدِ. ثُمَّ رَكِبَتْهُ الْحُمَّى فَلَمْ يَزَلْ صَوْتُهُ يَنْقُصُ حَتَّى لَمْ يَسْمَعْهُ مَنْ حَوْلَهُ. فَصَلَّى وَرَجَعَ فَلَمْ تَدُرْ عَلَيْهِ الْجُمُعَةُ الْأُخْرَى إِلَّا وَهُوَ فِي قَبْرِهِ

أَنْشَدَ الْقَاضِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْجُرْجَانِيُّ هٰذِهِ الْأَبْيَاتَ:

بِاللّٰهِ رَبِّكَ كَمْ قَصْرٍ مَرَرْتَ بِهِ قَدْ كَانَ يَعْمُرُ بِاللَّذَّاتِ وَالطَّرَبِ
طَارَتْ عُقَابُ الْمَنَايَا فِي جَوَانِبِهِ فَصَاحَ مِنْ بَعْدِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرَبِ
إِعْمَلْ وَكُنْ طَالِبًا لِلرِّزْقِ فِي دَعَةٍ فَلَا وَرَبِّكَ مَا الْأَرْزَاقُ بِالطَّلَبِ

وَأَنْشَدَ أَيْضًا:

أَيُّهَا الرَّافِعُ الْبِنَاءَ رُوَيْدًا لَنْ تَذُودَ الْمَنُونَ عَنْكَ الْمَبَانِي
إِنَّ هٰذَا الْبِنَاءَ يَبْقَى وَتَفْنَى كُلُّ شَيْءٍ أَبْقَى مِنَ الْإِنْسَانِ

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْأَيَّامَ تُطْوَى. وَالْأَعْمَارَ تَفْنَى. وَالْأَبْدَانَ فِي الثَّرَى تَبْلَى. وَإِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَرَاكَضَانِ تَرَاكُضَ الْبَرِيدِ. يُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ. وَيُخْلِقَانِ كُلَّ جَدِيدٍ (للطرطوشي).

٣٥ قَالَ حَكِيمٌ: وَجَدتُ مَثَلَ الدُّنيا وَالْمَغرُورِ بِالدُّنيا الْمَمْلُوءَةِ آفَاتٍ مَثَلَ رَجُلٍ أَلْجَأَهُ خَوفٌ إِلَى بِئرٍ تَدَلَّى فِيهَا وَتَعَلَّقَ بِغُصْنَيْنِ نَابِتَيْنِ عَلَى شَفِيرِ الْبِئْرِ. وَوَقَعَتْ رِجْلَاهُ عَلَى شَيْءٍ فَمَدَّهُمَا فَنَظَرَ فَإِذَا بِحَيَّاتٍ أَرْبَعٍ قَدْ أَطْلَعْنَ رُؤُوسَهُنَّ مِنْ جُحُورِهِنَّ. وَنَظَرَ إِلَى أَسْفَلِ الْبِئْرِ فَإِذَا ثُعْبَانٌ فَاغِرٌ فَاهُ نَحْوَهُ. فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى الْغُصْنِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ فَإِذَا فِي أَصْلِهِ جُرَذَانِ أَبْيَضُ وَأَسْوَدُ يَقْرِضَانِ الْغُصْنَ دَائِبَيْنِ لَا يَفْتُرَانِ. فَبَيْنَمَا هُوَ مُهْتَمٌّ بِنَفْسِهِ ابْتِغَاءَ الْحِيلَةِ فِي نَجَاتِهِ إِذْ نَظَرَ فَإِذَا بِجَانِبٍ مِنْهُ جُحْرُ نَحْلٍ قَدْ وَضَعْنَ شَيْئًا مِنْ عَسَلٍ فَتَطَاعَمَ مِنْهُ فَوَجَدَ حَلَاوَتَهُ. فَشَغَلَتْهُ عَنِ الْفِكْرِ فِي أَمْرِهِ وَالْتِمَاسِ النَّجَاةِ لِنَفْسِهِ. وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ رِجْلَيْهِ فَوْقَ أَرْبَعِ حَيَّاتٍ لَا يَدْرِي مَنْ تُسَاوِرُهُ مِنْهُنَّ وَأَنَّ الْجُرَذَيْنِ دَائِبَانِ فِي قَرْضِ الْغُصْنِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ وَأَنَّهُمَا إِذَا أَوْقَعَاهُ وَقَعَ فِي لَهَوَاتِ التِّنِّينِ. وَلَمْ يَزَلْ لَاهِيًا غَافِلًا حَتَّى هَلَكَ. قَالَ الْحَكِيمُ: فَشَبَّهْتُ الدُّنْيَا الْمَمْلُوءَةَ آفَاتٍ وَشُرُورًا وَمَخَاوِفَ بِالْبِئْرِ. وَشَبَّهْتُ الْحَيَّاتِ الْأَرْبَعَ بِالْأَخْلَاطِ الْأَرْبَعِ الَّتِي فِي جَسَدِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْمِرَّتَيْنِ وَالْبَلْغَمِ وَالدَّمِ. وَشَبَّهْتُ الْغُصْنَ الَّذِي تَعَلَّقَ بِهِ بِالْحَيَاةِ. وَشَبَّهْتُ الْجُرَذَيْنِ الْأَبْيَضَ وَالْأَسْوَدَ اللَّذَيْنِ يَقْرِضَانِ الْغُصْنَ دَائِبَيْنِ لَا يَفْتُرَانِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَدَوَرَانِهِمَا فِي إِفْنَاءِ الْأَيَّامِ وَالْآجَالِ. وَشَبَّهْتُ الثُّعْبَانَ الْفَاغِرَ فَاهُ بِالْمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ. وَشَبَّهْتُ الْعَسَلَةَ الَّتِي تَطَاعَمَهَا بِالَّذِي يَرَى الْإِنْسَانُ وَيَسْمَعُ وَيَلْبَسُ فَيُلْهِيهِ ذَلِكَ عَنْ عَاقِبَةِ أَمْرِهِ (لابن عبد ربه)

٣٦ جاذَبَ رَجُلٌ مِنْ كِنانَةَ أَبا ٱلعَتاهِيَةِ فِي شَيْءٍ فَفَخَرَ عَلَيْهِ ٱلكِنانِيُّ وَٱسْتَطالَ بِقَوْمٍ مِنْ أَهْلِهِ فَقالَ أَبُو ٱلعَتاهِيَةِ:

دَعْنِي مِنْ ذِكْرِ أَبٍ وَجَدِّ وَنَسَبٍ يُعْلِيكَ سُورَ ٱلمَجْدِ
ما ٱلفَخْرُ إِلَّا فِي ٱلتُّقَى وَٱلزُّهْدِ وَطاعَةٍ تُعْطِي جِنانَ ٱلخُلْدِ

(للاصبهاني)

٣٧ قالَ غانِمُ ٱلوَرَّاقُ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي نُواسٍ قَبْلَ وَفاتِهِ بِيَوْمٍ فَقالَ لِي: أَمَعَكَ أَلْواحُكَ. قُلْتُ: نَعَم. قالَ ٱكْتُبْ:

دَبَّ فِيَّ ٱلسَّقامُ سُفْلًا وَعُلْوا وَأَرانِي أَمُوتُ عُضْوًا فَعُضْوا
لَيْسَ تَمْضِي مِنْ لَحْظَةٍ لِي إِلَّا نَقَصَتْنِي بِمَرِّها بِيَ جُزْوا
ذَهَبَتْ جِدَّتِي بِطاعَةِ نَفْسِي وَتَذَكَّرْتُ طاعَةَ ٱللّٰهِ نِضْوا
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى لَيالٍ وَأَيّا مٍ تَجاوَزْتُهُنَّ لَعْبًا وَلَهْوا
قَدْ أَسَأْنا كُلَّ ٱلإِساءَةِ فَٱللّٰـهُمَّ صَفْحًا عَنّا وَغَفْرًا وَعَفْوا

(للشريشي)

نوائب الدهر

٣٨ لَمّا نَزَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقّاصٍ ٱلحِيرَةَ قِيلَ لَهُ: هٰهُنا عَجُوزٌ مِنْ بَناتِ ٱلمُلُوكِ يُقالُ لَها ٱلحُرَقَةُ بِنْتُ ٱلنُّعْمانِ بْنِ ٱلمُنْذِرِ. وَكانَتْ مِنْ أَجَلِّ عَقائِلِ ٱلعَرَبِ. وَكانَتْ إِذا خَرَجَتْ إِلَى بِيعَتِها نُشِرَتْ عَلَيْها أَلْفُ قَطِيفَةِ خَزٍّ وَدِيباجٍ وَمَعَها أَلْفُ وَصِيفٍ. فَأَرْسَلَ إِلَيْها سَعْدٌ فَجاءَتْ كَٱلشَّنِّ ٱلبالِي. فَقالَتْ: يا سَعْدُ كُنّا مُلُوكَ هٰذا ٱلمِصْرِ قَبْلَكَ. يُجْبَى

إلينا خراجه ويطيعنا أهله مدة من المدد . حتى صاح بنا صائح الدهر فشتت ملأنا . والدهر ذو نوائب وصروف . فلو رأيتنا في أيامنا لأرعدت فرائصك فرقاً منا . فقال لها سعد : ما أنعم ما تنعمتم به . قالت : سعة الدنيا علينا وكثرة الأصوات إذا دعونا . ثم أنشأت تقول :

وبينا نسوس الناس والأمر أمرنا   إذا نحن فيهم سوقة ليس ننصف
فتباً لدنيا لا يدوم نعيمها   تقلب تارات بنا وتصرف

ثم قالت : يا سعد إنه لم يكن أهل بيت بخير إلا والدهر يعقبهم حسرة حتى يأتي أمر الله على الفريقين . فأكرمها سعد وأمر بردها

(للطرطوشي)

قال بعضهم :

يعاندني دهري كأني عدوه   وفي كل يوم بالكريهة يلقاني
وإن رمت خيراً جاء دهري بضده   وإن يصف لي يوماً تكدر في الثاني

٣٩ قال ابن المعتز :

يا دهر ويحك قد أكثرت فجعاتي   شغلت أيام دهري بالمصيبات
ملأت ألحاظ عيني كلها حزناً   فأين لهوي وأحبابي ولذاتي
حمداً لربي وذماً للزمان فما   أقل في هذه الدنيا ملذاتي

قال غيره :

ألا إنما الدنيا كظل سحابة   أظلتك يوماً ثم عنك اضمحلت

فَلَا تَكُ فَرِحَانًا بِهَا حِينَ أَقْبَلَتْ   وَلَا تَكُ جَزِعًانًا بِهَا حِينَ وَلَّتِ

وَقَالَ آخَرُ :

عَرِيتُ مِنَ ٱلشَّبَابِ وَكُنْتُ غُصْنًا   كَمَا يَعْرَى مِنَ ٱلْوَرَقِ ٱلْقَضِيبُ
وَنُحْتُ عَلَى ٱلشَّبَابِ بِدَمْعِ عَيْنِي   فَمَا نَفَعَ ٱلْبُكَاءُ وَلَا ٱلنَّحِيبُ
فَيَا لَيْتَ ٱلشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا   فَأُخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ ٱلْمَشِيبُ

وَأَنْشَدَ آخَرُ :

مَا ٱلنَّاسُ إِلَّا مَعَ ٱلدُّنْيَا وَصَاحِبِهَا   فَكَيْفَمَا ٱنْقَلَبَتْ يَوْمًا بِهِ ٱنْقَلَبُوا
يُعَظِّمُونَ أَخَا ٱلدُّنْيَا فَإِنْ وَثَبَتْ   عَلَيْهِ يَوْمًا بِمَا لَا يَشْتَهِي وَثَبُوا

٤٠ قَالَ ذُو ٱلْكُلَاعِ ٱلْحِمْيَرِيُّ فِي ٱلدُّنْيَا :

إِنْ صَفَا عَيْشُ ٱمْرِئٍ فِي صُبْحِهَا   جَرَّعَتْهُ مُمْسِيًا كَأْسَ ٱلرَّدَى
وَلَقَدْ كُنْتُ إِذَا مَا قِيلَ مَنْ   أَنْعَمُ ٱلْعَالَمِ عَيْشًا قِيلَ ذَا

قَالَ أَبُو بَكْرٍ ٱلْأَرَّجَانِيُّ :

يَقْصِدُ أَهْلَ ٱلْفَضْلِ دُونَ ٱلْوَرَى   مَصَائِبُ ٱلدُّنْيَا وَآفَاتُهَا
كَٱلطَّيْرِ لَا يُحْبَسُ مِنْ بَيْنِهَا   إِلَّا ٱلَّتِي تُطْرِبُ أَصْوَاتُهَا

كَتَبَ ٱلْبُحْتُرِيُّ إِلَى أَحَدِ أَصْحَابِهِ وَكَانَ مُعْتَقَلًا فِي ٱلسِّجْنِ :

وَمَا هٰذِهِ ٱلْأَيَّامُ إِلَّا مَنَازِلٌ   فَمِنْ مَنْزِلٍ رَحْبٍ إِلَى مَنْزِلٍ ضَنْكِ
وَقَدْ هَذَّبَتْكَ ٱلنَّائِبَاتُ وَإِنَّمَا   صَفَا ٱلذَّهَبُ ٱلْإِبْرِيزُ قَبْلَكَ بِٱلسَّبْكِ
أَمَا فِي رَسُولِ ٱللّٰهِ يُوسُفَ أُسْوَةٌ   لِمِثْلِكَ مَحْبُوسًا عَلَى ٱلظُّلْمِ وَٱلْإِفْكِ
أَقَامَ جَمِيلَ ٱلصَّبْرِ فِي ٱلسِّجْنِ بُرْهَةً   فَآلَ بِهِ ٱلصَّبْرُ ٱلْجَمِيلُ إِلَى ٱلْمُلْكِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ ٱلْفَضْلِ:

هَانَتِ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱللّٰهِ فَأَعْطَاهَا ٱللِّئَامَا
فَهُمُ فِيهَا يَعِيشُو نَ وَيَلْحُونَ ٱلْكِرَامَا

ذكر الموت

٤١ كَانَ فِي بِلَادِ ٱلرُّومِ مِمَّا يَلِي أَرْضَ ٱلْأَنْدَلُسِ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ قَدْ بَلَغَ فِي ٱلتَّخَلِّي مِنَ ٱلدُّنْيَا مَبْلَغًا عَظِيمًا . وَٱعْتَزَلَ ٱلْخَلْقَ وَلَزِمَ قُلَلَ ٱلْجِبَالِ وَٱلسِّيَاحَةَ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَى ٱلْغَايَةِ ٱلْقُصْوَى . فَوَرَدَ عَلَى ٱلْمُسْتَعِينِ بْنِ هُودٍ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ فَأَكْرَمَهُ ٱبْنُ هُودٍ . ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ وَجَعَلَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ ذَخَائِرَ مُلْكِهِ وَخَزَائِنَ أَمْوَالِهِ وَمَا حَوَتْهُ مِنَ ٱلْبَيْضَاءِ وَٱلْحَمْرَاءِ وَأَحْجَارِ ٱلْيَاقُوتِ وَٱلْجَوَاهِرِ وَأَمْثَالِهَا وَنَفَائِسِ ٱلْأَعْلَاقِ وَٱلْجَوَارِي وَٱلْحَشَمِ وَٱلْأَجْنَادِ وَٱلْكُرَاعِ وَٱلسِّلَاحِ . فَأَقَامَ عَلَى ذٰلِكَ أَيَّامًا فَلَمَّا ٱنْقَضَى قَالَ لَهُ : كَيْفَ رَأَيْتَ مُلْكِي . قَالَ : رَأَيْتُ مُلْكَكَ وَلٰكِنَّهُ تُعْوِزُكَ فِيهِ خَصْلَةٌ إِنْ أَنْتَ قَدَرْتَ عَلَيْهَا تَمَّ ٱنْتِظَامُ مُلْكِكَ . وَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَيْهَا فَهٰذَا ٱلْمُلْكُ شِبْهُ لَا شَيْءٍ . قَالَ : وَمَا هِيَ ٱلْخَصْلَةُ . قَالَ : تَعْمِدُ فَتَصْنَعُ غِطَاءً عَظِيمًا حَصِينًا قَوِيًّا وَتَكُونُ مِسَاحَتُهُ قَدْرَ ٱلْبَلَدِ . ثُمَّ تُرَكِّبُهُ عَلَى ٱلْبَلَدِ حَتَّى لَا يَجِدَ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ مَدْخَلًا إِلَيْكَ . فَقَالَ ٱلْمُسْتَعِينُ: سُبْحَانَ ٱللّٰهِ أَوَ يَقْدِرُ ٱلْبَشَرُ عَلَى مِثْلِ هٰذَا . فَقَالَ ٱلْعِلْجُ : يَا هٰذَا أَفَتَفْتَخِرُ بِأَمْرٍ تَتْرُكُهُ غَدًا . وَمِثَالُ مَنْ يَفْتَخِرُ بِمَا يَفْنَى كَمَنْ يَفْتَخِرُ بِمَا يَرَاهُ فِي ٱلنَّوْمِ (سراج الملوك للطرطوشي)

٤٢ قَالَ ٱلْمُتَنَبِّي :

نَحْنُ بَنُو ٱلْمَوْتَى فَمَا بَالُنَا نَعَافُ مَا لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ
يَمُوتُ رَاعِي ٱلضَّأْنِ فِي جَهْلِهِ مِيتَةَ جَالِينُوسَ فِي طِبِّهِ

قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

وَأَرَى ٱلطَّبِيبَ بِطِبِّهِ وَدَوَائِهِ لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَ مَكْرُوهٍ أَتَى
مَا لِلطَّبِيبِ يَمُوتُ بِٱلدَّاءِ ٱلَّذِي قَدْ كَانَ يُبْرِئُ مِنْهُ فِيمَا قَدْ مَضَى
ذَهَبَ ٱلْمُدَاوِي وَٱلْمُدَاوَى وَٱلَّذِي جَلَبَ ٱلدَّوَاءَ وَبَاعَهُ وَمَنِ ٱشْتَرَى

قَالَ ٱبْنُ ٱلْعَرَبِيِّ وَتَذَكَّرَ ٱلْأَحِبَّةَ فِي ٱلْقُبُورِ :

ضَمَّتْ لَنَا آرَامَنَا ٱلْآرَامَا فَكَأَنَّ ذَاكَ ٱلْعَيْشَ كَانَ مَنَامَا
يَا وَاقِفِينَ عَلَى ٱلْقُبُورِ تَعَجَّبُوا مِنْ قَائِمِينَ كَيْفَ صَارُوا نِيَامَا
تَحْتَ ٱلتُّرَابِ مُوَسَّدِينَ أَكُفَّهُمْ قَدْ عَايَنُوا ٱلْحَسَنَاتِ وَٱلْآثَامَا
لَا يُوقَظُونَ فَيُخْبِرُونَ بِمَا رَأَوْا لَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ يَكُونُ قِيَامَا

وُجِدَ عَلَى قَبْرٍ :

قِفْ وَٱعْتَبِرْ يَا مَنْ تَرَى قَبْرِي وَمَا بِي قَدْ جَرَى
بِٱلْأَمْسِ كُنْتُ نَظِيرَكُمْ وَٱلْيَوْمَ أَبْرَانِي ٱلْبِرَى
قُلْ رَبَّنَا أَلْطِفْ بِنَا وَٱرْحَمْ عِظَامًا فِي ٱلثَّرَى

قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

تَعَلَّقْتَ بِآمَالٍ طِوَالٍ أَيِّ آمَالِ
وَأَقْبَلْتَ عَلَى ٱلدُّنْيَا مُلِحًّا أَيَّ إِقْبَالِ

أيا هذا تجهز لفراق الأهل والمال
فلا بد من الموت على حال من الحال

٤٣ قال الأصمعي: صنع الرشيد طعاما وزخرف مجالسه وأحضر أبا العتاهية وقال له: صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا. فقال أبو العتاهية:

عش ما بدا لك سالما في ظل شاهقة القصور

فقال الرشيد: أحسنت ثم ماذا. فقال:

يسعى عليك بما اشتهيت لدى الرواح أو البكور

فقال: حسن ثم ماذا. فقال:

فإذا النفوس تقعقعت في ظل حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا ما كنت إلا في غرور

فبكى الرشيد. فقال الفضل بن يحيى: بعث إليك أمير المؤمنين لتسره فحزنته. فقال الرشيد. دعه فإنه رآنا في عمى فكره أن يزيدنا به (للفخري)

٤٤ أنشد أبو العتاهية:

ألموت بين الخلق مشترك لا سوقة يبقى ولا ملك
ما ضر أصحاب القليل وما أغنى عن الأملاك ما ملكوا

وقال أيضا:

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس إذا تسترت بالأبواب والحرس

وَاعْلَمْ بِأَنَّ سِهَامَ ٱلْمَوْتِ قَاصِدَةٌ ... لِكُلِّ مُدَّرِعٍ مِنَّا وَمُتَّرِسِ

وَلِلّٰهِ دَرُّ مَنْ قَالَ:

أَتَعْمَى عَنِ ٱلدُّنْيَا وَأَنْتَ بَصِيرُ ... وَتَجْهَلُ مَا فِيهَا وَأَنْتَ خَبِيرُ
وَتُصْبِحُ تَبْنِيهَا كَأَنَّكَ خَالِدٌ ... وَأَنْتَ غَدًا عَمَّا بَنَيْتَ تَسِيرُ
وَتَرْفَعُ فِي ٱلدُّنْيَا بِنَاءَ مَفَاخِرٍ ... وَمَثْوَاكَ بَيْتٌ فِي ٱلْقُبُورِ صَغِيرُ
وَدُونَكَ فَاصْنَعْ كُلَّمَا أَنْتَ صَانِعٌ ... فَإِنَّ بُيُوتَ ٱلْمَيِّتِينَ قُبُورُ

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ:

أُنْظُرْ لِنَفْسِكَ يَا مِسْكِينُ فِي مَهَلٍ ... مَا دَامَ يَنْفَعُكَ ٱلتَّفْكِيرُ وَٱلنَّظَرُ
قِفْ بِٱلْمَقَابِرِ وَٱنْظُرْ إِنْ وَقَفْتَ بِهَا ... لِلّٰهِ دَرُّكَ مَاذَا تَسْتُرُ ٱلْحُفَرُ
فَفِيهِمِ لَكَ يَا مَغْرُورُ مَوْعِظَةٌ ... وَفِيهِمِ لَكَ يَا مُغْتَرُّ مُعْتَبَرُ

٤٥ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ:

وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَرْحَمِ ٱللهُ ... وَمَنْ تَكُونُ ٱلنَّارُ مَثْوَاهُ
وَٱلْوَيْلُ لِي مِنْ كُلِّ يَوْمٍ أَتَى ... يُذَكِّرُنِي ٱلْمَوْتَ وَأَنْسَاهُ
كَأَنَّهُ قَدْ قِيلَ فِي مَجْلِسٍ ... قَدْ كُنْتُ آتِيهِ وَأَغْشَاهُ
سَارَ ٱلْبَشِيرِيُّ إِلَى رَبِّهِ ... يَرْحَمُنَا ٱللهُ وَإِيَّاهُ

قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ:

أَصْبَحَ ٱلْقَبْرُ مَضْجَعِي ... وَمَحَلِّي وَمَوْضِعِي
صَرَعَتْنِي ٱلْحُتُوفُ فِي ٱلتُّرْبِ يَا ذُلَّ مَصْرَعِي
أَيْنَ إِخْوَانِي ٱلَّذِينَ إِلَيْهِمْ تَطَلُّعِي

مُتُّ وَحْدِي فَلَمْ يَمُتْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ مَعِي

قَالَ بَدِيعُ ٱلزَّمَانِ:

إِنَّمَا ٱلدُّنْيَا غُرُورٌ وَلِمَنْ أَصْغَى نَصِيحُ
وَلِسَانُ ٱلدَّهْرِ بِٱلْوَعْظِ لِوَاعِيهِ فَصِيحُ
نَحْنُ لَاهُونَ وَآجَالُ ٱلْمَنَايَا لَا تَرِيحُ

٤٦ قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي ٱلدَّرْدَاءِ: مَا لَنَا نَكْرَهُ ٱلْمَوْتَ. فَقَالَ: لِأَنَّكُمْ أَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ وَعَمَّرْتُمْ دُنْيَاكُمْ. فَكَرِهْتُمْ أَنْ تَنْتَقِلُوا مِنَ ٱلْعُمْرَانِ إِلَى ٱلْخَرَابِ (لبهاء الدين)

مِمَّا وُجِدَ عَلَى قَبْرٍ:

تُنَاجِيكَ أَجْدَاثٌ وَهُنَّ سُكُوتُ ... وَسُكَّانُهَا تَحْتَ ٱلتُّرَابِ خُفُوتُ
أَيَا جَامِعَ ٱلدُّنْيَا لِغَيْرِ بَلَاغَةٍ ... لِمَنْ تَجْمَعُ ٱلدُّنْيَا وَأَنْتَ تَمُوتُ

قَالَ بَعْضُهُمْ:

يَا خَالِطَ ٱلدِّينِ بِٱلدُّنْيَا وَبَاطِلِهَا ... تَرْضَى بِدُنْيَاكَ شَيْئًا لَيْسَ يَسْوَاهُ
حَتَّى مَتَى أَنْتَ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ ... وَٱلْمَوْتُ نَحْوَكَ يَهْوِي فَاتِحًا فَاهُ

قَالَ آخَرُ:

تَزَوَّدْ مِنَ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّكَ رَاحِلُ ... وَٱعْلَمْ بِأَنَّ ٱلْمَوْتَ لَا شَكَّ نَازِلُ
نَعِيمُكَ فِي ٱلدُّنْيَا غُرُورٌ وَحَسْرَةٌ ... وَعَيْشُكَ فِي ٱلدُّنْيَا مُحَالٌ وَبَاطِلُ
أَلَا إِنَّمَا ٱلدُّنْيَا كَمَنْزِلِ رَاكِبٍ ... أَنَاخَ عَشِيًّا وَهُوَ فِي ٱلصُّبْحِ رَاحِلُ

٤٧ وقال بعض الشعراء :

جزى الله عنا الموت خيرا فإنه أبر بنا من كل بر وأرأف
يعجل تخليص النفوس من الأذى ويدني من الدار التي هي أشرف

دخل العتبي المقابر فأنشأ يقول :

سقيا ورعيا لإخوان لنا سلفوا أفناهم حدثان الدهر والأبد
نمدهم كل يوم من بقيتنا ولا يؤوب إلينا منهم أحد

٤٨ كان علي بن أبي طالب إذا دخل المقبرة قال : السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة . والمحال المقفرة . من المؤمنين والمؤمنات . اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم . ثم يقول : الحمد لله الذي جعل لنا الأرض كفاتا أحياء وأمواتا . والحمد لله الذي منها خلقنا وإليها معادنا وعليها محشرنا . طوبى لمن ذكر المعاد وعمل الحسنات وقنع بالكفاف ورضي عن الله عز وجل (لابن عبد ربه)

٤٩ الأيام خمسة يوم مفقود . ويوم مشهود . ويوم مورود . ويوم موعود . ويوم ممدود . فالمفقود أمسك الذي فاتك مع ما فرطت فيه . والمشهود يومك الذي أنت فيه فتزود فيه من الطاعات . والمورود هو غدك لا تدري هل هو من أيامك أم لا . والموعود هو آخر أيامك من أيام الدنيا فاجعله نصب عينك . والممدود هو آخرتك وهو يوم لا انقضاء له . فاهتم له غاية اهتمامك فإنه إما نعيم دائم أو عذاب مخلد

٥٥ جاء في النهج: أيها الناس إنما الدنيا دار مجاز والآخرة دار قرار فخذوا من ممركم لمقركم. ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم. وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم. ففيها اختبرتم ولغيرها خلقتم

(لبهاء الدين)

كم من ليالٍ أحييتها بتكرار العلم ومطالعة الكتب. وحرّمت على نفسك النوم. لا أعلم ما كان الباعث فيه. فإن كان نيّتك غرض الدنيا وجذب حطامها وتحصيل مناصبها والمباهاة على الأقران والأمثال فويلٌ لك ثم ويلٌ لك. وإن كان قصدك فيه تهذيب أخلاقك وكسر النفس الأمّارة بالسوء فطوبى لك ثم طوبى لك. ولقد صدق من قال:

سهر العيون لغير وجهك ضائعٌ ... وبكاؤهنّ لغير فقدك باطلُ

(ايها الولد للغزالي)

وكان آخر ما قاله ذو الرمّة:

يا ربّ قد أشرفت نفسي وقد علمت
علماً يقيناً لقد أحصيتَ آثاري
يا مُخرج الروح من جسمي إذا احتُضرت
وفارج الكرب زحزحني عن النارِ

في الخوف

سُئل ابن عبّاس عن الخائفين لله. فقال: هم الذين صدقوا

اللهَ في مخافةٍ وعيدهِ . قلوبهم بالخوف قرِحة وأعينهم على أنفسهم باكية . ودموعهم على خدودهم جارية . يقولون كيف نفرح والموتُ من ورائنا . والقبورُ من أمامنا . والقيامة موعدنا . وعلى جهنم طريقنا . وبين يدي ربنا موقفنا . وقال علي : ألا إنَّ عباد اللهِ المخلصين لَمَن رأى أهل الجنة فاكهين وأهل النار في النار معذَّبين . شرورهم مأمونة . وقلوبهم محزونة . وأنفسهم عفيفة . وحوائجهم خفيفة . صبروا أياماً قليلة لعقبى راحة طويلة . قال الحسن : عجباً لمن خاف العقاب ولم يكفَّ . ولمن رجا الثواب ولم يعمل

(لابن عبد ربه)

في التوبة

٥٢ لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة قال : اللهم إنك أمرتني فقصرت . ونهيتني فعصيت . وأنعمت عليَّ فأفضلت . فإن عفوت فقد مننت . وإن عاقبت . فما ظلمت

قال بعضهم :

إنك في دارٍ لها مدةٌ   يُقبَل فيها عملُ العاملِ
أما ترى الموت محيطاً بها   يقطع فيها أملَ الآملِ
تعجِّل الذنب بما تشتهي   وتأمل التوبةَ من قابلِ
والموت يأتي بعد ذا غفلةً   ماذا بفعل الحازمِ العاقلِ

قال لقمان لابنه : يا بنيَّ اجعل خطاياك بين عينيك إلى أن

تموتَ . وأمّا حسناتُكَ فالْهُ عنها فإنّهُ قدْ أحصاها مَنْ لا ينساها

٥٣ حُكِيَ أنّهُ حاكَ بعضُ العارفينَ ثوْباً وتأنّقَ في صَنْعَتِهِ . فلمّا باعهُ رُدَّ عليهِ بعيوبٍ فيهِ فبكَى . فقالَ المُشتري : يا هذا لا تبكِ فقدْ رضيتُ بهِ . فقالَ : ما بكاني لذلكَ بلْ لأنّي بالغتُ في صنعتهِ وتأنّقتُ فيهِ جُهدي فرُدَّ عليَّ بعيوبٍ كانتْ خفيّةً عليَّ . فأخافُ أنْ يُرَدَّ عليَّ عملي الّذي أنا عَمِلْتُهُ مُنذُ أربعينَ سنةً (لبهاء الدين)

٥٤ إسمعْ منّي كلاماً تفكّرْ فيهِ حتّى تجِدَ خلاصاً . لوْ أنّكَ أُخبرتَ أنَّ السُّلطانَ بعدَ الأسبوعِ يجيئُكَ زائراً فأنا أعلمُ أنّكَ في تلكَ المدّةِ لا تشتغلُ إلّا بإصلاحِ ما علمتَ أنَّ نظرَ السُّلطانِ سيقعُ عليهِ منَ الثّيابِ والبدنِ والدّارِ والفراشِ وغيرِها . والآنَ تفكّرْ إلى ما أشرتُ بهِ فإنّكَ فهِمٌ ذكيٌّ والكلامُ الفردُ يكفي الكيّسَ والعاقلُ تكفيهِ الإشارةُ . إنَّ اللهَ تعالى لا ينظرُ إلى صُوَرِكُمْ ولا إلى أعمالِكُمْ ولكنْ ينظرُ إلى قلوبِكُمْ ونيّاتِكُمْ (ايها الولد للغزالي)

٥٥ منْ خُطَبِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ : أيُّها النّاسُ لا تكونوا ممّنْ خدعتهُ الدُّنيا العاجلةُ وغرّتهُ الأمنيّةُ واستهوتهُ البِدعةُ فركنَ إلى دارٍ سريعةِ الزّوالِ وشيكةِ الانتقالِ . إنّهُ لمْ يبقَ منْ دُنياكُمْ هذهِ في جنبِ ما مضى إلّا كإناخةِ راكبٍ أوْ صرّةِ حالبٍ فعلامَ تعرجونَ وماذا تنتظرونَ . فكأنّكُمْ وبما أصبحتُمْ فيهِ منَ الدُّنيا لمْ يكنْ وبما تصيرونَ إليهِ منَ الآخرةِ لمْ يزلْ . فخذوا الأُهبةَ لأزوفِ النّقلةِ

وَأَعِدُّوا الزَّادَ لِقُرْبِ الرِّحْلَةِ . وَاعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ امْرِئٍ عَلَى قَدَمِ قَادِمٍ . وَعَلَى مَا خَلَّفَ نَادِمٌ

٥٦ (وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ) . أَيُّهَا النَّاسُ حَلُّوا أَنْفُسَكُمْ بِالطَّاعَةِ . وَالْبَسُوا قِنَاعَ الْمَخَافَةِ . وَاجْعَلُوا آخِرَتَكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ . وَسَعْيَكُمْ لِمُسْتَقَرِّكُمْ . وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَنْ قَلِيلٍ رَاحِلُونَ . وَإِلَى اللّٰهِ صَائِرُونَ . وَلَا يُغْنِي عَنْكُمْ هُنَالِكَ إِلَّا صَالِحُ عَمَلٍ قَدَّمْتُمُوهُ . أَوْ حُسْنُ ثَوَابٍ حُزْتُمُوهُ . إِنَّكُمْ إِنَّمَا تَقْدَمُونَ عَلَى مَا قَدَّمْتُمْ . وَتُجَازَوْنَ عَلَى مَا أَسْلَفْتُمْ . فَلَا تَخْدَعَنَّكُمْ زَخَارِفُ دُنْيَا دَنِيَّةٍ . عَنْ مَرَاتِبِ جِنَانٍ عَلِيَّةٍ . فَكَأَنْ قَدِ انْكَشَفَ الْقِنَاعُ وَارْتَفَعَ الْارْتِيَابُ . وَلَاقَى كُلُّ امْرِئٍ مُسْتَقَرَّهُ وَعَرَفَ مَثْوَاهُ وَمُنْقَلَبَهُ

قَالَ بَعْضُهُمْ :

آهِ يَا ذُلِّي وَيَا خَجَلِي ··· إِنْ يَكُنْ مِنِّي دَنَا أَجَلِي
لَوْ بَذَلْتُ الرُّوحَ مُجْتَهِدًا ··· وَنَفَيْتُ النَّوْمَ عَنْ مُقَلِي
كُنْتُ بِالتَّقْصِيرِ مُعْتَرِفًا ··· خَائِفًا عَنْ خَيْبَةِ الْأَمَلِ
فَعَلَى الرَّحْمَانِ مُتَّكَلِي ··· لَا عَلَى عِلْمِي وَلَا عَمَلِي

٥٧ قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ : إِذَا كَانَ أَبُونَا آدَمُ بَعْدَ مَا قِيلَ لَهُ : اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ . صَدَرَ مِنْهُ ذَنْبٌ وَاحِدٌ فَأُمِرَ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْجَنَّةِ . فَكَيْفَ نَرْجُو نَحْنُ دُخُولَهَا مَعَ مَا نَحْنُ مُقِيمُونَ عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ الْمُتَتَابِعَةِ وَالْخَطَايَا الْمُتَوَاتِرَةِ

(لبهاء الدين)

اِجْعَلِ الْهِمَّةَ فِي الرُّوحِ وَالْهَزِيمَةَ فِي النَّفْسِ وَالْمَوْتَ فِي الْبَدَنِ لِأَنَّ

منزلك القبر. فأهل المقابر ينظرون في كل لحظة حتى تصل إليهم.
إياك إياك أن تصل إليهم بلا زاد.

قال شاعر:

يا ذا الذي ولدتك أمك باكيا والناس حولك يضحكون سرورا
إحرص على عمل تكون به متى يبكون حولك ضاحكا مسرورا

٥٨ روي أن الحسن البصري أعطي شربة ماء بارد. فلما أخذ القدح غشي على عقله وسقط من يده. فلما أفاق قيل له: ما بالك يا أبا سعيد. قال: إني ذكرت أمنية أهل النار حين يقولون لأهل الجنة: أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله. قالوا: إن الله حرمهما على الكافرين

روي في وصايا لقمان الحكيم لابنه أنه قال: يا بني لا يكونن الديك أكيس منك. ينادي وقت السحر وأنت نائم. لقد أحسن من قال:

لقد هتفت في جنح ليل حمامة على فنن وهنا وإني لنائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا لما سبقتني بالبكاء الحمائم
وأزعم أني هائم ذو صبابة لربي ولا أبكي وتبكي البهائم

دعاء

٥٩ اللهم إني أسألك من النعمة تمامها. ومن العصمة دوامها. ومن الرحمة شمولها. ومن العافية حصولها. ومن العيش أرغده. ومن

ٱلْعُمْرِ أَسْعَدَهُ. وَمِنَ ٱلْإِحْسَانِ أَتَمَّهُ. وَمِنَ ٱلْإِنْعَامِ أَعَمَّهُ. وَمِنَ ٱلْفَضْلِ أَعْذَبَهُ. وَمِنَ ٱللُّطْفِ أَنْفَعَهُ. أَللّٰهُمَّ كُنْ لَنَا وَلَا تَكُنْ عَلَيْنَا. أَللّٰهُمَّ ٱخْتِمْ بِٱلسَّعَادَةِ آجَالَنَا. وَحَقِّقْ بِٱلزِّيَادَةِ آمَالَنَا. وَٱقْرِنْ بِٱلْعَافِيَةِ غُدُوَّنَا وَآصَالَنَا. وَٱجْعَلْ إِلَى رَحْمَتِكَ مَصِيرَنَا وَمَرْجِعَنَا. وَصُبَّ سِجَالَ عَفْوِكَ عَلَى ذُنُوبِنَا. وَمُنَّ عَلَيْنَا بِإِصْلَاحِ عُيُوبِنَا. وَٱجْعَلِ ٱلتَّقْوَى زَادَنَا. وَفِي دِينِكَ ٱجْتِهَادَنَا. وَعَلَيْكَ تَوَكُّلَنَا وَٱعْتِمَادَنَا. ثَبِّتْنَا عَلَى نَهْجِ ٱلِٱسْتِقَامَةِ. وَأَعِذْنَا فِي ٱلدُّنْيَا مِنْ مُوجِبَاتِ ٱلنَّدَامَةِ. يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ. وَخَفِّفْ عَنَّا ثِقْلَ ٱلْأَوْزَارِ. وَٱرْزُقْنَا عِيشَةَ ٱلْأَبْرَارِ. وَٱكْفِنَا وَٱصْرِفْ عَنَّا شَرَّ ٱلْأَشْرَارِ. وَأَعْتِقْ رِقَابَنَا وَرِقَابَ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَعَشِيرَتِنَا مِنْ عَذَابِ ٱلْقَبْرِ وَمِنَ ٱلنِّيرَانِ. بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ (ايها الولد للغزالي)

المراثي

٦٠ قَالَ ٱلْأَصْبَهَانِيُّ فِي ٱلْأَغَانِي: لَمَّا رَأَى ٱلْفَلَاسِفَةُ تَابُوتَ ٱلْإِسْكَنْدَرِ وَقَدْ أُخْرِجَ لِيُدْفَنَ قَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ ٱلْمَلِكُ أَمْسِ أَهْيَبَ مِنْهُ ٱلْيَوْمَ. وَهُوَ ٱلْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْهُ أَمْسِ. وَقَالَ آخَرُ: سَكَّنَتْ حَرَكَةُ ٱلْمَلِكِ فِي لَذَّاتِهِ. وَقَدْ حَرَّكَنَا ٱلْيَوْمَ فِي سُكُونِهِ جَزَعًا لِفَقْدِهِ. وَهٰذَانِ ٱلْمَعْنَيَانِ أَخَذَهُمَا أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ بِرِثَاءِ ٱبْنِهِ عَلِيٍّ قَالَ:

بَكَيْتُكَ يَا عَلِيُّ بِدَمْعِ عَيْنِي ... فَمَا أَغْنَى ٱلْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئَا

وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ ... وَأَنْتَ ٱلْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيَّا

قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي وَلَدٍ مَاتَ لَهُ:

بَلِيَتْ عِظَامُكَ وَٱلْأَسَى يَتَجَدَّدُ وَٱلصَّبْرُ يَنْفَدُ وَٱلْبُكَا لَا يَنْفَدُ
يَا غَائِبًا لَا يُرْتَجَى لِإِيَابِهِ وَلِقَائِهِ دُونَ ٱلْقِيَامَةِ مَوْعِدُ
مَا كَانَ أَحْسَنَ مُلْحَدًا ضَمَّنْتَهُ لَوْ كَانَ ضَمَّ أَبَاكَ ذَاكَ ٱلْمُلْحَدُ
بِٱلْيَأْسِ أَسْلُو عَنْكَ لَا بِتَجَلُّدِي هَيْهَاتَ أَيْنَ مِنَ ٱلْحَزِينِ تَجَلُّدُ

٦١ قَالَ ٱبْنُ ٱلْأَحْنَفِ يَرْثِي ٱبْنَهُ:

وَلَمَّا دَعَوْتُ ٱلصَّبْرَ بَعْدَكَ وَٱلْأَسَى
أَجَابَ ٱلْأَسَى طَوْعًا وَلَمْ يُجِبِ ٱلصَّبْرُ
فَإِنْ يَنْقَطِعْ مِنْكَ ٱلرَّجَاءُ فَإِنَّهُ
سَيَبْقَى عَلَيْكَ ٱلْحُزْنُ مَا بَقِيَ ٱلدَّهْرُ

وَقَالَتْ أَعْرَابِيَّةٌ تَرْثِي وَلَدَهَا:

يَا قُرْحَةَ ٱلْقَلْبِ وَٱلْأَحْشَاءِ وَٱلْكَبِدِ يَا لَيْتَ أُمَّكَ لَمْ تَحْبَلْ وَلَمْ تَلِدِ
لَمَّا رَأَيْتُكَ قَدْ أُدْرِجْتَ فِي كَفَنٍ مُطَيَّبًا لِلْمَنَايَا آخِرَ ٱلْأَبَدِ
أَيْقَنْتُ بَعْدَكَ أَنِّي غَيْرُ بَاقِيَةٍ وَكَيْفَ يَبْقَى ذِرَاعٌ زَالَ عَنْ عَضُدِ

قَالَ أَعْرَابِيٌّ يَرْثِي ٱبْنَهُ:

بُنَيَّ لَئِنْ ضَنَّتْ جُفُونٌ بِمَائِهَا لَقَدْ قَرِحَتْ مِنِّي عَلَيْكَ جُفُونُ
دَفَنْتُ بِكَفِّي بَعْضَ نَفْسِي فَأَصْبَحَتْ وَلِلنَّفْسِ مِنْهَا دَافِنٌ وَدَفِينُ

قَالَ ٱلْعُتْبِيُّ يَرْثِي بَعْضَ أَوْلَادِهِ:

أَضْحَتْ بِخَدِّي لِلدُّمُوعِ رُسُومُ أَسَفًا عَلَيْكَ وَفِي ٱلْفُؤَادِ كُلُومُ
وَٱلصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي ٱلْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ

الباب الثالث
في الحِكَم

٦٢ قَالَ الحُكَمَاءُ: لَا يَطْلُبُ الرَّجُلُ حِكْمَةً إِلَّا بِحِكْمَةٍ عِنْدَهُ. وَقَالُوا: إِذَا وَجَدْتُمُ الحِكْمَةَ مَطْرُوحَةً عَلَى السِّكَكِ فَخُذُوهَا. وَقَالَ زِيَادٌ: أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَمْنَعَنَّكُمْ سُوءُ مَا تَعْلَمُونَ مِنَّا أَنْ تَنْتَفِعُوا بِأَحْسَنِ مَا تَسْمَعُونَ مِنَّا فَإِنَّ الشَّاعِرَ يَقُولُ:

إِعْمَلْ بِعِلْمِي وَإِنْ قَصَّرْتُ فِي عَمَلِي
يَنْفَعْكَ قَوْلِي وَلَا يَضْرُرْكَ تَقْصِيرِي

٦٣ قَالَ الرِّيَاحِيُّ فِي خُطْبَتِهِ بِالمِرْبَدِ: يَا بَنِي رِيَاحٍ لَا تَحْقِرُوا صَغِيرًا تَأْخُذُونَ عَنْهُ. فَإِنِّي أَخَذْتُ مِنَ اللَّيْثِ بَسَالَتَهُ. وَمِنَ الحِمَارِ صَبْرَهُ. وَمِنَ الخِنْزِيرِ حِرْصَهُ. وَمِنَ الغُرَابِ حَزْرَهُ. وَمِنَ الثَّعْلَبِ رَوَغَانَهُ. وَمِنَ السِّنَّوْرِ ضَرَعَهُ. وَمِنَ القِرْدِ حِكَايَتَهُ. وَمِنَ الكَلْبِ نُصْرَتَهُ. وَمِنَ ابْنِ آوَى حَذَرَهُ. وَلَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنَ القَمَرِ سَيْرَ اللَّيْلِ. وَمِنَ الشَّمْسِ ظُهُورَ الحِينِ بَعْدَ الحِينِ (لابن عبد ربه)

٦٤ قَالَ كَعْبٌ: اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ فِي سَرَائِرِكُمْ كَمَا تَسْتَحْيُونَ مِنَ النَّاسِ فِي عَلَانِيَتِكُمْ. وَقِيلَ: مَنْ يَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْيِي مِنْ نَفْسِهِ فَلَا قَدْرَ لِنَفْسِهِ عِنْدَهُ. وَقَالَ رَجُلٌ لِلنُّعْمَانِ: أَوْصِنِي. فَقَالَ: اسْتَحْيِ مِنَ اللهِ كَمَا تَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ عَشِيرَتِكَ

٦٥ قَالَ ٱلْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ: لَاصَدِيقَ لِمُتَلَوِّنٍ. وَلَا وَفَاءَ لِكَذُوبٍ. وَلَا رَاحَةَ لِحَسُودٍ. وَلَا مُرُوءَةَ لِدَنِيءٍ. وَلَا زَعَامَةَ لِسَيِّئِ ٱلْخُلُقِ

(مؤنس الوحيد للثعالبي)

٦٦ قِيلَ: تَجَنَّبْ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ لِتَخْلُصَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ. تَجَنَّبْ مِنَ ٱلْحَسَدِ لِتَخْلُصَ مِنَ ٱلْحُزْنِ. وَلَا تُجَالِسْ جَلِيسَ ٱلسُّوءِ وَقَدْ تَخَلَّصْتَ مِنَ ٱلْمَلَامَةِ. وَلَا تَرْكَبِ ٱلْمَعَاصِي وَقَدْ خَلَصْتَ مِنَ ٱلنَّارِ. وَلَا تَجْمَعِ ٱلْمَالَ وَقَدِ ٱسْتَرَحْتَ مِنْ عَدَاوَةِ ٱلْخَلْقِ (للغزالي)

٦٧ قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ:

بِقَدْرِ ٱلْكَدِّ تُكْتَسَبُ ٱلْمَعَالِي ... وَمَنْ طَلَبَ ٱلْعُلَى سَهِرَ ٱللَّيَالِي
يَغُوصُ ٱلْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ ٱللَّآلِي ... وَيَحْظَى بِٱلسِّيَادَةِ وَٱلنَّوَالِ
وَمَنْ طَلَبَ ٱلْعُلَى مِنْ غَيْرِ كَدٍّ ... أَضَاعَ ٱلْعُمْرَ فِي طَلَبِ ٱلْمُحَالِ

٦٨ قَالَ بَعْضُهُمْ: دَخَلْتُ عَلَى سُفْيَانَ ٱلثَّوْرِيِّ بِمَكَّةَ فَوَجَدْتُهُ مَرِيضًا وَقَدْ شَرِبَ دَوَاءً. فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ أَشْيَاءَ. فَقَالَ لِي: قُلْ مَا بَدَا لَكَ. فَقُلْتُ لَهُ: أَخْبِرْنِي مَنِ ٱلنَّاسُ. قَالَ: ٱلْفُقَهَاءُ. قُلْتُ لَهُ: فَمَنِ ٱلْمُلُوكُ. قَالَ: ٱلزُّهَّادُ. قُلْتُ لَهُ: فَمَنِ ٱلْأَشْرَافُ. قَالَ: ٱلْأَتْقِيَاءُ. قُلْتُ: فَمَنِ ٱلْغَوْغَاءُ. قَالَ: مَنْ يَكْتُبُ ٱلْحَدِيثَ وَيَأْكُلُ بِهِ أَمْوَالَ ٱلنَّاسِ. قُلْتُ: فَمَنِ ٱلسَّفِلَةُ. قَالَ: ٱلظَّلَمَةُ أُولٰئِكَ هُمْ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ

رُوِيَ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ عُمَرَ بْنِ حِذْيَمٍ وَعَظَ عُمَرَ بْنَ ٱلْخَطَّابِ يَوْمًا. فَقَالَ

لَهُ عُمَرُ: وَمَنْ يُطِيقُ ذٰلِكَ. قَالَ: أَنْتَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. مَا هُوَ إِلَّا أَنْ تَقُولَ فَتُطَاعَ. فَلَا يَجْسُرُ أَحَدٌ عَلَى مُخَالَفَتِكَ (نوادر القليوبي)

٦٩ قَالَ أَبُو عَمْرٍو: وَلَمَّا ٱحْتُضِرَ ذُو ٱلْإِصْبَعِ دَعَا ٱبْنَهُ أُسَيْدًا. فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ إِنَّ أَبَاكَ قَدْ فَنِيَ وَهُوَ حَيٌّ وَعَاشَ حَتَّى سَئِمَ ٱلْعَيْشَ. وَإِنِّي مُوصِيكَ بِمَا إِنْ حَفِظْتَهُ بَلَغْتَ فِي قَوْمِكَ مَا بَلَغْتُهُ. فَٱحْفَظْ عَنِّي: أَلِنْ جَانِبَكَ لِقَوْمِكَ يُحِبُّوكَ. وَتَوَاضَعْ لَهُمْ يَرْفَعُوكَ. وَٱبْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ يُطِيعُوكَ. وَلَا تَسْتَأْثِرْ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ يُسَوِّدُوكَ. وَأَكْرِمْ صِغَارَهُمْ كَمَا تُكْرِمُ كِبَارَهُمْ يُكْرِمْكَ كِبَارُهُمْ. وَيَكْبَرْ عَلَى مَوَدَّتِكَ صِغَارُهُمْ. وَٱسْمَحْ بِمَالِكَ. وَأَعْزِزْ جَارَكَ. وَأَعِنْ مَنِ ٱسْتَعَانَ بِكَ. وَأَكْرِمْ ضَيْفَكَ. وَأَسْرِعِ ٱلنَّهْضَةَ فِي ٱلصَّرِيخِ فَإِنَّ لَكَ أَجَلًا لَا يَعْدُوكَ. وَصُنْ وَجْهَكَ عَنْ مَسْأَلَةِ أَحَدٍ شَيْئًا فَبِذٰلِكَ يَتِمُّ سُؤْدُدُكَ (للاصبهاني)

٧٠ سُئِلَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ: أَيُّ ٱلْأُمُورِ أَشَدُّ تَأْيِيدًا لِلْعَقْلِ وَأَيُّهَا أَشَدُّ إِضْرَارًا بِهِ. فَقَالَ: أَشَدُّهَا تَأْيِيدًا لَهُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: مُشَاوَرَةُ ٱلْعُلَمَاءِ. وَتَجْرِبَةُ ٱلْأُمُورِ. وَحُسْنُ ٱلتَّثَبُّتِ. وَأَشَدُّهَا إِضْرَارًا بِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: ٱلِٱسْتِبْدَادُ. وَٱلتَّهَاوُنُ. وَٱلْعَجَلَةُ (لابن عبد ربه)

٧١ قَالَ ٱلشَّاعِرُ:

إِنَّ ٱلْمَكَارِمَ أَخْلَاقٌ مُطَهَّرَةٌ ... فَٱلدِّينُ أَوَّلُهَا وَٱلْعَقْلُ ثَانِيهَا
وَٱلْعِلْمُ ثَالِثُهَا وَٱلْحِلْمُ رَابِعُهَا ... وَٱلْجُودُ خَامِسُهَا وَٱلْعُرْفُ سَادِيهَا
وَٱلْبِرُّ سَابِعُهَا وَٱلصَّبْرُ ثَامِنُهَا ... وَٱلشُّكْرُ تَاسِعُهَا وَٱللِّينُ عَاشِيهَا

وَٱلْعَيْنُ تَعْلَمُ مِنْ عَيْنَيْ مُحَدِّثِهَا إِنْ كَانَ مِنْ حِزْبِهَا أَوْ مِنْ أَعَادِيهَا
وَٱلنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنِّي لَا أُصَدِّقُهَا وَلَسْتُ أُرْشُدُ إِلَّا حِينَ أَعْصِيهَا

٧٢ قَالُوا: ثَلَاثَةٌ لَا يُنْدَمُ عَلَى مَا سُلِفَ إِلَيْهِمْ. أَللهُ فِي عَمَلٍ لَهُ وَٱلْمَوْلَى ٱلشَّكُورُ فِيمَا أُسْدِيَ إِلَيْهِ. وَٱلْأَرْضُ ٱلْكَرِيمَةُ فِيمَا بُذِرَ فِيهَا. وَقَالُوا: ثَلَاثَةٌ لَا بَقَاءَ لَهَا. ظِلُّ ٱلْغَمَامِ. وَصُحْبَةُ ٱلْأَشْرَارِ. وَٱلثَّنَاءُ ٱلْكَاذِبُ. وَقَالُوا: ثَلَاثَةٌ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي ثَلَاثَةٍ. ٱلْغِنَى فِي ٱلنَّفْسِ. وَٱلشَّرَفُ فِي ٱلتَّوَاضُعِ. وَٱلْكَرَمُ فِي ٱلتَّقْوَى. وَقَالُوا: ثَلَاثَةٌ لَا تُعْرَفُ إِلَّا فِي ثَلَاثَةٍ. ذُو ٱلْبَأْسِ لَا يُعْرَفُ إِلَّا عِنْدَ ٱللِّقَاءِ. وَذُو ٱلْأَمَانَةِ لَا يُعْرَفُ إِلَّا عِنْدَ ٱلْأَخْذِ وَٱلْعَطَاءِ. وَٱلْإِخْوَانُ لَا يُعْرَفُونَ إِلَّا عِنْدَ ٱلنَّوَائِبِ

٧٣ قَالَ أَبْرَوِيزُ لِكَاتِبِهِ: أَعْلَمْ أَنَّ دَعَائِمَ ٱلْمَقَالَاتِ أَرْبَعٌ. إِنِ ٱلْتُمِسَ لَهَا خَامِسٌ لَمْ يُوجَدْ. وَإِنْ نَقَصَ مِنْهَا وَاحِدٌ لَمْ تَتِمَّ. وَهِيَ سُؤَالُكَ ٱلشَّيْءَ. وَأَمْرُكَ بِٱلشَّيْءِ. وَإِخْبَارُكَ عَنِ ٱلشَّيْءِ. وَسُؤَالُكَ عَنِ ٱلشَّيْءِ. فَإِذَا طَلَبْتَ فَأَنْجِحْ. وَإِذَا سَأَلْتَ فَأَوْضِحْ. وَإِذَا أَمَرْتَ فَأَحْكِمْ. وَإِذَا أَخْبَرْتَ فَحَقِّقْ. وَٱجْمَعِ ٱلْكَثِيرَ مِمَّا تُرِيدُ فِي ٱلْقَلِيلِ مِمَّا تَقُولُ (يُرِيدُ ٱلْكَلَامَ ٱلَّذِي تَقِلُّ حُرُوفُهُ وَتَكْثُرُ مَعَانِيهِ)

٧٤ قَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ: ٱلْإِخْوَانُ ثَلَاثَةٌ. أَخٌ يُخْلِصُ لَكَ وُدَّهُ. وَيَبْذُلُ لَكَ رِفْدَهُ. وَيَسْتَفْرِغُ فِي مُهِمِّكَ جُهْدَهُ. وَأَخٌ ذُو نِيَّةٍ يَقْتَصِرُ بِكَ عَلَى حُسْنِ نِيَّتِهِ. دُونَ رِفْدِهِ وَمَعُونَتِهِ. وَأَخٌ يَتَمَلَّقُ لَكَ بِلِسَانِهِ.

وَيَتَشَاغَلُ عَنْكَ بِشَانِهِ . وَيُوسِعُكَ مِنْ كَذِبِهِ وَأَيْمَانِهِ

٧٥ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ لِٱبْنِهِ : يَا بُنَيَّ تَعَلَّمْ حُسْنَ ٱلِٱسْتِمَاعِ كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ ٱلْحَدِيثِ . وَلْيَعْلَمِ ٱلنَّاسُ أَنَّكَ أَحْرَصُ عَلَى أَنْ تَسْمَعَ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ . فَٱحْذَرْ أَنْ تُسْرِعَ فِي ٱلْقَوْلِ فِيمَا يَجِبُ عَنْهُ ٱلرُّجُوعُ بِٱلْفِعْلِ . حَتَّى يَعْلَمَ ٱلنَّاسُ أَنَّكَ عَلَى فِعْلِ مَا لَمْ تَقُلْ أَقْرَبُ مِنْكَ إِلَى قَوْلِ مَا لَمْ تَفْعَلْ (لابن عبد ربّه)

٧٦ أَنْشَدَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ :

يَا أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ ٱلْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا ٱلتَّعْلِيمُ
تَصِفُ ٱلدَّوَاءَ لِذِي ٱلسَّقَامِ وَذِي ٱلضَّنَى كَيْمَا يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمُ
وَنَرَاكَ تُصْلِحُ بِٱلرَّشَادِ عُقُولَنَا أَبَدًا وَأَنْتَ مِنَ ٱلرَّشَادِ عَدِيمُ
فَٱبْدَأْ بِنَفْسِكَ وَٱنْهَهَا عَنْ غَيِّهَا فَإِذَا ٱنْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ
فَهُنَاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيُهْتَدَى بِٱلْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ ٱلتَّعْلِيمُ
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

٧٧ قَالَ أَرِسْطَاطَالِيسُ لِلْإِسْكَنْدَرِ : إِنَّ ٱلنَّاسَ إِذَا قَدَرُوا أَنْ يَقُولُوا قَدَرُوا أَنْ يَفْعَلُوا . فَٱحْتَرِسْ مِنْ أَنْ يَقُولُوا تَسْلَمْ مِنْ أَنْ يَفْعَلُوا .

٧٨ قَالَ ٱلْعُتْبِيُّ : ٱجْتَمَعَتِ ٱلْعَرَبُ وَٱلْعَجَمُ عَلَى أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ . قَالُوا : لَا تَحْمِلَنَّ عَلَى قَلْبِكَ مَا لَا تُطِيقُ . وَلَا تَعْمَلَنَّ عَمَلًا لَيْسَ لَكَ فِيهِ مَنْفَعَةٌ . وَلَا تَثِقْ بِٱمْرَأَةٍ . وَلَا تَغْتَرَّ بِمَالٍ وَإِنْ كَثُرَ

٧٩ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : لَا تَرْكَنْ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا تَشْغَلْ قَلْبَكَ بِهَا فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ لَهَا . وَمَا خَلَقَ اللهُ خَلْقًا أَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنْهَا فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ نَعِيمَهَا ثَوَابًا لِلْمُطِيعِينَ . وَلَا بَلَاءَهَا عُقُوبَةً لِلْعَاصِينَ . يَا بُنَيَّ لَا تَضْحَكْ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ . وَلَا تَمْشِ فِي غَيْرِ أَرَبٍ . وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا لَا يَعْنِيكَ . يَا بُنَيَّ لَا تُضَعْ مَالَكَ وَتُصْلِحْ مَالَ غَيْرِكَ . فَإِنَّ مَالَكَ مَا قَدَّمْتَ . وَمَالَ غَيْرِكَ مَا تَرَكْتَ . يَا بُنَيَّ إِنَّهُ مَنْ يَرْحَمْ يُرْحَمْ . وَمَنْ يَصْمُتْ يَسْلَمْ . وَمَنْ يَقُلِ الْخَيْرَ يَغْنَمْ . وَمَنْ يَقُلِ الْبَاطِلَ يَأْثَمْ . وَمَنْ لَا يَمْلِكْ لِسَانَهُ يَنْدَمْ . يَا بُنَيَّ زَاحِمِ الْعُلَمَاءَ بِرُكْبَتَيْكَ . وَأَنْصِتْ إِلَيْهِمْ بِأُذُنَيْكَ . فَإِنَّ الْقَلْبَ يَحْيَا بِنُورِ الْعُلَمَاءِ . كَمَا تَحْيَا الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ بِمَطَرِ السَّمَاءِ

٨٠ قَالَ عُمَرُ بْنُ عُتْبَةَ : لَمَّا بَلَغْتُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً قَالَ لِي أَبِي : يَا بُنَيَّ قَدْ تَقَطَّعَتْ عَنْكَ شَرَائِعُ الصِّبَا . فَالْزَمِ الْحَيَاءَ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ . وَلَا تُزَايِلْهُ فَتَبِينَ مِنْهُ . وَلَا يَغُرَّنَّكَ مَنْ مَدَحَكَ بِمَا تَعْلَمُ خِلَافَهُ مِنْ نَفْسِكَ . فَإِنَّهُ مَنْ قَالَ فِيكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَمْ يَعْلَمْ إِذَا رَضِيَ . قَالَ فِيكَ مِنَ الشَّرِّ مِثْلَهُ إِذَا سَخِطَ . فَاسْتَأْنِسْ بِالْوَحْدَةِ مِنْ جُلَسَاءِ السُّوءِ تَسْلَمْ مِنْ غِبِّ عَوَاقِبِهِمْ (لابن عبد ربّه)

٨١ قَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ:

إِذَا أَعْجَبَتْكَ خِصَالُ امْرِئٍ ... فَكُنْهُ يَكُنْ مِنْكَ مَا يُعْجِبُكْ
فَلَيْسَ عَلَى الْمَجْدِ وَالْمَكْرُمَاتِ ... حِجَابٌ إِذَا جِئْتَهُ يَحْجُبُكْ

٨٢ مِنْ كَلَامِ أُومِيرُسَ : إِتَّهِمْ أَخْلَاقَكَ السَّيِّئَةَ فَإِنَّهَا إِذَا وَصَلَتْ

إِلَى حَاجَاتِهَا مِنَ ٱلدُّنْيَا كَانَتْ كَٱلْحَطَبِ لِلنَّارِ وَٱلْمَاءِ لِلسَّمَكِ . وَإِذَا عَزَلْتَهَا عَنْ مَآرِبِهَا وَحُلْتَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا تَهْوَى ٱنْطَفَأَتْ كَٱنْطِفَاءِ ٱلنَّارِ عِنْدَ فِقْدَانِ ٱلْحَطَبِ . وَهَلَكَتْ كَهَلَاكِ ٱلسَّمَكِ عِنْدَ فِقْدَانِ ٱلْمَاءِ

٨٣ قَالَ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْبُسْتِيُّ :

إِذَا طَالَبَتْكَ ٱلنَّفْسُ يَوْمًا بِشَهْوَةٍ وَكَانَ إِلَيْهَا فِي ٱلْخِلَافِ طَرِيقُ
فَخَالِفْ هَوَاهَا مَا ٱسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا هَوَاهَا عَدُوٌّ وَٱلْخِلَافُ صَدِيقُ

٨٤ وَمِنْ كَلَامِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نَقَلَهُ ٱلشَّيْخُ ٱلْمُفِيدُ فِي ٱلْإِرْشَادِ : كُلُّ قَوْلٍ لَيْسَ لِلّٰهِ فِيهِ ذِكْرٌ فَهُوَ لَغْوٌ . وَكُلُّ صَمْتٍ لَيْسَ فِيهِ فِكْرٌ فَسَهْوٌ . وَكُلُّ نَظَرٍ لَيْسَ فِيهِ ٱعْتِبَارٌ فَلَهْوٌ

٨٥ وَمِنْ كَلَامِ ٱلْحُكَمَاءِ : إِنَّ مُرْتَكِبَ ٱلصَّغِيرَةِ وَمُرْتَكِبَ ٱلْكَبِيرَةِ سِيَّانِ . فَقِيلَ : وَكَيْفَ ذٰلِكَ . فَقَالُوا : ٱلْجُرْأَةُ وَاحِدَةٌ . وَمَا عَفَّ عَنِ ٱلذَّرَّةِ . مَنْ يَسْرِقُ ٱلذَّرَّةَ

٨٦ (سَانِحَةٌ) غَفْلَةُ ٱلْقَلْبِ عَنِ ٱلْحَقِّ مِنْ أَعْظَمِ ٱلْعُيُوبِ . وَأَكْبَرِ ٱلذُّنُوبِ . وَلَوْ كَانَتْ آنًا مِنَ ٱلْآنَاتِ أَوْ لَمْحَةً مِنَ ٱللَّمَحَاتِ . حَتَّى إِنَّ أَهْلَ ٱلْقُلُوبِ عَدُّوا ٱلْغَافِلَ فِي آنِ ٱلْغَفْلَةِ مِنْ جُمْلَةِ ٱلْكُفَّارِ . وَكَمَا يُعَاقَبُ ٱلْعَوَامُّ عَلَى سَيِّئَاتِهِمْ . كَذٰلِكَ يُعَاقَبُ ٱلْخَوَاصُّ عَلَى غَفَلَاتِهِمْ . فَٱجْتَنِبِ ٱلِٱخْتِلَاطَ بِأَصْحَابِ ٱلْغَفْلَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ . إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ مِنْ زُمْرَةِ أَهْلِ ٱلْكَمَالِ

٨٧ أَوْصَى بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ ٱبْنَهُ فَقَالَ : لِيَكُنْ عَقْلُكَ دُونَ دِينِكَ .

وَقَوْلُكَ دُونَ فِعْلِكَ . وَلِبَاسُكَ دُونَ قَدْرِكَ

٨٨ عَنْ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ : أَرْبَعٌ مِنْ خِصَالِ ٱلْجَهْلِ . مَنْ غَضِبَ عَلَى مَنْ لَا يُرْضِيهِ . وَجَلَسَ إِلَى مَنْ لَا يُدْنِيهِ . وَتَفَاقَرَ إِلَى مَنْ لَا يُغْنِيهِ . وَتَكَلَّمَ بِمَا لَا يَعْنِيهِ

٨٩ قِيلَ لِحَكِيمٍ : إِنَّ ٱلَّذِي قُلْتَهُ لِأَهْلِ مَدِينَةِ كَذَا لَمْ يَقْبَلُوهُ . فَقَالَ : لَا يَلْزَمُنِي أَنْ يُقْبَلَ بَلْ يَلْزَمُنِي أَنْ يَكُونَ صَوَابًا

قَالَ حَكِيمٌ : لَا يَكُونُ ٱلرَّجُلُ عَاقِلًا حَتَّى يَكُونَ عِنْدَهُ تَعْنِيفُ ٱلنَّاصِحِ أَلْطَفَ مَوْقِعًا مِنْ مَلَقِ ٱلْكَاشِحِ (لبهاء الدين)

٩٠ قَالَ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْبُسْتِيّ :

إِذَا صَحِبْتَ ٱلْمُلُوكَ فَٱلْبَسْ مِنَ ٱلتَّوَقِّي أَعَزَّ مَلْبَسْ
وَٱدْخُلْ إِذَا مَا دَخَلْتَ أَعْمَى وَٱخْرُجْ إِذَا مَا خَرَجْتَ أَخْرَسْ

٩١ قَالَ بَعْضُهُمْ : عَشِيرَتُكَ مَنْ أَحْسَنَ عِشْرَتَكَ . وَعَمُّكَ مَنْ عَمَّكَ خَيْرُهُ . وَقَرِيبُكَ مَنْ قَرُبَ مِنْكَ نَفْعُهُ

٩٢ قَالَ سُقْرَاطُ وَهُوَ تِلْمِيذُ فِيثَاغُورُسَ ٱلْحَكِيمِ : إِذَا أَقْبَلَتِ ٱلْحِكْمَةُ خَدَمَتِ ٱلشَّهَوَاتُ ٱلْعُقُولَ . وَإِذَا أَدْبَرَتْ خَدَمَتِ ٱلْعُقُولُ ٱلشَّهَوَاتِ

٩٣ مِنْ كَلَامِ ٱلْحُكَمَاءِ : لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرَى ٱلْقَذَى فِي عَيْنِ أَخِيهِ وَلَا يَرَى ٱلْجِذْعَ ٱلْمُعْتَرِضَ فِي حَدَقِ نَفْسِهِ

٩٤ وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ ٱلْحُكَمَاءِ : ثَلَاثَةٌ لَا يُسْتَخَفُّ بِهِمْ . ٱلسُّلْطَانُ

وَالْعَالِمُ وَالصَّدِيقُ . فَمَنِ ٱسْتَخَفَّ بِٱلسُّلْطَانِ ذَهَبَتْ دُنْيَاهُ . وَمَنِ ٱسْتَخَفَّ بِٱلْعَالِمِ ذَهَبَ دِينُهُ . وَمَنِ ٱسْتَخَفَّ بِٱلصَّدِيقِ ذَهَبَتْ مَوَدَّتُهُ

(لبهاء الدين)

٩٥ أَنْشَدَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ :

ثَلَاثَةٌ يُجْهَلُ مِقْدَارُهَا ... ٱلْأَمْنُ وَٱلصِّحَّةُ وَٱلْقُوتُ

فَلَا تَثِقْ بِٱلْمَالِ مِنْ غَيْرِهَا ... لَوْ أَنَّهُ دُرٌّ وَيَاقُوتُ

قِيلَ: لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَسْكُنَ بَلَدًا لَيْسَ فِيهِ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ . سُلْطَانٌ حَازِمٌ . وَقَاضٍ عَادِلٌ . وَطَبِيبٌ عَالِمٌ . وَنَهْرٌ جَارٍ . وَسُوقٌ قَائِمٌ

قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ . فَأَمَّا ٱلْمُهْلِكَاتُ . فَشُحٌّ مُطَاعٌ . وَهَوًى مُتَّبَعٌ . وَإِعْجَابُ ٱلْمَرْءِ بِنَفْسِهِ . وَأَمَّا ٱلْمُنْجِيَاتُ . فَخَشْيَةُ ٱللهِ فِي ٱلسِّرِّ وَٱلْعَلَانِيَةِ . وَٱلْقَصْدُ فِي ٱلْغِنَى وَٱلْفَقْرِ . وَٱلْعَدْلُ فِي ٱلرِّضَاءِ وَٱلْغَضَبِ (لطائف العرب)

٩٦ قِيلَ : إِذَا أَقْبَلَتِ ٱلدُّنْيَا عَلَى إِنْسَانٍ أَعَارَتْهُ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ . وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ . (رسالة آداب للمستعصمي)

٩٧ قِيلَ : مَا مِنْ خَصْلَةٍ تَكُونُ لِلْغَنِيِّ مَدْحًا إِلَّا وَتَكُونُ لِلْفَقِيرِ ذَمًّا . فَإِنْ كَانَ حَلِيمًا قِيلَ ذَلِيلٌ . وَإِنْ كَانَ شُجَاعًا قِيلَ : أَهْوَجُ . وَإِنْ كَانَ لَسِنًا قِيلَ : مِهْذَارٌ

قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا كُنْتَ لَا تُرْجَى لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ ... وَلَمْ يَكُ فِي ٱلْمَعْرُوفِ عِنْدَكَ مَطْمَعُ

وَلَا أَنْتَ مِمَّنْ يُسْتَعَانُ بِجَاهِهِ   وَلَا أَنْتَ يَوْمَ الْحَشْرِ مِمَّنْ يُشَفَّعُ
فَعَيْشُكَ فِي الدُّنْيَا وَمَوْتُكَ وَاحِدٌ   وَعُودُ خِلَالٍ مِنْ وِصَالِكَ أَنْفَعُ

قَالَ عُمَرُ لِلْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ : مَنْ كَثُرَ ضَحِكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ . وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ . وَمَنْ كَثُرَ مُزَاحُهُ . كَثُرَ سَقَطُهُ . وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ . قَلَّ وَرَعُهُ . وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ . قَلَّ حَيَاؤُهُ . وَمَنْ ذَهَبَ حَيَاؤُهُ . مَاتَ قَلْبُهُ

٩٨ قَالَ الْحَسَنُ : أَيُّهَا النَّاسُ نَافِسُوا فِي الْمَكَارِمِ . وَسَارِعُوا فِي الْمَغَانِمِ . وَلَا تَحْتَسِبُوا بِمَعْرُوفٍ لَمْ تُعَجِّلُوهُ . وَلَا تَكْسِبُوا بِالْمَطْلِ ذَمًّا . وَاعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ مِنْ نِعَمِ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ . فَلَا تَمَلُّوا النِّعَمَ فَتَحُولَ نِقَمًا . وَأَنَّ أَجْوَدَ النَّاسِ مَنْ أَعْطَى مَنْ لَا يَرْجُوهُ . وَأَنَّ أَعْفَى النَّاسِ مَنْ عَفَا عَنْ قُدْرَةٍ . وَمَنْ أَحْسَنَ أَحْسَنَ اللّٰهُ إِلَيْهِ . وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . وَقَالَ أَيْضًا : لَا تَتَكَلَّفْ مَا لَا تُطِيقُ . وَلَا تَتَعَرَّضْ لِمَا لَا تُدْرِكُ . وَلَا تَعِدْ بِمَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ . وَلَا تُنْفِقْ إِلَّا بِقَدْرِ مَا تَسْتَفِيدُ . وَلَا تَطْلُبْ مِنَ الْجَزَاءِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا صَنَعْتَ . وَلَا تَفْرَحْ إِلَّا بِمَا نِلْتَ مِنْ طَاعَةِ اللّٰهِ تَعَالَى . وَلَا تَتَنَاوَلْ إِلَّا مَا رَأَيْتَ نَفْسَكَ أَهْلًا لَهُ

٩٩ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لِجَلِيسِي عَلَيَّ ثَلَاثٌ . أَنْ أَرْمِيَهُ بِطَرْفِي إِذَا أَقْبَلَ . وَأَنْ أُوَسِّعَ لَهُ إِذَا جَلَسَ . وَأُصْغِي إِلَيْهِ إِذَا حَدَّثَ

١٠٠ أَوْصَى عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَجُلًا . فَقَالَ : لَا تَتَكَلَّمْ بِمَا لَا يَعْنِيكَ . وَدَعِ الْكَلَامَ فِي كَثِيرٍ مِمَّا يَعْنِيكَ حَتَّى تَجِدَ لَهُ مَوْضِعًا . وَلَا تُمَارِيَنَّ

حليماً ولا سفيهاً . فإنّ الحليمَ يُطغيكَ . والسفيه يؤذيكَ . واذكُرْ أخاكَ إذا توارى عنكَ بما تحبُّ أن يذكُركَ إذا تواريتَ عنه . ودعْهُ ممّا تحبُّ أن يدعكَ منه فإنّ ذلكَ العدلُ . واعملْ عملَ امرئٍ يعلمُ أنّه مجزيٌّ بالإحسانِ مأخوذٌ بالإجرام

١٠١ قالَ عبدُ اللهِ بنُ جعفرٍ : كمالُ المرءِ في خِلالٍ ثلاثٍ . معاشرةِ أهلِ الرأيِ والفطنةِ . ومداراةِ الناسِ بالمعاشرةِ الجميلةِ . والاقتصادِ من بخلٍ وإسرافٍ

قالَ بزرجمهرُ لكسرى وعندهُ أولادهُ : أيُّ أولادِكَ أحبُّ إليكَ . قالَ : أرغبُهم في الآدابِ . وأجزعُهم من العارِ . وأنظرُهم إلى الطبقةِ التي فوقهم

١٠٢ قالَ بهرامُ جورُ : ينبغي للملكِ أن لا يضيعَ التثبتَ عندما يقولُ وما يفعلُ . فإنّ الرجوعَ عن الصمتِ أحسنُ من الرجوعِ عن الكلامِ . والعطيةَ بعدَ المنعِ خيرٌ من المنعِ بعدَ العطيةِ . والإقدامَ على العملِ بعدَ التأني خيرٌ من الإمساكِ عنه بعدَ الإقدامِ عليهِ

١٠٣ وقالَ كسرى لحكماءِ الفرسِ وقدِ اجتمعوا إليهِ : ليتكلّمْ كلُّ واحدٍ منكم بكلماتٍ ولا يكثرْها . فقالَ أحدُهم : خيرُ الملوكِ أرحبُهم ذرعاً عندَ الضيقِ . وأعدلُهم حكماً عندَ الغضبِ . وأرحمُهم إذا سلِّطَ . وأبعدُهم من الظلمِ عندَ القدرةِ . وأطلبُهم لرضاءِ الرعيةِ . وأبسطُهم وجهاً عندَ المسألةِ . فقالَ كسرى : حسبي هذا لا أريدُ عليهِ مزيداً

١٠٤ قال بعض ملوك الفرس لمرازبته: أوصيكم بخمسة أشياء فيها راحة أنفسكم. واستقامة أموركم. أوصيكم بترك المراء. واجتناب التفاخر. والاصطبار على القناعة. والرضاء بالحظوظ. وأوصيكم بكل ما لم أقل مما يجمل. وأنهاكم عن كل ما لم أقل مما يقبح

قال ابن السماك: الكمال في خمس. أن لا يعيب الرجل أحدا بعيب فيه مثله. حتى يصلح ذلك العيب من نفسه. فإنه لا يفرغ من إصلاح عيب حتى يهجم على آخر. فتشغله عيوبه عن عيوب الناس. والثانية أن لا يطلق لسانه ويده حتى يعلم أفي طاعة ذلك أم في معصية. والثالثة أن لا يلتمس من الناس إلا ما يعلم أنه يعطيهم من نفسه مثله. والرابعة أن يسلم من الناس باستشعار مداراته وتوفيتهم حقوقهم. والخامسة أن ينفق الفضل من ماله. ويمسك الفضل من لسانه

١٠٥ قال حاتم الزاهد: إذا رأيت من أخيك عيبا فإن كتمته عنه فقد خنته. وإن قلته لغيره فقد اغتبته. وإن واجهته فقد أوحشته. فقال له إنسان: فما الذي أصنع. قال: تكني عنه وتعرض به. وتجعله في جملة الحديث

١٠٦ قال ابن وهب: لا يكون الرجل عاقلا حتى يكون فيه عشر خصال: الكبر منه مأمونا. والخير فيه مأمولا. ويقتدي بأهل الأدب من قبله فيكون إماما لمن بعده. وحتى يكون الذل في طاعة الله أحب

إليه من العز في معصية الله . وحتى يكون الفقر في الحلال أحب إليه من الغنى في الحرام . وحتى يكون عيشه القوت وحتى يستقل الكثير من عمله ويستكثره من غيره . ولا يتبرم بطلب الحوائج قبله . وأن يخرج من بيته فلا يستقبل أحدا إلا رأى أنه دونه

(للمستعصمي)

١٠٧ قال بعض الشعراء :

لا تحقرن عدوا في مخاصمة ولو يكون ضعيف البطش والجلد
فللبعوضة في الجرح المديد يد تنال ما قصرت عنه يد الأسد

١٠٨ (من النهج) . كتب أمير المؤمنين إلى الحارث الهمداني : تمسك بحبل الدين . وانتصحه وأحل حلاله . وحرم حرامه . وصدق بما سلف من الحق واعتبر بما مضى من الدنيا ما بقي منها . فإن بعضها يشبه بعضا وآخرها لاحق بأولها . وكلها حائل مفارق . وعظم اسم الله أن تذكره إلا على حق . وأكثر ذكر الموت وما بعد الموت . ولا تتمن الموت إلا بشرط وثيق . واحذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه . ويكرهه لعامة المؤمنين . واحذر كل عمل يعمل في السر ويستحيا منه في العلانية . واحذر كل عمل إذا سئل صاحبه عنه أنكره واعتذر منه . ولا تجعل عرضك غرضا لنبال القوم . ولا تحدث بكل ما سمعت فكفى بذلك كذبا . ولا ترد على الناس كل ما حدثوك به فكفى بذلك جهلا . واكظم الغيظ . واحلم عند الغضب .

وتجاوز عند القدرة . واصفح عن الزلة تكن لك العاقبة . واستصلح كل نعمة أنعم الله بها عليك . ولا تضع نعمة من نعم الله عندك . ولين عليك أثر ما أنعم الله به عليك . واعلم أن أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمة من نفسه وأهله وماله . وأنك ما تقدم من خير يبق لك ذخره . وما تؤخر يكن لغيرك خيره . واحذر صحبة من يفيل رأيه وينكر عمله . فإن الصاحب معتبر بصاحبه . واحذر منازل الغفلة والجفاء وقلة الأعوان على طاعة الله . واقصر رأيك على ما يعنيك . وإياك ومقاعد الأسواق فإنها محاضر الشيطان ومعاريض الفتن . وأطع الله في كل أمورك فإن طاعة الله تعالى فاضلة على ما سواها : وإياك أن ينزل بك الموت وأنت آبق من ربك في طلب الدنيا . وإياك ومصاحبة الأشرار فإن الشر بالشر ملحق . وفر إلى الله وأحب أحباءه . واحذر الغضب فإنه جند من جنود إبليس والسلام (لبهاء الدين العاملي)

نخبة من ارجوزة ابن مكانس

١٠٩ هل من فتى ظريف . معاشر لطيف . يسمع من مقالي . ما يرخص اللآلي . أمنحه وصيه . سارية سريه . تنير في الدياجي . كلمعة السراج . رشيقة الألفاظ . تسهل للحفاظ . جادت بها القريحة . في معرض النصيحة . أنا الشفيق الناصح . أنا المجد المازح . إن تبتغ الكرامه . وتطلب السلامه . أسلك مع الناس الأدب . ترى من الدهر العجب .

لِن لهم الخطابا . واعتمد الآدابا . تنل بها الطلابا . وتسحر الألبابا . ولا تطاول بنشب . ولا تفاخر بنسب . فالمرء ابن اليوم . والعقل زين القوم . ما أروض السياسه . لصاحب الرئاسه . إن شئت تلقى محسنا . فلا تقل يوما أنا . ألعز في الأمانه . والكيس في الفطانه . ألقصد باب البركه . والخرق داعي الهلكه . لا تغضب الجليسا . لا توحش الأنيسا . لا تصحب الخسيسا . لا تسخط الرئيسا . لا تكثر العتابا . تنفر الأصحابا . فكثرة المعاتبه . تدعو إلى المجانبه . وإن حللت مجلسا . بين سراة رؤسا . إقصد رضا الجماعه . وكن غلام الطاعه . ودارهم باللطف . واحذر وبال السخف . واختصر السؤالا . وقلل المقالا . ولا تكن معربدا . ولا بغيضا نكدا . لا تحمل الطعاما . والنقل والمداما . فذاك في الوليمه . شناعة عظيمه . لا يرتضيها آدمي . غير مقل عادم . وقل من الكلام . ما لاق بالمدام . كرائق الأشعار . وطيب الأخبار . واترك كلام السفله . والنكت المبتذله . إياك والتطفيلا . وشؤمه الوبيلا . ولا تكن مبذولا . ولا تكن ملولا . ألبخل لا تألفه . والخل لا تصدفه . ولا تقل لمن تحب . ضيف الكرام يصطحب . ولا تكن ملحاحا . واجتنب المزاحا . فكثرة المجون . نوع من الجنون . فالشوم في اللجاج . والحر لا يداجي . وهذه الوصيه . للأنفس الأبيه . أختارها لنفسي . وإخوتي وجنسي . فهاكها وصيه . تصحبها التحيه . تحملها الكرام . إليك والسلام

١١٠ إِنِّي نَاصِحُكَ بِبَعْضِ نَصَائِحَ اقْبَلْهَا مِنِّي لِئَلَّا يَكُونَ عِلْمُكَ خَصْمًا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . تَعْمَلُ مِنْهَا وَتَدَعُ مِنْهَا . وَأَمَّا مَا تَدَعُ فَالْأَوَّلُ أَنْ لَا تُنَاظِرَ أَحَدًا فِي مَسْئَلَةٍ مَا اسْتَطَعْتَ . لِأَنَّ فِيهَا آفَةً كَثِيرَةً وَإِثْمُهَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهَا إِذْ هِيَ مَنْبَعُ كُلِّ خُلُقٍ ذَمِيمٍ كَالرِّيَاءِ وَالْحَسَدِ وَالْكِبْرِ وَالْحِقْدِ وَالْعَدَاوَةِ وَالْمُبَاهَاةِ وَغَيْرِهَا . نَعَمْ لَوْ وَقَعَ مَسْئَلَةٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَخْصٍ أَوْ قَوْمٍ وَكَانَ إِرَادَتُكَ فِيهَا أَنْ يَظْهَرَ الْحَقُّ جَازَ لَكَ الْبَحْثُ لَكِنْ لِتِلْكَ الْإِرَادَةِ عَلَامَتَانِ . إِحْدَاهُمَا أَنْ لَا تُفَرِّقَ بَيْنَ أَنْ يَكْشِفَ الْحَقُّ عَلَى لِسَانِكَ أَوْ عَلَى لِسَانِ غَيْرِكَ . وَثَانِيَتُهُمَا أَنْ يَكُونَ الْبَحْثُ فِي الْخَلَاءِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي الْمَلَإِ . وَالثَّانِي مِمَّا تَدَعُ وَهُوَ أَنْ تَحْذَرَ وَتَحْتَرِزَ مِنْ أَنْ تَكُونَ وَاعِظًا وَمُذَكِّرًا لِأَنَّ آفَتَهُ كَثِيرَةٌ إِلَّا أَنْ تَعْمَلَ بِمَا تَقُولُ أَوَّلًا ثُمَّ تَعِظَ بِهِ النَّاسَ فَتَفَكَّرْ فِيمَا قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : عِظْ نَفْسَكَ فَإِنِ اتَّعَظْتَ فَعِظِ النَّاسَ وَإِلَّا فَاسْتَحْيِ رَبَّكَ إِنِ ابْتُلِيتَ بِهٰذَا الْعَمَلِ

وَأَمَّا مَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَفْعَلَهُ . فَالْأَوَّلُ أَنْ تَجْعَلَ مُعَامَلَتَكَ مَعَ اللهِ تَعَالَى . بِحَيْثُ لَوْ عَمِلَ مَعَكَ بِهَا عَبْدُكَ تَرْضَى بِهَا مِنْهُ . وَلَا يَضِيقُ خَاطِرُكَ عَلَيْهِ وَلَا تَغْضَبُ . وَمَا لَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ مِنْ عَبْدِكَ الْمَجَازِيِّ فَلَا تَرْضَ بِهِ لِلّٰهِ تَعَالَى وَهُوَ سَيِّدُكَ الْحَقِيقِيُّ . وَالثَّانِي كُلَّمَا عَمِلْتَ بِالنَّاسِ اجْعَلْهُ كَمَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ مِنْهُمْ . لِأَنَّهُ لَا يَكْمُلُ إِيمَانُ الْعَبْدِ حَتَّى يُحِبَّ لِسَائِرِ النَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ . وَالثَّالِثُ إِذَا قَرَأْتَ الْعِلْمَ

أو طالعته ينبغي أن يكون علماً يصلح قلبك ويزكي نفسك

(ايها الولد للغزالي بتصرُّف)

(من كلام موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي)

١١١ (قال) ينبغي أن تحاسب نفسك كل ليلة إذا أويت إلى منامك. وتنظر ما اكتسبت في يومك من حسنة فتشكر الله عليها. وما اكتسبت من سيئة فتستغفر الله منها وتقلع عنها. وترتب في نفسك ما تعمله في غدك من الحسنات. وتسأل الله الإعانة على ذلك

(وقال) أوصيك ألا تأخذ العلوم من الكتب وإن وثقت من نفسك بقوة الفهم. وعليك بالأستاذين في كل علم تطلب اكتسابه. ولو كان الأستاذ ناقصاً فخذ عنه ما عنده حتى تجد أكمل منه. وعليك بتعظيمه وترجيبه وإن قدرت أن تفيده من دنياك فافعل. وإلا فبلسانك وثنائك. وإذا قرأت كتاباً فاحرص كل الحرص على أن تستظهره وتملك معناه. وتوهم أن الكتاب قد عدم وأنك مستغن عنه لا تحزن لفقده

وإذا كنت مكباً على دراسة كتاب وتفهمه فإياك أن تشتغل بآخر معه. واصرف الزمان الذي تريد صرفه في غيره إليه. وإياك أن تشتغل بعلمين دفعة واحدة. وواظب على العلم الواحد سنة أو سنتين أو ما شاء الله. وإذا قضيت منه وطرك. فانتقل إلى علم آخر

وَلَا تَظُنَّ أَنَّكَ إِذَا حَصَّلْتَ عِلْمًا فَقَدِ اكْتَفَيْتَ . بَلْ تَحْتَاجُ إِلَى مُرَاعَاتِهِ لِيَنْمِيَ وَلَا يَنْقُصَ . وَمُرَاعَاتُهُ تَكُونُ بِالْمُذَاكَرَةِ وَالتَّفَكُّرِ وَاشْتِغَالِ الْمُبْتَدِئِ بِالتَّحَفُّظِ وَالتَّعَلُّمِ وَمُبَاحَثَةِ الْأَقْرَانِ وَاشْتِغَالِ الْعَالِمِ بِالتَّعْلِيمِ وَالتَّصْنِيفِ . وَإِذَا تَصَدَّيْتَ لِتَعْلِيمِ عِلْمٍ أَوْ لِلْمُنَاظَرَةِ فِيهِ فَلَا تَمْزُجْ بِهِ غَيْرَهُ مِنَ الْعُلُومِ . فَإِنَّ كُلَّ عِلْمٍ مُكْتَفٍ بِنَفْسِهِ مُسْتَغْنٍ عَنْ غَيْرِهِ . فَإِنَّ اسْتِعَانَتَكَ فِي عِلْمٍ بِعِلْمٍ عَجْزٌ عَنِ اسْتِيفَاءِ أَقْسَامِهِ كَمَنْ يَسْتَعِينُ بِلُغَةٍ فِي لُغَةٍ أُخْرَى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ أَوْ جَهِلَ بَعْضَهَا

(قَالَ) وَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَقْرَأَ التَّوَارِيخَ وَأَنْ يَطَّلِعَ عَلَى السِّيَرِ وَتَجَارِبِ الْأُمَمِ . فَيَصِيرُ بِذَلِكَ كَأَنَّهُ فِي عُمْرِهِ الْقَصِيرِ قَدْ أَدْرَكَ الْأُمَمَ الْخَالِيَةَ وَعَاصَرَهُمْ وَعَاشَرَهُمْ وَعَرَفَ خَيْرَهُمْ وَشَرَّهُمْ

(قَالَ) وَيَنْبَغِي أَنْ يَكْثُرَ اتِّهَامُكَ لِنَفْسِكَ وَلَا تُحْسِنَ الظَّنَّ بِهَا . وَتَعْرِضَ خَوَاطِرَكَ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَعَلَى تَصَانِيفِهِمْ . وَتَتَثَبَّتَ وَلَا تَعْجَلَ وَلَا تُعْجَبَ . فَمَعَ الْعُجْبِ الْعِثَارُ وَمَعَ الِاسْتِبْدَادِ الزَّلَلُ . وَمَنْ لَمْ يَعْرَقْ جَبِينُهُ إِلَى أَبْوَابِ الْعُلَمَاءِ لَمْ يَعْرَقْ فِي الْفَضِيلَةِ . وَمَنْ لَمْ يُخَجِّلُوهُ لَمْ يُبَجِّلْهُ النَّاسُ . وَمَنْ لَمْ يُبَكِّتُوهُ . لَمْ يَسُدْ . وَمَنْ لَمْ يَحْتَمِلْ أَلَمَ التَّعَلُّمِ . لَمْ يَذُقْ لَذَّةَ الْعِلْمِ . وَمَنْ لَمْ يَكْدَحْ . لَمْ يُفْلِحْ . وَإِذَا خَلَوْتَ مِنَ التَّعَلُّمِ وَالتَّفَكُّرِ فَحَرِّكْ لِسَانَكَ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى وَبِتَسَابِيحِهِ . وَخَاصَّةً عِنْدَ النَّوْمِ فَيَتَشَرَّبُهُ لُبُّكَ وَيَتَعَجَّنُ فِي خَيَالِكَ . وَتَتَكَلَّمُ بِهِ فِي مَنَامِكَ . وَإِذَا حَدَثَ لَكَ فَرَحٌ وَسُرُورٌ بِبَعْضِ أُمُورِ الدُّنْيَا فَاذْكُرِ الْمَوْتَ وَسُرْعَةَ

ٱلزَّوَالِ وَأَصْنَافَ ٱلْمُنَغِّصَاتِ. وَإِذَا أَحْزَنَكَ أَمْرٌ فَٱسْتَرْجِعْ. وَإِذَا ٱعْتَرَتْكَ غَفْلَةٌ فَٱسْتَغْفِرْ. فَٱجْعَلِ ٱلْمَوْتَ نُصْبَ عَيْنِكَ وَٱلْعِلْمَ وَٱلتُّقَى زَادَكَ إِلَى ٱلْآخِرَةِ. وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْصِيَ ٱللهَ تَعَالَى فَٱطْلُبْ مَكَانًا لَا يَرَاكَ فِيهِ. وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ عُيُونُ ٱللهِ عَلَى ٱلْعَبْدِ يُرِيهِمْ خَيْرَهُ وَإِنْ أَخْفَاهُ. وَشَرَّهُ وَإِنْ سَتَرَهُ. فَبَاطِنُهُ مَكْشُوفٌ لِلهِ. وَٱللهُ يَكْشِفُهُ لِعِبَادِهِ. فَعَلَيْكَ أَنْ تَجْعَلَ بَاطِنَكَ خَيْرًا مِنْ ظَاهِرِكَ. وَسِرَّكَ أَصَحَّ مِنْ عَلَانِيَتِكَ

وَلَا تَتَأَلَّمْ إِذَا أَعْرَضَتْ عَنْكَ ٱلدُّنْيَا. وَلَوْ عَرَضَتْ لَكَ لَشَغَلَتْكَ عَنْ كَسْبِ ٱلْفَضَائِلِ. وَقَلَّمَا يَتَعَلَّقُ فِي ٱلْعِلْمِ ذُو ٱلثَّرْوَةِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ شَرِيفَ ٱلْهِمَّةِ جِدًّا. وَأَنْ يُثْرِيَ بَعْدَ تَحْصِيلِ ٱلْعِلْمِ. وَإِنِّي لَا أَقُولُ: إِنَّ ٱلدُّنْيَا تُعْرِضُ عَنْ طَالِبِ ٱلْعِلْمِ بَلْ هُوَ ٱلَّذِي يُعْرِضُ عَنْهَا. لِأَنَّ هِمَّتَهُ مَصْرُوفَةٌ إِلَى ٱلْعِلْمِ فَلَا يَبْقَى لَهُ ٱلْتِفَاتٌ إِلَى ٱلدُّنْيَا. وَٱلدُّنْيَا إِنَّمَا تَحْصُلُ بِحِرْصٍ وَفِكْرٍ فِي وُجُوهِهَا. فَإِذَا غَفَلَ عَنْ أَسْبَابِهَا لَمْ تَأْتِهِ. وَأَيْضًا فَإِنَّ طَالِبَ ٱلْعِلْمِ تَشْرُفُ نَفْسُهُ عَنِ ٱلصَّنَائِعِ ٱلرَّذْلَةِ وَٱلْمَكَاسِبِ ٱلدَّنِيَّةِ. وَعَنْ أَصْنَافِ ٱلتِّجَارَاتِ. وَعَنِ ٱلتَّذَلُّلِ لِأَرْبَابِ ٱلدُّنْيَا. وَٱلْوُقُوفِ عَلَى أَبْوَابِهِمْ. وَلِبَعْضِ إِخْوَانِنَا بَيْتٌ:

مَنْ جَدَّ فِي طَلَبِ ٱلْعُلُومِ أَفَاتَهُ شَرَفُ ٱلْعُلُومِ دَنَاءَةَ ٱلتَّحْصِيلِ

وَجَمِيعُ طُرُقِ مَكَاسِبِ ٱلدُّنْيَا تَحْتَاجُ إِلَى فَرَاغٍ لَهَا. وَحِذْقٍ فِيهَا. وَصَرْفِ ٱلزَّمَانِ إِلَيْهَا. وَٱلْمُشْتَغِلُ بِٱلْعِلْمِ لَا يَسَعُهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

وإنما ينتظر أن تأتيه الدنيا بلا سبب. وتطلبه من غير أن يطلبها طلب مثلها. وهذا ظلم منه وعدوان. ولكن إذا تمكن الرجل في العلم وشهرته خطب من كل جهة. وعرضت عليه المناصب وجاءته الدنيا صاغرة فأخذ ما أهدته وماء وجهه موفور. وعرضه ودينه مصون

واعلم أن للعلم عبقة وعرفاً ينادي على صاحبه. ونوراً وضياء يشرق عليه ويدل عليه. كتاجر مسك لا يخفى مكانه. ولا تجهل بضاعته. وكمن يمشي بمشعل في ليل مدلهم. والعالم مع هذا محبوب أين ما كان. وكيف ما كان لا يجد إلا من يميل إليه. ويؤثر قربه ويأنس به. ويرتاح بمداناته

واعلم أن العلوم تغور. ثم تفور. تغور في زمان. وتفور في زمان. بمنزلة النبات أو عيون المياه. وتنتقل من قوم إلى قوم. ومن موضع إلى موضع

(قال) اجعل كلامك في الغالب بصفات أن يكون وجيزاً فصيحاً في معنى مهم أو مستحسن. فيه إلغاز ما وإيهام كثير أو قليل. ولا تجعله مهملاً ككلام الجمهور بل رفعه عنهم ولا تباعده عليهم جداً

(وقال) إياك والهذر والكلام فيما لا يعني. وإياك والسكوت في محل الحاجة ورجوع النوبة إليك. إما لاستخراج حق. أو اجتلاب مودة. أو تنبيه على فضيلة. وإياك والضحك مع كلامك. وكثرة الكلام. وتبتير الكلام. بل اجعل كلامك سرداً بسكون ووقار.

بحيث يستشعر منك أن وراءه أكثر منه . وأنه عن خميرة سابقة . ونظر متقدم

(وقال) إياك الغلظة في الخطاب . والجفاء في المناظرة فإن ذلك يذهب بهجة الكلام ويسقط فائدته . ويعدم حلاوته . ويجلب الضغائن . ويمحق المودات . ويصير القائل مستثقلا . سكوته أشهى إلى السامع من كلامه . ويثير النفوس على معاندته ويبسط الألسن بمخاشنته وإذهاب حرمته

(وقال) لا تترفع بحيث تستثقل . ولا تتنازل بحيث تستخس وتستحقر . (وقال) اجعل كلامك كله جدلا . وأجب من حيث تعقل . لا من حيث تعتاد وتألف . (وقال) انتزح عن عادات الصبا . وتجرد عن مألوفات الطبيعة . واجعل كلامك لاهو تيا في الغالب لا ينفك من خبر أو قول حكيم . أو بيت نادر . أو مثل سائر

(وقال) تجنب الوقيعة في الناس . وثلب الملوك والغلظة على المعاشر . وكثرة الغضب . وتجاوز الحد فيه . (وقال) استكثر من حفظ الأشعار الأمثالية . والنوادر الحكمية . والمعاني المستغربة

الباب الرابع
في الأمثال السائرة

من نثر اللآلي لعلي بن أبي طالب

١١٢ (ا) . إيمان المرء يعرف بأيمانه . أدب المرء خير من ذهبه .
أداء الدين من الدين . أحسن إلى المسيء تسد . إخوان هذا الزمان
جواسيس العيوب . أخوك من واساك بنشب لا من واساك بنسب .
(ب) . بشر نفسك بالظفر بعد الصبر . بركة المال في أداء الزكاة .
بع الدنيا بالآخرة تربح . بكاء المرء من خشية الله تعالى قرة العين .
باكر تسعد . بطن المرء عدوه . بركة العمر حسن العمل . بلاء
الإنسان من اللسان . بشاشة الوجه عطية ثانية . (ت) . توكل على
الله يكفك . تدارك في آخر العمر ما فاتك في أوله . تكاسل المرء
في الصلاة من ضعف الإيمان . تغافل عن المكروه توقر . (ث) . ثلمة
الدين موت العلماء . ثبات الملك بالعدل . ثواب الآخرة خير من
نعيم الدنيا . ثناء الرجل على معطيه مستزيد . (ج) . جد بما تجد .
جولة الباطل ساعة وجولة الحق إلى قيام الساعة . جودة الكلام
في الاختصار . جليس المرء مثله . جليس المرء غنيمة . جالس الفقراء
تزدد شكراً . جل من لا يموت . (ح) . حياء المرء ستره . حموضات
الطعام خير من حموضات الكلام . (خ) . خف الله تأمن غيره .

خَالِفْ نَفْسَكَ تَسْتَرِحْ. خَيْرُ الأَصْحَابِ مَنْ يَدُلُّكَ عَلَى الخَيْرِ. خَلِيلُ المَرْءِ دَلِيلُ عَقْلِهِ. خَوْفُ اللهِ يَجْلُو القَلْبَ. خُلُوُّ القَلْبِ خَيْرٌ مِنْ مَلْءِ الكِيسِ. خَيْرُ المَالِ مَا أُنْفِقَ فِي سَبِيلِ اللهِ. (د). دَلِيلُ عَقْلِ المَرْءِ فِعْلُهُ وَدَلِيلُ عِلْمِهِ قَوْلُهُ. دَوَامُ السُّرُورِ بِرُؤْيَةِ الإِخْوَانِ. دَوْلَةُ الأَرْذَالِ آفَةُ الرِّجَالِ. دِينُ الرَّجُلِ حَدِيثُهُ. دَوْلَةُ المُلُوكِ فِي العَدْلِ. دَارِ مَنْ جَفَاكَ تَجْمِيلًا. دُمْ عَلَى كَظْمِ الغَيْظِ تُحْمَدْ عَوَاقِبُكَ. (ذ). ذَنْبٌ وَاحِدٌ كَثِيرٌ وَذِكْرٌ وَأَلْفُ طَاعَةٍ قَلِيلٌ. ذِكْرُ الأَوْلِيَاءِ يُنْزِلُ الرَّحْمَةَ. ذَلِيلُ الخُلُقِ عَزِيزٌ عِنْدَ اللهِ. ذِكْرُ المَوْتِ جَلَاءُ القَلْبِ. ذِكْرُ الشَّبَابِ حَسْرَةٌ. (ر). رُؤْيَةُ الحَبِيبِ جَلَاءُ العَيْنِ. رَفَاهِيَةُ العَيْشِ فِي الأَمْنِ. رَسُولُ المَوْتِ الوِلَادَةُ. (ز). زِيَارَةُ الحَبِيبِ إِطْرَاءُ المَحَبَّةِ. زَوَايَا الدُّنْيَا مَشْحُونَةٌ بِالرَّزَايَا. زِيَارَةُ الضُّعَفَاءِ مِنَ التَّوَاضُعِ. زِينَةُ البَاطِنِ خَيْرٌ مِنْ زِينَةِ الظَّاهِرِ. (س). سِيرَةُ المَرْءِ تُنْبِئُ عَنْ سَرِيرَتِهِ. سُمُوُّ المَرْءِ التَّوَاضُعُ. (ش). شَيْنُ العِلْمِ الصَّلَفُ. شَمِّرُوا فِي طَلَبِ الجَنَّةِ. شَيْبُكَ نَاعِيكَ. شَحِيحٌ غَنِيٌّ أَفْقَرُ مِنْ فَقِيرٍ سَخِيٍّ. (ص). صِدْقُ المَرْءِ نَجَاتُهُ. صِحَّةُ البَدَنِ فِي الصَّوْمِ. الصَّبْرُ يُورِثُ الظَّفَرَ. صَلَاةُ اللَّيْلِ بَهَاءُ النَّهَارِ. صَلَاحُ الإِنْسَانِ فِي حِفْظِ اللِّسَانِ. صَاحِبِ الأَخْيَارَ تَأْمَنْ مِنَ الأَشْرَارِ. صَمْتُ الجَاهِلِ سِتْرُهُ. صَلَاحُ الدِّينِ فِي الوَرَعِ وَفَسَادُهُ فِي الطَّمَعِ. (ض). ضَلَّ سَعْيُ مَنْ رَجَا غَيْرَ اللهِ تَعَالَى. ضَرْبُ الحَبِيبِ أَوْجَعُ. ضَلَّ مَنْ رَكَنَ إِلَى الأَشْرَارِ. (ط). طَابَ مَنْ وَثِقَ بِاللهِ. طَلَبُ

ٱلْأَدَبِ أَوْلَى مِنْ طَلَبِ ٱلذَّهَبِ . (ظ) . ظُلْمُ ٱلْمَرْءِ يَصْرَعُهُ . ظُلَامَةُ ٱلْمَظْلُومِ لَا تَضِيعُ . ظَمَأُ ٱلْمَالِ أَشَدُّ مِنْ ظَمَإِ ٱلْمَاءِ . ظِلُّ عُمْرِ ٱلظَّالِمِ قَصِيرٌ وَظِلُّ عُمْرِ ٱلْكَرِيمِ فَسِيحٌ . (ع) . عِشْ قَنِعًا تَكُنْ مَلِكًا . عَيْبُ ٱلْكَلَامِ تَطْوِيلُهُ . عَاقِبَةُ ٱلظَّالِمِ وَخِيمَةٌ . (غ) . غَدْرُكَ مَنْ دَلَّكَ عَلَى ٱلْإِسَاءَةِ . (ف) . فَازَ مَنْ ظَفِرَ بِٱلدِّينِ . فَخْرُ ٱلْمَرْءِ بِفَضْلِهِ . أَوْلَى مِنْ فَخْرِهِ بِأَصْلِهِ . فَازَ مَنْ سَلِمَ مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ . فَسَدَتْ نِعْمَةُ مَنْ كَفَرَهَا . (ق) . قَبُولُ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلدِّينِ . (ك) . كَلَامُ ٱللهِ دَوَاءُ ٱلْقَلْبِ . كُفْرَانُ ٱلنِّعْمَةِ مُزِيلُهَا . كَفَى بِٱلشَّيْبِ دَاءً . كَمَالُ ٱلْعِلْمِ فِي ٱلْحِلْمِ . (ل) . لِينُ ٱلْكَلَامِ قَيْدُ ٱلْقُلُوبِ . (م) . مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ مَلَامُهُ . مَجْلِسُ ٱلْعِلْمِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ ٱلْجَنَّةِ . مُصَاحَبَةُ ٱلْأَشْرَارِ رُكُوبُ ٱلْبَحْرِ . (ن) . نِسْيَانُ ٱلْمَوْتِ صَدَأُ ٱلْقَلْبِ . نَمْ آمِنًا تَكُنْ فِي أَمْهَدِ ٱلْفُرُشِ . نَضْرَةُ ٱلْوَجْهِ فِي ٱلصِّدْقِ . (و) . وِلَايَةُ ٱلْأَحْمَقِ سَرِيعَةُ ٱلزَّوَالِ . وَحْدَةُ ٱلْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ ٱلسُّوءِ . (ه) . هَمُّ ٱلسَّعِيدِ آخِرَتُهُ وَهَمُّ ٱلشَّقِيِّ دُنْيَاهُ . هَلَاكُ ٱلْمَرْءِ فِي ٱلْعُجْبِ . هَرَبُكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنْفَعُ مِنْ هَرَبِكَ مِنَ ٱلْأَسَدِ . (لا) . لَا دِينَ لِمَنْ لَا مُرُوءَةَ لَهُ . لَا فَقْرَ لِلْعَاقِلِ . (ي) . يَعْمَلُ ٱلنَّمَّامُ فِي سَاعَةٍ فِتْنَةَ أَشْهُرٍ . يَسُودُ ٱلْمَرْءُ قَوْمَهُ بِٱلْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ .

نُبْذَةٌ

من كتاب غُرَرِ الحكم ودُرَرِ الكلم جمعهُ عبد الواحد بن محمد من كلام عليّ بن ابي طالب

١١٣ (ا) . أَلدِّينُ يَعْصِمُ . أَلدُّنْيَا تُسْلِمُ . أَلصِّيَانَةُ رَأْسُ ٱلْمُرُوءَةِ . أَلْحَقُّ

سيف قاطع . العُجب عنوان الحماقة. البشاشة حبل المودة. الارتقاء إلى الفضائل صعب. الانحطاط إلى الرذائل سهل. السكوت عن الأحمق جوابه. إمام عادل خير من مطر وابل. المحسن حي وإن نُقل إلى منازل الأموات. العاقل إذا سكت فكّر وإذا نطق ذكر وإذا نظر اعتبر. الداعي بلا عمل كالقوس بلا وتر. إعجاب الرجل بنفسه عنوان ضعف عقله. أحسن الجود عفو بعد مقدرة. (ب). ركوب الأهوال تكسب الأموال. بالسخاء يُستر العيوب. (ت). تكلموا تعرفوا فإن المرء مخبوء تحت لسانه. (ث). ثوب التقى أشرف الملابس. ثواب الآخرة يُنسي مشقة الدنيا. ثروة العاقل في علمه وثروة الجاهل في ماله. ثلاث يوجبن المحبة الدين والتواضع والسخاء. (ج). جهاد النفس أفضل الجهاد. (ح). حسن الأدب يستر قبح النسب. حلاوة الظفر تمحو مرارة الصبر. حد اللسان يقطع الأوصال. (خ). خير الثناء ما جرى على ألسنة الأخيار. (د). دوام الفقر من أعظم المحن. (ر). رب سكوت أبلغ من كلام. (ز). زلة العالم كانكسار السفينة تَغرق وتُغرق معها غيرها. زخارف الدنيا تفسد العقول الضعيفة. (س). سلاح اللئام قبح الكلام. سمع الأذن لا ينفع مع غفلة القلب. (ش). شر الناس من لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً. شيئان لا يعرف فضلهما إلا من فقدهما الشباب والعافية. (ص). صمتك حتى تُستنطق أجمل من

نطقك حتى تسكت . صوم النفس عن لذات الدنيا أفضل الصيام .
صدر العاقل صندوق سره . (ض) . ضع فخرك واحطط كبرك
وكما تزرع تحصد وكما تدين تدان . ضعف البصر لا يضر مع استنارة
البصيرة . (ط) . طوبى لمن غلب نفسه ولم تغلبه ومن ملك هواه
ولم يملكه . طلب الثناء بغير استحقاق خرق . (ظ) . ظن العاقل
أصح من يقين الجاهل . ظرف الرجل تنزهه عن المحارم ومبادرته
إلى المكارم . (ع) . عليك بالآخرة تأتك الدنيا صاغرة . عند
الامتحان يكرم المرء أو يهان . عجبت لعامر دار الفناء وتارك دار
البقاء . عجبت لمن يجهل نفسه كيف يعرف ربه . عبد الشهوة أذل
من عبد الرق . عبد المطامع أسير لا يفك أسره . عاشر أهل
الفضائل تنبل . عداوة الأقارب أمس من لسع العقارب . (غ) .
غاية المعرفة أن يعرف المرء نفسه . غنى المؤمن بالله . غنى العاقل
في حكمته . غنى الجاهل في قنيته . (ف) . في الذكر حياة القلوب .
في رضا الله نيل المطلوب . في الدنيا عمل ولا حساب . في الآخرة
الحساب ولا عمل . في الاستشارة عين الهداية . فقد البصر أهون من
فقد البصيرة . (ق) . قد يبعد القريب . قد يلين الصلب . قلة الأكل
تمنع كثيرا من أعلال الجسم . قل الحق وإن كان عليك . قليل الحق
يدفع كثير الباطل كما أن قليل النار يحرق كثير الحطب . (ك) . كل
طير يأوي لى شكله . كل شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه . كل

وِعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا الْعِلْمَ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ. كَمْ يُفْتَحُ بِالصَّبْرِ مِنْ غَلَقٍ. كَيْفَ يَنْجُو مِنَ ٱللهِ هَارِبُهُ. كَيْفَ يَسْلَمُ مِنَ الْمَوْتِ طَالِبُهُ. كُنْ عَالِمًا نَاطِقًا أَوْ مُسْتَمِعًا وَاعِيًا. كَلَامُ الرَّجُلِ مِيزَانُ عَقْلِهِ. كُلَّمَا قَارَبْتَ أَجَلًا فَأَحْسِنْ عَمَلًا. (ل). لَيْسَ مِنْ عَادَةِ الْكِرَامِ تَأْخِيرُ الْإِنْعَامِ. لِلشَّدَائِدِ تُدَّخَرُ الرِّجَالُ. (م). مَنْ تَوَقَّرَ وُقِّرَ. وَمَنْ تَكَبَّرَ حُقِّرَ. مَنِ اسْتَشَارَ الْعَاقِلَ مَلَكَ. مَنِ ٱسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ. مَا حَقَّرَ نَفْسَهُ إِلَّا عَاقِلٌ. مَا أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ إِلَّا جَاهِلٌ. (ن). نِعْمَ الْإِدَامُ الْجُوعُ. (ه). هُدِيَ مَنْ أَطَاعَ رَبَّهُ. وَخَافَ ذَنْبَهُ. هَلَكَ امْرُؤٌ لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ. هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَّرَ عَلَيْهِ لِسَانَهُ. (و). وَقِّرُوا كِبَارَكُمْ تُوَقِّرْكُمْ صِغَارُكُمْ. وَقَارُ الشَّيْبِ أَجْمَلُ مِنْ نَضَارَةِ الشَّبَابِ. (لا). لَا تَثِقْ بِعَهْدِ مَنْ لَا دِينَ لَهُ. لَا تَعِدْ مَا تَعْجِزُ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ. لَا تَثِقْ بِمَنْ يُذِيعُ سِرَّكَ. لَا يَسْتَرِقَّكَ الطَّمَعُ فَقَدْ جَعَلَكَ ٱللهُ حُرًّا. (ي). يُسْتَدَلُّ عَلَى الْكَرِيمِ بِحُسْنِ بِشْرِهِ وَبَذْلِ خَيْرِهِ. يُسْتَدَلُّ عَلَى إِدْبَارِ الدُّوَلِ بِأَرْبَعٍ تَضْيِيعِ الْأُصُولِ وَالتَّمَسُّكِ بِالْفُرُوعِ وَتَقْدِيمِ الْأَرْذَالِ وَتَأْخِيرِ الْأَفَاضِلِ. يَبْلُغُ الصَّادِقُ بِصِدْقِهِ مَا لَا يَبْلُغُهُ الْكَاذِبُ بِاحْتِيَالِهِ.

نخبة امثال انتقاها الابشيهي

١١٤ (ا). إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ حَلَّ الْبَلَاءُ. إِذَا اصْطَنَعْتَ الْمَعْرُوفَ فَاسْتُرْهُ وَإِذَا اصْطُنِعَ إِلَيْكَ فَانْشُرْهُ. أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ لَمْ تُفْسِدِ الشَّهْوَةُ دِينَهُ. أَفْضَلُ الْمَعْرُوفِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ. أَظْهَرُ النَّاسِ مَحَبَّةً

أحسنهم لقاء . إياك وفضول الكلام فإنه يظهر من عيوبك ما بطن ويحرك من عدوك ما سكن . (ب) بالتأني تسهل المطالب . بخفض الجانب تأنس النفوس . (ث) . ثمرة العلوم العمل بالمعلوم . (ح) . الحازم من حفظ ما في يده ولم يؤخر شغل يومه لغده . حق يضر خير من باطل يسر . (خ) خير الناس من أخرج الحرص من قلبه وعصى هواه في طاعة ربه . خير المال ما أخذ من الحلال وصرف في النوال . (ر) الرفق مفتاح الرزق . (ش) . شر الناس من ينصر الظلوم ويخذل المظلوم . (ص) . صاحب العقل مغبوط . صداقة الجاهل تعب . (ع) علم لا ينفع كدواء لا ينجع . عظ المسيء بحسن أفعالك ودل على الجميل بجميل خلالك . عثرة الرجل تزيل القدم وعثرة اللسان تزيل النعم . العجلة أخت الندامة . (ق) . قد خاطر من استبد برأيه . (ك) . كلام المرء بيان فضله وترجمان عقله . كل يفر من ضده ويميل إلى جنسه . (ل) . لا تفتح بابا يعييك سده . اللسان سيف قاطع لا يؤمن حده والكلام سهم نافذ لا يمكن رده . لا يجد العجول فرحا ولا الغضوب سرورا ولا الملول صديقا . لا يخلو المرء من ودود يمدح وعدو يقدح . (م) . من طاع هواه باع دينه بدنياه . من لزم الطمع عدم الورع . من قرب السفلة واطرح ذوي الأحساب والمروءات استحق الخذلان . من عفا تفضل . من كظم غيظه فقد حلم . من حلم فقد صبر . من صبر فقد ظفر . من

أَكْثَرَ مِنْ مَقَالِهِ سَئِمَ وَمَنْ سُؤَالِهِ حُرِمَ . مَنْ أَعْجَبَ بِعَمَلِهِ حَبِطَ أَجْرُهُ .
مَنْ رَجَعَ فِي هِبَتِهِ بَالَغَ فِي خِسَّتِهِ . مَنْ جَادَ بِمَالِهِ جَلَّ وَمَنْ جَادَ
بِعِرْضِهِ ذَلَّ . مَنْ حَفَرَ حَفِيرًا لِأَخِيهِ كَانَ حَتْفُهُ فِيهِ . مَنْ قَالَ مَا لَا
يَنْبَغِي سَمِعَ مَا لَا يَشْتَهِي . مَنْ لَزِمَ ٱلرُّقَادَ عَدِمَ ٱلْمُرَادَ . مَنْ نَظَرَ فِي
ٱلْعَوَاقِبِ سَلِمَ مِنَ ٱلنَّوَائِبِ . مَنْ أَسْرَعَ فِي ٱلْجَوَابِ أَخْطَأَ فِي
ٱلصَّوَابِ . مَنْ حَسُنَتْ خِصَالُهُ طَابَ وِصَالُهُ . مَنْ عُرِفَ بِشَيْءٍ
نُسِبَ إِلَيْهِ . (ن) نُصْرَةُ ٱلْحَقِّ شَرَفٌ وَنُصْرَةُ ٱلْبَاطِلِ سَرَفٌ

نخبة امثال اوردها بهاء الدين العاملي في كتابه الكشكول

١١٥ (ا) . إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَأَرِدْ مَا يَكُونُ . إِذَا هَرَبَ ٱلزَّاهِدُ مِنَ
ٱلنَّاسِ فَٱطْلُبْهُ . إِذَا ذَكَرَ جَلِيسُكَ عِنْدَكَ أَحَدًا بِٱلسُّوءِ فَٱعْلَمْ أَنَّكَ
ثَانِيهِ . أَفْضَلُ ٱلزَّادِ مَا تُزُوِّدَ لِلْمَعَادِ . إِنْ سَلِمْتَ مِنَ ٱلْأَسَدِ فَلَا تَطْمَعْ
فِي صَيْدِهِ . أَوَّلُ ٱلْمَعْرِفَةِ ٱلِاخْتِبَارُ . أَيْسَرُ شَيْءٍ ٱلدُّخُولُ فِي ٱلْعَدَاوَةِ
وَأَصْعَبُ شَيْءٍ ٱلْخُرُوجُ مِنْهَا . (ب) . بَعْضُ ٱلْكَلَامِ أَقْطَعُ مِنَ
ٱلْحُسَامِ . (ت) . أَلتُّقَى مُلْجِمٌ . (خ) . خَيْرُ أَهْلِكَ مَنْ كَفَاكَ . خَيْرُ
سِلَاحِكَ مَا وَقَاكَ . (د) . أَلدَّالُّ عَلَى ٱلْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ . (ر) . رُبَّ أَكْلَةٍ
تَمْنَعُ أَكَلَاتٍ . أَلرِّفْقُ يُمْنٌ وَٱلْخُرْقُ شُؤْمٌ . (س) . أَلسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ
بِغَيْرِهِ . (ص) . صَغِيرُ ٱلشَّرِّ يُوشِكُ أَنْ يَكْبُرَ . (ع) . عِنْدَ ٱلْغَايَةِ يُعْرَفُ
ٱلسَّبْقُ . (ق) . قَبْلَ ٱلرِّمَايَةِ تُمْلَأُ ٱلْكَنَائِنُ . أَلْقَرِيبُ مَنْ قَرُبَ نَفْعُهُ .
أَلْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا يَنْفُذُ ٱلْإِبَرُ . قَيِّدُوا ٱلنِّعَمَ بِٱلشُّكْرِ . (ك) . كَلْبٌ

جَوَّالٌ خَيْرٌ مِنْ أَسَدٍ رَابِضٍ. كُلٌّ مَبْذُولٍ مَمْلُولٌ. كُلُّ مَمْنُوعٍ مَرْغُوبٌ فِيهِ. كُلُّ وِعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وِعَاءَ ٱلْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ. (ل). لَا تُبْلَغُ ٱلْغَايَاتُ بِٱلْأَمَانِي. لِكُلِّ عَمَلٍ ثَوَابٌ. لِكُلِّ زَمَانٍ رِجَالٌ. لِكُلِّ سِرٍّ مُسْتَوْدَعٌ. لَيْسَ مِنْكَ مَنْ غَشَّكَ. (م). مَا حَكَّ جِلْدَكَ مِثْلُ ظُفْرِكَ. مَنْ أَفْسَدَ بَيْنَ ٱثْنَيْنِ فَعَلَى يَدَيْهِمَا هَلَاكُهُ. مَنْ جَرَى فِي عِنَانِ أَمَلِهِ عَثَرَتْ رِجْلُهُ بِأَجَلِهِ. مَنْ رَفَعَكَ فَوْقَ قَدْرِكَ فَٱتَّقِهِ. مَنْ لَانَ عُودُهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ. مَنْ لَمْ تُصْلِحْهُ ٱلْكَرَامَةُ أَصْلَحَهُ ٱلْهَوَانُ. مَنْ يَزْرَعِ ٱلْمَعْرُوفَ يَحْصُدِ ٱلشُّكْرَ

١١٦ أَبْيَاتٌ تَتَمَثَّلُ بِهَا ٱلْعَرَبُ لِشُعَرَاءَ مُخْتَلِفِينَ:

إِذَا جَاءَ مُوسَى وَأَلْقَى ٱلْعَصَا ... فَقَدْ بَطَلَ ٱلسِّحْرُ وَٱلسَّاحِرُ

إِذَا كَانَ رَبُّ ٱلْبَيْتِ بِٱلدُّفِّ مُولَعًا ... فَشِيمَةُ أَهْلِ ٱلْبَيْتِ كُلِّهِمِ ٱلرَّقْصُ

إِذَا مَا أَرَادَ ٱللهُ إِنْفَاذَ نَمْلَةٍ ... سَمَتْ بِجَنَاحَيْهَا إِلَى ٱلْجَوِّ تَصْعَدُ

أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى ٱلْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا ... وَٱلشَّيْءُ يُرْغَبُ فِيهِ حِينَ يَمْتَنِعُ

أُقَلِّبُ طَرْفِي لَا أَرَى غَيْرَ صَاحِبٍ ... يَمِيلُ مَعَ ٱلنَّعْمَاءِ حَيْثُ تَمِيلُ

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا ٱللهَ بَاطِلُ ... وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ

إِنَّ ٱلْفَسَادَ ضِدُّهُ ٱلصَّلَاحُ ... وَرُبَّ جِدٍّ جَرَّهُ ٱلْمِزَاحُ

أَتَمَنَّى عَلَى ٱلزَّمَانِ مُحَالًا ... أَنْ تَرَى مُقْلَتَايَ طَلْعَةَ حُرِّ

إِذَا ضَاعَ شَيْءٌ بَيْنَ أُمٍّ وَبِنْتِهَا ... فَإِحْدَاهُمَا يَا صَاحِ لَا شَكَّ آخِذَهْ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْمَرْءَ تَدْوَى يَمِينُهُ ... فَيَقْطَعُهَا عَمْدًا لِيَسْلَمَ سَائِرُهْ

إِنَّكَ لَوْ تَسْتَنْشِقُ ٱلشِّيحَا وَجَدْتَهُ أَنْتَنَ شَيْءٍ رِيحَا
إِنْتَهِزِ ٱلْفُرْصَةَ فِي حِينِهَا وَٱلْتَقِطِ ٱلْجَوْزَ إِذَا يُنْثَرْ
أَيُّهَا ٱلسَّائِلُ عَمَّا قَدْ مَضَى هَلْ جَدِيدٌ مِثْلُ مَلْبُوسٍ خَلَقْ
أَقْرِرْ بِذَنْبِكَ ثُمَّ ٱطْلُبْ تَجَاوُزَنَا عَنْهُ فَإِنَّ جُحُودَ ٱلذَّنْبِ ذَنْبَانِ
إِذَا ٱمْتَحَنَ ٱلدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ
جَرَّبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكَتْ لِيَ ٱلتَّجَارِبُ فِي وُدِّ ٱمْرِئٍ غَرَضَا
حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ ٱلْقُوتُ مَا أَكْثَرَ ٱلْقُوتَ لِمَنْ يَمُوتُ
حَيَّاكَ مَنْ لَمْ تَكُنْ تَرْجُو تَحِيَّتَهُ لَوْلَا ٱلدَّرَاهِمُ مَا حَيَّاكَ إِنْسَانُ
أَلْخَيْرُ لَا يَأْتِيكَ مُتَّصِلًا وَٱلشَّرُّ يَسْبِقُ سَيْلَهُ ٱلْمَطَرُ
رُبَّ مَهْزُولٍ سَمِينٌ عِرْضُهُ وَسَمِينِ ٱلْجِسْمِ مَهْزُولُ ٱلْحَسَبْ
أَلرِّزْقُ يُخْطِئُ بَابَ عَاقِلِ قَوْمِهِ وَيَبِيتُ بَوَّابًا بِبَابِ ٱلْأَحْمَقِ
سَتُبْدِي لَكَ ٱلْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِٱلْإِخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ
ضَاقَتْ وَلَوْ لَمْ تَضِقْ لَمَا ٱنْفَرَجَتْ وَٱلْعُسْرُ مِفْتَاحُ كُلِّ مَيْسُورِ
أَلْعَنْزُ لَا يَسْمَنُ إِلَّا بِٱلْعَلَفْ لَا يَسْمَنُ ٱلْعَنْزُ بِقَوْلِ ذِي لَطَفْ
فَإِنْ تَكُ فِي صَدِيقٍ أَوْ عَدُوٍّ تُخَبِّرْكَ ٱلْعُيُونُ عَنِ ٱلضَّمِيرِ
فَٱقْطَعْ حَبَائِلَ خِلٍّ لَا تُلَائِمُهُ فَرُبَّمَا ضَاقَتِ ٱلدُّنْيَا بِٱثْنَيْنِ
أَلْفَقْرُ فِيمَا جَاوَزَ ٱلْكَفَافَا مَنِ ٱتَّقَى ٱللهَ رَجَا وَخَافَا
فِي كُلِّ مُسْتَحْسَنٍ عَيْبٌ بِلَا رَيْبِ مَا يَسْلَمُ ٱلذَّهَبُ ٱلْإِبْرِيزُ مِنْ عَيْبِ
فَلَوْ كَانَ حَمْدٌ يُخْلِدُ ٱلْمَرْءَ لَمْ تَمُتْ وَلَكِنَّ حَمْدَ ٱلْمَرْءِ غَيْرُ مُخَلِّدِ

قدر لرجلك قبل الخطو موضعها ... فمن علا زلقا عن غرة زلجا
قد يدرك المتأني حسن حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل
قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ... ويبتلي الله بعض القوم بالنعم
قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه ... خلق وجيب قميصه مرقوع
كان يقال من أتى خوانا ... من غير أن يدعى إليه هانا
كذا قضى الله فكيف أصنع ... الصمت إن ضاق الكلام أوسع
الكلب لا يذكر في مجلس ... إلا تراه عند ما يذكر
كنت في كربتي أفر إليهم ... فهم كربتي فأين الفرار
لكل إنسان طبيعتان ... خير وشر وهما ضدان
لكل شيء معدن وجوهر ... وأوسط وأصغر وأكبر
لكل ما يؤذي وإن قل ألم ... ما أطول الليل على من لم ينم
ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء
ما انتفع المرء بمثل عقله ... وخير ذخر المرء حسن فعله
ما زالت الدنيا لنا دار أذى ... ممزوجة الصفو بألوان القذى
ما كنت لو أكرمت أستعصي ... لا يهرب الكلب من القرص
ما بال من ليست له حاجة ... يكون أنفا بين عينين
ما عاش من عاش مذموما خصائله ... ولم يمت من يكن بالخير مذكورا
ما كلف الله نفسا فوق طاقتها ... ولا تجود يد إلا بما تجد
من لم يكن في بيته طعام ... فما له في بيته مقام

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَمْ يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ   لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ
مَنْ يَزْرَعِ الْخَيْرَ يَحْصُدْ مَا يُسَرُّ بِهِ   وَزَارِعُ الشَّرِّ مَنْكُوسٌ عَلَى الرَّاسِ
هَنَّاكُمُ اللهُ بِالدُّنْيَا وَمَتَّعَكُمْ   بِمَا نُحِبُّ لَكُمْ مِنْهَا وَنَرْضَاهُ
وَاقْنَعْ بِمَا أُوتِيتَهُ تَنَلِ الْمُنَى   وَإِذَا دَهَتْكَ مُلِمَّةٌ فَتَصَبَّرِ
وَإِذَا سَخِطْتَ لِضُرِّ حَالِكَ مَرَّةً   وَرَأَيْتَ نَفْسَكَ قَدْ عَدَتْ فَتَبَصَّرِ
وَاللهُ أَرْحَمُ بِالْعِبَادِ فَلَا تَسَلْ   بَشَرًا تَعِشْ عَيْشَ الْكِرَامِ وَتُؤْجَرِ
وَأَحْسِنْ فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا بُدَّ مَيِّتٌ   وَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِمَا كُنْتَ سَاعِيَا
وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ   إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالْهِلَالِ وَضَوْئِهِ   يُوَافِي تَمَامَ الشَّهْرِ ثُمَّ يَغِيبُ
وَقَدْ تَسْلُبُ الْأَيَّامُ حَالَاتِ أَهْلِهَا   وَتَعْدُو عَلَى أُسْدِ الرِّجَالِ الثَّعَالِبُ
وَمَا لِامْرِئٍ طُولُ الْخُلُودِ وَإِنَّمَا   يُخَلِّدُهُ طُولُ الثَّنَاءِ فَيَخْلُدُ
وَالْمَرْءُ يَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ يَقْطَعُهَا   وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الْأَجَلِ
وَإِذَا نَزَعْتَ عَنِ الْغَوَايَةِ فَلْيَكُنْ   لِلّٰهِ ذَاكَ النَّزْعُ لَا لِلنَّاسِ
وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا   وَإِذَا تُرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ
وَمَا الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى   رَزِيَّةُ مَالٍ أَوْ فِرَاقُ حَبِيبِ
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا الْأَصْغَرَانِ لِسَانُهُ   وَمَعْقُولُهُ وَالْجِسْمُ خَلْقٌ مُصَوَّرُ
وَكَيْفَ تُرِيدُ أَنْ تُدْعَى حَكِيمًا   وَأَنْتَ لِكُلِّ مَا تَهْوَى تَبُوعُ
وَتَرَى النَّاسَ كَثِيرًا فَإِذَا   عُدَّ أَهْلُ الْعَقْلِ قَلُّوا فِي الْعَدَدْ
وَكَمْ مِنْ فَتًى يُمْسِي وَيُصْبِحُ آمِنًا   وَقَدْ نُسِجَتْ أَكْفَانُهُ وَهْوَ لَا يَدْرِي

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ يَجِدْ مُرًّا بِهِ ٱلْمَاءَ ٱلزُّلَالَا
وَلِكُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ مِنْ جِنْسِهِ حَتَّى ٱلْحَدِيدُ سَطَا عَلَيْهِ ٱلْمِبْرَدُ
وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ لَا يَرَى مَا يَسُوءُهُ فَلَا يَتَّخِذْ شَيْئًا يَخَافُ لَهُ فَقْدَا
يَزِيدُ تَفَضُّلًا وَأَزِيدُ شُكْرًا وَذَلِكَ دَأْبُهُ أَبَدًا وَدَأْبِي
وَيَطْلُبُ ٱلْإِنْسَانُ مِنْ فِعْلِهِ فَفِعْلُهُ عَنْ أَصْلِهِ يُخْبِرُ

الباب الخامس
في الأمثال عن ألسنة الحيوانات

الثعلب والديك

١١٧ حُكِيَ أَنَّ ٱلثَّعْلَبَ مَرَّ فِي ٱلسَّحَرِ بِشَجَرَةٍ فَرَأَى فَوْقَهَا دِيكًا. فَقَالَ لَهُ: أَمَا تَنْزِلُ نُصَلِّي جَمَاعَةً. فَقَالَ: إِنَّ ٱلْإِمَامَ نَائِمٌ خَلْفَ ٱلشَّجَرَةِ فَأَيْقِظْهُ. فَنَظَرَ ٱلثَّعْلَبُ فَرَأَى ٱلْكَلْبَ فَوَلَّى هَارِبًا. فَنَادَاهُ ٱلدِّيكُ مَا تَأْتِي لِنُصَلِّيَ. فَقَالَ: قَدِ ٱنْتَقَضَ وُضُوئِي فَٱصْبِرْ حَتَّى أُجَدِّدَ لِي وُضُوءًا وَأَرْجِعَ

الأسد والثعلب والذئب النمام

١١٨ ذَكَرَ ٱبْنُ ٱلْجَوْزِيِّ فِي آخِرِ كِتَابِ ٱلْأَذْكِيَاءِ. قَالَ: مَرِضَ ٱلْأَسَدُ فَعَادَتْهُ ٱلسِّبَاعُ وَٱلْوُحُوشُ مَا خَلَا ٱلثَّعْلَبَ فَنَمَّ عَلَيْهِ ٱلذِّئْبُ. فَقَالَ ٱلْأَسَدُ: إِذَا حَضَرَ فَأَعْلِمْنِي. فَلَمَّا حَضَرَ ٱلثَّعْلَبُ أَعْلَمَهُ ٱلذِّئْبُ

بِذٰلِكَ . وَكَانَ قَدْ أُخبِرَ بِمَا قَالَهُ ٱلذِّئْبُ . فَقَالَ ٱلْأَسَدُ : أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا ٱلفَوَارِسِ . فَقَالَ : كُنْتُ أَطْلُبُ لَكَ ٱلدَّوَاءَ . قَالَ : وَأَيَّ شَيْءٍ أَصَبْتَ . قَالَ : قِيلَ لِي : خَرَزَةٌ فِي عُرْقُوبِ أَبِي جَعْدَةَ . قَالَ : فَضَرَبَ ٱلأَسَدُ بِيَدِهِ فِي سَاقِ ٱلذِّئْبِ فَأَدْمَاهُ . وَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا . وَخَرَجَ دَمُهُ يَسِيلُ عَلَى رِجْلِهِ . وَٱنْسَلَّ ٱلثَّعْلَبُ . فَمَرَّ بِهِ ٱلذِّئْبُ فَنَادَاهُ : يَا صَاحِبَ ٱلْخُفِّ ٱلأَحْمَرِ إِذَا قَعَدْتَ عِنْدَ ٱلْمُلُوكِ فَٱنْظُرْ مَا يَخْرُجُ مِنْكَ . فَإِنَّ ٱلْمَجَالِسَ بِٱلأَمَانَاتِ

رجل وقُبَّرة

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ يَكُونُ وَابِصَةَ سَمْعٍ يَنْخَدِعُ لِكُلِّ شَيْءٍ

١١٩ رَجُلٌ صَادَ قُبَّرَةً . فَقَالَتْ لَهُ : مَا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ بِي . قَالَ : أَذْبَحُكِ وَآكُلُكِ . قَالَتْ : وَٱللّٰهِ إِنِّي لَا أُسْمِنُ وَلَا أُغْنِي مِنْ جُوعٍ . وَلَا أُشْفِي مِنْ قَرَمٍ . وَلٰكِنِّي أُعَلِّمُكَ ثَلَاثَ خِصَالٍ هِيَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَكْلِي : أَمَّا ٱلْوَاحِدَةُ فَأُعَلِّمُكَ إِيَّاهَا وَأَنَا عَلَى يَدِكَ . وَٱلثَّانِيَةُ إِذَا صِرْتُ عَلَى ٱلشَّجَرَةِ . وَٱلثَّالِثَةُ إِذَا صِرْتُ عَلَى ٱلْجَبَلِ . قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَتْ وَهِيَ عَلَى يَدِهِ : لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى مَا فَاتَكَ . فَخَلَّى عَنْهَا . فَلَمَّا صَارَتْ عَلَى ٱلشَّجَرَةِ قَالَتْ لَهُ : لَا تُصَدِّقْ بِمَا لَا يَكُونُ . فَلَمَّا صَارَتْ عَلَى ٱلْجَبَلِ قَالَتْ : يَا شَقِيُّ لَوْ ذَبَحْتَنِي لَوَجَدْتَ فِي حَوْصَلَتِي دُرَّةً وَزْنُهَا عِشْرُونَ مِثْقَالًا . (قَالَ) فَعَضَّ عَلَى شَفَتَيْهِ وَتَلَهَّفَ ثُمَّ قَالَ : هَاتِي ٱلثَّالِثَةَ . قَالَتْ : قَدْ نَسِيتَ ٱلثِّنْتَيْنِ ٱلْأُولَيَيْنِ فَكَيْفَ أُعَلِّمُكَ ٱلثَّالِثَةَ .

قَالَ : وَكَيفَ ذٰلِكَ . قَالَتْ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ : لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى مَا فَاتَكَ . وَقَدْ تَأَسَّفتَ عَلَيَّ وَأَنَا فُتُّكَ . وَقُلْتُ لَكَ : لَا تُصَدِّقْ بِمَا لَا يَكُونُ وَقَدْ صَدَّقْتَ . فَإِنَّكَ لَوْ جَمَعْتَ عِظَامِي وَلَحْمِي وَرِيشِي لَمْ تَبْلُغْ عِشْرِينَ مِثْقَالًا . فَكَيفَ يَكُونُ فِي حَوْصَلَتِي دُرَّةٌ وَزْنُهَا كَذٰلِكَ (للشربشي)

الكلب والطبل

١٢٠ حُكِيَ أَنَّ كَلْبًا كَانَ مِنْ عَادَتِهِ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ طَبْلٍ فِي مَكَانٍ ذَهَبَ إِلَيْهِ يَظُنُّ أَنَّ فِيهِ عُرْسًا أَوْ وَلِيمَةً . فَعَمِلَ النَّاسُ حِيلَةً عَلَى ذٰلِكَ الْكَلْبِ وَتَوَاطَوْا بِأَنْ يَضْرِبُوا الطَّبْلَ فِي قَرْيَتَيْنِ كُلَّمَا أَتَى الْكَلْبُ إِلَى مَضْرِبِ الطَّبْلِ يُسْكَتُ وَيُضْرَبُ فِي الْقَرْيَةِ الْأُخْرَى . فَفَعَلُوا ذٰلِكَ . فَجَعَلَ الْكَلْبُ يَجْرِي بَيْنَ الْقَرْيَتَيْنِ كُلَّمَا جَاءَ قَرْيَةً مِنْهُمَا أَسْكَتُوا الطَّبْلَ وَضُرِبَ فِي الْقَرْيَةِ الْأُخْرَى . وَلَمْ يَزَلْ كَذٰلِكَ حَتَّى مَاتَ الْكَلْبُ جَائِعًا عَطْشَانًا (أنيس الجليس للسيوطي)

الصيّاد والصدفة

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْأُمُورِ

١٢١ حُكِيَ أَنَّ صَيَّادًا كَانَ فِي بَعْضِ الْخُلْجَانِ يَصِيدُ فِيهِ السَّمَكَ فِي زَوْرَقٍ . فَرَأَى ذَاتَ يَوْمٍ فِي عَمِيقِ الْمَاءِ صَدَفَةً تَتَلَأْلَأُ حُسْنًا . فَتَوَهَّمَهَا جَوْهَرًا لَهُ قِيمَةٌ . وَكَانَ قَدْ أَلْقَى شَبَكَتَهُ فِي الْبَحْرِ فَاشْتَمَلَتْ عَلَى سَمَكَةٍ كَانَتْ قُوتَ يَوْمِهِ فَخَلَّاهَا وَقَذَفَ نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ لِيَأْخُذَ الصَّدَفَةَ . فَلَمَّا أَخْرَجَهَا وَجَدَهَا فَارِغَةً لَا شَيْءَ فِيهَا مِمَّا ظَنَّ . فَنَدِمَ عَلَى تَرْكِ مَا فِي يَدِهِ

لِلطَّمَعِ وَتَأَسَّفَ عَلَى مَا فَاتَهُ . فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي تَنَحَّى عَنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ وَأَلْقَى شَبَكَتَهُ فَأَصَابَ حُوتًا صَغِيرًا . وَرَأَى أَيْضًا صَدَفَةً سَنِيَّةً فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا وَسَاءَ ظَنُّهُ بِهَا فَتَرَكَهَا . فَاجْتَازَ بِهَا بَعْضُ الصَّيَّادِينَ فَأَخَذَهَا فَوَجَدَ فِيهَا دُرَّةً تُسَاوِي أَمْوَالًا (كليلة ودمنة)

العُصفور والفخ

١٢٢ حُكِيَ أَنَّ عُصْفُورًا مَرَّ بِفَخٍّ . فَقَالَ الْعُصْفُورُ : مَا لِي أَرَاكَ مُتَبَاعِدًا عَنِ الطَّرِيقِ . فَقَالَ الْفَخُّ : أَرَدْتُ الْعُزْلَةَ عَنِ النَّاسِ لِآمَنَ مِنْهُمْ وَيَأْمَنُوا مِنِّي . فَقَالَ الْعُصْفُورُ : فَمَا لِي أَرَاكَ مُقِيمًا فِي التُّرَابِ . فَقَالَ : تَوَاضُعًا . فَقَالَ الْعُصْفُورُ : فَمَا لِي أَرَاكَ نَاحِلَ الْجِسْمِ . فَقَالَ : نَهَكَتْنِي الْعِبَادَةُ . فَقَالَ الْعُصْفُورُ : فَمَا هٰذَا الْحَبْلُ الَّذِي عَلَى عَاتِقِكَ . قَالَ : هُوَ مَلْبَسُ النُّسَّاكِ . فَقَالَ الْعُصْفُورُ : فَمَا هٰذِهِ الْعَصَا . قَالَ : أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي . فَقَالَ الْعُصْفُورُ : فَمَا هٰذَا الْقَمْحُ الَّذِي عِنْدَكَ . قَالَ : هُوَ فَضْلُ قُوتِي أَعْدَدْتُهُ لِفَقِيرٍ جَائِعٍ أَوِ ابْنِ سَبِيلٍ مُنْقَطِعٍ . فَقَالَ الْعُصْفُورُ : إِنِّي ابْنُ سَبِيلٍ وَجَائِعٌ فَهَلْ لَكَ أَنْ تُطْعِمَنِي . قَالَ : نَعَمْ دُونَكَ . فَلَمَّا أَلْقَى مِنْقَارَهُ أَمْسَكَ الْفَخُّ بِعُنُقِهِ . فَقَالَ الْعُصْفُورُ : بِئْسَ مَا اخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ مِنَ الْغَدْرِ وَالْخَدِيعَةِ . وَالْأَخْلَاقِ الشَّنِيعَةِ . وَلَمْ يَشْعُرِ الْعُصْفُورُ إِلَّا وَصَاحِبُ الْفَخِّ قَدْ قَبَضَ عَلَيْهِ . فَقَالَ الْعُصْفُورُ فِي نَفْسِهِ : بِحَقٍّ قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : مَنْ تَهَوَّرَ نَدِمَ . وَمَنْ حَذِرَ سَلِمَ . وَكَيْفَ لِي بِالْخَلَاصِ . وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (للشبراوي)

الغراب والسنور والنمر

١٢٣ إنَّ غُرَابًا وَسِنَّوْرًا كَانَا مُتَآخِيَيْنِ . فَبَيْنَمَا هُمَا تَحْتَ شَجَرَةٍ عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالَةِ إِذْ رَأَيَا نَمِرًا مُقْبِلًا عَلَى تِلْكَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي كَانَا تَحْتَهَا . وَلَمْ يَعْلَمَا بِهِ حَتَّى صَارَ قَرِيبًا مِنَ ٱلشَّجَرَةِ . فَطَارَ ٱلْغُرَابُ إِلَى أَعْلَى ٱلشَّجَرَةِ وَبَقِيَ ٱلسِّنَّوْرُ مُتَحَيِّرًا . فَقَالَ لِلْغُرَابِ : يَا خَلِيلِي هَلْ عِنْدَكَ حِيلَةٌ فِي خَلَاصِي كَمَا هُوَ ٱلرَّجَاءُ فِيكَ . فَقَالَ لَهُ ٱلْغُرَابُ : إِنَّمَا تَلْتَمِسُ ٱلْإِخْوَانَ عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ فِي ٱلْحِيلَةِ عِنْدَ نُزُولِ ٱلْمَكْرُوهِ بِهِمْ . وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ٱلشَّاعِرِ :

إِنَّ صَدِيقَ ٱلْحَقِّ مَنْ كَانَ مَعَكْ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ
وَمَنْ إِذَا رَيْبُ ٱلزَّمَانِ صَدَعَكْ شَتَّتَ فِيكَ نَفْسَهُ لِيَجْمَعَكْ

وَكَانَ قَرِيبًا مِنَ ٱلشَّجَرَةِ رُعَاةٌ مَعَهُمْ كِلَابٌ . فَذَهَبَ ٱلْغُرَابُ حَتَّى ضَرَبَ بِجَنَاحِهِ وَجْهَ ٱلْأَرْضِ وَنَعَقَ وَصَاحَ . ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ وَضَرَبَ بِجَنَاحِهِ وَجْهَ بَعْضِ ٱلْكِلَابِ . وَٱرْتَفَعَ قَلِيلًا وَتَبِعَتْهُ ٱلْكِلَابُ . وَصَارَتْ فِي أَثَرِهِ فَرَفَعَ ٱلرَّاعِي رَأْسَهُ فَرَأَى طَائِرًا يَطِيرُ قَرِيبًا مِنَ ٱلْأَرْضِ وَيَقَعُ فَتَبِعَهُ . وَصَارَ ٱلْغُرَابُ لَا يَطِيرُ إِلَّا بِقَدْرِ ٱلنَّجَاةِ وَٱلْخَلَاصِ مِنَ ٱلْكِلَابِ . وَيُطْمِعُهَا فِي أَنْ تَفْتَرِسَهُ . ثُمَّ ٱرْتَفَعَ قَلِيلًا . وَتَبِعَهُ ٱلْكِلَابُ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي تَحْتَهَا ٱلنَّمِرُ . فَلَمَّا رَأَتِ ٱلْكِلَابُ ٱلنَّمِرَ وَثَبَتْ عَلَيْهِ فَوَلَّى هَارِبًا . وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ يَأْكُلُ ٱلْقِطَّ فَنَجَا مِنْهُ ذَلِكَ ٱلْقِطُّ بِحِيلَةِ صَاحِبِهِ ٱلْغُرَابِ (الف ليلة وليلة)

العابد والدرّتان

١٢٤ حكي أنّه كان في بني إسرائيل عابدٌ ضاقت عليه معيشته . فخرج إلى الصحراء يعبدُ الله ويسأله أن يعطيه شيئاً . فنودي ذات يوم : أيها العابدُ مُدَّ يدك وخذ . فمدّ يده فوضع عليها درّتان كأنّهما كوكبان ضياءً . فجاء بهما إلى منزله وقال لامرأته : قد أمنّا من الفقر . ثمّ إنّه رأى ذات ليلة في منامه أنّه في الجنّة فرأى فيها قصراً . فقيل له : هذا قصرك . فرأى فيه أريكتين متقابلتين إحداهما من الذهب الأحمر والأخرى من الفضّة . وسقفهما من اللؤلؤ وقيل له : إحداهما مقعدك والأخرى مقعد امرأتك . فنظر إلى سقفهما فإذا فيه موضع خالٍ مقدار درّتين . فقال : ما بال هذا الموضع خالياً . فقيل : لم يكن خالياً وإنّما أنت تعجّلت في الدنيا الدرّتين وهذا موضعهما . فانتبه من منامه باكياً وأخبر امرأته بذلك . فقالت له زوجته : أن ادعُ الله واسأله حتّى يردّهما إلى مكانهما . فخرج إلى الصحراء وهما في كفّه وصار يدعو الله ويتضرّع إليه أن يردّهما . ولم يزل كذلك حتّى أُخِذتا من كفّه ونودي أن : رددناهما إلى مكانهما (للقليوبي)

بطتان وسلحفاة

١٢٥ قيل : كان في الزمان الأوّل غديرٌ عظيمٌ وقد سكنت فيه بطّتان وسلحفاة . ووقعت الألفة بينهم . واستأنس بعضهم ببعض

فاتفق أن غيض الماء فيبس الغدير. فجاءت البطتان لوداع السلحفاة وقالتا: اعلمي أيتها الصديقة المشفقة أن حال الدنيا الدنية آخرها الفرقة والقطيعة. وقد يبس ماء الغدير الذي هو سبب حياة المخلوقات وقد آن الرحيل ووقع الشتت بيننا. فلم نجد إلا الانتقال إلى غدير آخر. فلما سمعت السلحفاة هذا الكلام بكت ونادت بالويل والثبور وقالت: أيتها الصديقتان المشفقتان فما حيلتي أن أذهب معكما. وما سبب أن أكون معكما. قالت البطتان: نأخذك معنا ولكننا نخاف أن تتكلمي لأنك لم تملكي لسانك. قالت السلحفاة: الآن عهدت أن لا أنطق. فقالت البطتان: إذا رأى الخلق أننا حملناك وطرنا بك وتعجب كلهم على طيراننا بك وأخبر بعضهم بعضاً فعليك أن تصبري ولا تتكلمي بشيء. ولا تنسي قول الفضلاء: إنه من صمت نجا. وقولهم: البلاء موكل بالمنطق. وإن لم تصبري وتكلمت بشيء فلا تلومن إلا نفسك. ويكون ذنبك عليك. فلما سمعت السلحفاة كلامهما قالت: لا أتكلم أبداً بل أتمسك بذكر الله فلن أكلم اليوم إنسياً. فلما أخذت البطتان عهداً على السلحفاة أتتا بقضيب وقالتا للسلحفاة: أمسكي وسط القضيب بفمك وضمي شفتيك محكماً. ففعلت السلحفاة ما قالتا. ثم أخذت البطتان بطرفي القضيب على عنقهما. ثم طارتا في الهواء مع السلحفاة. فرأى بعض الناس ذلك وأخبر بعضهم بعضاً. ونادوا: يا عجباه. انظروا كيف

حَمَلَتِ ٱلْبَطَّتَانِ ٱلسُّلَحْفَاةَ . ثُمَّ إِنَّ ٱلسُّلَحْفَاةَ سَمِعَتْ كَلَامَ ٱلنَّاسِ . فَصَبَرَتْ سَاعَةً فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى ٱلصَّبْرِ مِنْ كَثْرَةِ تَعَجُّبِ ٱلْخَلْقِ . فَأَجَابَتْهُمْ : لِمَ تَعْجَبُونَ مِنْ أَمْرِنَا أَفَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ حَمَلَتْنِي ٱلْبَطَّتَانِ . وَمَا كَانَ بَعْدَ أَنْ تَكَلَّمَتْ إِلَّا أَنْ وَقَعَتْ عَلَى ٱلْحَضِيضِ فَهَلَكَتْ (للسيوطي)

اعمى ومقعد

١٢٦ (قَالُوا) إِنَّ أَعْمَى وَمُقْعَدًا كَانَا فِي قَرْيَةٍ بِفَقْرٍ وَضُرٍّ لَا قَائِدَ لِلْأَعْمَى وَلَا حَامِلَ لِلْمُقْعَدِ . وَكَانَ فِي ٱلْقَرْيَةِ رَجُلٌ يُطْعِمُهُمَا فِي كُلِّ يَوْمٍ ٱحْتِسَابًا قُوتَهُمَا مِنَ ٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ . فَلَمْ يَزَالَا فِي عَافِيَةٍ إِلَى أَنْ هَلَكَ ٱلْمُحْتَسِبُ . فَأَقَامَا بَعْدَهُ أَيَّامًا فَٱشْتَدَّ جُوعُهُمَا وَبَلَغَ ٱلضُّرُّ مِنْهُمَا جُهْدَهُ . فَأَجْمَعَا رَأْيَهُمَا عَلَى أَنْ يَحْمِلَ ٱلْأَعْمَى ٱلْمُقْعَدَ . فَيَدُلُّهُ ٱلْمُقْعَدُ عَلَى ٱلطَّرِيقِ بِبَصَرِهِ . وَيَسْتَقِلُّ ٱلْأَعْمَى بِحَمْلِ ٱلْمُقْعَدِ وَيَدُورَانِ فِي ٱلْقَرْيَةِ يَسْتَطْعِمَانِ أَهْلَهَا . فَفَعَلَا فَنَجَحَ أَمْرُهُمَا . وَلَوْ لَمْ يَفْعَلَا هَلَكَا (للطرطوشي)

الحمامتان

١٢٧ زَعَمُوا أَنَّ حَمَامَتَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى مَلَأَا عُشَّهُمَا مِنَ ٱلْحِنْطَةِ وَٱلشَّعِيرِ . فَقَالَ ٱلذَّكَرُ لِلْأُنْثَى : إِنَّا إِذَا وَجَدْنَا فِي ٱلصَّحَارِي مَا نَعِيشُ بِهِ فَلَسْنَا نَأْكُلُ مِمَّا هٰهُنَا شَيْئًا . فَإِذَا جَاءَ ٱلشِّتَاءُ وَلَمْ يَكُنْ فِي ٱلصَّحَارِي شَيْءٌ رَجَعْنَا إِلَى مَا فِي عُشِّنَا فَأَكَلْنَاهُ . فَرَضِيَتِ ٱلْأُنْثَى بِذٰلِكَ وَقَالَتْ لَهُ : نِعْمَ مَا رَأَيْتَ . وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْحَبُّ نَدِيًّا حِينَ وَضَعَاهُ فِي عُشِّهِمَا . فَٱنْطَلَقَ

ٱلذَّكَرُ فَغَابَ . فَلَمَّا جَاءَ ٱلصَّيْفُ يَبِسَ ٱلْحَبُّ وَضَمَرَ . فَلَمَّا رَجَعَ ٱلذَّكَرُ رَأَى ٱلْحَبَّ نَاقِصًا . فَقَالَ : أَمَا كُنَّا أَجْمَعْنَا رَأْيَنَا عَلَى أَنْ لَا نَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئًا فَلِمَ أَكَلْتِهِ . فَجَعَلَتْ تَحْلِفُ أَنَّهَا مَا أَكَلَتْ مِنْهُ شَيْئًا وَجَعَلَتْ تَعْتَذِرُ إِلَيْهِ . فَلَمْ يُصَدِّقْهَا وَجَعَلَ يَنْقُرُهَا حَتَّى مَاتَتْ . فَلَمَّا جَاءَتِ ٱلْأَمْطَارُ وَدَخَلَ ٱلشِّتَاءُ تَنَدَّى ٱلْحَبُّ وَٱمْتَلَأَ ٱلْعُشُّ كَمَا كَانَ . فَلَمَّا رَأَى ٱلذَّكَرُ ذٰلِكَ تَنَدَّمَ . ثُمَّ ٱضْطَجَعَ إِلَى جَانِبِ حَمَامَتِهِ وَقَالَ : مَا يَنْفَعُنِي ٱلْحَبُّ وَٱلْعَيْشُ بَعْدَكِ . إِذْ طَلَبْتُكِ فَلَمْ أَجِدْكِ وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْكِ . وَإِذَا فَكَّرْتُ فِي أَمْرِكِ وَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ ظَلَمْتُكِ وَلَا أَقْدِرُ عَلَى تَدَارُكِ مَا فَاتَ . ثُمَّ ٱسْتَمَرَّ عَلَى حُزْنِهِ . فَلَمْ يَطْعَمْ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا حَتَّى مَاتَ إِلَى جَانِبِهَا (كليلة ودمنة)

العابد والكلب

١٢٨ إِنَّهُ كَانَ فِي جَبَلِ لُبْنَانَ رَجُلٌ مِنَ ٱلْعُبَّادِ مُنْزَوِيًا عَنِ ٱلنَّاسِ فِي غَارٍ فِي ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ . وَكَانَ يَصُومُ ٱلنَّهَارَ وَيَأْتِيهِ كُلَّ لَيْلَةٍ رَغِيفٌ يُفْطِرُ عَلَى نِصْفِهِ وَيَتَسَحَّرُ بِٱلنِّصْفِ ٱلْآخَرِ . وَكَانَ عَلَى ذٰلِكَ مُدَّةً طَوِيلَةً لَا يَنْزِلُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ أَصْلًا . فَٱتَّفَقَ أَنِ ٱنْقَطَعَ عَنْهُ ٱلرَّغِيفُ لَيْلَةً مِنَ ٱللَّيَالِي فَٱشْتَدَّ جُوعُهُ وَقَلَّ هُجُوعُهُ . فَصَلَّى ٱلْعِشَاءَيْنِ وَبَاتَ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ فِي ٱنْتِظَارِ شَيْءٍ يَدْفَعُ بِهِ ٱلْجُوعَ فَلَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ شَيْءٌ . وَكَانَ فِي أَسْفَلِ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ قَرْيَةٌ سُكَّانُهَا نَصَارَى . فَعِنْدَمَا أَصْبَحَ ٱلْعَابِدُ نَزَلَ إِلَيْهِمْ وَٱسْتَطْعَمَ شَيْخًا مِنْهُمْ فَأَعْطَاهُ رَغِيفَيْنِ مِنْ خُبْزِ ٱلشَّعِيرِ فَأَخَذَهُمَا

وَتَوَجَّهَ إِلَى ٱلْجَبَلِ. وَكَانَ فِي دَارِ ذَٰلِكَ ٱلشَّيْخِ ٱلنَّصْرَانِيِّ كَلْبٌ جَرِبٌ مَهْزُولٌ فَلَحِقَ ٱلْعَابِدَ وَنَبَحَ عَلَيْهِ وَتَعَلَّقَ بِأَذْيَالِهِ. فَأَلْقَى إِلَيْهِ ٱلْعَابِدُ رَغِيفًا مِنْ ذَيْنِكَ ٱلرَّغِيفَيْنِ لِيَشْتَغِلَ بِهِ عَنْهُ. فَأَكَلَ ٱلْكَلْبُ ذَٰلِكَ ٱلرَّغِيفَ. وَلَحِقَ ٱلْعَابِدَ مَرَّةً أُخْرَى وَأَخَذَ فِي ٱلنُّبَاحِ وَٱلْهَرِيرِ. فَأَلْقَى إِلَيْهِ ٱلْعَابِدُ ٱلرَّغِيفَ ٱلْآخَرَ فَأَكَلَهُ. وَلَحِقَهُ تَارَةً أُخْرَى وَٱشْتَدَّ هَرِيرُهُ وَتَشَبَّثَ بِذَيْلِ ٱلْعَابِدِ وَمَزَّقَهُ. فَقَالَ ٱلْعَابِدُ: سُبْحَانَ ٱللهِ إِنِّي لَمْ أَرَ كَلْبًا أَقَلَّ حَيَاءً مِنْكَ. إِنَّ صَاحِبَكَ لَمْ يُعْطِنِي إِلَّا رَغِيفَيْنِ وَقَدْ أَخَذْتَهُمَا مِنِّي. مَاذَا تَطْلُبُ بِهَرِيرِكَ وَتَمْزِيقِ ثِيَابِي. فَأَنْطَقَ ٱللهُ تَعَالَى ذَٰلِكَ ٱلْكَلْبَ فَقَالَ: لَسْتُ أَنَا قَلِيلَ ٱلْحَيَاءِ. إِعْلَمْ أَنِّي رُبِّيتُ فِي دَارِ ذَٰلِكَ ٱلنَّصْرَانِيِّ أَحْرُسُ غَنَمَهُ وَأَحْفَظُ دَارَهُ. وَأَقْنَعُ بِمَا يَدْفَعُهُ لِي مِنْ عِظَامٍ أَوْ خُبْزٍ. وَرُبَّمَا نَسِيَنِي فَأَبْقَى أَيَّامًا لَا آكُلُ شَيْئًا. بَلْ رُبَّمَا يَمْضِي عَلَيْنَا أَيَّامٌ لَا يَجِدُ هُوَ لِنَفْسِهِ شَيْئًا وَلَا لِي. وَمَعَ ذَٰلِكَ لَمْ أُفَارِقْ دَارَهُ مُنْذُ عَرَفْتُ نَفْسِي وَلَا تَوَجَّهْتُ إِلَى بَابِ غَيْرِهِ. بَلْ كَانَ دَأْبِي أَنَّهُ إِنْ حَصَلَ شَيْءٌ شَكَرْتُ وَإِلَّا صَبَرْتُ. وَأَمَّا أَنْتَ فَبِٱنْقِطَاعِ ٱلرَّغِيفِ عَنْكَ لَيْلَةً وَاحِدَةً لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ صَبْرٌ وَلَا كَانَ مِنْكَ تَحَمُّلٌ حَتَّى تَوَجَّهْتَ مِنْ بَابِ رَازِقِ ٱلْعِبَادِ إِلَى بَابِ إِنْسَانٍ. فَأَيُّنَا أَقَلُّ حَيَاءً أَنَا أَمْ أَنْتَ. فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْعَابِدُ ذَٰلِكَ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى رَأْسِهِ وَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ

(لبهاء الدين)

تاجر ومستودع عنده

وهو مثل من أخذ بثأره بمثل ما ثُئر به

١٢٩ زعموا أنه كان بأرض كذا تاجر . وأنه أراد الخروج يوماً إلى بعض الوجوه ابتغاء الرزق . وكان عنده مئة من حديداً . فأودعها رجلاً من إخوانه وذهب في وجهه . ثم قدم بعد ذلك بمدة . فجاء والتمس الحديد . فقال له صاحبه : قد أكلته الجرذان . فقال : قد سمعت أنه لا شيء أقطع من أنيابها للحديد . ففرح الرجل بتصديقه ما قال وادّعى . ثم إن التاجر خرج فلقي ولداً للرجل . فأخذه وذهب به إلى منزله . فجاء الرجل من الغد . فقال : هل عندك علم بابني . قال : لما خرجت من عندك بالأمس رأيت بازياً قد اختطف صبياً . فلعله ابنك . فلطم الرجل على رأسه وقال يا قوم : هل سمعتم أو رأيتم أن البزاة تختطف الصبيان . فقال : نعم إن أرضاً تأكل جرذانها مئة من حديد ليس بعجب أن تختطف بزاتها الفيلة . قال الرجل : أكلت حديدك وهذا ثمنه . فاردد عليّ ابني

براعة وقرود

وهو مثل من لا يتعظ بكلام غيره فيغامر بنفسه فيعطب

١٣٠ زعموا أن جماعة من القردة كانوا سكاناً في جبل . فالتمسوا في ليلة باردة ذات رياح وأمطار ناراً فلم يجدوا . فرأوا يراعة تطير كأنها شرارة نار فظنوها ناراً . فجمعوا حطباً كثيراً وألقوه عليها .

وجعلوا ينفخون طمع أن يوقدوا نارا يصطلون بها . وكان قريبا منهم طائر على شجرة ينظرون إليه وينظر إليهم وقد رأى ما صنعوا . فجعل يناديهم ويقول : لا تتعبوا . فإن الذي رأيتموه ليس بنار فلما طال ذلك عليه . عزم على القرب منهم لينهاهم عما هم فيه . فمر به رجل فعرف ما عمد إليه . فقال له : لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم . فإن الحجر الصلب الذي لا ينقطع لا تجرب عليه السيوف . والعود الذي لا ينحني لا يعمل منه القوس . فلا تتعب . فأبى الطائر أن يطيعه . وتقدم إلى القردة ليعرفهم أن اليراعة ليست بنار . وإذا بأحدهم تناوله وضرب به الأرض فمات

شريكان

وهو مثل من التمس صلاح نفسه بفساد غيره

١٣١ زعموا أنه كان لتاجر شريك . فاستأجرا حانوتا وجعلا متاعهما فيه . وكان أحدهما قريب المنزل من الحانوت . فأضمر في نفسه أن يسرق عدلا من أعدال رفيقه . وفكر في الحيلة لذلك وقال : إن أتيت ليلا لم آمن أن أحمل أحد أعدالي أو إحدى رزمي وأنا لا أعرفها . فيذهب عنائي وتعبي باطلا . فأخذ رداءه وألقاه على ما أضمر أخذه من أعدال شريكه وانصرف إلى منزله . وجاء رفيقه بعد ذلك ليصلح الأعدال فوجد رداء شريكه على بعض أعداله . فقال : هذا رداء صاحبي ولا أحسبه إلا قد نسيه . وما الرأي أن أدعه هنا .

ولٰكِنْ أَجعلُهُ على رِزمِهِ فلعلَّهُ يسبقُني إِلَى ٱلْحَانوتِ فيجدُهُ حيثُ يُحِبُّ. ثُمَّ أَخذَ ٱلرِّداءَ وأَلقاهُ على أَحدِ أَعدالِ رفيقِهِ وأَقفلَ ٱلحانوتَ ومضى إِلى منزِلِهِ. فلمَّا هجمَ ٱللَّيلُ أَتى رفيقُهُ ومعَهُ رجلٌ قد واطأَهُ على ما عزمَ عليهِ. وضمِنَ لهُ جُعلًا على حملِهِ. فصارَ إِلى ٱلحانوتِ وٱلتمسَ ٱلرِّداءَ في ٱلظُّلمةِ. حتَّى إِذا حسَّ بِهِ ٱحتمَلَ ٱلعِدلَ ٱلَّذي تحتَهُ وأَخرجَهُ هوَ وٱلرَّجُلُ. وجعلا يتراوحانِ على حملِهِ حتَّى أَتى منزِلَهُ وهوَ يَنحِطُ تعبًا فرزحَ. فلمَّا أَصبحَ ٱفتقدَهُ وإِذا بِهِ بعضُ متاعِهِ. فندِمَ أَشدَّ ٱلندمِ. ثُمَّ ٱنطلقَ إِلى ٱلحانوتِ فوجدَ شريكَهُ قد سبقَهُ إِليهِ وفقدَ ٱلعِدلَ وجلسَ مُغتمًّا يقولُ: سوءَتا مِن رفيقٍ صالحٍ قدِ ٱئتمنني على مالِهِ وخلَّفني فيهِ. ماذا تكونُ حالي عندَهُ ولستُ أَشكُّ في تُهمتِهِ إِيَّايَ. ولٰكِنْ قد وطَّنتُ نفسي على غرامتِهِ. فقالَ لهُ ٱلخائنُ: يا أَخي لا تغتمَّ. فإِنَّ ٱلخيانةَ شرُّ ما عمِلَ ٱلإِنسانُ وٱلمكرُ وٱلخديعةُ لا يؤَدِّيانِ إِلى خيرٍ. وصاحبُهما مغرورٌ أَبدًا. وما عادَ وبالُ ٱلبغيِ إِلَّا على صاحبِهِ. وأَنا أَحدُ من مكرَ وخدعَ. فقالَ لهُ صاحبُهُ: كيفَ كانَ ذٰلكَ. فأَخبرَهُ بخبرِهِ. فأَضربَ ٱلرَّجُلُ عن توبيخِهِ وقبِلَ معذرتَهُ. ونَدِمَ هوَ غايةَ ٱلنَّدامةِ

رجلٌ وابن عرس

وَهوَ مَثَلُ من لا يَتثبَّتُ في أَمرِهِ بل يهجُمُ على أَعمالِهِ بِٱلعَجَلَةِ

١٣٢ زعَموا أَنَّ رجلًا كانَ لهُ غلامٌ. وٱتَّفقَ يومًا أَنَّ ٱمرأَتَهُ قالتْ

لَهُ : اُقْعُدْ عِنْدَ ٱبْنِكَ حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى ٱلْحَمَّامِ فَأَغْتَسِلَ وَأُسْرِعَ ٱلْعَوْدَةَ. ثُمَّ ٱنْطَلَقَتْ وَخَلَّفَتْ زَوْجَهَا وَٱلْغُلَامَ . فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَهُ رَسُولُ ٱلْمَلِكِ يَسْتَدْعِيهِ . وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُخَلِّفُهُ عِنْدَ ٱبْنِهِ غَيْرَ ٱبْنِ عِرْسٍ . وَكَانَ دَاجِنًا عِنْدَهُ وَقَدْ رَبَّاهُ صَغِيرًا . فَهُوَ عِنْدَهُ عَدِيلُ وَلَدِهِ . فَتَرَكَهُ ٱلرَّجُلُ عِنْدَ ٱلصَّبِيِّ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِمَا ٱلْبَيْتَ وَذَهَبَ مَعَ ٱلرَّسُولِ . فَخَرَجَ مِنْ بَعْضِ أَجْحَارِ ٱلْبَيْتِ حَيَّةٌ سَوْدَاءُ . فَدَنَتْ مِنَ ٱلْغُلَامِ فَضَرَبَهَا ٱبْنُ عِرْسٍ فَقَتَلَهَا . ثُمَّ قَطَّعَهَا وَٱمْتَلَأَ فَمُهُ مِنْ دَمِهَا . ثُمَّ جَاءَ ٱلرَّجُلُ وَفَتَحَ ٱلْبَابَ . فَٱسْتَقْبَلَهُ ٱبْنُ عِرْسٍ كَٱلْمُشِيرِ لَهُ بِمَا صَنَعَ . فَلَمَّا رَآهُ مُلَوَّثًا بِٱلدَّمِ طَارَ عَقْلُهُ . وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ خَنَقَ وَلَدَهُ . وَلَمْ يَتَثَبَّتْ فِي أَمْرِهِ وَلَمْ يَتَرَوَّ فِيهِ حَتَّى يَعْلَمَ حَقِيقَةَ مَا جَرَى . وَلٰكِنْ عَجَّلَ عَلَى ٱبْنِ عِرْسٍ ٱلْمِسْكِينِ بِضَرْبَةِ عُكَّازٍ كَانَ فِي يَدِهِ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ فَوَقَعَ مَيْتًا . ثُمَّ لَمَّا دَخَلَ رَأَى ٱلْغُلَامَ سَلِيمًا حَيًّا وَعِنْدَهُ أَسْوَدُ مُقَطَّعٌ . فَفَهِمَ ٱلْقِصَّةَ وَتَبَيَّنَ لَهُ سُوءُ فِعْلِهِ فِي ٱلْعَجَلَةِ . فَلَطَمَ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ : لَيْتَنِي لَمْ أُرْزَقْ هٰذَا ٱلْوَلَدَ . وَلَمْ أَغْدِرْ هٰذَا ٱلْغَدْرَ . ثُمَّ دَخَلَتْ زَوْجَتُهُ فَوَجَدَتْهُ عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالِ . فَقَالَتْ لَهُ : مَا شَأْنُكَ . فَأَخْبَرَهَا ٱلْخَبَرَ وَحُسْنَ فِعْلِ ٱبْنِ عِرْسٍ وَسُوءَ مُكَافَأَتِهِ لَهُ . فَقَالَتْ : هٰذَا ثَمَرَةُ ٱلْعَجَلَةِ

فِيَلَةٌ وَأَرْنَبٌ

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ صَرَفَ ٱلْأَذَى عَنْ قَوْمِهِ بِحِيلَتِهِ

١٣٣ زَعَمُوا أَنَّ أَرْضًا مِنْ أَرَاضِي ٱلْفِيَلَةِ تَتَابَعَتْ عَلَيْهَا ٱلسِّنُونَ

وأجدبت. وقلَّ ماؤها وغارت عيونها. وذوى نباتها ويبس شجرها. فأصاب ٱلفيلة عطش شديد. فشكون ذلك إلى ملكهن فأرسل ٱلملك رسله وروّاده في طلب ٱلماء في كل ناحية. فرجع إليه بعض ٱلرسل فأخبره قائلا: قد وجدتُ بمكان كذا عينا يقال لها عين ٱلقمر كثيرة ٱلماء فتوجه ملك ٱلفيلة بأصحابه إلى تلك ٱلعين ليشرب منها هو وفيلته. وكانت ٱلعين في أرض للأرانب فوطئنهن وهن في أجحارهن فهلك منهن كثير. فٱجتمعن إلى ملكهن فقلن له: قد علمت ما أصابنا من ٱلفيلة. فقال: ليحضر كل ذي رأي رأيه. فتقدمت واحدة من ٱلأرانب يقال لها فيروز. وكان ٱلملك يعرفها بحسن ٱلرأي وٱلأدب. فقالت: إن رأى ٱلملك أن يبعثني إلى ٱلفيلة ويرسل معي أمينا ليرى ويسمع ما أقول ويرفعه إلى ٱلملك. فقال لها ٱلملك: أنت أمينة ونرضى بقولك. فٱنطلقي إلى ٱلفيلة وبلّغي عنا ما تريدين. وٱعلمي أن ٱلرسول برأيه وعقله ولينه وفضله يخبر عن عقل ٱلمرسِل. فعليك بٱللين وٱلمؤاتاة. فإن ٱلرسول هو ٱلذي يلين ٱلصدور إذا رفق. ويخشن ٱلصدور إذا خرق. ثم إن ٱلأرنب ٱنطلقت في ليلة قمراء حتى ٱنتهت إلى ٱلفيلة. وكرهت أن تدنو منهن مخافة أن يطأنها بأرجلهن. فيقتلنها وإن كن غير متعمدات. ثم أشرفت على ٱلجبل ونادت ملك ٱلفيلة وقالت له: إن ٱلقمر أرسلني إليك وٱلرسول غير ملوم فيما يبلغ وإن أغلظ في ٱلقول. قال ملك ٱلفيلة: فما ٱلرسالة.

قَالَت : يَقُولُ لَكَ . إِنَّهُ مَنْ عَرَفَ قُوَّتَهُ عَلَى ٱلضُّعَفَاءِ فَاغْتَرَّ لِذٰلِكَ بِٱلْأَقْوِيَاءِ كَانَتْ قُوَّتُهُ وَبَالًا عَلَيْهِ . وَأَنْتَ قَدْ عَرَفْتَ فَضْلَ قُوَّتِكَ عَلَى ٱلدَّوَابِّ فَغَرَّكَ ذٰلِكَ . فَعَمَدْتَ إِلَى ٱلْعَيْنِ ٱلَّتِي تُسَمَّى بِٱسْمِي فَوَرَدْتَهَا وَكَدَّرْتَهَا . فَأَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِأُنْذِرَكَ أَنْ لَا تَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذٰلِكَ . وَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ يُغْشِي بَصَرَكَ وَيُتْلِفُ نَفْسَكَ . وَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنْ رِسَالَتِي . فَهَلُمَّ إِلَى ٱلْعَيْنِ مِنْ سَاعَتِكَ فَإِنَّهُ مُوَافِيكَ إِلَيْهَا . فَعَجِبَ مَلِكُ ٱلْفِيَلَةِ مِنْ قَوْلِ ٱلْأَرْنَبِ فَٱنْطَلَقَ إِلَى ٱلْعَيْنِ مَعَ فَيْرُوزَ ٱلرَّسُولِ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا رَأَى ضَوْءَ ٱلْقَمَرِ فِيهَا . فَقَالَتْ لَهُ فَيْرُوزُ ٱلرَّسُولُ : خُذْ بِخُرْطُومِكَ مِنَ ٱلْمَاءِ فَٱغْسِلْ بِهِ وَجْهَكَ وَٱسْجُدْ لِلْقَمَرِ . فَأَدْخَلَ ٱلْفِيلُ خُرْطُومَهُ فِي ٱلْمَاءِ فَتَحَرَّكَ . فَخُيِّلَ لَهُ أَنَّ ٱلْقَمَرَ ٱرْتَعَدَ . فَقَالَ : مَا شَأْنُ ٱلْقَمَرِ ٱرْتَعَدَ . أَتُرَاهُ غَضِبَ مِنْ إِدْخَالِي جَحْفَلَتِي فِي ٱلْمَاءِ . قَالَتِ ٱلْأَرْنَبُ : نَعَمْ . فَسَجَدَ ٱلْفِيلُ لِلْقَمَرِ مَرَّةً أُخْرَى . وَتَابَ إِلَيْهِ مِمَّا صَنَعَ وَشَرَطَ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذٰلِكَ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنَ ٱلْفِيَلَةِ

أرنبٌ وأسد

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ دَفَعَ ٱلْمَكْرُوهَ بِرَأْيِهِ وَأَحْسَنَ تَدْبِيرَهُ وَحِيلَتَهُ

١٣٤ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَرْضٍ أَرِيضَةٍ كَثِيرَةِ ٱلْمِيَاهِ وَٱلْعُشْبِ . وَكَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْوُحُوشِ فِي سَعَةِ ٱلْمِيَاهِ وَٱلْمَرْعَى كَثِيرٌ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهَا ذٰلِكَ لِخَوْفِهَا مِنْ أَسَدٍ كَانَ مُسْتَبِدًّا بِٱلْأَمْرِ فِيهَا . فَٱجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّكَ تُصِيبُ مِنَّا ٱلدَّابَّةَ بَعْدَ ٱلْجَهْدِ وَٱلتَّعَبِ . وَقَدْ رَأَيْنَا

لكَ رأياً فيهِ صلاحٌ لكَ وأمنٌ لنا . فإنْ أنتَ أمّنتَنا ولمْ تُخِفْنا فلكَ علينا في كلِّ يومٍ دابَّةٌ نبعثُ بها إليكَ في وقتِ غدائكَ . فرضيَ الأسدُ بذلكَ وصالحَ الوحوشَ عليهِ . ووفينَ بها لهُ إلى أنْ أصابتِ القرعةُ أرنباً . فقالتْ للوحوشِ : إنْ أنتنَّ رفقتنَّ بي فيما لا يضرُّكنَّ، رجوتُ أنْ أريحكنَّ منَ الأسدِ . فقلنَ : وما الذي تكلّفيننا منَ الأمورِ . قالتْ : تأمرنَ الذي ينطلقُ بي إلى الأسدِ أنْ يمهلني ريثما أُبطئُ عليهِ بعضَ الإبطاءِ . فقلنَ لها : ذلكَ لكِ . فانطلقتِ الأرنبُ متباطئةً حتّى جاوزتِ الوقتَ الذي كانَ يتغدّى فيهِ الأسدُ . ثمَّ تقدّمتْ إليهِ وحدها رويداً وقدْ جاعَ وغضبَ . فقامَ منْ مكانهِ نحوها . فقالَ : منْ أينَ أقبلتِ . قالتْ : أنا رسولُ الوحوشِ إليكَ بعثتني ومعي أرنبٌ لكَ فتبعني أسدٌ في بعضِ تلكَ الطريقِ فأخذها منّي غصباً . وقالَ : أنا أولى بهذهِ الأرضِ وما فيها منَ الوحوشِ . فقلتُ : إنَّ هذا غداءُ الملكِ أرسلتْ بهِ الوحوشُ معي إليهِ فلا تغصبنَّهُ . فسبَّكَ وشتمكَ . فأقبلتُ مسرعةً إليكَ لأخبركَ . فقالَ الأسدُ : أوَ في زمني غاصبٌ انطلقي معي فأريني موضعَ هذا الأسدِ . فانطلقتْ إلى جبٍّ فيهِ ماءٌ غامرٌ صافٍ . فاطّلعتْ فيهِ وقالتْ : هذا المكانُ . فتطلّعَ الأسدُ فرأى ظلّهُ وظلَّ الأرنبِ في الماءِ فلمْ يشكَّ في قولها . ثمَّ وثبَ عليهِ ليقاتلهُ فغرقَ في الجبِّ . فانقلبتِ الأرنبُ إلى الوحوشِ فأعلمتهنَّ صنيعها بالأسدِ

(كليلة ودمنة)

الباب السادس
في الفضائل والنقائص

الصبر

١٣٥ قَالَ بَعْضُ ٱلْعُلَمَاءِ: ٱلصَّبْرُ عَشَرَةُ أَقْسَامٍ: ٱلصَّبْرُ عَنْ شَهْوَةِ ٱلْبَطْنِ يُسَمَّى قَنَاعَةً وَضِدُّهُ ٱلشَّرَهُ. وَٱلصَّبْرُ عَنْ شَهْوَةِ ٱلْجَسَدِ يُسَمَّى عِفَّةً وَضِدُّهُ ٱلشَّبَقُ. وَٱلصَّبْرُ عَلَى ٱلْمُصِيبَةِ يُسَمَّى صَبْرًا وَضِدُّهُ ٱلْجَزَعُ. وَٱلصَّبْرُ عَلَى ٱلْغِنَاءِ يُسَمَّى ضَبْطَ ٱلنَّفْسِ وَضِدُّهُ ٱلْبَطَرُ. وَٱلصَّبْرُ عِنْدَ ٱلْقِتَالِ يُسَمَّى ٱلشَّجَاعَةَ وَضِدُّهُ ٱلْجُبْنُ. وَٱلصَّبْرُ عِنْدَ ٱلْغَضَبِ يُسَمَّى حِلْمًا وَضِدُّهُ ٱلْحُمْقُ. وَٱلصَّبْرُ عِنْدَ ٱلنَّوَائِبِ يُسَمَّى سَعَةَ ٱلصَّدْرِ وَضِدُّهُ ٱلضَّجَرُ. وَٱلصَّبْرُ عَلَى حِفْظِ ٱلسِّرِّ يُسَمَّى ٱلْكِتْمَانَ وَضِدُّهُ ٱلْخُرْقُ. وَٱلصَّبْرُ عَنْ فُضُولِ ٱلْمَعِيشَةِ يُسَمَّى ٱلزُّهْدَ وَضِدُّهُ ٱلْحِرْصُ. وَٱلصَّبْرُ عِنْدَ تَوَقُّعِ ٱلْأُمُورِ يُسَمَّى ٱلتُّؤَدَةَ وَضِدُّهُ ٱلطَّيْشُ (للقليوبي)

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا جَاءَ فِي بَابِ ٱلصَّبْرِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ:

بَنَى ٱللهُ لِلْأَخْيَارِ بَيْتًا سَمَاؤُهُ هُمُومٌ وَأَحْزَانٌ وَحِيطَانُهُ ٱلضُّرُّ
وَأَدْخَلَهُمْ فِيهِ وَأَغْلَقَ بَابَهُ وَقَالَ لَهُمْ مِفْتَاحُ بَابِكُمُ ٱلصَّبْرُ

قَالَ آخَرُ:

إِصْبِرْ قَلِيلًا وَكُنْ بِٱللهِ مُعْتَصِمًا وَلَا تُعَاجِلْ فَإِنَّ ٱلْعَجْزَ بِٱلْعَجَلِ
ٱلصَّبْرُ مِثْلُ ٱسْمِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ لٰكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ ٱلْعَسَلِ

١٣٦ قَالَ بَعضُ ٱلحُكَمَاء : ٱلصَّبْرُ صَبْرَانِ . صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ . وَٱلثَّانِي أَشَدُّهُمَا عَلَى ٱلنَّفْسِ (لبهاء الدين)

مِنَ ٱلدِّيوَانِ ٱلمَنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ ٱلمُؤْمِنِينَ :

إِنِّي رَأَيْتُ وَفِي ٱلأَيَّامِ تَجْرِبَةٌ ... لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةَ ٱلأَثَرِ
لَا تَضْجَرَنَّ وَلَا يَدْخُلْكَ مَعْجِزَةٌ ... فَٱلنُّجْحُ يَهْلِكُ بَيْنَ ٱلعَجْزِ وَٱلضَّجَرِ

لِٱمْرَأَةٍ مِنَ ٱلعَرَبِ :

أَيُّهَا ٱلإِنْسَانُ صَبْرًا ... إِنَّ بَعْدَ ٱلعُسْرِ يُسْرَا
إِشْرَبِ ٱلصَّبْرَ وَإِنْ كَا ... نَ مِنَ ٱلصَّبْرِ أَمَرَّا

١٣٧ شَكَا رَجُلٌ إِلَى جَعْفَرٍ ٱلصَّادِقِ أَذِيَّةَ جَارِهِ . فَقَالَ لَهُ : أُصْبِرْ عَلَيْهِ . قَالَ : يَنْسُبُنِي إِلَى ٱلذُّلِّ . قَالَ : إِنَّمَا ٱلذَّلِيلُ مَنْ ظَلَمَ (للمستعصمي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

إِصْبِرْ قَلِيلًا فَبَعْدَ ٱلعُسْرِ تَيْسِيرُ ... وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ وَقْتٌ وَتَدْبِيرُ
وَلِلْمُهَيْمِنِ فِي حَالَاتِنَا نَظَرٌ ... وَفَوْقَ تَدْبِيرِنَا لِلّٰهِ تَدْبِيرُ

قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا مَا أَتَاكَ ٱلدَّهْرُ يَوْمًا بِنَكْبَةٍ ... فَأَفْرِغْ لَهَا صَبْرًا وَأَوْسِعْ لَهَا صَدْرَا
فَإِنَّ تَصَارِيفَ ٱلزَّمَانِ عَجِيبَةٌ ... فَيَوْمًا تَرَى يُسْرًا وَيَوْمًا تَرَى عُسْرَا

قَالَ آخَرُ :

وَكَمْ غَمْرَةٍ هَاجَتْ بِأَمْوَاجِ غَمْرَةٍ ... تَلَقَّيْتُهَا بِٱلصَّبْرِ حَتَّى تَجَلَّتِ

وكانت على الأيام نفسي عزيزة فلما رأت صبري على الذل ذلت

١٣٨ قال الفضيل بن عياض: ألا ترون كيف يزوي الله الدنيا عمن يحب ويمررها عليهم تارة بالجوع ومرة بالحاجة. كما تصنع الأم الشفيقة بولدها تفطمه بالصبر مرة وبالحضض أخرى وإنما تريد صلاحه (لبهاء الدين)

أنشد بعضهم:

وإذا بليت بعسرة فالبس لها صبر الكريم فإن ذلك أحزم
لا تشكون إلى العباد فإنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

وقال آخر:

واصبر إذا ما شئت إكليل الهنا فبغير حسن الصبر لن تتكللا
فإذا كرهت الصبر فاعلم أنما حقا كرهت بأن تكون مكللا

قال بعض الشعراء:

ما أحسن الصبر في الدنيا وأجمله عند الإله وأنجاه من الجزع
من شد بالصبر كفا عند مؤلمة ألوت يداه بحبل غير منقطع

قال آخر:

أما والذي لا يعلم الغيب غيره ومن ليس في كل الأمور له كفو
لئن كان بدء الصبر مرا مذاقه لقد يجتنى من بعده الثمر الحلو

قال محمد الأبيوردي:

تنكر لي دهري ولم يدر أنني أعز وأهوال الزمان تهون

وَظَلَّ يُرِينِي ٱلْخَطْبُ كَيْفَ ٱعْتِدَاؤُهُ وَبِتُّ أُرِيهِ ٱلصَّبْرَ كَيْفَ يَكُونُ

١٣٩ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: ٱعْلَمُوا أَنَّ ٱلصَّبْرَ مِنَ ٱلْأُمُورِ بِمَنْزِلَةِ ٱلرَّأْسِ مِنَ ٱلْجَسَدِ. إِذَا فَارَقَ ٱلرَّأْسُ ٱلْجَسَدَ فَسَدَ ٱلْجَسَدُ. وَإِذَا فَارَقَ ٱلصَّبْرُ ٱلْأُمُورَ فَسَدَتِ ٱلْأُمُورُ. وَلِلَّهِ مَنْ قَالَ:

عَلَى قَدْرِ فَضْلِ ٱلْمَرْءِ تَأْتِي خُطُوبُهُ وَيُحْمَدُ مِنْهُ ٱلصَّبْرُ مِمَّا يُصِيبُهُ
فَمَنْ قَلَّ فِيمَا يَلْتَقِيهِ ٱصْطِبَارُهُ فَقَدْ قَلَّ فِيمَا يَلْتَقِيهِ نَصِيبُهُ

قَالَ ٱلشَّبْرَاوِيُّ:

وَإِذَا مَسَّكَ ٱلزَّمَانُ بِضُرٍّ عَظُمَتْ دُونَهُ ٱلْخُطُوبُ وَجَلَّتْ
وَأَتَتْ بَعْدَهُ نَوَائِبُ أُخْرَى سَئِمَتْ نَفْسُكَ ٱلْحَيَاةَ وَمَلَّتْ
فَٱصْطَبِرْ وَٱنْتَظِرْ بُلُوغَ ٱلْأَمَانِي فَٱلرَّزَايَا إِذَا تَوَالَتْ تَوَلَّتْ

قَالَ مَحْمُودٌ ٱلْوَرَّاقُ:

أَلدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَالَةٍ لٰكِنَّهُ يُقْبِلُ أَوْ يُدْبِرُ
فَإِنْ تَلَقَّاكَ بِمَكْرُوهِهِ فَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱلدَّهْرَ لَا يَصْبِرُ

١٤٠ (مِنْ كِتَابِ أَنِيسِ ٱلْعُقَلَاءِ). ٱعْلَمْ أَنَّ ٱلنَّصْرَ مَعَ ٱلصَّبْرِ. وَٱلْفَرَجَ مَعَ ٱلْكَرْبِ. وَٱلْيُسْرَ مَعَ ٱلْعُسْرِ. قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ: بِمِفْتَاحِ عَزِيمَةِ ٱلصَّبْرِ تُعَالَجُ مَغَالِيقُ ٱلْأُمُورِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عِنْدَ ٱنْسِدَادِ ٱلْفُرَجِ. تَبْدُو مَطَالِعُ ٱلْفَرَجِ. (لبهاء الدين)

وَلِلَّهِ دَرُّ مَنْ قَالَ:

أَلصَّبْرُ مِفْتَاحُ مَا يُرَجَّى وَكُلُّ صَعْبٍ بِهِ يَهُونُ

فَٱصْبِرْ وَإِنْ طَالَتِ ٱللَّيَالِي فَرُبَّمَا أَمْكَنَ ٱلْحَرُونُ
وَرُبَّمَا نِيلَ بِٱصْطِبَارٍ مَا قِيلَ هَيْهَاتَ لَا يَكُونُ

قَالَ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْبُسْتِيُّ:

تَحَمَّلْ أَخَاكَ عَلَى مَا بِهِ فَمَا فِي ٱسْتِقَامَتِهِ مَطْمَعُ
وَأَنَّى لَهُ خُلُقٌ وَاحِدٌ وَفِيهِ طَبَائِعُهُ ٱلْأَرْبَعُ

قَالَ غَيْرُهُ:

دَعِ ٱلْأَيَّامَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ وَطِبْ نَفْسًا إِذَا نَزَلَ ٱلْبَلَاءُ
وَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ ٱللَّيَالِي فَمَا لِحَوَادِثِ ٱلدُّنْيَا بَقَاءُ
إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ فَأَنْتَ وَمَالِكُ ٱلدُّنْيَا سَوَاءُ

قَالَ آخَرُ:

إِدْفَعْ بِصَبْرِكَ حَادِثَ ٱلْأَيَّامِ وَتَرَجَّ لُطْفَ ٱلْوَاحِدِ ٱلْعَلَّامِ
لَا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ تَضَايَقَ كَرْبُهَا وَرَمَاكَ رَيْبُ صُرُوفِهَا بِسِهَامِ
فَلَهُ تَعَالَى بَيْنَ ذٰلِكَ فُرْجَةٌ تَخْفَى عَلَى ٱلْأَبْصَارِ وَٱلْأَوْهَامِ
كَمْ مِنْ نَجِيٍّ بَيْنَ أَطْرَافِ ٱلْقَنَا وَفَرِيسَةٍ سَلِمَتْ مِنَ ٱلضِّرْغَامِ

الحلم

١٤١ قِيلَ لِقَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ: مَا ٱلْحِلْمُ. قَالَ: أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ. وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ. وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ. قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: حِلْمُكَ عَلَى ٱلسَّفِيهِ يُكْثِرُ أَنْصَارَكَ عَلَيْهِ. (قَالُوا) لَا يَظْهَرُ ٱلْحِلْمُ إِلَّا مَعَ ٱلِٱنْتِصَارِ. كَمَا لَا يَظْهَرُ ٱلْعَفْوُ إِلَّا مَعَ ٱلِٱقْتِدَارِ. (وَقَالُوا) مَا قُرِنَ

شيءٌ إلى شيءٍ أزينُ من حلمٍ إلى علمٍ . ومن عفوٍ إلى قدرةٍ . قال معاويةُ : إنّي لأستحي من ربّي أن يكونَ ذنبُ أعظمَ من عفوي . أو جهلُ أكبرَ من حلمي . أو عورةٌ لا أواريها بستري . وقال المورّق العجليّ : ما تكلّمتُ في الغضبِ بكلمةٍ ندمتُ عليها في الرضا

(لابن عبد ربّه)

قال النواجيّ :

يخاطبني السفيهُ بكلّ قبحٍ　　وأكرهُ أن أكونَ لهُ مجيبا
يزيدُ سفاهةً وأزيدُ حلماً　　كعودٍ زادهُ الإحراقُ طيبا

١٤٢ قالتِ الحكماءُ : يُدرَكُ بالرفقِ ما لا يُدرَكُ بالعنفِ . ألا ترى أنّ الماءَ على لينهِ يقطعُ الحجرَ على شدّتهِ . وقال أشجعُ السلميّ لجعفر بن يحيى : ما كادَ يُدرَكُ بالرجالِ ولا بالمالِ ما أدركتَ بالرفقِ . وقال النابغةُ :

ألرفقُ يمنٌ والأناةُ سعادةٌ　　فاستأنِ في رفقٍ تلاقِ نجاحا

قال الشعبيّ لعبدِ الملكِ : إنّكَ على إيقاعِ ما لم توقعْ أقدرُ منكَ على ردّ ما أوقعتَ . وأخذ ذلكَ الشاعرُ فقال :

فداويتُهُ بالحلمِ والمرءُ قادرٌ　　على سهمهِ ما دامَ في كفّهِ السهمُ

(للثعالبي)

قيلَ لهشامِ بن عبدِ الملكِ : تطمعُ في الخلافةِ وأنتَ بخيلٌ جبانٌ . قالَ : ولِمَ لا أطمعُ فيها وأنا حليمٌ عفيفٌ　　(لابي الفرج)

١٤٣ قَالَ ٱلْبُحْتُرِيُّ:

تَنَاسَ ذُنُوبَ قَوْمِكَ إِنَّ حِفْظَ ٱلذُّ م نُوبِ إِذَا قَدُمْنَ مِنَ ٱلذُّنُوبِ

(قِيلَ) ٱلْاعْتِرَافُ. يَزُولُ بِهِ ٱلِاقْتِرَافُ. لَا عَتْبَ مَعَ إِقْرَارٍ. وَلَا ذَنْبَ مَعَ ٱسْتِغْفَارٍ. ٱلْمُعْتَرِفُ بِٱلْجَرِيرَةِ مُسْتَحِقٌّ لِلْغَفِيرَةِ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ:

إِذَا مَا ٱمْرُؤٌ مِنْ ذَنْبِهِ جَاءَ تَائِبًا إِلَيْكَ فَلَمْ تَغْفِرْ لَهُ فَلَكَ ٱلذَّنْبُ

قَالَ عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ لِصَدِيقٍ لَهُ أَنْكَرَ ذَنْبًا: إِمَّا أَنْ تُقِرَّ بِذَنْبِكَ فَيَكُونُ إِقْرَارُكَ حُجَّةً لَنَا فِي ٱلْعَفْوِ. وَإِلَّا فَطِبْ نَفْسًا بِٱلِانْتِصَارِ مِنْكَ

أَقْرِرْ بِذَنْبِكَ ثُمَّ ٱطْلُبْ تَجَاوُزَنَا عَنْهُ فَإِنَّ جُحُودَ ٱلذَّنْبِ ذَنْبَانِ

قَالَ أَبُو بَكْرٍ ٱلصُّولِيُّ:

وَكُنْتُ إِذَا ٱلصَّدِيقُ أَرَادَ غَيْظِي وَأَشْرَقَنِي عَلَى شَرَقٍ بِرِيقِي

غَفَرْتُ ذُنُوبَهُ وَصَفَحْتُ عَنْهُ مَخَافَةَ أَنْ أَعِيشَ بِلَا صَدِيقِ

١٤٤ أُتِيَ ٱلْمَنْصُورُ بِرَجُلٍ أَذْنَبَ. فَقَالَ: إِنَّ ٱللّٰهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ. فَإِنْ أَخَذْتَ فِي غَيْرِي بِٱلْعَدْلِ فَخُذْ فِيَّ بِٱلْإِحْسَانِ. فَعَفَا عَنْهُ. قَالَ أَبُو فِرَاسٍ:

إِنْ لَمْ تَجَافَ عَنِ ٱلذُّنُو بِ وَجَدْتَهَا فِينَا كَثِيرَهْ

لٰكِنَّ عَادَتَكَ ٱلْجَمِيـ لَةَ أَنْ تَغُضَّ عَلَى ٱلْجَرِيرَهْ

(للثعالبي)

دَخَلَ ٱبْنُ خُزَيْمٍ عَلَى ٱلْمَهْدِيِّ وَقَدْ عَتَبَ عَلَى بَعْضِ أَهْلِ ٱلشَّامِ

وَأَرَادَ أَنْ يَغْزُوَهُمْ جَيْشًا • فَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكَ بِٱلْعَفْوِ عَنِ ٱلْمُذْنِبِ وَٱلتَّجَاوُزِ عَنِ ٱلْمُسِيءِ • فَلَأَنْ يُطِيعَكَ ٱلْعَرَبُ طَاعَةَ مَحَبَّةٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُطِيعَكَ طَاعَةَ خَوْفٍ (لابن عبد ربّه)

لَمَّا ظَفِرَ ٱلْمَأْمُونُ بِإِبْرٰهِيمَ بْنِ ٱلْمَهْدِيِّ شَاوَرَ فِيهِ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي خَالِدٍ ٱلْأَحْوَلَ ٱلْوَزِيرَ • فَقَالَ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنْ قَتَلْتَهُ فَلَكَ نُظَرَاءُ • وَإِنْ عَفَوْتَ فَمَا لَكَ نَظِيرٌ (وفيات الاعيان لابن خلّكان)

العدل

١٤٥ إِعْلَمْ أَنَّ ٱلْعَدْلَ مِيزَانُ ٱللّٰهِ تَعَالَى فِي ٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي يُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ ٱلْقَوِيِّ وَٱلْمُحِقِّ مِنَ ٱلْمُبْطِلِ • وَٱعْلَمْ أَنَّ عَدْلَ ٱلْمَلِكِ يُوجِبُ مَحَبَّتَهُ وَجَوْرَهُ يُوجِبُ ٱلِٱفْتِرَاقَ عَنْهُ • قِيلَ : دَعْوَةُ ٱلْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى ٱلْغَمَامِ وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ • وَسَأَلَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ حُكَمَاءَ أَهْلِ بَابِلَ : أَيُّمَا أَبْلَغُ عِنْدَكُمْ ٱلشَّجَاعَةُ أَمِ ٱلْعَدْلُ • قَالُوا إِذَا ٱسْتَعْمَلْنَا ٱلْعَدْلَ ٱسْتَغْنَيْنَا بِهِ عَنِ ٱلشَّجَاعَةِ • وَيُقَالُ : عَدْلُ ٱلسُّلْطَانِ • أَنْفَعُ مِنْ خِصْبِ ٱلزَّمَانِ (للابشيهي)

١٤٦ إِنَّ ٱلسُّلْطَانَ إِذَا عَدَلَ ٱنْتَشَرَ ٱلْعَدْلُ فِي رَعِيَّتِهِ • وَأَقَامُوا ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَتَعَاطَوُا ٱلْحَقَّ فِيمَا بَيْنَهُمْ • وَلَزِمُوا قَوَانِينَ ٱلْعَدْلِ • فَمَاتَ ٱلْبَاطِلُ وَذَهَبَتْ رُسُومُ ٱلْجَوْرِ • وَٱنْتَعَشَتْ قَوَانِينُ ٱلْحَقِّ • فَأَرْسَلَتِ ٱلسَّمَاءُ غَيْثَهَا وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ بَرَكَاتِهَا • وَنَمَتْ تِجَارَتُهُمْ • وَزَكَتْ زُرُوعُهُمْ • وَتَنَاسَلَتْ أَنْعَامُهُمْ • وَدَرَّتْ أَرْزَاقُهُمْ • وَرَخُصَتْ أَسْعَارُهُمْ •

وَٱمْتَلأَتْ أَوْعِيَتُهُمْ . فَوَاسَى ٱلْبَخِيلُ . وَأَفْضَلَ ٱلْكَرِيمُ . وَقُضِيَتِ ٱلْحُقُوقُ . وَإِذَا جَارَ ٱلسُّلْطَانُ ٱنْتَشَرَ ٱلْجَوْرُ فِي ٱلْبِلَادِ وَعَمَّ ٱلْعِبَادَ . فَرَقَّتْ أَدْيَانُهُمْ . وَٱضْمَحَلَّتْ مُرُوَّآتُهُمْ . وَفَشَتْ فِيهِمِ ٱلْمَعَاصِي . وَذَهَبَتْ أَمَانَاتُهُمْ . وَتَضَعْضَعَتِ ٱلنُّفُوسُ . وَقَنِطَتِ ٱلْقُلُوبُ . فَمَنَعُوا ٱلْحُقُوقَ . وَتَعَاطَوُا ٱلْبَاطِلَ . وَبَخَسُوا ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ . فَرُفِعَتْ مِنْهُمُ ٱلْبَرَكَةُ . وَأَمْسَكَتِ ٱلسَّمَاءُ غِيَاثَهَا . وَلَمْ تُخْرِجِ ٱلْأَرْضُ زَرْعَهَا وَنَبَاتَهَا . وَقَلَّ فِي أَيْدِيهِمِ ٱلْحُطَامُ . وَقَنِطُوا وَأَمْسَكُوا ٱلْفَضْلَ ٱلْمَوْجُودَ . وَتَنَاجَزُوا عَلَى ٱلْمَفْقُودِ . فَمَنَعُوا ٱلزَّكَوَاتِ ٱلْمَفْرُوضَةَ . وَبَخِلُوا بِٱلْمُوَاسَاةِ ٱلْمَسْنُونَةِ . وَقَبَضُوا أَيْدِيَهُمْ عَنِ ٱلْمَكَارِمِ . وَتَنَازَعُوا ٱلْمِقْدَارَ ٱللَّطِيفَ وَتَجَاحَدُوا ٱلْقَدْرَ ٱلْخَسِيسَ . فَفَشَتْ فِيهِمِ ٱلْأَيْمَانُ ٱلْكَاذِبَةُ . وَٱلْحِيَلُ فِي ٱلْبَيْعِ . وَٱلْخِدَاعُ فِي ٱلْمُعَامَلَةِ . وَٱلْمَكْرُ وَٱلْحِيلَةُ فِي ٱلْقَضَاءِ وَٱلِاقْتِضَاءِ . وَمَنْ عَاشَ كَذٰلِكَ فَبَطْنُ ٱلْأَرْضِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ظَهْرِهَا (للطرطوشي)

قَالَ أَرْدَشِيرُ لِٱبْنِهِ : يَا بُنَيَّ إِنَّ ٱلْمُلْكَ وَٱلْعَدْلَ أَخَوَانِ لَا غِنَى بِأَحَدِهِمَا عَنْ صَاحِبِهِ . فَٱلْمُلْكُ أُسٌّ وَٱلْعَدْلُ حَارِسٌ . فَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ أُسٌّ فَمَهْدُومٌ . وَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَارِسٌ فَضَائِعٌ (لابن عبد ربه)

الوفاء

١٤٧ قَالَ ٱلْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ ٱلثَّقَفِيُّ : مَا خَلَقْتُ إِلَّا فَرَيْتُ . وَمَا وَعَدْتُ إِلَّا وَفَيْتُ (للقزويني)

(قَالُوا) مَنْ تَحَلَّى بِٱلْوَفَاءِ . وَتَخَلَّى عَنِ ٱلْجَفَاءِ . فَذٰلِكَ مِنْ إِخْوَانِ

ٱلصَّفَاءُ. (وَقَالُوا) ٱلْوَفَاءُ ضَالَّةٌ كَثِيرٌ نَاشِدُهَا. قَلِيلٌ وَاجِدُهَا. كَمَا قِيلَ:
ٱلْوَفَاءُ مِنْ شِيَمِ ٱلْكِرَامِ. وَٱلْغَدْرُ مِنْ خَلَائِقِ ٱللِّئَامِ

(الكنز المدفون للسيوطي)

قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ فِي أَهْلِ زَمَانِهِ:

ذَهَبَ ٱلْوَفَاءُ ذَهَابَ أَمْسِ ٱلذَّاهِبِ فَٱلنَّاسُ بَيْنَ مُخَالِفٍ وَمُوَارِبِ
يُفْشُونَ بَيْنَهُمُ ٱلْمَوَدَّةَ وَٱلصَّفَا وَقُلُوبُهُمْ مَحْشُوَّةٌ بِعَقَارِبِ

١٤٨ (قَالُوا) وَعْدُ ٱلْكَرِيمِ نَقْدٌ. وَوَعْدُ ٱللَّئِيمِ تَسْوِيفٌ. قَالَ عُمَرُ ٱبْنُ ٱلْحَارِثِ: كَانُوا فِي قَدِيمِ ٱلزَّمَانِ يَفْعَلُونَ وَلَا يَقُولُونَ. ثُمَّ صَارُوا يَقُولُونَ وَيَفْعَلُونَ. ثُمَّ صَارُوا يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ

قَالَ زِيَادٌ ٱلْأَعْجَمُ:

لِلّٰهِ دَرُّكَ مِنْ فَتًى لَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ مَا تَقُولْ
لَا خَيْرَ فِي كَذِبِ ٱلْجَوَا دِ وَحَبَّذَا صِدْقُ ٱلْبَخِيلْ

الصداقة والخلّة

١٤٩ (قِيلَ) ٱلْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ. قَالَ ٱلْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ: خَيْرُ ٱلْإِخْوَانِ مَنْ إِنِ ٱسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ لَمْ يَزِدْكَ فِي ٱلْمَوَدَّةِ. وَإِنِ ٱحْتَجْتَ إِلَيْهِ لَمْ يَنْقُصْكَ. وَإِنْ كُوثِرْتَ عَضَدَكَ. وَإِنِ ٱسْتَرْفَدْتَ رَفَدَكَ. وَأَنْشَدَ أَحْمَدُ بْنُ أَبَانَ:

إِذَا أَنَا لَمْ أَصْبِرْ عَلَى ٱلذَّنْبِ مِنْ أَخٍ وَكُنْتُ أُجَازِيهِ فَأَيْنَ ٱلتَّفَاضُلُ
وَلٰكِنْ أُدَاوِيهِ فَإِنْ صَحَّ سَرَّنِي وَإِنْ هُوَ أَعْيَا كَانَ فِيهِ تَحَامُلُ

قَالَ آخَرُ :

وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّنِي بِلِسَانِهِ ... وَلٰكِنْ أَخِي مَنْ وَدَّنِي وَهُوَ غَائِبُ
وَمَنْ مَالُهُ مَالِي إِذَا كُنْتُ مُعْدِمًا ... وَمَالِي لَهُ إِنْ أَعْوَزَتْهُ النَّوَائِبُ

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

إِصْحَبْ ذَوِي الْفَضْلِ وَأَهْلَ الدِّينِ ... فَالْمَرْءُ مَنْسُوبٌ إِلَى الْقَرِينِ

قَالَ طَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ :

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ
وَلَا تَصْحَبِ الْأَرْدَا فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي
عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ
فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

١٥٠ قِيلَ لِبُزُرْجُمِهْر : مَنْ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَخُوكَ أَمْ صَدِيقُكَ . فَقَالَ : مَا أُحِبُّ أَخِي إِلَّا إِذَا كَانَ لِي صَدِيقًا . وَقَالَ عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ عَبَّاسٍ : أَلْقَرَابَةُ تُقْطَعُ . وَالْمَعْرُوفُ يُكْفَرُ . وَمَا رَأَيْتُ كَتَقَارُبِ الْقُلُوبِ

قَالَ بَعْضُ الْأَكَابِرِ : يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَنْبِطَ لِزَلَّةِ أَخِيكَ سَبْعِينَ عُذْرًا . فَإِنْ لَمْ يَقْبَلْهُ قَلْبُكَ فَقُلْ لِقَلْبِكَ : مَا أَقْسَاكَ . يَعْتَذِرُ إِلَيْكَ أَخُوكَ سَبْعِينَ عُذْرًا فَلَا تَقْبَلُ عُذْرَهُ فَأَنْتَ الْمَعْتُوبُ لَا هُوَ

قَالَ الْمُبَرِّدُ :

مَا الْقُرْبُ إِلَّا لِمَنْ صَحَّتْ مَوَدَّتُهُ
وَلَمْ يَخُنْكَ وَلَيْسَ الْقُرْبُ لِلنَّسَبِ

كَمْ مِنْ قَرِيبٍ ذَوِي ٱلصَّدْرِ مُضْطَغِنٍ
وَمِنْ بَعِيدٍ سَلِيمٍ غَيْرِ مُقْتَرِبِ

قَالَ ٱلْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ :

وَلَيْسَ ٱلَّذِي يَلْقَاكَ بِٱلْبِشْرِ وَٱلرِّضَا   وَإِنْ غِبْتَ عَنْهُ ٱلْمَتْكَ عَقَارِبُهْ

قَالَ بَشَّارُ :

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّنِي   صَدِيقُكَ إِنَّ ٱلرَّأْيَ مِنْكَ لَعَازِبُ
وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّنِي رَأْيَ عَيْنِهِ   وَلٰكِنْ أَخِي مَنْ وَدَّنِي وَهُوَ غَائِبُ

١٥١ مِمَّا أَوْصَى بِهِ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَوْلَادَهُ : يَا بَنِيَّ عَاشِرُوا ٱلنَّاسَ عِشْرَةً إِنْ غِبْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ . وَإِنْ فُقِدْتُمْ بَكَوْا عَلَيْكُمْ . يَا بَنِيَّ : إِنَّ ٱلْقُلُوبَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ تَتَلَاحَظُ بِٱلْمَوَدَّةِ وَتَتَنَاجَى بِهَا وَكَذٰلِكَ هِيَ فِي ٱلْبُغْضِ . فَإِذَا أَحْبَبْتُمُ ٱلرَّجُلَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ سَبَقَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ فَٱرْجُوهُ . وَإِذَا أَبْغَضْتُمُ ٱلرَّجُلَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ سَبَقَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ فَٱحْذَرُوهُ

قَالَ ٱلطُّغْرَائِيُّ :

أَخَاكَ أَخَاكَ فَهْوَ أَجَلُّ ذُخْرٍ   إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةُ ٱلزَّمَانِ
وَإِنْ بَانَتْ إِسَاءَتُهُ فَهَبْهَا   لِمَا فِيهِ مِنَ ٱلشِّيَمِ ٱلْحِسَانِ
تُرِيدُ مُهَذَّبًا لَا عَيْبَ فِيهِ   وَهَلْ عُودٌ يَفُوحُ بِلَا دُخَانِ

قَالَ ٱلْعَطَوِيُّ :

صُنِ ٱلْوُدَّ إِلَّا عَنِ ٱلْأَكْرَمِينَ   وَمَنْ بِمُؤَاخَاتِهِ تَشْرُفُ
وَلَا تَغْتَرِرْ مِنْ ذَوِي خُلَّةٍ   وَإِنْ مَوَّهُوا لَكَ أَوْ زَخْرَفُوا

١٥٢ قَالَ بُزُرْجُمِهر: مَن لَمْ يَكُنْ لَهُ أَخٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي أُمُورِهِ وَيَبْذُلُ نَفْسَهُ وَمَالَهُ فِي شِدَّتِهِ فَلَا يَعُدَنَّ نَفْسَهُ مِنَ الْأَحْيَاءِ. مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْعَارِفِينَ: أَلْأَخُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنْ نَفْسِكَ. لِأَنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ وَالْأَخُ الصَّالِحُ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ. فِي الْخَبَرِ: أَلْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ. وَيُقَالُ: الرَّجُلُ بِلَا إِخْوَانٍ كَالشِّمَالِ بِلَا يَمِينٍ. وَيُقَالُ: مَنِ اتَّخَذَ إِخْوَانًا. كَانُوا لَهُ أَعْوَانًا. وَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ: أَلتَّارِكُ لِلْإِخْوَانِ مَتْرُوكٌ. وَقَالَ شَبِيبُ بْنُ شَبَّةَ: عَلَيْكَ بِالْإِخْوَانِ فَإِنَّهُمْ زِينَةٌ فِي الرَّخَاءِ. وَعُدَّةٌ عِنْدَ الْبَلَاءِ (لبهاء الدين)

قَالَ الشَّاعِرُ:

تَكَثَّرْ مِنَ الْإِخْوَانِ مَا اسْطَعْتَ إِنَّهُمْ عِمَادٌ إِذَا اسْتَنْجَدْتَهُمْ وَظَهِيرُ
وَمَا بِكَثِيرٍ أَلْفُ خِلٍّ وَصَاحِبٍ وَإِنَّ عَدُوًّا وَاحِدًا لَكَثِيرُ

١٥٣ وَقَالَ الْعُتْبِيُّ: لِقَاءُ الْإِخْوَانِ نُزْهَةُ الْقُلُوبِ. وَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ الْقُرَشِيُّ: مُجَالَسَةُ الْإِخْوَانِ مَسْلَاةٌ لِلْأَحْزَانِ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ: إِنَّ فِي لِقَاءِ الْإِخْوَانِ لَغُنْمًا وَإِنْ قَلَّ

(ظرائف اللطائف لأبي نصر المقدسي)

وَقِيلَ لِعَلِيِّ بْنِ الْهَيْثَمِ: مَا تُحِبُّ لِلصَّدِيقِ. فَقَالَ: ثَلَاثَ خِلَالٍ. كِتْمَانَ حَدِيثِ الْخَلْوَةِ. وَالْمُوَاسَاةَ عِنْدَ الشِّدَّةِ. وَإِقَالَةَ الْعَثْرَةِ

(للمستعصمي)

١٥٤ قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ: عَلَيْكَ بِصُحْبَةِ مَنْ إِنْ صَحِبْتَهُ زَانَكَ.

وَإِنْ غِبْتَ عَنْهُ صَانَكَ . وَإِنِ ٱحْتَجْتَ إِلَيْهِ مَانَكَ . وَإِنْ رَأَى مِنْكَ خَلَّةً سَدَّهَا . أَوْ حَسَنَةً عَدَّهَا . وَقَالَ ٱلْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ : مِنْ حُقُوقِ ٱلْمَوَدَّةِ أَخْذُ عَفْوِ ٱلْإِخْوَانِ . وَٱلْإِغْضَاءُ عَنْ تَقْصِيرٍ إِنْ كَانَ . (وَقِيلَ) خَيْرُ ٱلْإِخْوَانِ مَنْ إِذَا نَسِيتَ ذَنْبَكَ لَمْ يُقَرِّعْكَ بِهِ . وَمَعْرُوفُهُ عِنْدَكَ لَمْ يَمُنَّ عَلَيْكَ بِهِ (للشريشي)

قَالَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ : ٱنْتَفَعْتُ بِأَعْدَائِي أَكْثَرَ مِمَّا ٱنْتَفَعْتُ بِأَصْدِقَائِي لِأَنَّ أَعْدَائِي كَانُوا يُعَيِّرُونِي وَيَكْشِفُونَ لِي عُيُوبِي وَيُنَبِّهُونِي بِذٰلِكَ عَلَى ٱلْخَطَإِ فَأَسْتَدْرِكُهُ . وَكَانَ أَصْدِقَائِي يُزَيِّنُونَ لِي ٱلْخَطَأَ وَيُشَجِّعُونِي عَلَيْهِ (الآداب السلطانيَّة للفخري)

وَلِلّٰهِ دَرُّ أَبِي حَيَّانَ ٱلْأَنْدَلُسِيِّ إِذْ أَنْشَدَ :

عِدَايَ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ فَلَا أَذْهَبَ ٱلرَّحْمٰنُ عَنِّي ٱلْأَعَادِيَا

هُمُ بَحَثُوا عَنْ زَلَّتِي فَٱجْتَنَبْتُهَا وَهُمْ نَافَسُونِي فَٱكْتَسَبْتُ ٱلْمَعَالِيَا

المشورة

١٥٥ سُئِلَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : أَيُّ ٱلْأُمُورِ أَشَدُّ تَأْيِيدًا لِلْعَقْلِ وَأَيُّهَا أَشَدُّ إِضْرَارًا بِهِ . فَقَالَ : أَشَدُّهَا تَأْيِيدًا لَهُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ . مُشَاوَرَةُ ٱلْعُلَمَاءِ . وَتَجْرِبَةُ ٱلْأُمُورِ . وَحُسْنُ ٱلتَّثَبُّتِ . وَأَشَدُّهَا إِضْرَارًا بِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ . ٱلِٱسْتِبْدَادُ . وَٱلتَّهَاوُنُ . وَٱلْعَجَلَةُ . كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ : رَأْيُ ٱلشَّيْخِ أَحْسَنُ مِنْ جَلَدِ ٱلْغُلَامِ . قَالَ ٱلْعُتْبِيُّ : قِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ عَبْسٍ مَا أَكْثَرَ صَوَابَكُمْ . قَالَ : نَحْنُ أَلْفُ رَجُلٍ وَفِينَا حَازِمٌ وَاحِدٌ .

فنحنُ نشاورهُ فكأنّا ألفُ حازمٍ . قال الشاعرُ :

أَلرأيُ كاللَّيلِ مُسودًّا جوانبُهُ وَاللَّيلُ لا ينجلي إلّا بإصباحِ
فاضمُمْ مصابيحَ آراءِ الرجالِ إلى مصباحِ رأيكَ تزددْ ضوءَ مصباحِ

وقالَ الأرجانيُّ

إقرِنْ برأيكَ رأيَ غيرِكَ واستشرْ فالحقُّ لا يخفى على الإثنينِ
للمرءِ مرآةٌ تُريهِ وجهَهُ ويرى قفاهُ بجمعِ مرآتينِ

١٥٦ قالَ حكيمٌ : إذا شاورتَ العاقلَ صارَ عقلُهُ لكَ . وقالَ العتابيُّ : المشورةُ عينُ الهدايةِ . وقد خاطرَ من استغنى برأيهِ . وقالَ ابنُ المعتزِّ : المشورةُ راحةٌ لكَ وتعبٌ لغيرِكَ . ومن أكثرَ المشورةَ لم يعدمْ عندَ الصوابِ مادحًا وعندَ الخطإِ عاذرًا (لابي نصر المقدسي)

كتمان السر

١٥٧ قالَ أنوشروانُ : من حصّنَ سرَّهُ فلهُ بتحصينهِ خصلتانِ . الظفرُ بحاجتهِ . والسلامةُ منَ السطواتِ . وقيلَ : كلّما كثرتْ خزّانُ الأسرارِ زادتْ ضياعًا . وقيلَ : انفردْ بسرِّكَ لا تودعْهُ حازمًا فيزلَّ . ولا جاهلًا فيخونَ (للابشيهي)

وقالَ كعبُ بنُ سعدٍ الغنويُّ .

ولستُ بمبدٍ للرجالِ سريرتي ولا أنا عن أسرارِهم بمسائلِ

وقالَ آخرُ :

يا ذا الذي أودعني سرَّهُ لا ترجُ أن تسمعهُ منّي

لَمْ أُجْرِهِ قَطُّ عَلَى فِكْرَتِي كَأَنَّهُ لَمْ يَجْرِ فِي أُذُنِي

قَالَ ٱبْنُ ٱلْخَطِيرِ:

لَا يَكْتُمُ ٱلسِّرَّ إِلَّا كُلُّ ذِي ثِقَةٍ وَٱلسِّرُّ عِنْدَ خِيَارِ ٱلنَّاسِ مَكْتُومُ
فَٱلسِّرُّ عِنْدِي فِي بَيْتٍ لَهُ غَلَقٌ ضَاعَتْ مَفَاتِيحُهُ وَٱلْبَابُ مَخْتُومُ

قَالَ أَبُو ٱلْمَحَاسِنِ ٱلشَّوَّاءُ فِي شَخْصٍ لَا يَكْتُمُ ٱلسِّرَّ وَقَدْ أَجَادَ فِيهِ:

لِي صَدِيقٌ غَدَا وَإِنْ كَانَ لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِغِيبَةٍ أَوْ مُحَالِ
أَشْبَهَ ٱلنَّاسِ بِٱلصَّدَى إِنْ تُحَدِّثْهُ حَدِيثًا أَعَادَهُ فِي ٱلْحَالِ

الصمت وحفظ اللسان

١٥٨ سُئِلَ سُولُونُ: أَيُّ شَيْءٍ أَصْعَبُ عَلَى ٱلْإِنْسَانِ. قَالَ: ٱلْإِمْسَاكُ عَنِ ٱلْكَلَامِ بِمَا لَا يَعْنِيهِ. شَتَمَ رَجُلٌ سَخْنِيسَ ٱلْحَكِيمَ فَأَمْسَكَ عَنْهُ. فَقِيلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ. فَقَالَ: لَا أَدْخُلُ حَرْبًا ٱلْغَالِبُ فِيهَا أَشَرُّ مِنَ ٱلْمَغْلُوبِ. وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ ٱلْحُكَمَاءِ. لَا تَبِعْ هَيْبَةَ ٱلسُّكُوتِ بِٱلرَّخِيصِ مِنَ ٱلْكَلَامِ. قَالَ أَرِسْطَاطَالِيسُ: ٱخْتِصَارُ ٱلْكَلَامِ طَيُّ ٱلْمَعَانِي. وَقِيلَ لَهُ: مَا أَحْسَنَ مَا حَمَلَهُ ٱلْإِنْسَانُ. قَالَ: ٱلسُّكُوتُ. وَمِنْ كَلَامِ ٱلْحُكَمَاءِ: يُسْتَدَلُّ عَلَى عَقْلِ ٱلرَّجُلِ بِقِلَّةِ مَقَالِهِ. وَعَلَى فَضْلِهِ بِكَثْرَةِ ٱحْتِمَالِهِ. (لبهاء الدين)

١٥٩ ٱجْتَمَعَ أَرْبَعَةُ مُلُوكٍ فَتَكَلَّمُوا. فَقَالَ مَلِكُ ٱلْفُرْسِ: مَا نَدِمْتُ عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ مَرَّةً وَنَدِمْتُ عَلَى مَا قُلْتُ مِرَارًا. وَقَالَ قَيْصَرُ: أَنَا عَلَى رَدِّ مَا لَمْ أَقُلْ أَقْدَرُ مِنِّي عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ. وَقَالَ مَلِكُ ٱلصِّينِ: مَا لَمْ

أَتكلَّمْ بِكلِمةٍ ملكتُها فإذا تكلَّمتُ بِها ملكَتْني . وقالَ مَلِكُ الهندِ : ألعجبُ مِمَّنْ يتكلَّمُ بكلِمةٍ إنْ رُفِعتْ ضرَّتْ وإنْ لمْ تُرْفعْ لمْ تنفعْ (كليلة ودمنة)

١٦٠ ذكرَ ابنُ خِلِّكانَ أنَّ رجلًا كانَ يجالسُ الشَّعبيَّ ويُطيلُ الصَّمتَ . فقالَ لهُ الشَّعبيُّ يومًا : ألا تتكلَّمُ . فقالَ : أَصمتُ فأَسلَمُ . وأَسمعُ فأَعلَمُ . إنَّ حظَّ المرءِ في أُذنِهِ لهُ وفي لسانِهِ لغيرِهِ (للدميري)

قالَ ابنُ السِّكِّيتِ :

يُصابُ الفتى مِنْ عثرةٍ بِلسانِهِ
وليسَ يُصابُ المرْءُ مِنْ عثرةِ الرِّجلِ
فعثرتُهُ بالقولِ تُذهِبُ رأسَهُ
وعثرتُهُ بالرِّجلِ تبرا على مَهلِ

١٦١ قالَ بعضُ السَّلفِ : ألنَّدمُ على الصَّمتِ خيرٌ مِنَ النَّدمِ على القولِ . ومِنْ فصولِ ابنِ المعتزِّ : مَنْ أخافهُ الكلامُ أجارهُ الصَّمتُ . وقالَ أيضًا : ألخطأُ بالصَّمتِ يُختَمُ . والخطلُ بمثلِهِ لا يُكتَمُ

وقالَ آخرُ :

ألصَّمتُ يُكسِبُ أهلَهُ صِدقَ المودَّةِ والمحبَّهْ
والقولُ يستدعي لِصا حِبِهِ المذمَّةَ والمسبَّهْ
فارغبْ عنِ القولِ ولا يهتاجُ مِنكَ إليهِ رغبهْ

١٦٢ ويُقالُ : مِنْ علاماتِ العاقلِ حُسنُ سمتِهِ . وطولُ صمتِهِ . وقالَ

بَعضُ الحُكَماء: أوَّلُ العِلمِ الصَّمتُ. والثاني حُسنُ الاستماعِ. والثالثُ الحِفظُ. والرابعُ العَمَلُ بِهِ. والخامسُ نَشرُهُ. كانَ يُقالُ: مَقتلُ الرَّجلِ بَينَ فَكَّيهِ. وقالَ بعضُ البُلَغاءِ: اللِّسانُ أجرحُ جوارحِ الإنسانِ. وقالَ آخرُ: اللِّسانُ سَبُعٌ صَغيرُ الجِرمِ

(لابي نصر المقدسي)

سَمِعتُ بَعضَ الشُّيوخِ يقولُ: أشدُّ النَّاسِ بَلاءً وأكثرُهم عَناءً. مَن لهُ لِسانٌ مُطلَقٌ. وقلبٌ مُطبَقٌ. فهو لا يَستطيعُ أن يَسكتَ ولا يُحسِنُ أن يَتكلَّمَ (الكنز المدفون)

قالَ نضرُ بنُ شُمَيلٍ:

وإذا بُليتُ بجاهلٍ مُتحكِّمٍ يَجِدُ المُحالَ مِنَ الأُمورِ صَوابا
أولَيتُهُ مِنِّي السُّكوتَ ورُبَّما كانَ السُّكوتُ عَنِ الجوابِ جَوابا

قالَ فيلسوفٌ: كما أنَّ الآنيةَ تُمتحَنُ بإطنانِها فيُعرَفُ صحيحُها أو مكسورُها. كذلكَ الإنسانُ يُعرَفُ حالُهُ بمَنطِقِهِ (لبهاء الدين)

١٦٣ شاوَرَ مُعاويةُ الأحنفَ بنَ قَيسٍ في استخلافِهِ يزيدَ. فسكتَ عنهُ فقالَ: ما لكَ لا تقولُ. فقالَ: إن صَدَقناكَ أسخطناكَ. وإن كذَبناكَ أسخطنا اللهَ. فسُخطُ أميرِ المؤمنينَ أهونُ علينا مِن سُخطِ اللهِ. فقالَ لهُ: صدقتَ

قالَ الحسنُ البصريُّ: لِسانُ العاقلِ مِن وَراءِ قلبِهِ فإذا أرادَ الكلامَ تفكَّرَ. فإن كانَ لهُ قالَ. وإن كانَ عليهِ سكتَ. وقلبُ

ٱلْأَحمَقِ مِن وَرَاءِ لِسَانِهِ . فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ قَالَ (لابن عبد ربّه)

قَالَ زُهَيْرٌ :

كَأَيِّنْ تَرَى مِنْ مُعْجِبٍ لَكَ صَامِتٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي ٱلتَّكَلُّمِ
لِسَانُ ٱلْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ ٱللَّحْمِ وَٱلدَّمِ

الكذب

١٦٤ أَلْكَذِبُ هُوَ ٱلْإِخْبَارُ عَلَى خِلَافِ ٱلْوَاقِعِ . قَالَ بَعْضُهُمْ : لَوْ لَمْ أَدَعِ ٱلْكَذِبَ تَوَرُّعًا . تَرَكْتُهُ تَصَنُّعًا (الكنز المدفون للسيوطي)

قَالَ عُمَرُ : عَلَيْكَ بِٱلصِّدْقِ وَإِنْ قَتَلَكَ . وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي ذٰلِكَ :

عَلَيْكَ بِٱلصِّدْقِ وَلَوْ أَنَّهُ أَحْرَقَكَ ٱلصِّدْقُ بِنَارِ ٱلْوَعِيدْ
وَٱبْغِ رِضَا ٱلْمَوْلَى فَأَغْبَى ٱلْوَرَى مَنْ أَسْخَطَ ٱلْمَوْلَى وَأَرْضَى ٱلْعَبِيدْ

وَقِيلَ : لِكُلِّ شَيْءٍ حِلْيَةٌ وَحِلْيَةُ ٱلنُّطْقِ ٱلصِّدْقُ (للابشيهي)

١٦٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَةَ : ٱلصِّدْقُ رَبِيعُ ٱلْقَلْبِ . وَزَكَاةُ ٱلْخِلْقَةِ . وَثَمَرَةُ ٱلْمُرُوءَةِ . وَشُعَاعُ ٱلضَّمِيرِ . وَعَنْ جَلَالَةِ ٱلْقَدْرِ عِبَارَتُهُ . وَإِلَى ٱعْتِدَالِ وَزْنِ ٱلْعَقْلِ يُنْسَبُ صَاحِبُهُ . قَالَ بَعْضُ ٱلْفَلَاسِفَةِ : ٱلْكَذَّابُ وَٱلْمَيْتُ سَوَاءٌ . لِأَنَّ فَضِيلَةَ ٱلْحَيِّ ٱلنُّطْقُ فَإِذَا لَمْ يُوثَقْ بِكَلَامِهِ فَقَدْ بَطَلَتْ حَيَاتُهُ . قَالَ ٱلْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ : ٱلْكَذَّابُ لِصٌّ . لِأَنَّ ٱللِّصَّ يَسْرِقُ مَالَكَ . وَٱلْكَذَّابُ يَسْرِقُ عَقْلَكَ . وَلَا تَأْمَنْ مِنْ كَاذِبٍ لَكَ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيْكَ . وَمَنِ ٱغْتَابَ غَيْرَكَ عِنْدَكَ فَلَا تَأْمَنْ أَنْ يَغْتَابَكَ عِنْدَ غَيْرِكَ

حَسْبُ ٱلْكَذُوبِ مِنَ ٱلْمَهَا نَةِ بَعْضُ مَا يُحْكَى عَلَيْهِ
مَا إِنْ سَمِعْتَ بِكِذْبَةٍ مِنْ غَيْرِهِ نُسِبَتْ إِلَيْهِ

(زهر الآداب للقيرواني)

التواضع والكبر

١٦٦ قِيلَ لِبَعْضِهِمْ: مَا ٱلتَّوَاضُعُ. فَقَالَ: ٱجْتِلَابُ ٱلْمَجْدِ وَٱكْتِسَابُ ٱلْوِدِّ. فَقِيلَ: مَا ٱلْكِبْرُ. فَقَالَ: ٱكْتِسَابُ ٱلْبُغْضِ. (وقيل) ٱلتَّوَاضُعُ أَحَدُ مَصَايِدِ ٱلشَّرَفِ. مَنْ لَمْ يَتَّضِعْ عِنْدَ نَفْسِهِ. لَمْ يَرْتَفِعْ عِنْدَ غَيْرِهِ

نَظَرَ مُطَرِّفٌ إِلَى ٱلْمُهَلَّبِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ يَسْحَبُهَا. فَقَالَ: مَا هٰذِهِ ٱلْمِشْيَةُ ٱلَّتِي يُبْغِضُهَا ٱللّٰهُ تَعَالَى. فَقَالَ: أَوَمَا تَعْرِفُنِي. قَالَ: بَلَى أَوَّلُكَ مَادَّةٌ مَذِرَةٌ وَآخِرُكَ جِيفَةٌ قَذِرَةٌ. فَلَمْ يَعُدْ إِلَى تِلْكَ ٱلْمِشْيَةِ بَعْدَ ذٰلِكَ.

وَنَظَرَ ٱلْحَسَنُ إِلَى رَجُلٍ يَخْطِرُ فِي نَاحِيَةِ ٱلْمَسْجِدِ. فَقَالَ: ٱنْظُرُوا إِلَى هٰذَا لَيْسَ مِنْهُ عُضْوٌ إِلَّا وَلِلّٰهِ عَلَيْهِ فِيهِ نِعْمَةٌ وَلِلشَّيْطَانِ فِيهِ لَعْنَةٌ

وَٱشْتَرَى رَجُلٌ شَيْئًا فَمَرَّ بِسَلْمَانَ وَهُوَ أَمِيرُ ٱلْمَدَائِنِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ. فَقَالَ: ٱحْمِلْ مَعِي هٰذَا يَا عِلْجُ فَحَمَلَهُ فَكَانَ مَنْ يَتَلَقَّاهُ يَقُولُ: ٱدْفَعْهُ إِلَيَّ أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ. فَقَالَ: وَٱللّٰهِ لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا ٱلْعِلْجُ. وَٱلرَّجُلُ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَرُدَّهُ عَلَيْهِ. فَأَبَى حَتَّى حَمَلَهُ إِلَى مَقَرِّهِ (للثعالبي)

قَالَ بَعْضُهُمْ:

مَثَلُ ٱلْمَجْدِ ٱلَّذِي تَطْلُبُهُ مَثَلُ ٱلظِّلِّ ٱلَّذِي يَمْشِي مَعَكْ
أَنْتَ لَا تُدْرِكُهُ مُتَّبِعًا فَإِذَا وَلَّيْتَ عَنْهُ تَبِعَكْ

١٦٧ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ لِبَعْضِ ٱلْوُزَرَاءِ : إِنَّ تَوَاضُعَكَ فِي شَرَفِكَ أَشْرَفُ لَكَ مِنْ شَرَفِكَ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَمِنَ ٱلْبَلْوَى ٱلَّتِي لَيْـسَ لَهَا فِي ٱلنَّاسِ كُنْهُ
أَنَّ مَنْ يَعْرِفُ شَيْئًا يَدَّعِي أَكْثَرَ مِنْهُ

(لبهاء الدين)

قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

عَجِبْتُ لِلْإِنْسَانِ فِي فَخْرِهِ وَهُوَ غَدًا فِي قَبْرِهِ يُقْبَرُ
أَصْبَحَ لَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ مَا يَرْجُو وَلَا تَأْخِيرَ مَا يَحْذَرُ

حُكِيَ أَنَّ ٱلْمَنْصُورَ كَانَ جَالِسًا فَأَلَحَّ عَلَيْهِ ٱلذُّبَابُ حَتَّى أَضْجَرَهُ . فَقَالَ : ٱنْظُرُوا مَنْ بِٱلْبَابِ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ . فَقَالُوا : مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ . فَدَعَا بِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : هَلْ تَعْلَمُ لِأَيِّ حِكْمَةٍ خَلَقَ ٱللهُ ٱلذُّبَابَ . قَالَ : لِيُذِلَّ بِهِ ٱلْجَبَابِرَةَ . قَالَ : صَدَقْتَ . ثُمَّ أَجَازَهُ (للابشيهي)

١٦٨ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : أَحَقُّ مَنْ كَانَ لِلْكِبْرِ مُجَانِبًا . وَلِلْإِعْجَابِ مُبَايِنًا . مَنْ جَلَّ فِي ٱلدُّنْيَا قَدْرُهُ . وَعَظُمَ فِيهَا خَطَرُهُ . لِأَنَّهُ يَسْتَقِلُّ بِعَالِي هِمَّتِهِ كُلَّ كَثِيرٍ . وَيَسْتَصْغِرُ مَعَهَا كُلَّ كَبِيرٍ .

وَرَدَ فِي بَعْضِ ٱلْكُتُبِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ : عَجَبًا لِمَنْ قِيلَ فِيهِ مِنَ ٱلْخَيْرِ مَا لَيْسَ فِيهِ فَفَرِحَ . وَقِيلَ فِيهِ مِنَ ٱلشَّرِّ مَا هُوَ فِيهِ فَغَضِبَ

(للعاملي)

الحسد

١٦٩ (قيل) الحسدُ أن تتمنّى زوالَ نعمةِ غيرك . الحسدُ أوّلُ ذنبٍ عُصِيَ اللهُ به في السماء والأرض . قال ابن المقفّع : الحسدُ والحرص دِعامتا الذنوبِ . فالحرص أخرج آدم من الجنّة . والحسدُ نقل إبليس عن جوار الله . وقال أيضاً : لله درُّ الحسدِ ما أعدلَه يقتل الحاسدَ قبل أن يصل إلى المحسودِ . وقيل: الحسودُ لا يسودُ (للثعالبي)

قال ابن المعتزّ :

أَلمجدُ والحُسّادُ مقرونانِ إن ذهبوا فذاهِبْ
ولئن ملكتَ المجدَ لم تملكْ مودّاتِ الأقاربْ

١٧٠ قال بعضُهم : أعظمُ الذنوبِ عند الله الحسدُ والحاسدُ مُضادٌّ لنعمةِ الله . خارجٌ عن أمرِ الله . تاركٌ لعهدِ الله . وقال معاويةُ : كلُّ إنسانٍ أقدرُ أن أرضيَه إلّا حاسدَ نعمةٍ فلا يُرضيه إلّا زوالُها . وكان يقال: الحقدُ داءٌ دويٌّ . ويقال: من كثُر حقدُه دوِيَ قلبُه . ويقال: الحقدُ مفتاحُ كلِّ شرٍّ . ويقال : حُلَّ عُقدَ الحقدِ . ينتظم لك عِقدُ الودِّ (لابي نصر المقدسي)

قال أبو تمّام :

وإذا أرادَ اللهُ نشرَ فضيلةٍ طُوِيتْ أتاحَ لها لِسانَ حسودِ
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتْ ما كان يُعرفُ طيبُ عَرفِ العودِ

ذمّ الغيبة

١٧١ إعلَمْ أنَّ ٱلغِيبَةَ مِنْ أقبحِ ٱلقبائحِ وأكثرِها ٱنتشارًا في ٱلنّاسِ حتّى لا يَسلَمُ مِنها إلّا ٱلقليلُ مِنَ ٱلنّاسِ. وهيَ ذِكرُكَ ٱلإنسانَ بما يكرَهُ ولو بما فيهِ. سواءٌ كانَ في دِينِهِ أوْ بدنِهِ أوْ نفسِهِ أوْ خَلقِهِ أوْ خُلقِهِ أوْ مالِهِ أوْ غيرِ ذلكَ ممّا يتعلّقُ بهِ. سواءٌ ذكرتَهُ بلفظِكَ أوْ بكتابِكَ أوْ رمزتَ إليهِ بعينِكَ أوْ يدِكَ أوْ رأسِكَ أوْ نحوِ ذلكَ. وقيلَ للرّبيعِ ٱبنِ خُثَيمٍ: ما نراكَ تغتابُ أحدًا. فقالَ: لستُ عن نفسي راضيًا فأتفرّغَ لذمِّ ٱلنّاسِ. وأنشدَ:

لِنفسي أبكي لَستُ أبكي لِغيرِها   لِنفسي مِن نفسي عنِ ٱلنّاسِ شاغِلُ

١٧٢ إستَحِ مِن ذمِّ مَن لو كانَ حاضرًا لبالغتَ في مدحِهِ. ومدحِ مَن لو كانَ غائبًا لسارعتَ إلى ذمِّهِ. ومِن كلامِهم: كما أنَّ ٱلذّبابَ يتبعُ مواضعَ ٱلجُروحِ فينكيها ويجتنبُ ٱلمواضعَ ٱلصّحيحةَ. كذلكَ ٱلأشرارُ يتبعونَ ٱلمعايبَ فيذكرونها ويدفِنونَ ٱلمحاسنَ

(لبهاء الدين)

١٧٣ إعلَمْ أنّهُ كما يحرُمُ على ٱلمُغتابِ ذِكرُ ٱلغِيبةِ كذلكَ يحرُمُ على ٱلسّامعِ ٱستماعُها. فيجبُ على مَن يستمعُ إنسانًا يبتدئُ بغيبةٍ أنْ ينهاهُ إنْ لم يخَفْ ضررًا. فإنْ خافَهُ وجبَ عليهِ ٱلإنكارُ بقلبِهِ ومفارقةُ ذلكَ ٱلمجلسِ إنْ تمكّنَ مِن مفارقتِهِ (للابشيهي)

سمعَ عليٌّ رجلًا يغتابُ آخرَ عندَ ٱبنِهِ ٱلحسنِ فقالَ: يا بُنيَّ نزِّهْ

سَمْعَكَ عَنْهُ فَإِنَّهُ نَظَرَ إِلَى أَخْبَثِ مَا فِي وِعَائِهِ فَأَفْرَغَهُ فِي وِعَائِكَ

(للمستعصيّ)

قَالَ ٱلشَّبْرَاوِيُّ:

وَسَمْعَكَ صُنْ عَنْ سَمَاعِ ٱلْقَبِيحِ كَصَوْنِ ٱللِّسَانِ عَنِ ٱلنُّطْقِ بِهْ

فَإِنَّكَ عِنْدَ سَمَاعِ ٱلْقَبِيحِ شَرِيكٌ لِقَائِلِهِ فَٱنْتَبِهْ

المزاح

١٧٤ قَالَ بَعْضُ حُكَمَاءِ ٱلْعَرَبِ: ٱلْمِزَاحُ يُذْهِبُ ٱلْمَهَابَةَ وَيُورِثُ ٱلضَّغِينَةَ أَوِ ٱلْمَهَانَةَ. وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ: ٱلْمِزَاحُ يَأْكُلُ ٱلْهَيْبَةَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ. وَمَنْ كَثُرَ مِزَاحُهُ لَمْ يَزَلْ فِي ٱسْتِخْفَافٍ بِهِ وَحِقْدٍ عَلَيْهِ

قَالَ نَاصِحُ ٱلدِّينِ ٱبْنُ ٱلدَّهَّانِ:

لَا تَجْعَلِ ٱلْهَزْلَ دَأْبًا فَهُوَ مَنْقَصَةٌ وَٱلْجِدُّ تَعْلُو بِهِ بَيْنَ ٱلْوَرَى ٱلْقِيَمُ

وَلَا يَغُرَّنْكَ مِنْ مَلْكٍ تَبَسُّمُهُ مَا تَسْحَتِ ٱلسُّحْبُ إِلَّا حِينَ تَبْتَسِمُ

١٧٥ كَانَ يُقَالُ: ٱلْإِفْرَاطُ فِي ٱلْمَزْحِ مُجُونٌ وَٱلِٱقْتِصَادُ فِيهِ ظَرَافَةٌ. وَيُقَالُ: ٱلْمَزْحُ فِي ٱلْكَلَامِ. كَٱلْمِلْحِ فِي ٱلطَّعَامِ. وَقَدْ نَظَمَهُ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْبُسْتِيُّ فَقَالَ:

أَفِدْ طَبْعَكَ ٱلْمَكْدُودَ بِٱلْهَمِّ رَاحَةً قَلِيلًا وَعَلِّلْهُ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْمَزْحِ

وَلٰكِنْ إِذَا أَعْطَيْتَهُ ٱلْمَزْحَ فَلْيَكُنْ بِمِقْدَارِ مَا تُعْطِي ٱلطَّعَامَ مِنَ ٱلْمِلْحِ

(لابي نصر المقدسي)

الكرم

١٧٦ أَلْجُودُ سُهُولَةُ ٱلْبَذْلِ وَسُقُوطُ شُحِّ ٱلنَّفْسِ. وَقَدْ قِيلَ فِي كَرِيمٍ:

يَا وَاحِدَ ٱلْعُرْبِ ٱلَّذِي أَضْحَى وَلَيْسَ لَهُ نَظِيرْ
لَوْ كَانَ مِثْلُكَ آخَرٌ مَا كَانَ فِي ٱلدُّنْيَا فَقِيرْ

(الكنز المدفون)

قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ حَكِيمُ ٱلْعَرَبِ: ذَلِّلُوا أَخْلَاقَكُمْ لِلْمَطَالِبِ. وَقُودُوهَا إِلَى ٱلْمَحَامِدِ. وَعَلِّمُوهَا ٱلْمَكَارِمَ. وَصِلُوا مَنْ رَغِبَ إِلَيْكُمْ. وَتَحَلَّوْا بِٱلْجُودِ يُلْبِسْكُمُ ٱلْمَحَبَّةَ. وَلَا تَعْتَقِدُوا ٱلْبُخْلَ فَتَتَعَجَّلُوا ٱلْفَقْرَ

(لابن عبد ربّه)

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ يَصِفُ ٱلْخَلِيفَةَ ٱلْمُعْتَصِمَ:

تَعَوَّدَ بَسْطَ ٱلْكَفِّ حَتَّى لَوَ ٱنَّهُ أَرَادَ ٱنْقِبَاضًا لَمْ تُطِعْهُ أَنَامِلُهْ
هُوَ ٱلْبَحْرُ مِنْ أَيِّ ٱلنَّوَاحِي أَتَيْتَهُ فَلُجَّتُهُ ٱلْمَعْرُوفُ وَٱلْجُودُ سَاحِلُهْ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ ٱللّٰهَ سَائِلُهْ

١٧٧ (قَالُوا) ٱلسَّخِيُّ مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِبَذْلِهِ مُتَبَرِّعًا بِعَطَائِهِ. لَا يَلْتَمِسُ عَرَضَ دُنْيَا فَيُحْبَطَ عَمَلُهُ. وَلَا طَلَبَ مُكَافَأَةٍ فَيَسْقُطَ شُكْرُهُ. وَيَكُونُ مَثَلُهُ فِيمَا أَعْطَى مَثَلَ ٱلصَّائِدِ ٱلَّذِي يُلْقِي ٱلْحَبَّ لِلطَّائِرِ لَا يُرِيدُ نَفْعَهُ وَلٰكِنْ نَفْعَ نَفْسِهِ. وَقِيلَ لِبَعْضِ ٱلْحُكَمَاءِ: مَنْ أَجْوَدُ ٱلنَّاسِ. قَالَ: مَنْ جَادَ مِنْ قِلَّةٍ. وَصَانَ وَجْهَ ٱلسَّائِلِ عَنِ ٱلْمَذَلَّةِ (لبهاء الدين)

قَالَ أَبُو ٱلْحُسَيْنِ ٱلْجَزَّارُ فِي ٱلْحَثِّ عَلَى ٱلْإِنْفَاقِ:

إذا كان لي مالٌ علامَ أصونهُ وما سادَ في الدُّنيا من البُخلِ دينهُ
ومَن كانَ يوماً ذا يسارٍ فإنّهُ خليقٌ لعمري أن تجودَ يمينهُ

١٧٨ قال بعضهم: الجودُ أشرفُ الأخلاقِ. وأنفسُ الأعلاقِ. وقال ابن المعتزّ: الجودُ حارسُ النفسِ من الذمّ. وقال آخر: الأسخياءُ يعبدهم المالُ. والبخلاءُ يعبدونه. وقال بعض السلف: لو كان شيءٌ يُشبهُ الربوبيّةَ لقلتُ: الجودُ. ويقال: من جادَ سادَ. ومن بخلَ رذلَ. وقال عمرُ: السيّدُ الجوادُ حين يُسألُ. وقال أبو نواس:

أنتَ للمالِ إذا أمسكتَهُ فإذا أنفقتَهُ فالمالُ لكْ

قال شاعرٌ يمدحُ بعضَ الخلفاء:

بنتِ المكارمُ وسطَ كفّكَ منزلاً وجعلتَ مالكَ للأنامِ مُباحا
فإذا المكارمُ أُغلقتْ أبوابها كانتْ يداكَ لقُفلها مفتاحا

١٧٩ كتبَ كسرى إلى هُرمُزَ استقللْ كثيرَ ما تُعطي. واستكثرْ قليلَ ما تأخذُ. فإنَّ قرّةَ عينِ الكريمِ فيما يُعطي. وقرّةَ عينِ اللئيمِ فيما يأخذُ. ولا تجعلِ الشحيحَ لكَ مُعيناً. ولا الكذّابَ أميناً. فإنّهُ لا إعانةَ مع شُحٍّ ولا أمانةَ مع كذبٍ. والسلامُ (للمستعصمي)

وأنشدَ أعرابيٌّ:

وكم قد رأينا من فروعٍ كثيرةٍ تموتُ إذا لم تُحيِهنَّ أصولُ
ولم أرَ كالمعروفِ أمّا مذاقُهُ فحلوٌ وأمّا وجهُهُ فجميلُ

الشكر

١٨٠ ألشُّكْرُ الثَّنَاءُ عَلَى الْمُحْسِنِ بِذِكْرِ إِحْسَانِهِ . وَقَالَ إِبْرٰهِيمُ الشَّيْبَانِي : كُنْتُ أَرَى رَجُلاً مِنْ وُجُوهِ أَهْلِ الْكُوفَةِ لَا يَجِفُّ لِبْدُهُ . وَلَا يَسْتَرِيحُ قَلْبُهُ . فِي طَلَبِ حَوَائِجِ النَّاسِ وَإِدْخَالِ الْمَرَافِقِ عَلَى الضَّعِيفِ . فَقُلْتُ لَهُ : أَخْبِرْنِي عَنِ الْحَالِ الَّتِي هَوَّنَتْ عَلَيْكَ هٰذَا التَّعَبَ فِي الْقِيَامِ بِحَوَائِجِ النَّاسِ مَا هِيَ . قَالَ : قَدْ وَاللّٰهِ سَمِعْتُ تَغْرِيدَ الْأَطْيَارِ بِالْأَسْحَارِ . فِي فُرُوعِ الْأَشْجَارِ . وَسَمِعْتُ خُفُوقَ أَوْتَارِ الْعِيدَانِ . وَتَرْجِيعَ أَصْوَاتِ الْقِيَانِ . فَمَا طَرِبْتُ مِنْ صَوْتٍ قَطُّ طَرَبِي مِنْ ثَنَاءٍ حَسَنٍ بِلِسَانٍ حَسَنٍ عَلَى رَجُلٍ قَدْ أَحْسَنَ . وَمَا سَمِعْتُ أَحْسَنَ مِنْ شُكْرِ حُرٍّ لِرَجُلٍ حُرٍّ (للشريشي)

١٨١ قَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ : إِنَّ اللّٰهَ أَنْعَمَ عَلَى عِبَادِهِ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ . وَكَلَّفَهُمْ مِنَ الشُّكْرِ بِقَدْرِ طَاقَتِهِمْ . (قِيلَ) الشُّكْرُ أَفْضَلُ مِنَ النِّعَمِ لِأَنَّهُ يَبْقَى وَالنِّعَمُ تَفْنَى . (وَقِيلَ) الشُّكْرُ زِيَادَةٌ فِي النِّعَمِ . وَأَمَانٌ مِنَ النِّقَمِ . (وَقَالُوا) كُفْرُ النِّعْمَةِ يُوجِبُ زَوَالَهَا . وَشُكْرُهَا يُوجِبُ الْمَزِيدَ فِيهَا . (وَقَالُوا) مَنْ حَمِدَكَ فَقَدْ وَفَاكَ حَقَّ نِعْمَتِكَ . (وَقَالُوا) إِذَا قَصُرَتْ يَدَاكَ عَنِ الْمُكَافَاةِ فَلْيَطُلْ لِسَانُكَ بِالشُّكْرِ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْوَاقِدِيُّ : دَخَلْتُ عَلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ الْبَرْمَكِيِّ فَقُلْتُ : إِنَّ هٰهُنَا قَوْمًا يَشْكُرُونَ لَكَ مَعْرُوفًا . فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ هٰؤُلَاءِ يَشْكُرُونَ مَعْرُوفًا فَكَيْفَ لَنَا شُكْرُ شُكْرِهِمْ (لابن عبد ربه)

القناعة

١٨٢ ألقناعة الإكتفاء بالموجود. وترك التشوّق إلى المفقود. قال بعض الحكماء لابنه: يا بنيّ العبد حرٌّ إذا قنع. والحرّ عبد إذا طمع. وقال بعضهم: من لم يقنع بالقليل لم يكتفِ بالكثير. ومن فصول ابن المعتزّ: أعرف الناس بالله من رضي بما قسم له. وقال أبو العتاهية:

إن كان لا يغنيك ما يكفيكا فكلّ ما في الأرض لا يغنيكا

قال غيره:

إذا شئتَ أن تحيا سعيدًا فلا تكن على حالةٍ إلّا رضيت بدونها
ومن طلب العليا من العيش لم يزل حقيرًا وفي الدنيا أسير غبونها

١٨٣ (قالوا) الغنيُّ من استغنى بالله. والفقير من افتقر إلى الناس (وقالوا) لا غنى إلّا غنى النفس (لابن عبد ربه)

قال النوويّ:

وجدتُ القناعة أصل الغنى فصرتُ بأذيالها ممتسك
فلا ذا يراني على بابه ولا ذا يراني به منهمك
وعشتُ غنيًّا بلا درهمٍ أمرّ على الناس شبه الملك

نظر عبد الملك بن مروان عند موته وهو في قصره إلى قصّار يضرب بالثوب المغسلة. فقال: يا ليتني كنت قصّارًا ولم أتقلّد الخلافة. فبلغ كلامه أبا حاتم. فقال: الحمد لله الذي جعلهم إذا

حَضَرَهُمُ ٱلْمَوْتُ يَتَمَنَّوْنَ مَا نَحْنُ فِيهِ . وَإِذَا حَضَرَنَا ٱلْمَوْتُ لَمْ نَتَمَنَّ مَا هُمْ فِيهِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

بِقَدْرِ ٱلصُّعُودِ يَكُونُ ٱلْهُبُوطُ فَإِيَّاكَ وَٱلرُّتَبَ ٱلْعَالِيَهْ
وَكُنْ فِي مَكَانٍ إِذَا مَا سَقَطْتَ تَقُومُ وَرِجْلَاكَ فِي عَافِيَهْ

١٨٤ كَانَ أَنُوشِرْوَانُ يُمْسِكُ عَنِ ٱلطَّعَامِ وَهُوَ يَشْتَهِيهِ وَيَقُولُ: نَتْرُكُ مَا نُحِبُّ لِئَلَّا نَقَعَ فِيمَا نَكْرَهُ . كَانَ سُقْرَاطُ ٱلْحَكِيمُ قَلِيلَ ٱلْأَكْلِ خَشِنَ ٱللِّبَاسِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ ٱلْفَلَاسِفَةِ : أَنْتَ تَحْسَبُ أَنَّ ٱلرَّحْمَةَ لِكُلِّ ذِي رُوحٍ وَاجِبَةٌ وَأَنْتَ ذُو رُوحٍ فَلَا تَرْحَمُهَا . فَكَتَبَ لَهُ سُقْرَاطُ فِي جَوَابِهِ : إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ آكُلَ لِأَعِيشَ . وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَعِيشَ لِتَأْكُلَ . وَٱلسَّلَامُ

١٨٥ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ ٱلْحُكَمَاءِ : إِذَا طَلَبْتَ ٱلْعِزَّ فَٱطْلُبْهُ بِٱلطَّاعَةِ . وَإِذَا أَرَدْتَ ٱلْغِنَى فَٱطْلُبْهُ بِٱلْقَنَاعَةِ . فَمَنْ أَطَاعَ ٱللّٰهَ عَزَّ نَصْرُهُ . وَمَنْ لَزِمَ ٱلْقَنَاعَةَ زَالَ فَقْرُهُ . قَالَ أَرِسْطُو : ٱلْقُنْيَةُ يَنْبُوعُ ٱلْأَحْزَانِ . نَظَمَهُ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْبُسْتِيُّ بِقَوْلِهِ :

يَقُولُونَ مَا لَكَ لَا تَقْتَنِي مِنَ ٱلْمَالِ ذُخْرًا يُفِيدُ ٱلْغِنَى
فَقُلْتُ وَأَفْحَمْتُهُمْ فِي ٱلْجَوَابِ لِئَلَّا أَخَافَ وَلَا أَحْزَنَا

(لبهاء الدين)

البطنة

١٨٦ (قَالُوا) ٱلْبِطْنَةُ تُذْهِبُ ٱلْفِطْنَةَ . رَأَى أَبُو ٱلْأَسْوَدِ ٱلدُّؤَلِيُّ

رَجُلًا يَلقَمُ لَقَمًا مُنكَرًا . فقالَ : كيفَ اسمُكَ . قالَ : لُقمانُ . قالَ : صدقَ الَّذي سمَّاكَ . ورأى أعرابيٌّ رجلًا سمينًا . فقالَ لهُ : أرى عليكَ قطيفةً مِن نسجِ أضراسِكَ . قيلَ لِبُزُرْجُمِهرَ : أيُّ وقتٍ فيهِ الطَّعامُ أصلحُ . قالَ : أمَّا لِمَن قَدَرَ فإذا جاعَ . ولِمَن لم يقدِرْ فإذا وجدَ . قيلَ لِبَعضِهِم : ما أفضلُ الدَّواءِ . قالَ : أن ترفعَ يدكَ عنِ الطَّعامِ وأنتَ تشتهيهِ . (قالوا) احذَروا البِطنةَ فإنَّ أكثرَ العِلَلِ إنَّما تتولَّدُ مِن فضولِ الطَّعامِ (لابن عبد ربّه)

ذمّ النبيذ

١٨٧ جاءَ في المُنتَهَج : الخمرُ مِصباحُ السُّرورِ . ولكنَّها مفتاحُ الشُّرورِ . وقيلَ لِبَعضِ الحُكماءِ : اشرَبْ معنا . فقالَ : أنا لا أشرَبُ ما يشرَبُ عقلي . وقيلَ لِبَعضِهِم : النَّبيذُ كيمياءُ الطَّرَبِ . فقالَ : نعم ولكنَّهُ داعيةُ الحَرَبِ . قالَ يَزيدُ المُهلَّبي :

لَعَمرُكَ ما يُخفى على النَّاسِ شرُّها ... وإن كانَ فيها لذَّةٌ وهناءُ
مِرارًا تُريكَ الغيَّ رُشدًا وتارةً ... تخيَّلُ أنَّ المُحسِنينَ أساؤوا
وأنَّ الصَّديقَ الماحِضَ الوُدَّ مُبغِضٌ ... وأنَّ مديحَ المادحينَ هجاءُ
وجرَّبتُ إخوانَ النَّبيذِ فقلَّما ... يدومُ لإخوانِ النَّبيذِ إخاءُ

العزلة

١٨٨ (يُقالُ) العُزلةُ عنِ النَّاسِ توقِّي العِرضَ . وتُبقي الجَلالةَ . وتستُرُ الفاقةَ . وقالَ مكحولٌ : إن كانَ الفضلُ في الجماعةِ . فإنَّ

ٱلسَّلَامَةَ فِي ٱلْوَحْدَةِ وَٱلْعُزْلَةِ . قَالَ ٱلْجُرْجَانِيّ :

مَا تَطَعَّمْتُ لَذَّةَ ٱلْعَيْشِ حَتَّى صِرْتُ فِي وَحْدَتِي لِكُتْبِي جَلِيسَا
إِنَّمَا ٱلذُّلُّ فِي مُدَاخَلَةِ ٱلنَّا سِ فَدَعْهَا وَكُنْ كَرِيمًا رَئِيسَا
لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أَجَلُّ مِنَ ٱلْعِلْـمِ فَـلَا أَبْتَغِي سِوَاهُ أَنِيسَا

(لابي نصر المقدسي)

١٨٩ أَلْعُزْلَةُ عَنِ ٱلْخَلْقِ هِيَ ٱلطَّرِيقُ ٱلْأَقْوَمُ ٱلْأَسَدُّ . فِرَّ مِنَ ٱلْخَلْقِ فِرَارَكَ مِنَ ٱلْأَسَدِ . فَطُوبَى لِمَنْ لَا يَعْرِفُونَهُ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْفَضَائِلِ وَٱلْمَزَايَا . لِأَنَّهُ سَالِمٌ مِنَ ٱلْآلَامِ وَٱلرَّزَايَا . فَٱحْبِسْ نَفْسَكَ فِي زَاوِيَةِ ٱلْعُزْلَةِ . فَإِنَّ عُزْلَةَ ٱلْمَرْءِ عِزٌّ لَهُ . قِيلَ لِبَعْضِ ٱلزُّهَّادِ : إِلَى أَيِّ شَيْءٍ أَفْضَتْ بِكُمُ ٱلْخَلْوَةُ . فَقَالَ : إِلَى ٱلْأُنْسِ بِٱللهِ تَعَالَى

وَلِلهِ دَرُّ مَنْ قَالَ :

أَنِسْتُ بِوَحْدَتِي وَلَزِمْتُ بَيْتِي فَطَابَ ٱلْأُنْسُ لِي وَصَفَا ٱلسُّرُورُ
وَأَدَّبَنِي ٱلزَّمَانُ فَـلَا أُبَالِي بِأَنِّي لَا أُزَارُ وَلَا أَزُورُ
وَلَسْتُ بِسَائِلٍ مَا عِشْتُ يَوْمًا أَسَارَ ٱلْجُنْدُ أَمْ رَكِبَ ٱلْأَمِيرُ

قِيلَ لِدِعْبِلٍ ٱلشَّاعِرِ : مَا ٱلْوَحْشَةُ عِنْدَكَ . فَقَالَ : ٱلنَّظَرُ إِلَى ٱلنَّاسِ ثُمَّ أَنْشَدَ :

مَا أَكْثَرَ ٱلنَّاسَ لَا بَلْ مَا أَقَلَّهُمُ أَللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقُلْ فَنَدَا
إِنِّي لَأَفْتَحُ عَيْنِي حِينَ أَفْتَحُهَا عَلَى كَثِيرٍ وَلٰكِنْ لَا أَرَى أَحَدَا

(لبهاء الدين)

الباب السابع
في الذكاء والأدب

العقل

١٩٠ قَالَ حكِيمٌ : أَلْعَقْلُ أَشْرَفُ ٱلْأَحْسابِ . وَأَحْصَنُ مَعْقِلٍ . قَالَ آخَرُ : أَشَدُّ ٱلْفَاقَةِ عَدَمُ ٱلْعَقْلِ . وقَالَ آخرُ : كُلُّ شَيْءٍ إِذَا كَثُرَ رَخُصَ إِلَّا ٱلْعَقْلَ فإِنَّهُ كُلَّما كَثُرَ غَلَا . قَالَ ٱلشَّاعِرُ :

يُعَدُّ رَفِيعَ ٱلْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَاقِلًا ... وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِحَسِيبِ
إِذَا حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِعَقْلِهِ ... وَمَا عَاقِلٌ فِي بَلْدَةٍ بِغَرِيبِ

(لابي نصر المقدسي)

١٩١ إِفْتَخَرَ بَعْضُ ٱلْأَغْنِيَاءِ عِنْدَ بَعْضِ ٱلْحُكَمَاءِ بِٱلْآبَاءِ وَٱلْأَجْدَادِ . وَبِزَخَارِفِ ٱلْمَالِ ٱلْمُسْتَفَادِ . فَقَالَ لَهُ ذٰلِكَ ٱلْحَكِيمُ : إِنْ كَانَ فِي هٰذِهِ فَخْرٌ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ٱلْفَخْرُ لَهَا لَا لَكَ . وَإِنْ كَانَ آبَاؤُكَ كَمَا ذَكَرْتَ أَشْرَافًا فَٱلْفَخْرُ لَهُمْ لَا لَكَ (للفخري)

١٩٢ إِعْلَمُوا أَنَّ ٱلْعَاقِلَ مَنْ أَطَاعَ ٱللّٰهَ . وَإِنْ كَانَ دَمِيمَ ٱلْمَنْظَرِ حَقِيرَ ٱلْخَطَرِ دَنِيَّ ٱلْمَنْزِلَةِ رَثَّ ٱلْهَيْئَةِ . وَأَنَّ ٱلْجَاهِلَ مَنْ عَصَى ٱللّٰهَ تَعَالَى . وَإِنْ كَانَ جَمِيلَ ٱلْمَنْظَرِ عَظِيمَ ٱلْخَطَرِ شَرِيفَ ٱلْمَنْزِلَةِ حَسَنَ ٱلْهَيْئَةِ فَصِيحًا نَطُوقًا . فَٱلْقِرَدَةُ وَٱلْخَنَازِيرُ أَعْقَلُ عِنْدَ ٱللّٰهِ تَعَالَى مِمَّنْ عَصَاهُ . وَلَا تَغْتَرُّوا بِتَعْظِيمِ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا إِيَّاكُمْ فَإِنَّهُمْ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ (احياء علوم الدين)

١٩٣ قَالَ أَنُوشِرْوَانُ: إِنَّ ٱلْعَاقِلَ أَقْرَبُ إِلَى ٱللهِ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ. وَٱلْعَقْلُ كَٱلشَّمْسِ فِي ٱلدُّنْيَا. وَهُوَ قَلْبُ ٱلْحَسَنَاتِ. وَٱلْعَقْلُ حَسَنٌ فِي كُلِّ أَحَدٍ وَهُوَ فِي ٱلْأَكَابِرِ وَٱلزُّعَمَاءِ أَحْسَنُ. وَٱلْعَقْلُ فِي جَسَدِ ٱلْإِنْسَانِ كَٱلرُّطُوبَةِ فِي ٱلشَّجَرَةِ. لِأَنَّ ٱلشَّجَرَةَ مَا دَامَتْ رَطْبَةً طَرِيَّةً كَانَ ٱلْخَلْقُ مِنْ رَائِحَتِهَا وَنَشْرِ أَزْهَارِهَا وَطِيبِ ثِمَارِهَا وَنَضَارَتِهَا وَطَرَاءَتِهَا فِي سُرُورٍ وَغِبْطَةٍ وَنُزْهَةٍ وَفَرْحَةٍ. فَإِذَا جَفَّتْ رُطُوبَتُهَا وَقَلَّتْ نَضَارَتُهَا فَلَا تَصْلُحُ حِينَئِذٍ لِسِوَى ٱلْقَطْعِ وَٱلْإِحْرَاقِ وَٱلْقَلْعِ. قَالَ أَيْضًا: لَيْسَ لِمَلِكٍ وَلَا لِرَعِيَّةٍ خَيْرٌ مِنَ ٱلْعَقْلِ. فَإِنَّ بِضِيَائِهِ يُفَرِّقُ بَيْنَ ٱلْقَبِيحِ وَٱلْمَلِيحِ. وَٱلْجَيِّدِ وَٱلرَّدِيءِ. وَٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ. وَٱلصِّدْقِ وَٱلْكَذِبِ

(التبر المسبوك للغزالي)

العلم وشرفه

١٩٤ قِيلَ: ٱلْعُلَمَاءُ فِي ٱلْأَرْضِ كَٱلنُّجُومِ فِي ٱلسَّمَاءِ. لَوْلَا ٱلْعِلْمُ لَكَانَ ٱلنَّاسُ كَٱلْبَهَائِمِ. وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ: ٱلْعِلْمُ حَيَاةُ ٱلْقُلُوبِ وَمِصْبَاحُ ٱلْأَبْصَارِ. وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ فِي فُصُولِهِ: ٱلْجَاهِلُ صَغِيرٌ وَإِنْ كَانَ شَيْخًا. وَٱلْعَالِمُ كَبِيرٌ وَإِنْ كَانَ حَدَثًا. وَقَالَ أَيْضًا: مَا مَاتَ مَنْ أَحْيَا ٱلْعُلُومَ. قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ لِٱبْنِهِ: يَا بُنَيَّ خُذِ ٱلْعِلْمَ مِنْ أَفْوَاهِ ٱلرِّجَالِ فَإِنَّهُمْ يَكْتُبُونَ أَحْسَنَ مَا يَسْمَعُونَ. وَيَحْفَظُونَ أَحْسَنَ مَا يَكْتُبُونَ. وَيَقُولُونَ أَحْسَنَ مَا يَحْفَظُونَ

(لابي نصر المقدسي)

١٩٥ لَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ وَفَدَ عَلَيْهِ ٱلْوُفُودُ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ.

فوفد عليه الحجازيون فتقدم منهم غلام للكلام. وكان حديث السن. فقال عمر: ليتنطق من هو أسن منك. فقال الغلام: أصلح الله أمير المؤمنين. إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه. فإذا منح الله العبد لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استحق الكلام. ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسن لكان في الأمة من هو أحق منك بمجلسك هذا. فتعجب عمر من كلامه. وسأل عن سنه فإذا هو ابن إحدى عشرة سنة. فتمثل عمر عند ذلك بقول الشاعر:

تعلم فليس المرء يولد عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه المحافل

١٩٦ قيل لبزرجمهر: أي الاكتساب أفضل. قال: العلم والأدب كنزان لا ينفدان. وسراجان لا يطفآن وحلتان لا تبليان. من نالهما أصاب الرشاد. وعرف طريق المعاد. وعاش رفيعا بين العباد

(للقيرواني)

قال الشبراوي:

العلم أنفس ذخر أنت ذاخره
من يدرس العلم لم تدرس مفاخره
أقبل على العلم واستقبل مقاصده
فأول العلم إقبال وآخره

١٩٧ قيل للخليل بن أحمد: أيهما أفضل العلم أو المال. قال: العلم.

قِيلَ لَهُ : فَمَا بَالُ ٱلْعُلَمَاءِ يَزْدَحِمُونَ عَلَى أَبْوَابِ ٱلْمُلُوكِ . وَٱلْمُلُوكُ لَا يَزْدَحِمُونَ عَلَى أَبْوَابِ ٱلْعُلَمَاءِ . قَالَ : ذٰلِكَ لِمَعْرِفَةِ ٱلْعُلَمَاءِ بِحَقِّ ٱلْمُلُوكِ وَجَهْلِ ٱلْمُلُوكِ بِحَقِّ ٱلْعُلَمَاءِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَلْعِلْمُ يُحْيِي قُلُوبَ ٱلْمَيِّتِينَ كَمَا
تَحْيَا ٱلْبِلَادُ إِذَا مَا مَسَّهَا ٱلْمَطَرُ
وَٱلْعِلْمُ يَجْلُو ٱلْعَمَى عَنْ قَلْبِ صَاحِبِهِ
كَمَا يُجَلِّي سَوَادَ ٱلظُّلْمَةِ ٱلْقَمَرُ

(لابن عبد ربّه)

١٩٨ قَالَ ٱلْجَاحِظُ : دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ أَمِيرِ بَغْدَاذَ فِي أَيَّامِ وِلَايَتِهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ٱلدِّيوَانِ وَٱلنَّاسُ مُثُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِمِ ٱلطَّيْرَ . ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ مُدَّةٍ وَهُوَ مَعْزُولٌ وَهُوَ جَالِسٌ فِي خِزَانَةِ كُتُبِهِ وَحَوَالَيْهِ ٱلْكُتُبُ وَٱلدَّفَاتِرُ وَٱلْمَحَابِرُ وَٱلْمَسَاطِرُ فَمَا رَأَيْتُهُ أَهْيَبَ مِنْهُ فِي تِلْكَ ٱلْحَالِ (للفخري)

قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ :

مَنْ يَعْدَمِ ٱلْعِلْمَ يُظْلِمْ عَقْلُهُ أَبَدًا تَرَاهُ أَشْبَهَ مَا تَلْقَاهُ بِٱلنَّعَمِ
كَمْ مِنْ نُفُوسٍ غَدَتْ لِلّٰهِ مُخْلِصَةً بِٱلْعِلْمِ فِي صَفْحَةِ ٱلْقِرْطَاسِ وَٱلْقَلَمِ
وَٱلْعَقْلُ شَمْسٌ وَنُورُ ٱلْعِلْمِ مُنْبَثِقٌ مِنْهَا وَمِنْهَا ثِمَارُ ٱلْفَضْلِ فَٱفْتَهِمِ

شرائط العلم

١٩٩ (قَالُوا) لَا يَكُونُ ٱلْعَالِمُ عَالِمًا حَتَّى تَكُونَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ . لَا

يحتقرُ من دونهُ . ولا يحسدُ من فوقهُ . ولا يأخذُ على العلم ثمنًا . ومدح خالدُ بنُ صفوان رجلًا فقال : كان بديعَ المنطقِ . جزلَ الألفاظِ . عربيَّ اللسانِ . قليلَ الحركاتِ . حسنَ الإشاراتِ . حلوَ الشمائلِ . كثيرَ الطلاوةِ صموتًا وقورًا . قال الشافعيُّ :

أخي لا تنالُ العلمَ إلّا بستّةٍ سأنبيك عن تفصيلها ببيانِ
ذكاءٌ وحرصٌ واجتهادٌ وبلغةٌ وصحبةُ أستاذٍ وطولُ زمانِ

٢٠٠ كان حمزةُ من خطباء العربِ ومن علماء زمانهِ . ضُرب بهِ المثلُ في الفصاحةِ وطولِ العمرِ . سألهُ معاويةُ يومًا عن أشياء فأجابهُ عنها . فقال لهُ : بمَ نلتَ العلمَ . قال : بلسانٍ سؤولٍ . وقلبٍ عقولٍ . ثمَّ قال يا أميرَ المؤمنين : إنَّ للعلمِ آفةً وإضاعةً ونكدًا واستجاعةً . فآفتهُ النسيانُ . وإضاعتهُ أن تحدّث بهِ غيرَ أهلهِ . ونكدهُ الكذبُ فيهِ واستجاعتهُ أنَّ صاحبهُ منهومٌ لا يشبعُ أبدًا (للدميري)

آفات العلم

٢٠١ من كلام بعضِ الأعلام : من ازدادَ في العلمِ رشدًا . ولم يزددْ في الدنيا زهدًا . فقد ازدادَ من اللهِ بعدًا . ومن كلام بعضِ الأكابرِ : إذا لم يكنِ العالمُ زاهدًا في الدنيا فهو عقوبةٌ لأهلِ زمانهِ . قال بعضُ الحكماء : إذا أُوتيتَ علمًا فلا تطفئْ نورَ العلمِ بظلمةِ الذنوبِ فتبقى في الظلمةِ يومَ يسعى أهلُ العلمِ بنورِ علمهم . قال بعضُ الحكماء : لستَ منتفعًا بما تعلمُ ما لم تعملْ بما تعلمُ . فإن

زِدتَ فِي عِلْمِكَ فَأَنْتَ مِثْلُ رَجُلٍ حَزَمَ حُزْمَةً مِنْ حَطَبٍ وَأَرَادَ حَمْلَهَا فَلَمْ يُطِقْ فَوَضَعَهَا وَزَادَ عَلَيْهَا (لبهاء الدين)

(قَالُوا) لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوا عِلْمَهُمْ لَسَادُوا أَهْلَ الدُّنْيَا. لَكِنْ وَضَعُوهُ غَيْرَ مَوْضِعِهِ فَقَصَّرَ فِي حَقِّهِمْ أَهْلُ الدُّنْيَا. قَالَ حَكِيمٌ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ. قَالُوا: بَلَى. قَالَ: الْعُلَمَاءُ إِذَا فَسَدُوا

(لابن عبد ربِّه)

٢٠٢ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ: الْعِلْمُ جَمَالٌ لَا يَخْفَى. وَنَسَبٌ لَا يُجْفَى. وَقَالَ أَيْضًا: زَلَّةُ الْعَالِمِ كَانْكِسَارِ سَفِينَةٍ تَغْرَقُ وَيَغْرَقُ مَعَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ. قَالَ غَيْرُهُ: إِذَا زَلَّ الْعَالِمُ. زَلَّ بِزَلَّتِهِ عَالَمٌ. قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ: الْمُتَوَاضِعُ فِي طُلَّابِ الْعِلْمِ أَكْثَرُهُمْ عِلْمًا كَمَا أَنَّ الْمَكَانَ الْمُنْخَفِضَ أَكْثَرُ الْبِقَاعِ مَاءً. إِذَا عَلِمْتَ فَلَا تَذْكُرْ مَنْ دُونَكَ مِنَ الْجُهَّالِ. وَاذْكُرْ مَنْ فَوْقَكَ مِنَ الْعُلَمَاءِ. وَقَالَ أَيْضًا: مَاتَ خَزَنَةُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ. وَعَاشَ خُزَّانُ الْعِلْمِ وَهُمْ أَمْوَاتٌ. مَثَلُ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ كَكَنْزٍ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ

(للقيرواني)

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَطَلْيُوسِيُّ النَّحْوِيُّ:

أَخُو الْعِلْمِ حَيٌّ خَالِدٌ بَعْدَ مَوْتِهِ
وَأَوْصَالُهُ تَحْتَ التُّرَابِ رَمِيمُ
وَذُو الْجَهْلِ مَيْتٌ وَهْوَ مَاشٍ عَلَى الثَّرَى
يُظَنُّ مِنَ الْأَحْيَاءِ وَهْوَ عَدِيمُ

الادب

٢٠٣ قَالَ شَبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ : اُطْلُبُوا ٱلْأَدَبَ فَإِنَّهُ مَادَّةُ ٱلْعَقْلِ وَدَلِيلٌ عَلَى ٱلْمُرُوءَةِ . وَصَاحِبٌ فِي ٱلْغُرْبَةِ . وَمُؤْنِسٌ فِي ٱلْوَحْشَةِ . وَصِلَةٌ فِي ٱلْمَجْلِسِ . قَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِبَنِيهِ : عَلَيْكُمْ بِطَلَبِ ٱلْأَدَبِ فَإِنَّكُمْ إِنِ ٱحْتَجْتُمْ إِلَيْهِ كَانَ لَكُمْ مَالًا . وَإِنِ ٱسْتَغْنَيْتُمْ عَنْهُ كَانَ لَكُمْ جَمَالًا . وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْمُقَفَّعِ : إِذَا أَكْرَمَكَ ٱلنَّاسُ لِمَالٍ أَوْ لِسُلْطَانٍ فَلَا يُعْجِبْكَ ذٰلِكَ . فَإِنَّ ٱلْكَرَامَةَ تَزُولُ بِزَوَالِهِمَا . وَلْيُعْجِبْكَ إِذَا أَكْرَمُوكَ لِدِينٍ أَوْ أَدَبٍ

قَالَ ٱلشَّافِعِيُّ :

عِلْمِي مَعِي حَيْثُمَا يَمَّمْتُ يَنْفَعُنِي
قَلْبِي وِعَاءٌ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقِ
إِنْ كُنْتُ فِي ٱلْبَيْتِ كَانَ ٱلْعِلْمُ فِيهِ مَعِي
أَوْ كُنْتُ فِي ٱلسُّوقِ كَانَ ٱلْعِلْمُ فِي ٱلسُّوقِ

٢٠٤ قَالَ بُزُرْجُمْهُرُ : ٱلْجَهْلُ هُوَ ٱلْمَوْتُ ٱلْأَكْبَرُ . وَٱلْعِلْمُ هُوَ ٱلْحَيَاةُ ٱلشَّرِيفَةُ . مَنْ كَثُرَ أَدَبُهُ شَرُفَ وَإِنْ كَانَ وَضِيعًا . وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيبًا . وَٱرْتَفَعَ صِيتُهُ وَإِنْ كَانَ خَامِلًا . وَكَثُرَتْ حَوَائِجُ ٱلنَّاسِ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا (للسيوطي)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

ٱلسَّبْعُ سَبْعٌ وَلَوْ كَلَّتْ مَخَالِبُهُ وَٱلْكَلْبُ كَلْبٌ وَلَوْ بَيْنَ ٱلسِّبَاعِ رَبِي
وَهٰكَذَا ٱلذَّهَبُ ٱلْإِبْرِيزُ خَالَطَهُ صُفْرُ ٱلنُّحَاسِ فَكَانَ ٱلْفَضْلُ لِلذَّهَبِ

لَا تَنْظُرَنَّ لِأَثْوَابٍ عَلَى أَحَدٍ إِنْ رُمْتَ تَعْرِفُهُ فَانْظُرْ إِلَى الْأَدَبِ
فَالْعُودُ لَوْ لَمْ تَفُحْ مِنْهُ رَوَائِحُهُ لَمْ يَفْرُقِ النَّاسُ بَيْنَ الْعُودِ وَالْحَطَبِ

دَخَلَ أَبُو الْعَالِيَةِ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَأَقْعَدَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ وَأَقْعَدَ رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ تَحْتَهُ. فَرَأَى سُوءَ نَظَرِهِمْ إِلَيْهِ وَجُهُومَةَ وُجُوهِهِمْ. فَقَالَ: مَا لَكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ نَظَرَ الشَّحِيحِ إِلَى الْغَرِيمِ الْمُفْلِسِ. هٰكَذَا الْأَدَبُ يُشَرِّفُ الصَّغِيرَ عَلَى الْكَبِيرِ. وَيَرْفَعُ الْمَمْلُوكَ عَلَى الْمَوْلَى. وَيُقْعِدُ الْعَبِيدَ عَلَى الْأَسِرَّةِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

مَا لِي عَقْلِي وَهِمَّتِي حَسَبِي مَا أَنَا مَوْلًى وَلَا أَنَا عَرَبِي
إِذَا انْتَمَى مُنْتَمٍ إِلَى أَحَدٍ فَإِنَّنِي مُنْتَمٍ إِلَى أَدَبِي

(للابشيهي)

٢٠٥ دَخَلَ سَالِمُ بْنُ مَخْزُومٍ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَتَخَلَّى لَهُ عَنِ الصَّدْرِ. فَقِيلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ. فَقَالَ: إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ مَنْ لَا تَرَى لَكَ عَلَيْهِ فَضْلًا فَلَا تَأْخُذْ عَلَيْهِ شَرَفَ الْمَنْزِلَةِ. قَالَ بَعْضُهُمْ:

أَيُّهَا الْفَاخِرُ جَهْلًا بِالْحَسَبْ إِنَّمَا النَّاسُ لِأُمٍّ وَلِأَبْ
إِنَّمَا الْفَخْرُ بِعَقْلٍ رَاجِحٍ وَبِأَخْلَاقٍ حِسَانٍ وَأَدَبْ

قَالَ آخَرُ:

لَا تَدَّخِرْ غَيْرَ الْعُلُو مِ فَإِنَّهَا نِعْمَ الذَّخَائِرْ
فَالْمَرْءُ لَوْ رَبِحَ الْبَقَا ءَ مَعَ الْجَهَالَةِ كَانَ خَاسِرْ

دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ مُؤَدِّبُ الْوَاثِقِ عَلَى الْوَاثِقِ. فَأَظْهَرَ إِكْرَامَهُ

وَأَكْثَرَ إِعْظَامَهُ. فَقِيلَ لَهُ: مَنْ هٰذَا يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: هٰذَا أَوَّلُ مَنْ فَتَقَ لِسَانِي بِذِكْرِ ٱللهِ. وَأَدْنَانِي مِنْ رَحْمَةِ ٱللهِ

تاديب الصغير

٢٠٦ قَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ: مَنْ أَدَّبَ وَلَدَهُ صَغِيرًا سُرَّ بِهِ كَبِيرًا. وَقَالُوا: أَطْبَعُ ٱلطِّينِ مَا كَانَ رَطْبًا. وَأَعْدَلُ ٱلْعُودِ مَا كَانَ لَدْنًا. وَقَالَ صَالِحُ ٱبْنُ عَبْدِ ٱلْقُدُّوسِ:

وَإِنَّ مَنْ أَدَّبْتَهُ فِي ٱلصِّبَا ... كَٱلْعُودِ يُسْقَى ٱلْمَاءَ فِي غَرْسِهِ
حَتَّى تَرَاهُ مُورِقًا نَاضِرًا ... بَعْدَ ٱلَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْ يُبْسِهِ
وَٱلشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ ... حَتَّى يُوَارَى فِي ثَرَى رَمْسِهِ
إِذَا ٱرْعَوَى عَادَ لَهُ جَهْلُهُ ... كَذِي ٱلضَّنَى عَادَ إِلَى نُكْسِهِ
مَا تَبْلُغُ ٱلْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ ... مَا يَبْلُغُ ٱلْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

قَالَ بَعْضُهُمْ فِي سُوءِ تَرْبِيَةِ صَغِيرٍ:

فَيَا عَجَبًا لِمَنْ رَبَّيْتُ طِفْلًا ... أُلَقِّمُهُ بِأَطْرَافِ ٱلْبَنَانِ
أُعَلِّمُهُ ٱلرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ ... فَلَمَّا ٱشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي
أُعَلِّمُهُ ٱلْفُتُوَّةَ كُلَّ وَقْتٍ ... فَلَمَّا طَرَّ شَارِبُهُ جَفَانِي
وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ ٱلْقَوَافِي ... فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي

قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ: ٱلْحَيَاءُ فِي ٱلصَّبِيِّ خَيْرٌ مِنَ ٱلْخَوْفِ. لِأَنَّ ٱلْحَيَاءَ يَدُلُّ عَلَى ٱلْعَقْلِ. وَٱلْخَوْفَ يَدُلُّ عَلَى ٱلْجُبْنِ (لابن عبد ربّه)

ما ينبغي للوالد في تربية ابنه

٢٠٧ يَنْبَغِي لِلْوَالِدِ أَنْ لَا يَسْهُوَ عَنْ تَأْدِيبِ وَلَدِهِ . وَيُحَسِّنَ عِنْدَهُ الْحَسَنَ . وَيُقَبِّحَ عِنْدَهُ الْقَبِيحَ . وَيَحُثَّهُ عَلَى الْمَكَارِمِ وَعَلَى تَعَلُّمِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ . وَيَضْرِبَهُ عَلَى ذٰلِكَ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

لَا تَسْهُ عَنْ أَدَبِ الصَّغِيرِ وَإِنْ شَكَا أَلَمَ التَّعَبْ
وَدَعِ الْكَبِيرَ وَشَأْنَهُ كِبَرُ الْكَبِيرِ عَنِ الْأَدَبْ

٢٠٨ قَالَ ابْنُ عُتْبَةَ يُوصِي مُؤَدِّبَ وَلَدِهِ : لِيَكُنْ أَوَّلُ إِصْلَاحِكَ بَنِيَّ إِصْلَاحَكَ لِنَفْسِكَ . فَإِنَّ عُيُوبَهُمْ مَعْقُودَةٌ بِعَيْبِكَ . فَالْحَسَنُ عِنْدَهُمْ مَا فَعَلْتَ . وَالْقَبِيحُ مَا تَرَكْتَ . عَلِّمْهُمُ الدِّينَ وَلَا تُمِلَّهُمْ فِيهِ فَيَتْرُكُوهُ . وَلَا تَتْرُكْهُمْ مِنْهُ فَيَهْجُرُوهُ . وَرَوِّهِمْ مِنَ الشِّعْرِ أَعَفَّهُ . وَمِنَ الْكَلَامِ أَشْرَفَهُ . وَلَا تُخْرِجْهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ حَتَّى يُحْكِمُوهُ . فَإِنَّ ازْدِحَامَ الْكَلَامِ فِي السَّمْعِ مَضَلَّةٌ لِلْفَهْمِ . تَهَدَّدْهُمْ بِي وَأَدِّبْهُمْ دُونِي . وَكُنْ كَالطَّبِيبِ الَّذِي لَا يَعْجَلُ بِالدَّوَاءِ قَبْلَ مَعْرِفَةِ الدَّاءِ . وَجَنِّبْهُمْ مُحَادَثَةَ السُّفَهَاءِ . وَرَوِّهِمْ سِيَرَ الْحُكَمَاءِ (كتاب الدراري لكمال الدين الحلبي)

٢٠٩ أَوْصَى الرَّشِيدُ مُؤَدِّبَ وَلَدِهِ الْأَمِينِ فَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ دَفَعَ إِلَيْكَ مُهْجَةَ نَفْسِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ . فَصَيِّرْ يَدَكَ عَلَيْهِ مَبْسُوطَةً وَطَاعَتَكَ عَلَيْهِ وَاجِبَةً . أَقْرِئْهُ كُتُبَ الدِّينِ . وَعَرِّفْهُ الْآثَارَ . وَرَوِّهِ الْأَشْعَارَ . وَعَلِّمْهُ السُّنَنَ وَبَصِّرْهُ مَوَاقِعَ الْكَلَامِ . وَامْنَعْهُ الضَّحِكَ إِلَّا فِي أَوْقَاتِهِ . وَلَا تَمُرَّنَّ بِكَ سَاعَةٌ إِلَّا وَأَنْتَ مُغْتَنِمٌ فِيهَا فَائِدَةً تُفِيدُهُ

إيَّاها مِن غيرِ أنْ تخرقَ بهِ فتُميتَ ذِهنَهُ . ولا تُمعِن في مُسامحتهِ فيستحلي الفراغَ ويألفهُ . وقوِّمهُ ما استطعتَ بالقُربِ والملاينةِ . فإنْ أباهما فعليكَ بالشدَّةِ والغلظةِ (الشريشي)

رقة الادب في الظاهر

٢١٠ قالَ أبو حفصٍ : حُسنُ الأدبِ في الظاهرِ عُنوانُ حُسنِ الأدبِ في الباطنِ . قِيلَ لأبي وائلٍ : أيُّكما أكبرُ أنتَ أمِ الربيعُ ابنُ خُثيمٍ . قالَ : أنا أكبرُ منهُ سِنًّا . وهو أكبرُ منّي عقلًا

قالَ رجاءُ بنُ حياةَ لعبدِ العزيزِ : ما رأيتُ أكرمَ أدبًا ولا أكرمَ عشيرةً مِن أبيكَ . سمرتُ عندهُ ليلةً فبينا نحنُ كذلكَ إذ عشِيَ المصباحُ ونامَ الغلامُ . فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ قد عشِيَ المصباحُ ونامَ الغلامُ فلو أذنتَ لي أُصلحهُ . فقالَ : إنَّهُ ليسَ مِن مروءةِ الرجلِ أنْ يستخدمَ ضيفهُ . ثمَّ حطَّ رداءهُ عن منكبيهِ . وقامَ إلى الدبَّةِ . فصبَّ مِنَ الزيتِ في المصباحِ وأشخصَ الفتيلةَ . ثمَّ رجعَ فلم يقمْ أحدٌ

قالَ بعضهم في معاشرةِ الأدباءِ :

فكم مِن جاهلٍ أمسى أديبًا ... بصُحبةِ عاقلٍ وغدا إمامَا
كماءِ البحرِ مُرٌّ ثمَّ تحلو ... مذاقتهُ إذا صحِبَ الغمامَا

الادب في الحديث والاستماع

٢١١ قالتِ الحكماءُ : رأسُ الأدبِ كلِّهِ حُسنُ الفهمِ والتفهُّمِ .

وَالْإِصْغَاءِ لِلْمُتَكَلِّمِ . قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ تَعَلَّمْ حُسْنَ الْاِسْتِمَاعِ كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الْحَدِيثِ . وَلْيَعْلَمِ النَّاسُ أَنَّكَ أَحْرَصُ عَلَى أَنْ تَسْمَعَ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ . فَاحْذَرْ أَنْ تُسْرِعَ فِي الْقَوْلِ فِيمَا يَجِبُ عَنْهُ الرُّجُوعُ بِالْفِعْلِ . قَالُوا : مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ أَنْ لَا تُغَالِبَ أَحَدًا عَلَى كَلَامِهِ . وَإِذَا سُئِلَ غَيْرُكَ فَلَا تُجِبْ عَنْهُ . وَإِذَا حَدَّثَ بِحَدِيثٍ فَلَا تُنَازِعْهُ إِيَّاهُ . وَلَا تَقْتَحِمْ عَلَيْهِ فِيهِ . وَلَا تُرِهِ أَنَّكَ تَعْلَمُهُ

يُقَالُ إِنَّ هِشَامًا كَتَبَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ : مِنْ هِشَامٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْمَلِكِ الطَّاغِيَةِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : مَا ظَنَنْتُ أَنَّ الْمُلُوكَ تُسَبُّ . وَمَا الَّذِي يُؤْمِنُكَ أَنْ أُجِيبَكَ : مِنْ مَلِكِ الرُّومِ إِلَى الْمَلِكِ الْمَذْمُومِ

الادب في المجالسة

٢١٢ قَالَ إِبْرٰهِيمُ النَّخَعِيُّ : إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ بَيْتًا فَلْيَجْلِسْ حَيْثُ أَجْلَسَهُ أَهْلُهُ . قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ : مَا مَدَدْتُ رِجْلِي قَطُّ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسِي . وَلَا قُمْتُ حَتَّى يَقُومَ . وَقَالَ أَيْضًا : لِجَلِيسِي عَلَيَّ ثَلَاثٌ . إِذَا دَنَا رَحَّبْتُ بِهِ . وَإِذَا جَلَسَ وَسَّعْتُ لَهُ . وَإِذَا حَدَّثَ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ . قَالَ زِيَادٌ : إِيَّاكَ وَصُدُورَ الْمَجَالِسِ وَإِنْ صَدَّرَكَ صَاحِبُهَا فَإِنَّهَا مَجْلِسُ قُلْعَةٍ . وَلَأَنْ أُدْعَى مِنْ بُعْدٍ إِلَى قُرْبٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُقْصَى مِنْ قُرْبٍ إِلَى بُعْدٍ . قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : لَا تُسْرِعْ إِلَى أَرْفَعِ مَوْضِعٍ فِي الْمَجْلِسِ فَالْمَوْضِعُ الَّذِي تُحَطُّ إِلَيْهِ خَيْرٌ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي تُحَطُّ مِنْهُ

(لابن عبد ربّه)

٢١٣ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ ٱللهِ : بَعَثَنِي أَبِي إِلَى ٱلْمُعْتَمِدِ فِي شَيْءٍ . فَقَالَ لِي : ٱجْلِسْ . فَٱسْتَعْظَمْتُ ذٰلِكَ . فَأَعَادَ . فَٱعْتَذَرْتُ بِأَنَّ ذٰلِكَ لَا يَجُوزُ . فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ تَرْكَ أَدَبِكَ فِي ٱلْقَبُولِ مِنِّي خَيْرٌ مِنْ أَدَبِكَ فِي خِلَافِي

دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ ٱلشَّامِ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ ٱلْمَنْصُورِ فَٱسْتَحْسَنَ لَفْظَهُ وَأَدَبَهُ . فَقَالَ لَهُ : سَلْ حَاجَتَكَ . فَقَالَ : يُبْقِيكَ ٱللهُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَيَزِيدُ فِي سُلْطَانِكَ . فَقَالَ : سَلْ حَاجَتَكَ فَلَيْسَ فِي كُلِّ وَقْتٍ يُمْكِنُ أَنْ يُؤْمَرَ لَكَ بِذٰلِكَ . فَقَالَ : وَلِمَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَوَٱللهِ مَا أَخَافُ بُخْلَكَ . وَلَا أَسْتَقْصِرُ أَجَلَكَ . وَلَا أَغْتَنِمُ مَالَكَ . وَإِنَّ عَطَاءَكَ لَزَيْنٌ . وَمَا بِٱمْرِئٍ بَذَلَ وَجْهَهُ إِلَيْكَ نَقْصٌ وَلَا شَيْنٌ . فَأَعْجَبَ ٱلْمَنْصُورَ كَلَامُهُ . وَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي أَدَبِهِ وَوَصَلَهُ

٢١٤ وَقَفَ ٱلْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ ٱلْأَشْعَثِ بِبَابِ مُعَاوِيَةَ فَأَذِنَ لِلْأَحْنَفِ ثُمَّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَشْعَثَ . فَأَسْرَعَ مُحَمَّدٌ فِي مَشْيِهِ حَتَّى دَخَلَ قَبْلَ ٱلْأَحْنَفِ . فَلَمَّا رَآهُ مُعَاوِيَةُ . قَالَ لَهُ : إِنِّي وَٱللهِ مَا أَذِنْتُ لَهُ قَبْلَكَ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ قَبْلَهُ . وَإِنَّا كَمَا نَلِي أُمُورَكُمْ كَذٰلِكَ نَلِي أَدَبَكُمْ . وَمَا تَزَيَّدَ مُتَزَيِّدٌ إِلَّا لِنَقْصٍ يَجِدُهُ مِنْ نَفْسِهِ (للمستعصمي)

وَمِنَ ٱلْأَدَبِ أَلَّا تَنْتَابَ صَاحِبًا فَتَثْقُلَ عَلَيْهِ . قَالَ ٱلثَّعَالِبِيُّ :

عَلَيْكَ بِإِقْلَالِ ٱلزِّيَارَةِ إِنَّهَا
إِذَا كَثُرَتْ كَانَتْ إِلَى ٱلْهَجْرِ مَسْلَكَا

فَإِنِّي رَأَيْتُ ٱلْغَيْثَ يُسْأَمُ دَائِمًا
وَيُسْأَلُ بِالْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَا

الادب في المماشاة

٢١٥ قَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ: مَاشَيْتُ ٱلْمَأْمُونَ يَوْمًا مِنَ ٱلْأَيَّامِ فِي بُسْتَانِ مُؤْنِسَةَ بِنْتِ ٱلْمَهْدِيِّ. فَكُنْتُ مِنَ ٱلْجَانِبِ ٱلَّذِي يَسْتُرُهُ مِنَ ٱلشَّمْسِ. فَلَمَّا ٱنْتَهَى إِلَى آخِرِهِ وَأَرَادَ ٱلرُّجُوعَ أَرَدْتُ أَنْ أَدُورَ إِلَى ٱلْجَانِبِ ٱلَّذِي يَسْتُرُهُ مِنَ ٱلشَّمْسِ. فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ وَلٰكِنْ كُنْ بِحَالِكَ حَتَّى أَسْتُرَكَ كَمَا سَتَرْتَنِي. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَقِيَكَ حَرَّ ٱلنَّارِ لَفَعَلْتُ فَكَيْفَ ٱلشَّمْسَ. فَقَالَ: لَيْسَ هٰذَا مِنْ كَرَمِ ٱلصُّحْبَةِ. وَمَشَى سَاتِرًا لِي مِنَ ٱلشَّمْسِ كَمَا سَتَرْتُهُ (لابن عبد ربه)

الادب في الاكل

٢١٦ قَالَ ٱلْغَزَّالِيُّ: إِذَا حَضَرَ ٱلطَّعَامُ فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَبْتَدِئَ فِي ٱلْأَكْلِ وَمَعَهُ مَنْ يَسْتَحِقُّ ٱلتَّقَدُّمَ عَلَيْهِ لِكِبَرِ سِنٍّ أَوْ زِيَادَةِ فَضْلٍ. إِلَّا أَنْ يَكُونَ هُوَ ٱلْمَتْبُوعَ ٱلْمُقْتَدَى بِهِ. فَحِينَئِذٍ يَنْبَغِي أَنْ لَا يُطَوِّلَ عَلَيْهِمِ ٱلِٱنْتِظَارَ إِذَا ٱجْتَمَعُوا لِلْأَكْلِ. وَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَسْكُتَ عَلَى ٱلطَّعَامِ. وَلٰكِنْ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ بِٱلْمَعْرُوفِ وَبِٱلْحَدِيثِ عَنِ ٱلصَّالِحِينَ وَأَهْلِ ٱلْأَدَبِ فِي ٱلْأَطْعِمَةِ. قَالَ بَعْضُ ٱلْأُدَبَاءِ: أَحْسَنُ ٱلْآكِلِينَ مَنْ لَا يُحْوِجُ صَاحِبَهُ إِلَى تَفَقُّدِهِ فِي ٱلْأَكْلِ. وَيَنْبَغِي لِمَنْ قَدَّمَ لَهُ أَخُوهُ ٱلطَّسْتَ أَنْ يَقْبَلَهُ وَلَا يَرُدَّهُ (للمستعصمي)

الكتاب والقلم

٢١٧ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : ٱلْقَلَمُ صَائِغُ ٱلْكَلَامِ يُفْرِغُ مَا يَجْمَعُهُ ٱلْقَلْبُ . وَيَصُوغُ مَا يَسْبِكُهُ ٱللُّبُّ (الكنز المدفون)

قَالَ بَعْضُهُمْ مُلْغِزًا فِي قَلَمٍ :

وَسَاكِنِ رَمْسٍ طَعْمُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ   إِذَا ذَاقَ مِنْ ذَاكَ ٱلطَّعَامِ تَكَلَّمَا
يَقُومُ وَيَمْشِي صَامِتًا مُتَكَلِّمًا   وَيَرْجِعُ مَنْ فِي ٱلْقَبْرِ مِنْهُ مُقَوَّمَا
وَلَيْسَ بِحَيٍّ يَسْتَحِقُّ كَرَامَةً   وَلَيْسَ بِمَيْتٍ يَسْتَحِقُّ ٱلتَّرَحُّمَا

قَالَ ٱلْعَتَّابِيُّ : بُكَاءُ ٱلْقَلَمِ تَبَسُّمُ ٱلْكُتُبِ . وَٱلْأَقْلَامُ مَطَايَا ٱلْفِطَنِ . قَالَ أَرِسْطَاطَالِيسُ : عُقُولُ ٱلرِّجَالِ تَحْتَ سِنِّ أَقْلَامِهِمْ . قَالَ ثُمَامَةُ ٱبْنُ أَشْرَسَ : مَا أَثَّرَتْهُ ٱلْأَقْلَامُ . لَمْ تَطْمَعْ فِي دِرَاسَتِهِ ٱلْأَيَّامُ

٢١٨ قِيلَ فِي ٱلْكِتَابِ : إِنَّهُ ٱلْجَلِيسُ ٱلَّذِي لَا يُنَافِقُ وَلَا يَمَلُّ . وَلَا يُعَاتِبُكَ إِذَا جَفَوْتَهُ وَلَا يُفْشِي سِرَّكَ . قَالَ بَعْضُهُمْ فِي فَضِيلَتِهِ :

جَلِيسُ ٱلْأَنِيسِ يَأْمَنُ ٱلنَّاسُ شَرَّهُ   وَيَذْكُرُ أَنْوَاعَ ٱلْمَكَارِمِ وَٱلنُّهَى
وَيَأْمُرُ بِٱلْإِحْسَانِ وَٱلْبِرِّ وَٱلتُّقَى   وَيَنْهَى عَنِ ٱلطُّغْيَانِ وَٱلشَّرِّ وَٱلْأَذَى

الشعر

٢١٩ قَالَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ : رَوُّوا أَوْلَادَكُمُ ٱلشِّعْرَ تَعْذُبْ أَلْسِنَتُهُمْ . فَإِنَّ أَفْضَلَ صِنَاعَاتِ ٱلرَّجُلِ ٱلْأَبْيَاتُ مِنَ ٱلشِّعْرِ . يُقَدِّمُهَا فِي حَاجَتِهِ يَسْتَعْطِفُ بِهَا قَلْبَ ٱلْكَرِيمِ . وَيَسْتَمِيلُ بِهَا قَلْبَ ٱللَّئِيمِ . وَقَالَ أَيْضًا : ٱلشِّعْرُ جَزْلٌ مِنْ كَلَامِ ٱلْعَرَبِ يَسْكُنُ بِهِ ٱلْغَيْظُ . وَتُطْفَأُ بِهِ ٱلنَّائِرَةُ .

وَيَبلُغ لهُ ٱلقَومُ فِي نَادِيهِم . وَيُعطَى بِهِ ٱلسَّائِل . وَقالَ ٱبنُ عبَّاسٍ : ٱلشِّعْرُ عِلمُ ٱلعَرَبِ وَدِيوَانُهَا فَتَعَلَّمُوهُ

كَانَ بَنُو أَنفِ ٱلنَّاقَةِ يُعَيَّبُونَ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى قَالَ فِيهِم ٱلْحُطَيئَةُ :

قَومٌ هُمُ ٱلأَنفُ وَٱلأَذنَابُ غَيرُهُمُ وَمَن يُسَاوِي بِأَنفِ ٱلنَّاقَةِ ٱلذَّنَبَا

فَعَادَ هٰذَا ٱلِٱسمُ فَخرًا لَهُم وَشَرَفًا فِيهِم (لابن عبد ربّه)

٢٢٠ قِيلَ لِبَعضِ ٱلشُّعَرَاء : مَن أَشعَرُ ٱلنَّاسِ . قَالَ : ٱلنَّابِغَةُ إِذَا رَهِبَ . وَزُهَيرٌ إِذَا رَغِبَ . وَجَرِيرٌ إِذَا غَضِبَ . وَعَنتَرَةُ إِذَا رَكِبَ . قَالَ عَبدُ ٱلمَلِكِ لِلفَرَزدَقِ : مَن أَشعَرُ ٱلنَّاسِ فِي ٱلإِسلَامِ . قَالَ : كَفَاكَ بِٱبنِ ٱلنَّصرَانِيَّةِ إِذَا مَدَحَ . (يُرِيدُ ٱلأَخطَلَ شَاعِرَ بَنِي أُمَيَّةَ ٱلنَّصرَانِيَّ) (الاغاني)

البابُ الثامن
في اللطائف

٢٢١ رَأَى ٱلإِسكَندَرُ سَمِيًّا لَهُ لَا يَزَالُ يَنهَزِمُ فِي ٱلحُرُوبِ فَقَالَ لَهُ : يَا هٰذَا إِمَّا أَن تُغَيِّرَ فِعلَكَ أَو تُغَيِّرَ ٱسمَكَ

٢٢٢ بَعَثَ مَلِكٌ إِلَى عَبدٍ لَهُ : مَا لَكَ لَا تَخدُمُنِي وَأَنتَ عَبدِي . فَأَجَابَهُ : لَوِ ٱعتَبَرتَ لَعَلِمتَ أَنَّكَ عَبدُ عَبدِي . لِأَنَّكَ تَتبَعُ ٱلهَوَى فَأَنتَ عَبدُهُ وَأَنَا أَملِكُهُ فَهُوَ عَبدِي (للمستعصمي)

٢٢٣ قَالَتْ بَنُو تَمِيمٍ لِسَلامَةَ بْنِ جَنْدَلٍ: مَجِّدْنَا بِشِعْرِكَ. قَالَ: ٱفْعَلُوا حَتَّى أَقُولَ (لابن عبد ربّه)

٢٢٤ سَأَلَ حَكِيمٌ غُلامًا مَعَهُ سِرَاجٌ: مِنْ أَيْنَ تَجِيءُ ٱلنَّارُ بَعْدَ مَا تَنْطَفِئُ. فَقَالَ: إِنْ أَخْبَرْتَنِي إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ أَخْبَرْتُكَ مِنْ أَيْنَ تَجِيءُ

٢٢٥ قَالَ ٱبْنُ ٱلرُّومِيِّ فِي أَعْمَى أَغْلَظَ فِي كَلَامِهِ:

كَيْفَ يَرْجُو ٱلْحَيَاءَ مِنْهُ صَدِيقٌ وَمَكَانُ ٱلْحَيَاءِ مِنْهُ خَرَابُ

٢٢٦ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ ٱلْجَعْدِيُّ آخِرُ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ كَتَبَ إِلَى عَامِلٍ لَهُ أَهْدَى إِلَيْهِ غُلَامًا أَسْوَدَ فَقَالَ: لَوْ عَلِمْتَ عَدَدًا أَقَلَّ مِنْ وَاحِدٍ وَلَوْنًا شَرًّا مِنَ ٱلسَّوَادِ لَأَهْدَيْتَهُ وَٱلسَّلَامُ

٢٢٧ وَصِيفٌ ٱلتُّرْكِيُّ وَالِي ٱلشَّامِ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَرَكِبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ ٱبْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ ٱلزَّيَّاتُ فَعَزَّاهُ بِأَخْبَارٍ وَأَمْثَالٍ. ثُمَّ أُصِيبَ مُحَمَّدٌ بِمُصِيبَةٍ فَرَكِبَ إِلَيْهِ وَصِيفٌ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ أَنَا رَجُلٌ أَعْجَمِيٌّ لَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ. وَلَكِنِ ٱنْظُرْ مَا عَزَّيْتَنِي بِهِ ذَاكَ ٱلْيَوْمَ فَعَزِّ بِهِ نَفْسَكَ ٱلْآنَ. فَٱسْتَظْرَفَ ٱلنَّاسُ كَلَامَهُ (لطائف الوزراء)

الاعرابيُّ والسنّور

٢٢٨ صَادَ أَعْرَابِيٌّ سِنَّوْرًا وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ. فَلَقِيَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: مَا هٰذَا ٱلسِّنَّوْرُ. وَلَقِيَهُ آخَرُ فَقَالَ: مَا هٰذَا ٱلْقِطُّ. ثُمَّ لَقِيَهُ آخَرُ فَقَالَ: مَا هٰذَا ٱلْهِرُّ. ثُمَّ لَقِيَهُ آخَرُ فَقَالَ: مَا هٰذَا ٱلضَّيْوَنُ. ثُمَّ لَقِيَهُ آخَرُ فَقَالَ: مَا هٰذَا ٱلْخَيْدَعُ. ثُمَّ لَقِيَهُ آخَرُ فَقَالَ: مَا هٰذَا ٱلْخَيْطَلُ. ثُمَّ لَقِيَهُ

آخرُ فقالَ : ما هذا الدمُ . فقالَ الأعرابيُّ في نفسِهِ : أحمله وأبيعهُ فيجعلَ اللهُ لي فيهِ مالاً كثيراً . فلمّا أتى السوقَ قِيلَ لهُ : بكَمْ هذا . قالَ : بمائتي درهمٍ . فقيلَ لهُ : إنّهُ يساوي نصفَ درهمٍ . فرمى بهِ ثمّ قالَ : ما أكثرَ أسماءَهُ وأقلَّ ثمنَهُ (للدميري)

٢٢٩ حُكيَ أنَّ الحجّاجَ اشترى غلامَينِ أحدُهما أسودُ والثاني أبيضُ . فقالَ لهما في بعضِ الأيّامِ : كلُّ واحدٍ يمدحُ نفسَهُ ويذمُّ رفيقَهُ فقالَ الأسودُ :

ألم ترَ أنَّ المسكَ لا شيءَ مثلُهُ وأنَّ بياضَ اللفتِ حملٌ بدرهمِ
وأنَّ سوادَ العينِ لا شكَّ نورُها وأنَّ بياضَ العينِ لا شيءَ فاعلمِ

وقالَ الأبيضُ :

ألم ترَ أنَّ البدرَ لا شيءَ مثلُهُ وأنَّ سوادَ الفحمِ حملٌ بدرهمِ
وأنَّ رجالَ اللهِ بيضٌ وجوهُهمْ ولا شكَّ أنَّ السودَ أهلُ جهنّمِ

فضحكَ صاحبُهما وأجازَهما (ألف ليلة وليلة)

٢٣٠ حُكيَ أنَّ هارونَ الرشيدَ لمّا حضرَ بينَ يدَيهِ بعضُ أهلِ المغربِ قالَ لهُ : يُقالُ إنَّ الدنيا بمثابةِ طائرٍ ذنبُهُ المغربُ . فقالَ الرجلُ : صدقوا يا أميرَ المؤمنينَ وإنّهُ طاووسٌ . فضحكَ الرشيدُ وتعجّبَ مِن سرعةِ جوابِ الرجلِ وانتصارِهِ لقُطرِهِ

(نفح الطيب للمقري)

٢٣١ قالَ بعضُهم مُلغِزاً في ميزانٍ :

وقاضٍ قد قضى في الأرض عدلًا له كفٌّ وليس له بنانُ
رأيتُ الناس قد قبلوا قضاه ولا نطقٌ لديه ولا بيانُ

وقد أحسن أبو سرف ملغزًا في إبرة:

ضئيلة الجسم لها فِعلُ متينُ السببِ
حافرها في رأسها وعينُها في الذنبِ

٢٣٢ أعتق عمرُ بن عتبة غلامًا له كبيرًا. فقام إليه عبدٌ صغيرٌ. فقال: اذكرني يا مولاي ذكرك الله بخيرٍ. فقال: إنك لم تحترف. فقال: إنّ النخلة قد تُجتنى زهوًا. قبل أن تصير معوًا. فقال: قاتلك الله لقد استعتقت وأحسنت. وقد وهبتك لواهبك. كنت أمس لي واليوم مني

دعوة أكثم بن صيفي لاولاده

٢٣٣ دعا أكثم بن صيفي أولاده عند موته. فاستدعى إضامة من السهام. فتقدّم إلى كل واحدٍ منهم أن يكسرها. فلم يقدر أحدٌ على كسرها. ثمّ بددها فتقدم إليهم أن يكسروها. فاستسهلوا كسرها. فقال: كونوا مجتمعين ليعجز من ناوأكم عن كسركم كعجزكم عن كسرها مجتمعة. فإنكم إن تفرقتم سهل كسركم وأنشد:

كونوا جميعًا يا بنيّ إذا اعترى خطبٌ ولا تتفرقوا آحادا
تأبى القداح إذا اجتمعن تكسرًا وإذا افترقن تكسرت أفرادا

٢٣٤ قال الشعبي: وجهني عبد الملك إلى ملك الروم فلمّا انصرفت

دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مَخْتُومًا . فَلَمَّا قَرَأَهُ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ رَأَيْتُهُ تَغَيَّرَ . فَقَالَ : يَا شَعْبِيُّ أَعَلِمْتَ مَا كَتَبَ هٰذَا ٱلنَّذْلُ . قُلْتُ : لَا . قَالَ : إِنَّهُ كَتَبَ : يَنْبَغِي لِلْعَرَبِ أَنْ لَا تُمَلِّكَ إِلَّا مَنْ أَرْسَلْتَ بِهِ إِلَيَّ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ لَمْ يَرَكَ فَكَانَ يَعْرِفُ فَضْلَكَ . وَإِنَّهُ حَسَدَكَ عَلَى ٱسْتِخْدَامِكَ مِثْلِي . فَسُرِّيَ عَنْهُ (للثعالبي)

٢٣٥ لَمَّا عَلَا أَمْرُ يَعْقُوبَ بْنِ لَيْثٍ ٱرْتَفَعَ قَدْرُهُ . وَظَهَرَ ٱسْمُهُ وَذِكْرُهُ . وَمَلَكَ كِرْمَانَ وَسِجِسْتَانَ . وَكَانَ ٱلْخَلِيفَةُ فِي ذٰلِكَ ٱلزَّمَانِ ٱلْمُعْتَمِدَ فَكَتَبَ إِلَى يَعْقُوبَ : إِنَّكَ كُنْتَ رَجُلًا صَفَّارًا فَمِنْ أَيْنَ تَعَلَّمْتَ تَدْبِيرَ ٱلْمَمَالِكِ . فَرَدَّ يَعْقُوبُ إِلَيْهِ جَوَابًا وَقَالَ : إِنَّ ٱلْمَوْلَى ٱلَّذِي أَعْطَانِي ٱلدَّوْلَةَ أَعْطَانِي ٱلتَّدْبِيرَ (للغزالي)

الاعرابي الشاعر والخليفة

٢٣٦ ٱسْتَدْعَى بَعْضُ ٱلْخُلَفَاءِ شُعَرَاءَ مِصْرَ . فَصَادَفَهُمْ شَاعِرٌ فَقِيرٌ بِيَدِهِ جَرَّةٌ فَارِغَةٌ ذَاهِبًا بِهَا إِلَى ٱلْبَحْرِ لِيَمْلَأَهَا مَاءً . فَتَبِعَهُمْ إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَى دَارِ ٱلْخِلَافَةِ . فَبَالَغَ ٱلْخَلِيفَةُ فِي إِكْرَامِهِمْ وَٱلْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ . وَرَأَى ذٰلِكَ ٱلرَّجُلَ وَٱلْجَرَّةُ عَلَى كَتِفِهِ وَنَظَرَ إِلَى ثِيَابِهِ ٱلرَّثَّةِ وَقَالَ : مَنْ أَنْتَ وَمَا حَاجَتُكَ . فَأَنْشَدَ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلْقَوْمَ شَدُّوا رِحَالَهُمْ ... إِلَى بَحْرِكَ ٱلطَّامِي أَتَيْتُ بِجَرَّتِي

فَقَالَ ٱلْخَلِيفَةُ : ٱمْلَأُوا لَهُ ٱلْجَرَّةَ ذَهَبًا وَفِضَّةً . فَحَسَدَهُ بَعْضُ ٱلْحَاضِرِينَ وَقَالَ : هٰذَا فَقِيرٌ مَجْنُونٌ لَا يَعْرِفُ قِيمَةَ هٰذَا ٱلْمَالِ وَرُبَّمَا

أتلفه وضيعه . فقال الخليفة : هو ماله يفعل به ما شاء . فملئت له ذهباً وخرج إلى الباب ففرق الجميع . وبلغ الخليفة ذلك فاستدعاه وعاتبه على ذلك . فقال :

يجود علينا الخيرون بمالهم ونحن بمال الخيرين نجود

فأعجبه ذلك . وأمر أن تملأ له عشر مرات وقال : الحسنة بعشرة أمثالها . (حلبة الكميت للنواجي)

٢٣٧ ألح رجل على الأحنف بالشتم . فلما فرغ قال له : هل لك في الغداء . فإنك مذ اليوم تحدو بجمال ثقال . وقال له رجل : إن قلت واحدة لتسمعن عشراً . فقال : وأنت إن قلت عشراً لم تسمع واحدة (للابشيهي)

٢٣٨ قال شرف الدولة بن منقذ ملغزاً في الزنبور والنحل :

ومغردين ترنما في مجلس فنفاهما لأذاهما الأقوام

هذا يجود بما يجود بعكسه هذا فيحمد ذا وذاك يلام

٢٣٩ جاءت امرأة إلى قيس بن سعد بن عبادة فقالت له : مشت جرذان بيتي على العفاء . فقال : سأدعهم يثبون وثوب الأسود . ثم أرسل لها ما ملأ البيت من سائر الحبوب والأطعمة . (والعفاء التراب . ومرادها أنه لم يبق في بيتها شيء يأكله الفار)

شقيق والبطيخة

٢٤٠ إشترى شقيق البلخي بطيخة لامرأته . فوجدتها غير طيبة

فغضبت. فقال لها: على من تغضبين. أعلى البائع. أم على المشتري. أم على الزارع. أم على الخالق. فأمّا البائع فلو كان منه لكان أطيب شيء يُرغب فيه. وأمّا المشتري فلو كان منه لاشترى أحسن الأشياء. وأمّا الزارع فلو كان منه لأنبت أحسن الأشياء. فلم يبق إلّا غضبك على الخالق فاتّقي الله وارضي بقضائه (للقليوبي)

اسحاق الموصلي عند البرامكة

٢٤١ قال إسحاق بن إبرهيم الموصلي: دعاني يحيى بن خالد فدخلت عليه فوجدت الفضل وجعفرًا وولديه جالسين بين يديه. فقال إسحاق: أصبحت اليوم مهمومًا فأردت الصبوح لأتسلّى فغنّني صوتًا لعلّي أرتاح له فغنّيته:

إذا نزلوا بطحاء مكّة أشرقت ... بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر

فما خلقت إلّا لجود أكفّهم ... وأرجلهم إلّا لأعواد منبر

فسُرّ وأمر لي بمائة ألف درهم. وأمر لي كلّ واحد من ولديه بمائة ألف درهم. فحملت المال وانصرفت (للنواجي)

الروم بموت احد الخلفاء

٢٤٢ لمّا مات بعض الخلفاء تجيّشت الروم واحتشدت واجتمعت ملوكها وقالوا: الآن يشتغل المسلمون بعضهم ببعض فتمكننا الغرة فيهم والوثبة عليهم. وضربوا في ذلك مشاورات. وتراجعوا فيه بالمناظرات. وأجمعوا على أنّه فرصة الدهر. وثغرة النحر. وكان رجل

مِنْهُمْ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ وَالْمَعْرِفَةِ غَائِبًا عَنْهُمْ فَقَالُوا: مِنَ الْحَزْمِ عَرْضُ الرَّأْيِ عَلَيْهِ. فَلَمَّا أَخْبَرُوهُ بِمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ قَالَ: لَا أَرَى ذٰلِكَ صَوَابًا. فَسَأَلُوهُ عَنْ عِلَّةِ ذٰلِكَ. فَقَالَ: غَدًا أُخْبِرُكُمْ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا عَلَيْهِ لِلْوَعْدِ وَقَالُوا: لَقَدْ وَعَدْتَنَا. قَالَ: نَعَمْ. فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ كَلْبَيْنِ عَظِيمَيْنِ قَدْ أَعَدَّهُمَا. ثُمَّ حَرَّشَ بَيْنَهُمَا وَأَلَّبَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى الْآخَرِ فَتَوَاثَبَا وَتَهَارَشَا حَتَّى سَالَتْ دِمَاؤُهُمَا. فَلَمَّا بَلَغَ الْغَايَةَ فَتَحَ بَابَ بَيْتٍ عِنْدَهُ وَأَرْسَلَ مِنْهُ عَلَى الْكَلْبَيْنِ ذِئْبًا عِنْدَهُ قَدْ أَعَدَّهُ. فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ تَرَكَا مَا كَانَا عَلَيْهِ وَتَأَلَّفَتْ قُلُوبُهُمَا. وَوَثَبَا جَمِيعًا عَلَى الذِّئْبِ فَنَالَا مِنْهُ مَا أَرَادَا. ثُمَّ أَقْبَلَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِ الْجَمْعِ فَقَالَ لَهُمْ: مَثَلُكُمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ مَثَلُ هٰذَا الذِّئْبِ مَعَ الْكِلَابِ لَا يَزَالُ الْهَرْجُ وَالْقِتَالُ بَيْنَهُمْ وَتَأَلَّفُوا عَلَى الْعَدُوِّ. فَاسْتَحْسَنُوا قَوْلَهُ وَتَفَرَّقُوا عَنْ رَأْيِهِ

الرشيد والذكي

٢٤٣ يُحْكَى أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ هَارُونَ الرَّشِيدَ فَقَالَ: إِنِّي أَصْنَعُ مَا تَعْجَزُ الْخَلَائِقُ عَنْهُ. فَقَالَ الرَّشِيدُ: هَاتِ. فَأَخْرَجَ أُنْبُوبَةً فَصَبَّ مِنْهَا إِبَرًا عِدَّةً. ثُمَّ وَضَعَ وَاحِدَةً فِي الْأَرْضِ. وَقَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ وَجَعَلَ يَرْمِي إِبْرَةً إِبْرَةً مِنْ قَامَتِهِ فَتَقَعُ كُلُّ إِبْرَةٍ فِي عَيْنِ الْإِبْرَةِ الْمَوْضُوعَةِ حَتَّى فَرَغَ دَسْتَهُ. فَأَمَرَ الرَّشِيدُ بِضَرْبِهِ مِائَةَ سَوْطٍ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ. فَسُئِلَ عَنْ جَمْعِهِ بَيْنَ الْكَرَامَةِ وَالْهَوَانِ فَقَالَ: وَصَلْتُهُ لِجَوْدَةِ ذَكَائِهِ. وَأَدَّبْتُهُ لِكَيْ لَا يَصْرِفَ فَرْطَ ذَكَائِهِ فِي الْفُضُولِ

الملك وسائق الحمار

٢٤٤ مَرَّ بعضُ الملوكِ بغلامٍ يسوقُ حمارًا غيرَ منبعثٍ وقد عنُفَ عليهِ في السوقِ فقالَ: يا غلامُ ارفقْ بهِ. فقالَ الغلامُ: أيها الملكُ في الرفقِ بهِ مضرَّةٌ عليهِ. قالَ: وما مضرَّتُهُ. قالَ: يطولُ طريقُهُ ويشتدُّ جوعُهُ. وفي العنفِ بهِ إحسانٌ إليهِ. قالَ: وما الإحسانُ إليهِ. قالَ: يخفُّ حملُهُ ويطولُ أكلُهُ. قالَ: فأُعجِبَ الملكُ بكلامهِ وقالَ لهُ: قد أمرتُ لكَ بألفِ درهمٍ. فقالَ: رزقٌ مقدورٌ. وواهبٌ مأجورٌ. قالَ: وقد أمرتُ بإثباتِ اسمكَ في جيشي. فقالَ: كُفيتَ مؤونةً. ورُزقتَ بها معونةً. قالَ: لولا أنكَ حديثُ السنِّ لاستوزرتُكَ. قالَ: لن يعدمَ الفضلَ من رُزقَ العقلَ. قالَ: فهل تصلحُ لذلكَ. قالَ: إنما يكونُ المدحُ والذمُّ بعدَ التجربةِ. ولا يعرفُ الإنسانُ نفسَهُ حتى يبلوها. قالَ: فاستوزرَهُ فوجدَهُ ذا رأيٍ صائبٍ وفهمٍ رحيبٍ ومشورةٍ تقعُ مواقعَ التوفيقِ

(للطرطوشي)

٢٤٥ فرَّ حِماسٌ عن العدوِّ منهزمًا يومَ الخندمةِ. فلامتهُ امرأتُهُ. فقالَ:

إنكِ لو شاهدتِ يومَ الخندمهْ إذ فرَّ صفوانُ وفرَّ عكرمهْ
إذ لحقونا بالسيوفِ المسلمهْ يفلقنَ كلَّ ساعدٍ وجمجمهْ
ضربًا فلا تسمعُ إلا غمغمهْ لم تنطقي في اللومِ أدنى كلمهْ

عمر بن الخطاب والصمصامة

٢٤٦ بَعثَ عُمَرُ بنُ ٱلخَطَّابِ إِلَى عَمرِو بنِ مَعدِي كَرِبَ أَن يَبعَثَ إِلَيهِ بِسَيفِهِ ٱلمَعرُوفِ بِٱلصَّمصَامَةِ. فَبَعَثَ بِهِ إِلَيهِ. فَلَمَّا ضَرَبَ بِهِ وَجَدَهُ دُونَ مَا كَانَ يَبلُغُهُ عَنهُ. فَكَتَبَ إِلَيهِ فِي ذٰلِكَ. فَرَدَّ عَلَيهِ: إِنَّمَا بَعَثتُ إِلَى أَمِيرِ ٱلمُؤمِنِينَ بِٱلسَّيفِ وَلَم أَبعَث بِٱلسَّاعِدِ ٱلَّذِي يَضرِبُ بِهِ

ابرهيم الموصلي عند الرشيد

٢٤٧ قَالَ ٱلأَصمَعِيُّ: كُنتُ عِندَ ٱلرَّشِيدِ إِذ دَخَلَ عَلَيهِ إِبرٰهِيمُ ٱلمَوصِلِيُّ فَأَنشَدَهُ:

وَآمِرَةٍ بِٱلبُخلِ قُلتُ لَهَا ٱقصِرِي فَلَيسَ إِلَى مَا تَأمُرِينَ سَبِيلُ
فَعَالِي فِعَالُ ٱلمُكثِرِينَ تَجَمُّلًا وَمَالِي كَمَا قَد تَعلَمِينَ قَلِيلُ
فَكَيفَ أَخَافُ ٱلفَقرَ أَو أُحرَمُ ٱلغِنَى وَرَأيُ أَمِيرِ ٱلمُؤمِنِينَ جَمِيلُ

فَقَالَ: لِلّٰهِ أَبيَاتٌ تَأتِينَا بِهَا مَا أَحسَنَ أُصُولَهَا. وَأَبيَنَ فُصُولَهَا. وَأَقَلَّ فُضُولَهَا. يَا غُلَامُ أَعطِهِ عِشرِينَ أَلفًا. قَالَ: وَٱللّٰهِ لَا أَخَذتُ مِنهَا دِرهَمًا. قَالَ: وَلِمَ. قَالَ: لِأَنَّ كَلَامَكَ يَا أَمِيرَ ٱلمُؤمِنِينَ خَيرٌ مِن شِعرِي. قَالَ: أَعطُوهُ أَربَعِينَ أَلفًا. قَالَ ٱلأَصمَعِيُّ: فَعَلِمتُ أَنَّهُ أَصيَدُ لِدَرَاهِمِ ٱلمُلُوكِ مِنِّي

٢٤٨ كَتَبَ أَبُو دُلَامَةَ إِلَى بَعضِ وُلَاةِ ٱلكُوفَةِ رُقعَةً فِيهَا هٰذِهِ ٱلأَبيَاتُ:

إِذَا جِئتَ ٱلأَمِيرَ فَقُل سَلَامٌ عَلَيكَ وَرَحمَةُ ٱللّٰهِ ٱلرَّحِيمِ

فَأَمَّا بَعْدَ ذَاكَ فَلِي غَرِيمٌ مِنَ ٱلْأَنْصَارِ قُبِّحَ مِنْ غَرِيمِ
لَزُومٌ مَا عَلِمْتُ لِبَابِ دَارِي لُزُومَ ٱلْكَلْبِ أَصْحَابَ ٱلرَّقِيمِ
لَهُ مِائَةٌ عَلَيَّ وَنِصْفُ أُخْرَى وَنِصْفُ ٱلنِّصْفِ فِي صَكٍّ قَدِيمِ
دَرَاهِمُ مَا ٱنْتَفَعْتُ بِهَا وَلٰكِنْ وَصَلْتُ بِهَا شُيُوخَ بَنِي تَمِيمِ
قَالَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ (للشريشي)

أزهر وابو جعفر المنصور

٢٤٩ رَوَى ٱلشَّيْبَانِيُّ قَالَ: كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ ٱلْمَنْصُورُ أَيَّامَ بَنِي أُمَيَّةَ إِذَا دَخَلَ دَخَلَ مُسْتَتِرًا. فَكَانَ يَجْلِسُ فِي حَلْقَةِ أَزْهَرَ ٱلسَّمَّانِ ٱلْمُحَدِّثِ. فَلَمَّا أَفْضَتِ ٱلْخِلَافَةُ إِلَيْهِ قَدِمَ عَلَيْهِ أَزْهَرُ فَرَحَّبَ بِهِ وَقَرَّبَهُ وَقَالَ لَهُ: مَا حَاجَتُكَ يَا أَزْهَرُ. قَالَ: دَارِي مُنْهَدِمَةٌ. وَعَلَيَّ أَرْبَعَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ. فَوَصَلَهُ بِٱثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا وَقَالَ: قَدْ قَضَيْنَا حَاجَتَكَ يَا أَزْهَرُ فَلَا تَأْتِنَا طَالِبًا. فَأَخَذَهَا وَٱرْتَحَلَ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَنَةٍ أَتَاهُ. فَلَمَّا رَآهُ أَبُو جَعْفَرٍ قَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَزْهَرُ. قَالَ: جِئْتُكَ مُسَلِّمًا. قَالَ: قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِٱثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا وَٱذْهَبْ فَلَا تَأْتِنَا طَالِبًا وَلَا مُسَلِّمًا. فَأَخَذَهَا وَمَضَى. فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَنَةٍ أَتَاهُ. فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَزْهَرُ. قَالَ: أَتَيْتُ عَائِدًا. قَالَ: إِنَّهُ يَقَعُ فِي خَلَدِي أَنَّكَ جِئْتَ طَالِبًا. قَالَ: مَا جِئْتُ إِلَّا عَائِدًا. قَالَ: قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِٱثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا. وَٱذْهَبْ فَلَا تَأْتِنَا طَالِبًا وَلَا مُسَلِّمًا وَلَا عَائِدًا. فَأَخَذَهَا وَٱنْصَرَفَ. فَلَمَّا مَضَتِ ٱلسَّنَةُ أَقْبَلَ. فَقَالَ لَهُ: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَزْهَرُ.

قالَ: دُعاءٌ كُنتُ أَسمعُكَ تدعُو بِهِ يا أَميرَ ٱلمُؤمِنينَ جِئتُ لِأَكتُبَهُ. فَضَحِكَ أَبُو جعفرٍ وقالَ: إِنَّهُ دُعاءٌ غيرُ مُستجابٍ. وذٰلِكَ أَنِّي قدْ دَعوتُ ٱللهَ بِهِ أَنْ لا أَراكَ فلَمْ يَستجِبْ لِي وقدْ أَمرْنا لكَ بِٱثني عشرَ أَلفًا. وتعالَ متى شِئتَ فقدْ أَعيَتْنِي فِيكَ ٱلحِيلَةُ

٢٥٠ أَبطأَ عبيدُ ٱللهِ بنُ يحيى عنِ ٱلدِّيوانِ فأَرسلَ إِلَيهِ ٱلمُتوكِّلُ يتعرَّفُ خبرَهُ فكتبَ إِلَيهِ:

عَليلٌ مِنْ مكانَينِ مِنَ ٱلإِفلاسِ وَٱلدَّينِ
فَفِي هٰذَينِ لِي شُغلٌ وَحَسبِي شُغلُ هٰذَينِ

فبعثَ إِلَيهِ بِأَلفِ دينارٍ

المستعطي بالحلم

٢٥١ قالَ ٱلعُتبِيُّ: دَخلَ ٱبنُ دِعبِلٍ على بِشرِ بنِ مَروانَ لمَّا وَلِيَ ٱلكُوفةَ فقعدَ بينَ ٱلسِّماطَينِ ثُمَّ قالَ: أَيُّها ٱلأَميرُ إِنِّي رأَيتُ رُؤيا فأْذَنْ لِي فِي قصِّها. فقالَ: قُلْ. فقالَ:

أَغفَيتُ قبلَ ٱلصُّبحِ نَومَ مُسهَّدٍ فِي ساعةٍ ما كُنتُ قبلُ أَنامُها
فرأَيتُ أَنَّكَ جُدتَ لِي بِوَصيفةٍ موسُومةٍ حَسَنٍ عليَّ قِيامُها
وَبِبَدرةٍ حُمِلَتْ إِليَّ وَبَغلةٍ شَهباءَ ناجِيةٍ يَصِرُّ لِجامُها

قالَ لهُ بِشرُ بنُ مروانَ: كُلُّ شيءٍ رأَيتَ فهُوَ عِندِي إِلَّا ٱلبغلةَ فإِنَّها دَهماءُ فارِهةٌ. قالَ: بَرِئْتُ مِنْ نِسيِي إِنْ كُنتُ رأَيتُها إِلَّا ٱلدَّهماءَ إِلَّا أَنِّي غلِطتُ

٢٥٢ قَالَ ٱلْبُطَيْنُ ٱلشَّاعِرُ : قَدِمْتُ عَلَى ٱبْنِ يَحْيَى ٱلْأَرْمِينِيِّ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ :

رَأَيْتُ فِي ٱلنَّوْمِ أَنِّي رَاكِبٌ فَرَسًا وَلِي وَصِيفٌ وَفِي كَفِّي دَنَانِيرُ
فَقَالَ قَوْمٌ لَهُمْ حِذْقٌ وَمَعْرِفَةٌ رَأَيْتَ خَيْرًا وَلِلْأَحْلَامِ تَعْبِيرُ
رُؤْيَاكَ فَسِّرْ غَدًا عِنْدَ ٱلْأَمِيرِ تَجِدْ تَعْبِيرَ ذَاكَ وَفِي ٱلْفَالِ ٱلتَّبَاشِيرُ
فَجِئْتُ مُسْتَبْشِرًا مُسْتَشْعِرًا فَرِحًا وَعِنْدَ مِثْلِكَ لِي بِٱلْفِعْلِ تَبْشِيرُ

(قَالَ) فَوَقَّعَ لِي فِي أَسْفَلِ كِتَابِي: أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ. ثُمَّ أَمَرَ لِي بِكُلِّ شَيْءٍ ذَكَرْتُهُ فِي أَبْيَاتِي وَرَأَيْتُهُ فِي مَنَامِي

٢٥٣ مَدَحَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ أَمِيرًا فَخَيَّبَهُ. فَأَنْشَدَهُ :

لَئِنْ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِيكَ مَا أَخْطَأْتَ فِي مَنْعِي
لَقَدْ أَحْلَلْتُ آمَالِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعِ

السائل وعبيد الله بن عبّاس

٢٥٤ مِنْ جُودِ عُبَيْدِ ٱللهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ أَتَاهُ سَائِلٌ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ فَقَالَ لَهُ : صَدَقَ فَإِنِّي نُبِّئْتُ أَنَّ عُبَيْدَ ٱللهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَعْطَى سَائِلًا أَلْفَ دِرْهَمٍ فَٱعْتَذَرَ إِلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ : وَأَيْنَ أَنَا مِنْ عُبَيْدِ ٱللهِ. قَالَ: أَيْنَ أَنْتَ مِنْهُ فِي ٱلْحَسَبِ أَمْ فِي كَثْرَةِ ٱلْمَالِ. قَالَ: فِيهِمَا. قَالَ: أَمَّا ٱلْحَسَبُ فِي ٱلرَّجُلِ فَمُرُوءَتُهُ وَفِعْلُهُ. وَإِذَا شِئْتَ فَعَلْتَ. وَإِذَا فَعَلْتَ كُنْتَ حَسِيبًا. فَأَعْطَاهُ أَلْفَيْ دِرْهَمٍ وَٱعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِنْ ضِيقِ ٱلْحَالِ. فَقَالَ لَهُ ٱلسَّائِلُ :

إنْ لَمْ تَكُنْ عبدَ اللهِ بنَ عباسٍ فأنتَ خيرٌ منهُ . وإنْ كُنتَ هو فأنتَ اليومَ خيرٌ منكَ أمسِ . فأعطاهُ ألفاً أخرى . فقالَ السائلُ : هذهِ هزّةُ كريمٍ حسيبٍ . واللهِ لقدْ نقرتَ حبّةَ قلبي فأفرغتَها في قلبِكَ فما أخطأتُ إلّا باعتراضِ الشّدِّ منْ جوانحي

٢٥٥ قالَ أحمدُ بنُ مطيرٍ : أنشدتُ عبدَ اللهِ بنَ طاهرٍ أبياتاً كُنتُ مدحتُ بها بعضَ الوُلاةِ وهي :

لهُ يومُ بؤسٍ فيهِ للنّاسِ أبؤسٌ ويومُ نعيمٍ فيهِ للنّاسِ أنعُمُ
فيقطرُ يومَ الجودِ منْ كفّهِ النّدى ويقطرُ يومَ البؤسِ منْ كفّهِ الدّمُ
فلوْ أنّ يومَ البؤسِ لمْ يثنِ كفّهُ
عنِ النّاسِ لمْ يُصبحْ على الأرضِ مُجرِمُ
ولوْ أنّ يومَ الجودِ فرّغَ كفّهُ
لبذلِ النّدى ما كانَ بالأرضِ مُعدِمُ

فقالَ لي عبدُ اللهِ : كمْ أعطاكَ . قُلتُ : خمسةَ آلافٍ . قالَ : فقبلتَها . قُلتُ : نعمْ . قالَ لي : أخطأتَ . ما ثمنُ هذهِ إلّا مائةُ ألفٍ

٢٥٦ قالَ العُتبيُّ : سمعتُ عمّي يُنشدُ لأبي عبّاسٍ الزّبيريّ :

وكلُّ خليفةٍ ووليِّ عهدٍ لكمْ يا آلَ مروانَ الفداءُ
إمارتُكمْ شفاءٌ حيثُ كانتْ وبعضُ إمارةِ الأقوامِ داءُ
فأنتمْ تُحسنونَ إذا ملكتمْ وبعضُ القومِ إنْ ملكوا أساؤوا
أأجعلُكُمْ وغيرَكُمْ سواءً وبينكُمْ وبينهُمُ الهواءُ

هُمْ أَرْضٌ لِأَرْجُلِكُمْ وَأَنْتُمْ لِأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ سَمَاءُ

فَقُلْتُ لَهُ: كَمْ أَعْطَى عَلَيْهَا. قَالَ: عِشْرِينَ أَلْفًا

٢٥٧ دَخَلَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ فَقَالَ لَهُ: كَبِرْتَ يَا مَعْنُ. قَالَ: فِي طَاعَتِكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: وَإِنَّكَ لَتَتَجَلَّدُ. قَالَ: عَلَى أَعْدَائِكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: وَإِنَّ فِيكَ لَبَقِيَّةً. قَالَ: هِيَ لَكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: أَيُّ ٱلدَّوْلَتَيْنِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَوْ أَبْغَضُ. أَدَوْلَتُنَا أَمْ دَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةَ. قَالَ: ذٰلِكَ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. إِنْ زَادَ بِرُّكَ عَلَى بِرِّهِمْ كَانَتْ دَوْلَتُكَ أَحَبَّ إِلَيَّ. وَإِنْ زَادَ بِرُّهُمْ عَلَى بِرِّكَ كَانَتْ دَوْلَتُهُمْ أَحَبَّ إِلَيَّ. قَالَ: صَدَقْتَ

٢٥٨ دَخَلَ ٱلْمَأْمُونُ يَوْمًا بَيْتَ ٱلدِّيوَانِ فَرَأَى غُلَامًا جَمِيلًا عَلَى أُذُنِهِ قَلَمٌ فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ. قَالَ: أَنَا ٱلنَّاشِئُ فِي دَوْلَتِكَ. وَٱلْمُتَقَلِّبُ فِي نِعْمَتِكَ. وَٱلْمُؤَمِّلُ لِخِدْمَتِكَ ٱلْحَسَنُ بْنُ رَجَاءٍ. قَالَ ٱلْمَأْمُونُ: بِٱلْإِحْسَانِ فِي ٱلْبَدِيهَةِ تَفَاضَلَتِ ٱلْعُقُولُ. إِرْفَعُوا هٰذَا ٱلْغُلَامَ فَوْقَ مَرْتَبَتِهِ

٢٥٩ كَتَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْأَدَبِ إِلَى عَلِيلٍ:

نُبِّئْتُ أَنَّكَ مُعْتَلٌّ فَقُلْتُ لَهُمْ نَفْسِي ٱلْفِدَاءُ لَهُ مِنْ كُلِّ مَحْذُورِ

يَا لَيْتَ عِلَّتَهُ بِي ثُمَّ كَانَ لَهُ أَجْرُ ٱلْعَلِيلِ وَإِنِّي غَيْرُ مَأْجُورِ

٢٦٠ دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱللّٰهِ عَلَى ٱلْمُتَوَكِّلِ فِي شَكَاةٍ لَهُ يَعُودُهُ فَقَالَ:

أَللّٰهُ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِ ٱلْإِمَامِ لَنَا وَكُلُّنَا لِلْمَنَايَا دُونَهُ عَرَضُ

فَلَيتَ أَنَّ ٱلَّذِي يَعْرُوهُ مِنْ مَرَضٍ ... بِٱلْعَائِدِينَ جَمِيعًا لَا بِهِ ٱلْمَرَضُ
فَبِٱلْإِمَامِ لَنَا مِنْ غَيْرِنَا عِوَضٌ ... وَلَيسَ فِي غَيْرِهِ مِنْهُ لَنَا عِوَضُ
فَمَا أُبَالِي إِذَا مَا نَفْسُهُ سَلِمَتْ ... لَوْ بَادَ كُلُّ عِبَادِ ٱللهِ وَٱنْقَرَضُوا

(لابن عبد ربّه)

٢٦١ لَمَّا قُدِّمَ نَصْرُ بْنُ مَنِيعٍ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْمَأْمُونِ وَكَانَ قَدْ أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ قَالَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ: ٱسْمَعْ مِنِّي كَلِمَاتٍ أَقُولُهَا. قَالَ: قُلْ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

زَعَمُوا بِأَنَّ ٱلصَّقْرَ صَادَفَ مَرَّةً ... عُصْفُورَ بَرٍّ سَاقَهُ ٱلتَّقْدِيرُ
فَتَكَلَّمَ ٱلْعُصْفُورُ تَحْتَ جَنَاحِهِ ... وَٱلصَّقْرُ مُنْقَضٌّ عَلَيْهِ يَطِيرُ
إِنِّي لِمِثْلِكَ لَا أُتَمِّمُ لُقْمَةً ... وَلَئِنْ شُوِيتُ فَإِنَّنِي لَحَقِيرُ
فَتَهَاوَنَ ٱلصَّقْرُ ٱلْمُدِلُّ بِصَيْدِهِ ... كَرَمًا وَأَفْلَتَ ذَلِكَ ٱلْعُصْفُورُ

فَعَفَا عَنْهُ (لابن خلّكان)

الدجاجة المدفونة في بقعة مباركة

٢٦٢ قَالَ ٱلشَّيْبَانِيُّ: نَزَلَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ جَعْفَرٍ إِلَى خَيْمَةِ أَعْرَابِيَّةٍ وَلَهَا دَجَاجَةٌ وَقَدْ دَجَنَتْ عِنْدَهَا. فَذَبَحَتْهَا وَجَاءَتْ بِهَا إِلَيْهِ. فَقَالَتْ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ هٰذِهِ دَجَاجَةٌ لِي كُنْتُ أُدَجِّنُهَا وَأَعْلِفُهَا مِنْ قُوتِي وَأَلْمِسُهَا فِي آنَاءِ ٱللَّيْلِ فَكَأَنَّمَا أَلْمِسُ بِنْتِي زَلَّتْ عَنْ كَبِدِي. فَنَذَرْتُ لِلهِ أَنْ أَدْفِنَهَا فِي أَكْرَمِ بُقْعَةٍ تَكُونُ. فَلَمْ أَجِدْ تِلْكَ ٱلْبُقْعَةَ ٱلْمُبَارَكَةَ إِلَّا بَطْنَكَ. فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْفِنَهَا فِيهِ. فَضَحِكَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَأَمَرَ لَهَا بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ.

٢٦٣ دَخَلَ عقيلٌ على معاويةَ وقد كُفَّ بصرُهُ . فأجلسهُ معاويةُ على سريرهِ ثمَّ قال لهُ : أنتم معشرَ بني هاشمٍ تُصابونَ في أبصاركم . قالَ : وأنتم معشرَ بني أميةَ تُصابونَ في بصائرِكم

٢٦٤ كانَ بطلميوسُ الأخيرُ ملكُ الرومِ يقولُ : ينبغي للعاقلِ إذا أصبحَ أنْ ينظرَ في المرآةِ فإنْ رأى وجههُ حسنًا لمْ يشنهُ بقبحٍ . وإنْ رآهُ قبيحًا لمْ يجمعْ بينَ قبيحَيْنِ (ثمرات الاوراق للحموي)

٢٦٥ قالَ حسانُ : خرجنا معَ ابنِ المباركِ مرابطينَ إلى الشأمِ . فبينما هوَ يمشي وأنا معهُ في أزقةِ المصيصةِ إذْ لقيَ سكرانَ قدْ رفعَ عقيرتهُ يتغنَّى . فأخرجَ ابنُ المباركِ برنامجًا منْ كُمِّهِ فكتبَ البيتَ . فقلنا لهُ : أتكتبُ بيتَ شعرٍ سمعتهُ منْ سكرانَ . قالَ : أما سمعتمُ المثلَ . ربَّ جوهرةٍ في مزبلةٍ : قلنا : نعمْ . قالَ : فهذهِ جوهرةٌ في مزبلةٍ

٢٦٦ إستأذنَ نصيبُ بنُ رياحٍ على عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ فلمْ يأذنْ لهُ فقالَ : أعلموا أميرَ المؤمنينَ أني قلتُ شعرًا أولهُ الحمدُ للهِ . فأعلموهُ فأذنَ لهُ . فأدخلَ عليهِ وهوَ يقولُ :

أَلحمدُ للهِ أمَّا بعدُ يا عمرُ فقدْ أتتنا بكَ الحاجاتُ والقدرُ
فأنتَ رأسُ قريشٍ وابنُ سيدِها والرأسُ فيهِ يكونُ السمعُ والبصرُ

فأمرَ لهُ بحليةِ سيفهِ (لابن عبد ربه)

٢٦٧ حدَّثَ محمدُ بنُ يزيدَ قالَ : كانَ ثابتُ قطنةَ قدْ وليَ عملًا منْ أعمالِ خراسانَ . فلما صعدَ المنبرَ يومَ الجمعةِ رامَ الكلامَ فتعذَّرَ

عليه وحصر فقال: سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عي بيانا.
وأنتم إلى أمير فعال أحوج منكم إلى أمير قوال

وإلا أكن فيكم خطيباً فإنني بسيفي إذا جد الوغى لخطيب

فبلغت كلماته خالد بن صفوان. (ويقال الأحنف بن قيس) فقال: والله ما علا ذلك المنبر أخطب منه (الاغاني)

٢٦٨ نظر جعفر بن محمد إلى فتى على ثيابه أثر مداد. فونبه على ذلك فقال:

لا تجزعن من المداد فإنه عطر الرجال وحلية الكتاب

فأجابه:

حمار في الكتابة يدعيها كدعوى آل حرب في زياد

فدع عنك الكتابة لست منها ولو لطخت نفسك بالسواد

٢٦٩ حدث الغلابي قال: تهدد عبد الله بن معن أبا العتاهية وخوفه. فقال أبو العتاهية يهجوه:

ألا قل لابن معن والذي م في الود قد حالا

لقد بلغت ما قال فما باليت ما قالا

ولو كان من الأسد لما راع ولا هالا

فصغ ما كنت حليت به سيفك خلخالا

فما تصنع بالسيف إذا لم تك قتالا

أرى قومك أبطالا وقد أصبحت بطالا

(قَالَ) فَقَالَ عَبْدُ ٱللهِ: مَا لَبِسْتُ ٱلسَّيْفَ قَطُّ فَلَحَنِي إِنْسَانٌ إِلَّا قُلْتُ: إِنَّهُ يَحْفَظُ شِعْرَ أَبِي ٱلْعَتَاهِيَةِ فِي فَيَنْظُرُ إِلَيَّ بِسَبَبِهِ

(للشريشي)

٢٧٠ حَدَّثَ ٱلْمَدَائِنِيُّ قَالَ: عَيَّرَ زِيَادُ ٱلْأَعْجَمُ ٱلْمُغِيرَةَ بْنَ حَبْنَاءَ فِي مَجْلِسِ ٱلْمُهَلَّبِ بِٱلْبَرَصِ. فَقَالَ لَهُ ٱلْمُغِيرَةُ: إِنَّ عِتَاقَ ٱلْخَيْلِ لَا تَشِينُهَا ٱلْأَوْضَاحُ وَلَا تُعَيَّرُ بِٱلْغُرَرِ وَٱلْحُجُولِ. وَقَدْ قَالَ صَاحِبُنَا بَلْعَاءُ بْنُ قَيْسٍ لِرَجُلٍ عَيَّرَهُ بِٱلْبَرَصِ: إِنَّمَا أَنَا سَيْفُ ٱللهِ جَلَاهُ وَأَسَلَّهُ عَلَى أَعْدَائِهِ

(الاغاني)

٢٧١ قِيلَ لِبَعْضِ ٱلْمَجَانِينِ وَقَدْ أَقْبَلَ مِنَ ٱلْمَقْبَرَةِ: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ فَقَالَ: مِنْ هٰذِهِ ٱلْقَافِلَةِ ٱلنَّازِلَةِ. قِيلَ: مَاذَا قُلْتَ لَهُمْ. قَالَ: قُلْتُ لَهُمْ مَتَى تَرْحَلُونَ. فَقَالُوا: حِينَ عَلَيْنَا تَقْدَمُونَ (لبهاء الدين)

٢٧٢ قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ:

لِكُلِّ فَتًى خُرْجٌ مِنَ ٱلْعَيْبِ مُمْتَلٍ
عَلَى كَتْفِهِ مِنْهُ وَمِنْ أَهْلِ دَهْرِهِ
فَعَيْنُ عُيُوبِ ٱلنَّاسِ نُصْبُ عُيُونِهِ
وَعَيْنُ عُيُوبِ ٱلنَّفْسِ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ

وعد عرقوب

٢٧٣ كَانَ عُرْقُوبُ وَعَدَ رَجُلًا ثَمَرَ نَخْلَةٍ فَلَمَّا أَطْلَعَتْ أَتَاهُ فَقَالَ: دَعْهَا حَتَّى تُبْلِحَ. فَلَمَّا أَبْلَحَتْ قَالَ: دَعْهَا حَتَّى تُزْهِيَ. فَلَمَّا أَزْهَتْ أَتَاهُ. فَقَالَ:

دَعْهَا حَتَّى تُرْطِبَ . ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ : دَعْهَا حَتَّى تُتْمِرَ . فَلَمَّا أَتْمَرَتْ عَدَا عَلَيْهَا الْبَلَاءُ فَجَدَّهَا فَضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْخُلْفِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

مَنْ كَانَ خُلْفُ الْوَعْدِ شِيمَتَهُ وَالْغَدْرُ عُرْقُوبٌ لَهُ مَثَلُ

٢٧٤ حَدَّثَ أَبُو الْعَالِيَةِ قَالَ : دَخَلَ التَّيْمِيُّ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ فِي يَوْمِ عِيدٍ فَأَنْشَدَهُ :

لَعَمْرُكَ مَا الْأَشْرَافُ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ وَإِنْ عَظُمُوا لِلْفَضْلِ إِلَّا صَنَائِعُ
تَرَى عُظَمَاءَ النَّاسِ لِلْفَضْلِ خُشَّعًا إِذَا مَا بَدَا وَالْفَضْلُ لِلَّهِ خَاشِعُ
تَوَاضَعَ لَمَّا زَادَهُ اللَّهُ رِفْعَةً وَكُلُّ جَلِيلٍ عِنْدَهُ مُتَوَاضِعُ

فَأَمَرَ لَهُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ (الاغاني)

٢٧٥ قَالَ بَعْضُهُمْ مُلْغِزًا فِي اسْمِ عَلِيٍّ :

إِسْمُ الَّذِي يُتَيِّمُنِي أَوَّلُهُ نَاظِرُهُ
إِنْ فَاتَنِي أَوَّلُهُ فَإِنَّ لِي آخِرُهُ

٢٧٦ لِمُجِيرِ الدِّينِ فِي زَهْرِ اللَّوْزِ :

أَزَهْرَ اللَّوْزِ أَنْتَ لِكُلِّ زَهْرٍ مِنَ الْأَزْهَارِ يَأْتِينَا إِمَامُ
لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ الْأَيَّامُ حَتَّى كَأَنَّكَ فِي فَمِ الدُّنْيَا ابْتِسَامُ

٢٧٧ كَتَبَ بَعْضُهُمْ عَلَى هَدِيَّةٍ وَأَرْسَلَهَا :

يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي عَمَّتْ أَيَادِيهِ الْجَلِيلَهْ
إِقْبَلْ هَدِيَّةَ مَنْ يَرَى فِي حَقِّكَ الدُّنْيَا قَلِيلَهْ

٢٧٨ قَالَ بَعْضُهُمْ لِابْنِ سِينَا : هَلَّا تُسَافِرُ بَحْرًا . فَقَالَ :

لا أركبُ البحرَ أخشى عليَّ منهُ المعاطبْ
طينٌ أنا وهو ماءٌ والطينُ في الماءِ ذائبْ

٢٧٩ سمع رجل رجلًا يقولُ: أينَ الزاهدونَ في الدنيا. الراغبونَ في الآخرةِ. فقال له: يا هذا أقلب كلامكَ وضعْ يدكَ على من شئتَ

٢٨٠ قالَ بعضُ أصحابِ القلوبِ: إنَّ الناسَ يقولونَ: افتحوا أعينكمْ حتَّى تبصروا. وأنا أقولُ: غمِّضوا أعينكمْ حتَّى تبصروا

٢٨١ كانَ في زمانِ ديوجانسَ الحكيمِ رجلٌ مصوِّرٌ فتركَ التصويرَ وصارَ طبيبًا فقالَ له: أحسنتَ إنَّكَ لمَّا رأيتَ خطأَ التصويرِ ظاهرًا للعينِ وخطأَ الطبِّ يواريهِ الترابُ تركتَ التصويرَ ودخلتَ في الطبِّ

٢٨٢ قالَ أبو تمَّامٍ يمدحُ قومًا يجودونَ بأنفسهمْ:

يستعذبونَ مناياهمْ كأنَّهمُ لا ييأسونَ منَ الدنيا إذا قُتلوا

٢٨٣ وفدَ حاجبُ بنُ زرارةَ على أنوشروانَ فاستأذنَ عليهِ. فقالَ للحاجبِ: سلهُ من هو. فقالَ: رجلٌ منَ العربِ. فلمَّا مثلَ بينَ يديهِ قالَ لهُ أنوشروانُ: من أنتَ. فقالَ: سيِّدُ العربِ. قالَ: أليسَ زعمتَ أنَّكَ واحدٌ منهمْ. فقالَ: إنِّي كنتُ كذلكَ. فلمَّا أكرمني الملكُ بمكالمتهِ صرتُ سيِّدهمْ. فأمرَ بحشوِ فيهِ درًّا (للعاملي)

٢٨٤ قيلَ: إنَّ جريرًا أفخرُ العربِ حيثُ يقولُ:

ترى الناسَ إنْ سرنا يسيرونَ خلفنا
وإنْ نحنُ أومأنا إلى الناسِ وقفوا

عين ابصرت بقلعها

٢٨٥ حُكِيَ عَنْ بَعْضِ ٱلشُّعَرَاءِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَحَدِ ٱلْخُلَفَاءِ فَوَجَدَهُ جَالِسًا وَإِلَى جَانِبِهِ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ تُدْعَى خَالِصَةَ . وَعَلَيْهَا مِنَ ٱلْحُلَى وَأَنْوَاعِ ٱلْجَوَاهِرِ وَٱللَّآلِئِ مَا لَا يُوصَفُ . فَصَارَ ٱلشَّاعِرُ يَمْتَدِحُهُ وَهُوَ يَسْهُو عَنِ ٱسْتِمَاعِهِ . فَلَمَّا خَرَجَ كَتَبَ عَلَى ٱلْبَابِ :

لَقَدْ ضَاعَ شِعْرِي عَلَى بَابِكُمْ كَمَا ضَاعَ دُرٌّ عَلَى خَالِصَهْ

فَقَرَأَهُ بَعْضُ حَاشِيَةِ ٱلْخَلِيفَةِ وَأَخْبَرَهُ بِهِ . فَغَضِبَ لِذٰلِكَ وَأَمَرَهُ بِإِحْضَارِ ٱلشَّاعِرِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى ٱلْبَابِ مَسَحَ ٱلْعَيْنَيْنِ ٱللَّتَيْنِ فِي لَفْظَةِ ضَاعَ . وَأُحْضِرَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : مَا كَتَبْتَ عَلَى ٱلْبَابِ . قَالَ : كَتَبْتُ

لَقَدْ ضَاءَ شِعْرِي عَلَى بَابِكُمْ كَمَا ضَاءَ دُرٌّ عَلَى خَالِصَهْ

فَأَعْجَبَهُ ذٰلِكَ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ . وَخَرَجَ ٱلشَّاعِرُ وَهُوَ يَقُولُ : لِلّٰهِ دَرُّكَ مِنْ شِعْرٍ قُلِعَتْ عَيْنَاهُ فَأَبْصَرَ (للنواجي)

٢٨٦ تَفَاخَرَ بَعْضُهُمْ عَلَى أَحَدِ ٱلشُّعَرَاءِ . فَقَالَ فِيهِ ٱلشَّاعِرُ :

دَهْرٌ عَلَا قَدْرُ ٱلْوَضِيعِ بِهِ وَتَرَى ٱلشَّرِيفَ يَحُطُّهُ شَرَفُهْ
كَٱلْبَحْرِ يَرْسُبُ فِيهِ لُؤْلُؤُهُ سُفْلًا وَتَعْلُو فَوْقَهُ جِيَفُهْ

قَالَ آخَرُ فِي هٰذَا ٱلْمَعْنَى :

لَا غَرْوَ أَنْ فَاقَ ٱلدَّنِيءُ أَخَا ٱلْعُلَا فِي ذَا ٱلزَّمَانِ وَهَلْ لِذٰلِكَ جَاحِدُ
فَٱلدَّهْرُ كَٱلْمِيزَانِ يَرْفَعُ كُلَّ مَا هُوَ نَاقِصٌ وَيَحُطُّ مَا هُوَ زَائِدُ

الفلاح الحكيم

٢٨٧ . قِيلَ: وَقَفَ كِسْرَى عَلَى فَلَّاحٍ يَغْرِسُ نَخْلًا وَقَدْ طَعَنَ فِي ٱلسِّنِّ. فَقَالَ لَهُ كِسْرَى مُتَعَجِّبًا مِنْهُ: أَيُّهَا ٱلشَّيْخُ أَتُؤَمِّلُ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ ثَمَرِ هٰذَا ٱلنَّخْلِ وَهُوَ لَا يَحْمِلُ إِلَّا بَعْدَ سِنِينَ كَثِيرَةٍ. وَأَنْتَ قَدْ فَنِيَ عُمْرُكَ. فَقَالَ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ غَرَسُوا وَأَكَلْنَا وَغَرَسْنَا فَيَأْكُلُونَ. فَقَالَ مُتَعَجِّبًا مِنْ كَلَامِهِ: زِهْ. وَأَعْطَى ٱلْفَلَّاحَ أَلْفَ دِينَارٍ فَأَخَذَهَا وَقَالَ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ مَا أَعْجَلَ مَا أَثْمَرَ هٰذَا ٱلنَّخْلُ. فَٱسْتَحْسَنَ كِسْرَى ذٰلِكَ وَقَالَ: زِهْ. فَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ أُخْرَى. فَأَخَذَهَا وَقَالَ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ وَأَعْجَبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَنَّ ٱلنَّخْلَ أَثْمَرَ ٱلسَّنَةَ مَرَّتَيْنِ. فَٱسْتَحْسَنَ كِسْرَى ذٰلِكَ وَقَالَ: زِهْ. فَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ أُخْرَى ثُمَّ تَرَكَهُ وَٱنْصَرَفَ (للاتليدي)

عفو معن بن زائدة عن أسراهُ

٢٨٨ قِيلَ: إِنَّ مَعْنًا قَبَضَ عَلَى عِدَّةٍ مِنَ ٱلْأَسْرَى فَعَرَضَهُمْ عَلَى ٱلسَّيْفِ. فَٱلْتَفَتَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ وَقَالَ لَهُ: أَصْلَحَ ٱللهُ ٱلْأَمِيرَ لَا تَجْمَعْ عَلَيْنَا بَيْنَ ٱلْجُوعِ وَٱلْعَطَشِ ثُمَّ ٱلْقَتْلِ. فَوَٱللهِ إِنْ كَرَمَ ٱلْأَمِيرِ يَبْعُدُ عَنْ ذٰلِكَ. فَأَمَرَ لَهُمْ حِينَئِذٍ بِطَعَامٍ وَشَرَابٍ. فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا وَمَعْنٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ. فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ أَكْلِهِمْ قَالُوا لَهُ: أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَكَ إِنَّنَا قَدْ كُنَّا أَسْرَاكَ وَٱلْآنَ صِرْنَا ضُيُوفَكَ. فَٱنْظُرْ كَيْفَ تَصْنَعُ بِضُيُوفِكَ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ قَالَ لَهُمْ مَعْنٌ: قَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ. فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ: وَٱللهِ أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ إِنَّ عِنْدَنَا عَفْوَكَ عَنَّا أَشْرَفُ مِنْ يَوْمِ

ظَفَرِكَ بِنَا. فَسَرَّ مَعْنَا هٰذَا ٱلْكَلَامُ وَأَمَرَ لِكُلِّ مِنْهُمْ بِكُسْوَةٍ وَمَالٍ

(لابن عبد ربّه)

٢٨٩ لَمَّا قُتِلَ ٱلْوَزِيرُ نِظَامُ ٱلْمُلْكِ أَكْثَرَ ٱلشُّعَرَاءُ مِنَ ٱلْمَرَاثِي فِيهِ. فَمِنْ ذٰلِكَ قَوْلُ شِبْلِ ٱلدَّوْلَةِ مُقَاتِلِ بْنِ عَطِيَّةَ:

كَانَ ٱلْوَزِيرُ نِظَامُ ٱلْمُلْكِ جَوْهَرَةً
مَكْنُونَةً صَاغَهَا ٱلْبَارِي مِنَ ٱلشَّرَفِ
جَاءَتْ فَلَمْ تَعْرِفِ ٱلْأَيَّامُ قِيمَتَهَا
فَرَدَّهَا غَيْرَةً مِنْهُ إِلَى ٱلصَّدَفِ

المتنبي والكتاب

٢٩٠ مِنْ أَرَقِّ مَا حُكِيَ أَنَّ ٱلْمُتَنَبِّيَ ٱمْتَدَحَ بَعْضَ أَعْدَاءِ صَاحِبِ مَمْلَكَتِهِ. فَبَلَغَهُ ذٰلِكَ فَتَوَعَّدَ ٱلْمُتَنَبِّيَ بِٱلْقَتْلِ. فَخَرَجَ هَارِبًا ثُمَّ ٱخْتَفَى مُدَّةً. فَأُخْبِرَ ٱلْمَلِكُ أَنَّهُ بِبَلْدَةِ كَذَا. فَقَالَ ٱلْمَلِكُ لِكَاتِبِهِ: ٱكْتُبْ لِلْمُتَنَبِّي كِتَابًا وَلَطِّفْ لَهُ ٱلْعِبَارَةَ. وَٱسْتَعْطِفْ خَاطِرَهُ وَأَخْبِرْهُ أَنِّي رَضِيتُ عَنْهُ. وَمُرْهُ بِٱلرُّجُوعِ إِلَيْنَا. فَإِذَا جَاءَ إِلَيْنَا فَعَلْنَا بِهِ مَا نُرِيدُ. وَكَانَ بَيْنَ ٱلْكَاتِبِ وَٱلْمُتَنَبِّي مُصَادَقَةٌ فِي ٱلسِّرِّ. فَلَمْ يَسَعِ ٱلْكَاتِبَ إِلَّا ٱلِٱمْتِثَالُ. فَكَتَبَ كِتَابًا وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَدُسَّ فِيهِ شَيْئًا خَوْفًا مِنَ ٱلْمَلِكِ أَنْ يَقْرَأَهُ قَبْلَ خَتْمِهِ. غَيْرَ أَنَّهُ لَمَّا ٱنْتَهَى إِلَى آخِرِهِ وَكَتَبَ إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ تَعَالَى شَدَّدَ ٱلنُّونَ (إِنَّ). وَقَرَأَهُ ٱلسُّلْطَانُ وَخَتَمَهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى ٱلْمُتَنَبِّي. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ وَرَأَى تَشْدِيدَ ٱلنُّونِ ٱرْتَحَلَ مِنْ تِلْكَ ٱلْبَلْدَةِ عَلَى ٱلْفَوْرِ. فَقِيلَ لَهُ

فِي ذٰلِكَ. فَقَالَ: أَشَارَ ٱلْكَاتِبُ بِتَشْدِيدِ ٱلنُّونِ إِلَى مَا جَاءَ فِي ٱلْقُرْآنِ: إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ. فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّاصِحِينَ. فَٱنْظُرْ إِلَى بُلُوغِ هٰذَا ٱلْغَرَضِ بِأَلْطَفِ عِبَارَةٍ. وَيُحْكَى أَنَّ ٱلْمُتَنَبِّيَ كَتَبَ ٱلْجَوَابَ وَزَادَ أَلِفًا فِي آخِرِ لَفْظَةِ إِنَّ إِشَارَةً إِلَى مَا قِيلَ: إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا (للنواجي)

٢٩١ قَالَ بَعْضُهُمْ مُلْغِزًا فِي ٱلنَّارِ:

وَآكِلَةٍ بِغَيْرِ فَمٍ وَبَطْنٍ ... لَهَا ٱلْأَشْجَارُ وَٱلْحَيَوَانُ قُوتُ
فَمَا أَطْعَمْتَهَا ٱنْتَعَشَتْ وَعَاشَتْ ... وَلَوْ أَسْقَيْتَهَا مَاءً تَمُوتُ

٢٩٢ وَقَالَ آخَرُ مُلْغِزًا فِي نَجْمٍ:

مَا طَائِرٌ فِي قَلْبِهِ ... يَلُوحُ لِلنَّاسِ عَجَبْ
مِنْقَارُهُ فِي رَأْسِهِ ... وَٱلْعَيْنُ مِنْهُ فِي ٱلذَّنَبْ

٢٩٣ رَأَى أَبُو ٱلْمِعْمَارِ أَمِيرًا جَائِرًا يُصَلِّي فَقَالَ:

قَدْ بُلِينَا بِأَمِيرٍ ... ظَلَمَ ٱلنَّاسَ وَسَبَّحْ
فَهْوَ كَٱلْجَزَّارِ فِيهِمْ ... يَذْكُرُ ٱللّٰهَ وَيَذْبَحْ

٢٩٤ قَالَ عَبْدُ ٱلْحَكَمِ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ فِي رَجُلٍ وَجَبَ عَلَيْهِ ٱلْقَتْلُ. فَرَمَاهُ مُسْتَوْفِي ٱلْقِصَاصِ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ كَبِدَهُ فَقَتَلَهُ. فَقَالَ عَبْدُ ٱلْحَكَمِ:

أَخْرَجَتْ مِنْ كَبِدِ ٱلْقَوْسِ ٱبْنَهَا فَغَدَتْ
تَئِنُّ وَٱلْأُمُّ قَدْ تَحْنُو عَلَى ٱلْوَلَدِ

وَمَا دَرَتْ أَنَّهُ لَمَّا رَمَيْتَ بِهِ
مَا سَارَ مِنْ كَبِدٍ إِلَّا إِلَى كَبِدِ

٢٩٥ كَانَ ٱلْوَزِيرُ صَفِيُّ ٱلدِّينِ ٱلْمَعْرُوفُ بِٱبْنِ شُكْرٍ وَزِيرَ ٱلْمَلِكِ ٱلْعَادِلِ ٱبْنِ أَيُّوبَ بِمِصْرَ. فَعَزَلَ عَبْدَ ٱلْحَكَمِ ٱلْمَذْكُورَ عَنْ خَطَابَةِ جَامِعِ مِصْرَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ:

فَلِأَيِّ بَابٍ غَيْرِ بَابِكَ أَرْجِعُ   وَبِأَيِّ جُودٍ غَيْرِ جُودِكَ أَطْمَعُ
سُدَّتْ عَلَيَّ مَسَالِكِي وَمَذَاهِبِي   إِلَّا إِلَيْكَ فَدُلَّنِي مَا أَصْنَعُ
فَكَأَنَّمَا ٱلْأَبْوَابُ بَابُكَ وَحْدَهُ   وَكَأَنَّمَا أَنْتَ ٱلْخَلِيقَةُ أَجْمَعُ

ذكاء المأمون

٢٩٦ حُكِيَ أَنَّ أُمَّ جَعْفَرٍ عَاتَبَتِ ٱلرَّشِيدَ فِي تَقْرِيظِهِ لِلْمَأْمُونِ دُونَ ٱلْأَمِينِ وَلَدِهَا. فَدَعَا خَادِمًا وَقَالَ لَهُ: وَجِّهْ إِلَى ٱلْأَمِينِ وَٱلْمَأْمُونِ خَادِمًا يَقُولُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى ٱلْخَلْوَةِ: مَا تَفْعَلُ بِي إِذَا أَفْضَتِ ٱلْخِلَافَةُ إِلَيْكَ. فَأَمَّا ٱلْأَمِينُ فَقَالَ لِلْخَادِمِ: أُقْطِعُكَ وَأُعْطِيكَ. وَأَمَّا ٱلْمَأْمُونُ فَإِنَّهُ قَامَ إِلَى ٱلْخَادِمِ بِدَوَاةٍ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ: أَتَسْأَلُنِي عَمَّا أَفْعَلُ بِكَ يَوْمَ يَمُوتُ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ. وَخَلِيفَةُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ. إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ نَكُونَ جَمِيعًا فِدَاءً لَهُ. فَقَالَ ٱلرَّشِيدُ لِأُمِّ جَعْفَرٍ: كَيْفَ تَرَيْنَ. فَسَكَتَتْ عَنِ ٱلْجَوَابِ (لابن خلكان)

٢٩٧ لَمَّا قُتِلَ ذُو ٱلرِّئَاسَتَيْنِ دَخَلَ ٱلْمَأْمُونُ عَلَى أُمِّهِ فَقَالَ: لَا تَجْزَعِي فَإِنِّي ٱبْنُكِ بَعْدَ ٱبْنِكِ. فَقَالَتْ: أَفَلَا أَبْكِي عَلَى ٱبْنٍ أَكْسَبَنِي ٱبْنًا مِثْلَكَ

٢٩٨ نَظَرَ رَجُلٌ مِنَ ٱلْحُذَّاقِ إِلَى رَجُلٍ مِنْ جُهَّالِ ٱلنَّاسِ عَلَيْهِ ثِيَابٌ حَسَنَةٌ وَيَتَكَلَّمُ وَيَلْحَنُ. فَقَالَ لَهُ: تَكَلَّمْ عَلَى قَدْرِ ثِيَابِكَ. أَوِ ٱلْبَسْ عَلَى قَدْرِ كَلَامِكَ (للقيرواني)

٢٩٩ وَصَفَ بَعْضُ ٱلنُّبَلَاءِ بَخِيلًا فَقَالَ: هُوَ جَلْمٌ أَيْ مَمَصٌّ. مِنْ حَيْثُ جِئْتَهُ وَجَدْتَ لَا (الكنز المدفون)

٣٠٠ دَخَلَ طَبِيبٌ عَلَى عَلِيلٍ فَقَالَ لَهُ: أَنَا وَأَنْتَ وَٱلْعِلَّةُ ثَلَاثَةٌ فَإِنْ أَعَنْتَنِي عَلَيْهَا بِٱلْقَبُولِ مِنِّي صِرْنَا ٱثْنَيْنِ وَٱنْفَرَدَتِ ٱلْعِلَّةُ فَقَوِينَا عَلَيْهَا (الملل والنحل للشهرستاني)

٣٠١ كَانَ ٱلْمَلِكُ ٱلْكَامِلُ قَدْ تَغَيَّرَ عَلَى بَعْضِ إِخْوَتِهِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ ٱلصَّلَاحُ وَزِيرُهُ مُسْتَشْفِعًا:

مِنْ شَرْطِ صَاحِبِ مِصْرٍ أَنْ يَكُونَ كَمَا
قَدْ كَانَ يُوسُفُ فِي ٱلْحُسْنَى لِإِخْوَتِهِ
سَاؤُوا فَقَابَلَهُمْ بِٱلْعَفْوِ وَٱفْتَقَرُوا
فَبَرَّهُمْ وَتَوَلَّاهُمْ بِرَحْمَتِهِ

عبد الملك بن مروان والحجاج

٣٠٢ أَمَرَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أَنْ يُعْمَلَ بَابُ بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ فَيُكْتَبَ عَلَيْهِ ٱسْمُهُ. وَسَأَلَهُ ٱلْحَجَّاجُ أَنْ يَعْمَلَ لَهُ بَابًا. فَأَذِنَ لَهُ فَٱتَّفَقَ أَنَّ صَاعِقَةً وَقَعَتْ فَٱحْتَرَقَ مِنْهَا بَابُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ. وَبَقِيَ بَابُ ٱلْحَجَّاجِ فَعَظُمَ ذٰلِكَ عَلَى عَبْدِ ٱلْمَلِكِ. فَكَتَبَ ٱلْحَجَّاجُ إِلَيْهِ: بَلَغَنِي أَنَّ نَارًا نَزَلَتْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ

فأحرقت باب أمير المؤمنين ولم تحرق باب الحجاج . وما مثلنا في ذلك إلّا كمثل ابني آدم إذ قرّبا قرباناً فتقبّل من أحدهما ولم يتقبّل من الآخر . فسرّي عنه لمّا وقف عليه

٣٠٣ روى الحافظ الحميديّ لأبي محمّد عليّ الأمويّ في الافتراق :

إن كانت الأبدان نائيـة فنفوس أهل الظرف تأتلف
يا ربّ مفترقين قد جمعت قلبيهما الأقـلام والصحف

٣٠٤ من شعر ابن مسهر كتبه إلى بعض الرؤساء في علّة :

ولمّا اشتكيت اشتكى كلُّ ما على الأرض واعتلّ شرق وغرب
لأنك قـلب لجسم الزمان وما صحّ جسم إذا اعتـلّ قلب

٣٠٥ قال أبو الميمون المبارك الكنانيّ في البراغيث :

ومعشر يستحـل الناس قتلهم كما استحلّوا دم الحجّاج في الحرم
إذا سفكت دماً منها فما سفكت يداي من دمها المسفوك غير دمي

٣٠٦ كلّم الشعبيّ عمر بن هبيرة الفزاريّ أمير العراقين في قوم حبسهم ليطلقهم فأبى . فقال له : أيّها الأمير إن حبستهم بالباطل فالحقّ يخرجهم . وإن حبستهم بالحقّ فالعفو يسعهم . فأطلقهم

(لابن خلّكان)

٣٠٧ لمّا بنى محمّد بن عمران قصره حيال قصر المأمون قيل له : يا أمير المؤمنين باراك وباهاك . فدعاه وقال : لم بنيت هذا القصر حذائي . قال : يا أمير المؤمنين أحببت أن ترى نعمتك عليّ فجعلته نصب

عينك . فاستحسن المأمون جوابه وعفا عنه (للمستعصمي)

ان للعالم خالقا

٣٠٨ حكي أنّ دهريّاً جاء إلى هارون الرشيد وقال : يا أمير المؤمنين قد اتّفق علماء عصرك مثل أبي حنيفة على أنّ للعالم صانعاً . فمن كان فاضلاً من هؤلاء فمره أن يحضر ههنا حتى أبحث معه بين يديك وأثبت أنّه ليس للعالم صانع . فأرسل هارون الرشيد إلى أبي حنيفة لأنّه كان أفضل العلماء . وقال : يا إمام المسلمين اعلم أنّه قد جاء إلينا دهريّ وهو يدّعي نفي الصانع ويدعوك إلى المناظرة . فقال أبو حنيفة : أذهب بعد الظهر . فجاء رسول الخليفة وأخبر بما قال أبو حنيفة . فأرسل ثانياً . فقام أبو حنيفة وأتى إلى هارون الرشيد . فاستقبله هارون وجاء به وأجلسه في الصدر وقد اجتمع الأكابر والأعيان . فقال الدهريّ : يا أبا حنيفة لم أبطأت في مجيئك . فقال أبو حنيفة : قد حصل لي أمر عجيب فلذلك أبطأت . وذلك أنّ بيتي وراء دجلة . فخرجت من منزلي وجئت إلى جنب دجلة حتى أعبرها فرأيت بجنب دجلة سفينة عتيقة مقطّعة قد افترق ألواحها . فلمّا وقع بصري عليها اضطربت الألواح وتحرّكت واجتمعت وتوصّل بعضها ببعض وصارت السفينة صحيحة بلا نجّار ولا عمل عامل . فقعدت عليها وعبرت الماء وجئت ههنا . فقال الدهريّ : اسمعوا أيّها الأعيان ما يقول إمامكم وأفضل زمانكم .

فهل سمعتم كلاماً أكذب من هذا كيف تحصل السفينة المكسورة بلا عمل نجار فهو كذب محض قد ظهر من أفضل علمائكم . فقال أبو حنيفة : أيها الكافر المطلق إذا لم تحصل السفينة بلا صانع ونجار فكيف يجوز أن يحصل هذا العالم من غير صانع أم كيف تقول بعدم الصانع . فعند ذلك أمر الرشيد بضرب عنق الدهري فقتلوه

(انيس الجليس للسيوطي)

الباب التاسع
في الحكايات

٣٠٩ قال بعض أصحاب الإسكندر إنه دعاهم فلكي ليلة ليريهم النجوم ويعرفهم خواصها وأحوال سيرها . فأدخلهم إلى بستان وجعل يمشي معهم ويشير بيده إليها حتى سقط في بئر هناك . فقال : من تعاطى علم ما فوقه بلي بجهل ما تحته (لبهاء الدين)

٣١٠ . حكي أن رجلاً انكسرت به السفينة في البحر فوقع إلى جزيرة . فعمل شكلاً هندسياً على الأرض فرآه بعض أهل تلك الجزيرة فذهبوا به إلى الملك فأحسن إليه وأكرم مثواه وكتب الملك إلى سائر ممالكه : أيها الناس اقتنوا ما إذا كسرتم في البحر صار معكم

(تاريخ الحكماء للشهرزوري)

بزرجمهر في حبسه

٣١١ سخط كسرى على بزرجمهر فحبسه في بيت مظلم وأمر أن يصفد بالحديد فبقي أياما على تلك الحالة . فأرسل إليه من يسأله عن حاله فإذا هو مشروح الصدر مطمئن النفس فقالوا له : أنت في هذه الحالة من الضيق ونراك ناعم البال . فقال : اصطنعت ستة أخلاط وعجنتها واستعملتها فهي التي أبقتني على ما ترون . قالوا : صف لنا هذه الأخلاط لعلنا ننتفع بها عند البلوى. فقال : نعم . أما الخلط الأول فالثقة بالله عز وجل . وأما الثاني فكل ما شاءه الله كائن . وأما الثالث فالصبر خير ما استعمله الممتحن . وأما الرابع فإذا لم أصبر فماذا أصنع ولا أعين نفسي بالجزع . وأما الخامس فقد يكون أشد مما أنا فيه . وأما السادس فمن ساعة إلى ساعة فرج . فبلغ ما قاله كسرى . فأطلقه وأعزه

٣١٢ كان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك أيام خلافته فسمع صوت رعد ففزع سليمان منه ووضع صدره على مقدم رحله . فقال له عمر : هذا صوت رحمته فكيف صوت عذابه

المدعو الى الوليمة والسائل

٣١٣ دعا رجل آخر إلى منزله وقال : لنأكل معك خبزا وملحا . فظن الرجل أن ذلك كناية عن طعام لطيف لذيذ أعده صاحب المنزل . فمضى معه فلم يزد على الخبز والملح . فبينما هما يأكلان إذ وقف

بِالْبَابِ سَائِلٌ . فَنَهَرَهُ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ مِرَارًا فَلَمْ يَنْزَجِرْ . فَقَالَ لَهُ : اذْهَبْ وَإِلَّا خَرَجْتُ وَكَسَرْتُ رَأْسَكَ . فَقَالَ الْمَدْعُوُّ : يَا هٰذَا انْصَرِفْ فَإِنَّكَ لَوْ عَرَفْتَ مِنْ صِدْقِ وَعِيدِهِ مَا عَرَفْتُ مِنْ صِدْقِ وَعْدِهِ مَا تَعَرَّضْتَ لَهُ

علي بن ابي رافع وابنة علي بن ابي طالب

٣١٤ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي رَافِعٍ . قَالَ : كُنْتُ عَلَى بَيْتِ مَالِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَكَاتِبَهُ . فَكَانَ فِي بَيْتِ مَالِهِ عِقْدُ لُؤْلُؤٍ كَانَ أَصَابَهُ يَوْمَ الْبَصْرَةِ فَأَرْسَلَتْ إِلَيَّ بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَتْ لِي : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ فِي بَيْتِ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِقْدَ لُؤْلُؤٍ . وَهُوَ فِي يَدِكَ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ تُعِيرَنِيهِ أَتَجَمَّلُ بِهِ فِي يَوْمِ الْأَضْحَى . فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهَا : عَارِيَّةً مَضْمُونَةً مَرْدُودَةً بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَا بِنْتَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَتْ : نَعَمْ عَارِيَّةٌ مَضْمُونَةٌ مَرْدُودَةٌ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . فَدَفَعْتُهُ إِلَيْهَا وَإِذْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَآهُ عَلَيْهَا فَعَرَفَهُ . فَقَالَ لَهَا : مِنْ أَيْنَ جَاءَ إِلَيْكِ هٰذَا الْعِقْدُ . فَقَالَتِ : اسْتَعَرْتُهُ مِنِ ابْنِ أَبِي رَافِعٍ خَازِنِ بَيْتِ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَتَزَيَّنَ بِهِ فِي الْعِيدِ ثُمَّ أَرُدَّهُ . فَبَعَثَ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَجِئْتُهُ فَقَالَ لِي : أَتَخُونُ الْمُسْلِمِينَ يَا ابْنَ أَبِي رَافِعٍ . فَقُلْتُ : مَعَاذَ اللّٰهِ أَنْ أَخُونَ الْمُسْلِمِينَ . فَقَالَ : كَيْفَ أَعَرْتَ بِنْتَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْعِقْدَ الَّذِي فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ إِذْنِي وَرِضَاهُمْ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهَا بِنْتُكَ وَسَأَلَتْنِي أَنْ أُعِيرَهَا تَتَزَيَّنُ بِهِ . فَأَعَرْتُهَا إِيَّاهُ عَارِيَّةً مَضْمُونَةً مَرْدُودَةً

عَلَى أَنْ تَرُدَّهُ سالمًا إِلَى مَوْضِعِـهِ . فَقَالَ : رُدَّهُ مِنْ يَوْمِكَ وَإِيَّاكَ أَنْ تَعُودَ إِلَى مِثْلِهِ فَتنالَكَ عُقُوبَتِي . ثُمَّ قَالَ : وَيلٌ لِابْنَتِي . لَوْ كَانَتْ أَخَذَتِ الْعِقْدَ عَلَى غَيْرِ عَارِيَةٍ مَرْدُودَةٍ مَضْمُونَةٍ لَكَانَتْ إِذَنْ أَوَّلَ هَاشِمِيَّةٍ قُطِعَتْ يَدُهَا فِي سَرِقَةٍ . فَبَلَغَتْ مَقَالَتُهُ ابْنَتَهُ فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا ابْنَتُكَ وَبَضْعَةٌ مِنْكَ فَمَنْ أَحَقُّ بِلُبْسِهِ مِنِّي . فَقَالَ لَهَا : يَا بِنْتَ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ لَا تَذْهَبِي بِنَفْسِكِ عَنِ الْحَقِّ . أَكُلُّ نِسَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ يَتَزَيَّنَّ فِي مِثْلِ هٰذَا الْعِيدِ بِمِثْلِ هٰذَا . فَقَبَضْتُـهُ مِنْهَا وَرَدَدْتُهُ إِلَى مَوْضِعِهِ (لبهاء الدين)

الحلاوة المدخرة

٣١٥ حُدِّثَ عَنِ الْوَزِيرِ مُؤَيِّدِ الدِّينِ الْقُمِّيِّ مَمْلُوكُهُ بَدْرُ الدِّينِ أَيَازُ قَالَ : طَلَبَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي حَلَاوَةَ النَّبَاتِ فَعُمِلَ فِي الْحَالِ مِنْهَا صُحُونٌ كَثِيرَةٌ وَأُحْضِرَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ . فَقَالَ لِي : يَا أَيَازُ أَتَقْدِرُ أَنْ تَدَّخِرَ هٰذِهِ الْحَلَاوَةَ لِي مُوَفَّرَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . فَقُلْتُ : يَا مَوْلَانَا وَكَيْفَ يَكُونُ ذٰلِكَ وَهَلْ يُمْكِنُ هٰذَا . قَالَ : نَعَمْ . تَمْضِي فِي هٰذِهِ السَّاعَةِ إِلَى مَشْهَدِ مُوسَى وَالْجَوَادِ . تَضَعُ هٰذِهِ الْأَصْحُنَ قُدَّامَ أَيْتَامِ الْعَلَوِيِّينَ فَإِنَّهَا تُدَّخَرُ لِي مُوَفَّرَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . قَالَ أَيَازُ : فَقُلْتُ : السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ وَمَضَيْتُ وَكَانَ نِصْفُ اللَّيْلِ إِلَى الْمَشْهَدِ وَفَتَحْتُ الْأَبْوَابَ وَنَبَّهْتُ الصِّبْيَانَ الْأَيْتَـامَ وَوَضَعْتُ الْأَصْحُنَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَرَجَعْتُ (للفخري)

بهرام جور والراعي

٣١٦ حُكِيَ أَنَّ ٱلْمَلِكَ بَهْرَامَ جُورَ خَرَجَ يَوْمًا لِلصَّيْدِ فَظَهَرَ لَهُ حِمَارُ وَحْشٍ فَأَتْبَعَهُ حَتَّى خَفِيَ عَنْ عَسْكَرِهِ. فَظَفِرَ بِهِ فَمَسَكَهُ. وَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ يُرِيدُ أَنْ يَذْبَحَهُ. فَرَأَى رَاعِيًا أَقْبَلَ مِنَ ٱلْبَرِّيَّةِ فَقَالَ لَهُ: يَا رَاعِي أَمْسِكْ فَرَسِي هٰذَا حَتَّى أَذْبَحَ هٰذَا ٱلْحِمَارَ فَمَسَكَهُ ثُمَّ تَشَاغَلَ بِذَبْحِ ٱلْحِمَارِ. فَلَاحَتْ مِنْهُ ٱلْتِفَاتَةٌ فَرَأَى ٱلرَّاعِيَ يَقْطَعُ جَوْهَرَةً فِي عِذَارِ فَرَسِهِ. فَأَعْرَضَ ٱلْمَلِكُ عَنْهُ حَتَّى أَخَذَهَا وَقَالَ: إِنَّ ٱلنَّظَرَ إِلَى ٱلْعَيْبِ مِنَ ٱلْعَيْبِ. ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ وَلَحِقَ بِعَسْكَرِهِ. فَقَالَ لَهُ ٱلْوَزِيرُ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلسَّعِيدُ أَيْنَ جَوْهَرَةُ عِذَارِ فَرَسِكَ. فَتَبَسَّمَ ٱلْمَلِكُ ثُمَّ قَالَ: أَخَذَهَا مَنْ لَا يَرُدُّهَا وَأَبْصَرَ مَنْ لَا يَنِمُّ عَلَيْهِ فَمَنْ رَآهَا مِنْكُمْ مَعَ أَحَدٍ فَلَا يُعَارِضْهُ بِشَيْءٍ بِسَبَبِ ذٰلِكَ (للقليوبي)

الملك المتعظ بمجنون

٣١٧ مِنَ ٱلْحِكَايَاتِ ٱللَّطِيفَةِ أَنَّ بَعْضَ ٱلْمُلُوكِ قَصَدَ ٱلتَّفَرُّجَ عَلَى ٱلْمَجَانِينِ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ رَأَى فِيهِمْ شَابًّا حَسَنَ ٱلْهَيْئَةِ نَظِيفَ ٱلصُّورَةِ يُرَى عَلَيْهِ آثَارُ ٱللُّطْفِ. وَتَلُوحُ عَلَيْهِ شَمَائِلُ ٱلْفِطْنَةِ. فَدَنَا مِنْهُ وَسَأَلَهُ مَسَائِلَ فَأَجَابَهُ عَنْ جَمِيعِهَا بِأَحْسَنِ جَوَابٍ. فَتَعَجَّبَ مِنْهُ عَجَبًا شَدِيدًا ثُمَّ إِنَّ ٱلْمَجْنُونَ قَالَ لِلْمَلِكِ: قَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ أَشْيَاءَ فَأَجَبْتُكَ وَإِنِّي سَأَسْأَلُكَ سُؤَالًا وَاحِدًا. قَالَ: وَمَا هُوَ. قَالَ: مَتَى يَجِدُ ٱلنَّائِمُ لَذَّةَ ٱلنَّوْمِ. فَفَكَّرَ ٱلْمَلِكُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: يَجِدُ لَذَّةَ ٱلنَّوْمِ حَالَ نَوْمِهِ. فَقَالَ

ٱلْمَجْنُونُ : حَالَةَ ٱلنَّوْمِ لَيْسَ لَهُ إِحْسَاسٌ . فَقَالَ ٱلْمَلِكُ : قَبْلَ ٱلدُّخُولِ فِي ٱلنَّوْمِ . فَقَالَ ٱلْمَجْنُونُ : كَيْفَ تُوجَدُ لَذَّتُهُ قَبْلَ وُجُودِهِ . فَقَالَ ٱلْمَلِكُ : بَعْدَ ٱلنَّوْمِ . فَقَالَ ٱلْمَجْنُونُ : تُوجَدُ لَذَّتُهُ وَقَدِ ٱنْقَضَى . فَتَحَيَّرَ ٱلْمَلِكُ وَزَادَ إِعْجَابُهُ . وَقَالَ : لَعَمْرِي إِنَّ هٰذَا لَا يَحْصُلُ مِنْ عُقَلَاءَ كَثِيرَةٍ فَأَوْلَى أَنْ يَكُونَ نَدِيمِي فِي مِثْلِ هٰذَا ٱلْيَوْمِ وَأَمَرَ أَنْ يُنْصَبَ لَهُ تَخْتٌ بِإِزَاءِ شُبَّاكِ ٱلْمَجْنُونِ . ثُمَّ ٱسْتَدْعَى بِٱلشَّرَابِ فَحَضَرَ . فَتَنَاوَلَ ٱلْكَأْسَ وَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَ ٱلْمَجْنُونَ فَقَالَ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنْتَ شَرِبْتَ هٰذَا لِتَصِيرَ مِثْلِي فَأَنَا أَشْرَبُهُ لِأَصِيرَ مِثْلَ مَنْ . فَٱتَّعَظَ ٱلْمَلِكُ بِكَلَامِهِ وَرَمَى ٱلْقَدَحَ مِنْ يَدِهِ وَتَابَ مِنْ سَاعَتِهِ (للاتليدي)

الشاب السارق

٣١٨ سَرَقَ شَابٌ سَرِقَةً فَأُتِيَ بِهِ إِلَى ٱلْمَأْمُونِ . فَأَمَرَ بِقَطْعِ يَدِهِ فَتَقَدَّمَ لِتُقْطَعَ يَدُهُ فَأَنْشَدَ ٱلشَّابُّ يَقُولُ :

يَدِي يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أُعِيذُهَا ... بِعَفْوِكَ أَنْ تَلْقَى نَكَالًا يَشِينُهَا
فَلَا خَيْرَ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا حَاجَةٌ بِهَا ... إِذَا مَا شِمَالٌ فَارَقَتْهَا يَمِينُهَا

وَكَانَتْ أُمُّ ٱلشَّابِّ وَاقِفَةً عَلَى رَأْسِهِ فَبَكَتْ وَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ وَلَدِي وَوَاحِدِي . نَاشَدْتُكَ ٱللّٰهَ إِلَّا رَحِمْتَنِي وَهَدَّأْتَ لَوْعَتِي . وَجُدْتَ بِٱلْعَفْوِ عَمَّا ٱسْتَحَقَّ ٱلْعُقُوبَةَ . فَقَالَ ٱلْمَأْمُونُ : هٰذَا حَدٌّ مِنْ حُدُودِ ٱللّٰهِ تَعَالَى . فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱجْعَلْ عَفْوَكَ عَنْ هٰذَا ٱلْحَدِّ ذَنْبًا مِنَ ٱلذُّنُوبِ ٱلَّتِي تَسْتَغْفِرُ مِنْهَا . فَرَقَّ لَهَا ٱلْمَأْمُونُ وَعَفَا عَنْهُ

المأمون والفقير

٣١٩ حُكِيَ أَنَّ ٱلْمَأْمُونَ أَشْرَفَ يَوْمًا عَلَى قَصْرِهِ فَرَأَى رَجُلًا يَكْتُبُ بِفَحْمَةٍ عَلَى حَائِطِ قَصْرِهِ. فَقَالَ ٱلْمَأْمُونُ لِبَعْضِ خَدَمِهِ: ٱذْهَبْ إِلَى ذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ فَٱنْظُرْ مَا كَتَبَ وَأْتِنِي بِهِ. فَبَادَرَ ٱلْخَادِمُ إِلَى ٱلرَّجُلِ مُسْرِعًا وَقَبَضَ عَلَيْهِ وَقَالَ: مَا كَتَبْتَ. فَإِذَا هُوَ قَدْ كَتَبَ هٰذَيْنِ ٱلْبَيْتَيْنِ:

يَا قَصْرُ جُمِّعَ فِيكَ ٱلشُّؤْمُ وَٱللُّومُ ... مَتَى يُعَشِّشُ فِي أَرْكَانِكَ ٱلْبُومُ

يَوْمًا يُعَشِّشُ فِيكَ ٱلْبُومُ مِنْ فَرَحِي ... أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَنْعَاكَ مَرْغُومُ

ثُمَّ إِنَّ ٱلْخَادِمَ قَالَ لَهُ: أَجِبْ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ ٱلرَّجُلُ: سَأَلْتُكَ بِٱللهِ لَا تَذْهَبْ بِي إِلَيْهِ. فَقَالَ ٱلْخَادِمُ: لَا بُدَّ مِنْ ذٰلِكَ. ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ. فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأُعْلِمَ بِمَا كَتَبَ. فَقَالَ لَهُ ٱلْمَأْمُونُ: وَيْلَكَ مَا حَمَلَكَ عَلَى هٰذَا. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَا حَوَاهُ قَصْرُكَ هٰذَا مِنْ خَزَائِنِ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْحُلَى وَٱلْحُلَلِ وَٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ وَٱلْفُرُشِ وَٱلْأَوَانِي وَٱلْأَمْتِعَةِ وَٱلْجَوَارِي وَٱلْخَدَمِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا يَقْصُرُ عَنْهُ وَصْفِي. وَيَعْجِزُ عَنْهُ فَهْمِي. وَإِنِّي قَدْ مَرَرْتُ عَلَيْهِ ٱلْآنَ وَأَنَا فِي غَايَةٍ مِنَ ٱلْجُوعِ وَٱلْفَاقَةِ. فَوَقَفْتُ مُفَكِّرًا فِي أَمْرِي وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هٰذَا ٱلْقَصْرُ عَامِرٌ عَالٍ. وَأَنَا جَائِعٌ وَلَا فَائِدَةَ لِي فِيهِ. فَلَوْ كَانَ خَرَابًا وَمَرَرْتُ بِهِ لَمْ أَعْدَمْ رُخَامَةً أَوْ خَشَبَةً أَوْ مِسْمَارًا أَبِيعُهُ وَأَتَقَوَّتُ بِثَمَنِهِ. أَوَمَا عَلِمَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَعَاهُ ٱللهُ قَوْلَ ٱلشَّاعِرِ:

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ فِي دَوْلَةِ ٱمْرِئٍ ... نَصِيبٌ وَلَا حَظٌّ تَمَنَّى زَوَالَهَا

وَمَا ذَاكَ مِنْ بُغْضٍ لَهُ غَيْرَ أَنَّهُ ... يُرَجِّي سِوَاهَا فَهُوَ يَهْوَى ٱنْتِقَالَهَا

فَقَالَ ٱلْمَأْمُونُ: يَا غُلَامُ أَعْطِهِ أَلْفَ دِرْهَمٍ. ثُمَّ قَالَ: هِيَ لَكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَا دَامَ قَصْرُنَا عَامِرًا بِأَهْلِهِ مَسْرُورًا بِدَوْلَتِهِ

وَأَنْشَدُوا فِي مَعْنَى ذٰلِكَ:

إِذَا كُنْتَ فِي أَمْرٍ فَكُنْ فِيهِ مُحْسِنًا ... فَعَمَّا قَلِيلٍ أَنْتَ مَاضٍ وَتَارِكُهْ

(اعلام الناس للاتليدي)

الادب يرفع الخامل

٣٢٠ رُوِيَ أَنَّ ٱلْمَأْمُونَ لَمْ يَكُنْ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي ٱلْعَبَّاسِ خَلِيفَةٌ أَعْلَمُ مِنْهُ فِي جَمِيعِ ٱلْعُلُومِ. وَكَانَ لَهُ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ يَوْمَانِ يَجْلِسُ فِيهِمَا لِمُنَاظَرَةِ ٱلْعُلَمَاءِ. فَيَجْلِسُ ٱلْمُنَاظِرُونَ مِنَ ٱلْفُقَهَاءِ وَٱلْمُتَكَلِّمِينَ بِحَضْرَتِهِ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ. فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ مَعَهُمْ إِذْ دَخَلَ فِي مَجْلِسِهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ بِيضٌ رَثَّةٌ. فَجَلَسَ فِي آخِرِ ٱلنَّاسِ وَقَعَدَ مِنْ وَرَاءِ ٱلْفُقَهَاءِ فِي مَكَانٍ مَجْهُولٍ. ثُمَّ ٱبْتَدَأُوا فِي ٱلْكَلَامِ وَشَرَعُوا فِي مُعْضَلَاتِ ٱلْمَسَائِلِ. وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنَّهُمْ يُدِيرُونَ ٱلْمَسْأَلَةَ عَلَى أَهْلِ ٱلْمَجْلِسِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ. فَكُلُّ مَنْ وَجَدَ زِيَادَةً لَطِيفَةً أَوْ نُكْتَةً غَرِيبَةً ذَكَرَهَا. فَدَارَتِ ٱلْمَسْأَلَةُ إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى ذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ ٱلْغَرِيبِ. فَتَكَلَّمَ وَأَجَابَ بِجَوَابٍ أَحْسَنَ مِنْ أَجْوِبَةِ ٱلْفُقَهَاءِ كُلِّهِمْ. فَٱسْتَحْسَنَ ٱلْخَلِيفَةُ كَلَامَهُ وَأَمَرَ أَنْ يُرْفَعَ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ إِلَى أَعْلَى مِنْهُ. فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ ٱلْمَسْأَلَةُ ٱلثَّانِيَةُ أَجَابَ بِجَوَابٍ أَحْسَنَ مِنَ ٱلْجَوَابِ ٱلْأَوَّلِ.

فأمر المأمون أن يرفع إلى أعلى من تلك الرتبة. فلما دارت المسئلة الثالثة أجاب بجواب أحسن وأصوب من الجوابين الأولين. فأمر المأمون أن يجلس قريبًا منه. فلما انقضت المناظرة أحضروا الماء وغسلوا أيديهم وأحضروا الطعام فأكلوا. ثم نهض الفقهاء فخرجوا ومنع المأمون ذلك الشخص من الخروج معهم وأدناه منه ولاطفه ووعده بالإحسان إليه والإنعام عليه. ثم تهيأ مجلس الشراب وحضر الندماء الملاح ودارت الراح. فلما وصل الدور إلى ذلك الرجل وثب قائمًا على قدميه وقال: إن أذن لي أمير المؤمنين تكلمت كلمة واحدة. قال له: قل ما تشاء. فقال: قد علم الرأي العالي زاده الله علوًا أن العبد كان اليوم في هذا المجلس الشريف من مجاهيل الناس ووضعاء الجلاس. وأن أمير المؤمنين قربه وأدناه بيسير من العقل الذي أبداه وجعله مرفوعًا على درجة غيره. وبلغ به الغاية التي لم تسم إليها همته. والآن يريد أن يفرق بينه وبين ذلك القدر اليسير من العقل الذي أعزه بعد الذلة وكثره بعد القلة. وحاشا وكلا أن يحسده أمير المؤمنين على هذا القدر الذي معه من العقل والنباهة والفضل. لأن العبد إذا شرب الشراب تباعد عنه العقل وقرب منه الجهل وسلب أدبه. وعاد إلى تلك الدرجة الحقيرة كما كان وصار في أعين الناس حقيرًا مجهولًا. فأرجو من الرأي العالي أنه لا يسلب منه هذه الجوهرة بفضله وكرمه وسيادته وحسن شيمته.

فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْخَلِيفَةُ ٱلْمَأْمُونُ مِنْهُ ٱلْقَوْلَ مَدَحَهُ وَشَكَرَهُ وَأَجْلَسَهُ فِي رُتْبَتِهِ وَوَقَّرَهُ. وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ وَأَعْطَاهُ ثِيَابًا فَاخِرَةً. وَكَانَ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ يَرْفَعُهُ وَيُقَرِّبُهُ إِلَى جَمَاعَةِ ٱلْفُقَهَاءِ حَتَّى صَارَ أَرْفَعَ مِنْهُمْ دَرَجَةً وَأَعْلَى مَرْتَبَةً (الف ليلة وليلة)

عدالة انوشروان في بناية الايوان

٣٢١ حُكِيَ أَنَّ قَيْصَرَ مَلِكَ ٱلرُّومِ أَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى مَلِكِ فَارِسَ أَنُوشِرْوَانَ صَاحِبِ ٱلْإِيوَانِ. فَلَمَّا وَصَلَ وَرَأَى عَظَمَةَ ٱلْإِيوَانِ وَظَرَافَتَهُ وَعَظَمَةَ مَجْلِسِ كِسْرَى عَلَى كُرْسِيِّهِ وَٱلْمُلُوكَ فِي خِدْمَتِهِ مَيَّزَ ٱلْإِيوَانَ فَرَأَى فِي بَعْضِ جَوَانِبِهِ أَعْوِجَاجًا. فَسَأَلَ ٱلتَّرْجُمَانَ عَنْ ذٰلِكَ. فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هُنَاكَ بَيْتًا لِعَجُوزٍ كَرِهَتْ بَيْعَهُ عِنْدَ عِمَارَةِ ٱلْإِيوَانِ. وَلَمْ يَرَ ٱلْمَلِكُ إِكْرَاهَهَا عَلَى ٱلْبَيْعِ فَأَبْقَى بَيْتَهَا فِي جَانِبِ ٱلْإِيوَانِ. فَذٰلِكَ مَا رَأَيْتَ وَسَأَلْتَ. فَقَالَ ٱلرُّومِيُّ: وَحَقِّ رَأْسِهِ إِنَّ هٰذَا ٱلْأَعْوِجَاجَ أَحْسَنُ مِنَ ٱلْاِسْتِقَامَةِ وَإِنَّ مَا فَعَلَهُ مَلِكُ ٱلزَّمَانِ لَمْ يُؤَرَّخْ فِيمَا مَضَى لِمَلِكٍ وَلَا يُؤَرَّخُ فِيمَا بَقِيَ لِمَلِكٍ. فَأَعْجَبَ كِسْرَى كَلَامُهُ وَرَدَّهُ مَسْرُورًا مَحْبُورًا (اللابشيهي)

الغلام والثعلب

٣٢٢ كَانَ لِرَجُلٍ مِنْ أَغْنِيَاءِ ٱلتُّجَّارِ وَلَدٌ نَجِيبٌ صَرَفَهُ مِنْ صِغَرِ سِنِّهِ فِي ٱلتِّجَارَةِ بِبَلَدِهِ حَتَّى رَضِيَ بِخِبْرَتِهِ فِيهَا. فَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ أَرَادَ أَنْ يُعَوِّدَهُ عَلَى ٱلْأَسْفَارِ فِي تِجَارَةِ ٱلْأَقْطَارِ. فَجَهَّزَهُ تَجْهِيزًا يَلِيقُ بِأَمْثَالِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَضَى ٱلْغُلَامُ. فَلَمَّا كَانَ عَلَى مَسِيرَةِ أَيَّامٍ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ نَزَلَ

ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي بَعْضِ ٱلْمُرُوجِ . وَكَانَتِ ٱللَّيْلَةُ مُقْمِرَةً . فَقَامَ يَتَمَشَّى وَقَدْ مَضَى جُزْءٌ مِنَ ٱللَّيْلِ . فَبَصُرَ بِثَعْلَبٍ طَرِيحٍ وَقَدْ أَخَذَهُ ٱلْهَرَمُ وَٱلْإِعْيَاءُ وَضَعُفَ عَنِ ٱلْحَرَكَةِ . فَوَقَفَ عِنْدَهُ وَأَخَذَ يَتَفَكَّرُ فِي أَمْرِهِ وَيَقُولُ : كَيْفَ يُرْزَقُ هٰذَا ٱلْحَيَوَانُ ٱلْمِسْكِينُ وَمَا أَظُنُّ إِلَّا أَنَّهُ يَمُوتُ جُوعًا . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذَا هُوَ بِأَسَدٍ مُقْبِلٍ قَدِ ٱفْتَرَسَ فَرِيسَةً فَجَاءَ حَتَّى قَرُبَ مِنَ ٱلثَّعْلَبِ . فَتَنَاوَلَ مِنْهَا حَتَّى شَبِعَ وَتَرَكَ بَقِيَّتَهَا وَمَضَى . فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَحَامَلَ ٱلثَّعْلَبُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَخَذَ يَتَحَرَّكُ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى مَا تَرَكَهُ ٱلْأَسَدُ . فَأَكَلَ حَتَّى شَبِعَ وَٱلْغُلَامُ يَتَعَجَّبُ مِنْ صُنْعِ ٱللهِ فِي خَلْقِهِ . وَمَا سَاقَ لِهٰذَا ٱلْحَيَوَانِ ٱلْعَاجِزِ مِنْ رِزْقِهِ . وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِذَا كَانَ سُبْحَانَهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِٱلْأَرْزَاقِ فَلِأَيِّ شَيْءٍ ٱحْتِمَالُ ٱلْمَشَاقِّ وَرُكُوبُ ٱلْأَسْفَارِ وَٱقْتِحَامُ ٱلْأَخْطَارِ . ثُمَّ ٱنْثَنَى رَاجِعًا إِلَى وَالِدِهِ فَأَخْبَرَهُ ٱلْخَبَرَ وَشَرَحَ لَهُ مَا ثَنَى عَزْمَهُ عَنِ ٱلسَّفَرِ . فَقَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ قَدْ أَخْطَأْتَ ٱلنَّظَرَ إِنَّمَا أَرَدْتُ بِكَ أَنْ تَكُونَ أَسَدًا تَأْوِي إِلَيْكَ ٱلثَّعَالِبُ ٱلْجِيَاعُ . لَا أَنْ تَكُونَ ثَعْلَبًا جَائِعًا تَنْتَظِرُ فَضْلَةَ ٱلسِّبَاعِ . فَقَبِلَ نَصِيحَةَ أَبِيهِ وَرَجَعَ لِمَا كَانَ فِيهِ

الثوب المبيع

٣٢٣ قَالَ ٱبْنُ ٱلْخَرِيفِ : حَدَّثَنِي وَالِدِي قَالَ : أَعْطَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَسَبٍ ٱلدَّلَّالَ ثَوْبًا وَقُلْتُ : بِعْهُ لِي وَبَيِّنْ هٰذَا ٱلْعَيْبَ ٱلَّذِي فِيهِ . وَأَرَيْتُهُ خَرْقًا فِي ٱلثَّوْبِ . فَمَضَى وَجَاءَ فِي آخِرِ ٱلنَّهَارِ فَدَفَعَ إِلَيَّ ثَمَنَهُ

وقال: بعته على رجل أعجمي غريب بهذه الدنانير. قلت له: وأريته العيب وأعلمته به. فقال: لا وإنني نسيت ذلك. فقلت: لا جزاك الله خيراً إمض معي إليه. وذهبت معه وقصدنا مكانه فلم نجده. فسألنا عنه فقيل: إنه رحل إلى مكة مع قافلة الحجاج. فأخذت صفة الرجل من الدلال واكتريت دابة ولحقت القافلة. وسألت عن الرجل فدللت عليه فقلت له: إن الثوب الفلاني الذي اشتريته أمس من الدلال فلان بكذا وكذا فيه عيب فهاته وخذ ذهبك. فقام وأخرج الثوب وطاف على العيب حتى وجده. فلما وجده قال: يا شيخ أخرج ذهبي حتى أراه وكنت لما قبضته لم أميزه ولم أنتقده. فأخرجته فلما رآه قال: هذا ذهبي انتقده يا شيخ. فنظرت إليه وإذا هو مغشوش لا يساوي شيئاً. فأخذه ورمى به وقال لي: قد اشتريت منك هذا الثوب على عيبه بهذا الذهب. ودفع إلي بمقدار ذلك الذهب المغشوش ذهباً جيداً وعدت به.

كسرى انوشروان والمؤدب

٣٢٤ روي أن كسرى أنوشروان كان له معلم حسن التأديب يعلمه حتى فاق في العلوم. فضربه المعلم يوماً من غير ذنب فأوجعه. فحقد أنوشروان عليه. فلما ولي الملك قال للمعلم. ما حملك على ضربي يوم كذا وكذا. فقال له: لما رأيتك ترغب في العلم رجوت

لكَ ٱلْمُلْكَ بَعْدَ أَبِيكَ . فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُذِيقَكَ طَعْمَ ٱلظُّلْمِ لِئَلَّا تَظْلِمَ .
فَقَالَ أَنُوشِرْوَانُ : زِهْ زِهْ وَرَفَعَ قَدْرَهُ (للابشيهي)

الهادي والخارجي

٣٢٥ ذَكَرَ صَاحِبُ ٱلسُّكَّرْدَانِ أَنَّ ٱلْهَادِي كَانَ يَوْمًا فِي بُسْتَانٍ يَتَنَزَّهُ عَلَى حِمَارٍ وَلَا سِلَاحَ مَعَهُ . وَبِحَضْرَتِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ خَوَاصِّهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ حَاجِبُهُ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ بِٱلْبَابِ بَعْضَ ٱلْخَوَارِجِ لَهُ بَأْسٌ وَمَكَايِدُ وَقَدْ ظَفِرَ بِهِ بَعْضُ ٱلْقُوَّادِ . فَأَمَرَ ٱلْهَادِي بِإِدْخَالِهِ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ قَدْ قَبَضَا عَلَى يَدَيْهِ . فَلَمَّا أَبْصَرَ ٱلْخَارِجِيُّ ٱلْهَادِيَ جَذَبَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلرَّجُلَيْنِ وَٱخْتَطَفَ سَيْفَ أَحَدِهِمَا وَقَصَدَ ٱلْهَادِيَ . فَفَرَّ كُلُّ مَنْ كَانَ حَوْلَهُ وَبَقِيَ وَحْدَهُ وَهُوَ ثَابِتٌ عَلَى حِمَارِهِ . حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُ ٱلْخَارِجِيُّ وَهَمَّ أَنْ يَعْلُوَهُ بِٱلسَّيْفِ أَوْمَأَ إِلَى وَرَاءِ ٱلْخَارِجِيِّ وَأَوْهَمَهُ أَنَّ غُلَامًا وَرَاءَهُ وَقَالَ : يَا غُلَامُ ٱضْرِبْ عُنُقَهُ . فَظَنَّ ٱلْخَارِجِيُّ أَنَّ غُلَامًا وَرَاءَهُ . فَٱلْتَفَتَ ٱلْخَارِجِيُّ فَنَزَلَ ٱلْهَادِي مُسْرِعًا عَنْ حِمَارِهِ فَقَبَضَ عَلَى عُنُقِ ٱلْخَارِجِيِّ وَذَبَحَهُ بِٱلسَّيْفِ ٱلَّذِي كَانَ مَعَهُ . ثُمَّ عَادَ إِلَى ظَهْرِ حِمَارِهِ مِنْ فَوْرِهِ . وَٱلْخَدَمُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَتَسَلَّلُونَ عَلَيْهِ وَقَدْ مُلِئُوا مِنْهُ حَيَاءً وَرُعْبًا . فَمَا عَاتَبَهُمْ وَلَا خَاطَبَهُمْ فِي ذٰلِكَ بِكَلِمَةٍ . وَلَمْ يُفَارِقِ ٱلسِّلَاحَ بَعْدَ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ (اعلام الناس للاتليدي)

المنصور وابو عبد الله

٣٢٦ قَالَ ٱلْمَنْصُورُ لِلرَّبِيعِ : عَلَيَّ بِجَعْفَرٍ . قَتَلَنِي ٱللّٰهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْ أَبَا عَبْدِ

اللهِ . فلمّا مثل بين يديه حرّك شفتيه ثمّ قرّب وسلّم . فقال : لا سلام الله عليك يا عدوّ الله تعمل عليّ الغوائل في ملكي . قتلني الله إن لم أقتلك . فقال : يا أمير المؤمنين إنّ سليمان أعطي فشكر . وإنّ أيوب ابتُلي فصبر . وإنّ يوسف ظُلم فغفر . وأنت على أثر منهم وأحقّ من تأسّى بهم . فنكس المنصور رأسه مليًّا ثمّ رفع رأسه وقال : إليّ أبا عبد الله فأنت القريب القرابة . وأنت ذو الرحم الواشجة . والسليم الناحية . القليل الغائلة . ثمّ صافحه بيمينه وعانقه بشماله . وأجلسه معه على فراشه وأقبل يسائله ويحادثه . ثمّ قال : عجّلوا لأبي عبد الله إذنه وجائزته وكسوته . فلمّا خرج أمسكه الربيع وقال له : رأيتك قد حرّكت شفتيك فانجلى الأمر وأنا خادم السلطان ولا غنى لي عنه فعلّمني إيّاه . فقال : نعم . قلت : اللهمّ احرسني بعينك التي لا تنام . واكنفني بحفظك الذي لا يُرام . لا أهلك وأنت رجائي فكم من نعمة أنعمتها عليّ قلّ عندها شكري فلم تحرمني . وكم من بليّة ابتليت بها قلّ عندها صبري فلم تخذلني . اللهمّ بك أدرأ في نحره وأعوذ بك من شرّه (للشريشي)

القاضي والنصراني المحسن

٣٢٧ حُكي أنّ فقيرًا جاء إلى قاضٍ في يوم عاشوراء وقال له : أعزّ الله القاضي وإنّي رجل فقير وذو عيال وقد جئتك مستشفعًا بهذا اليوم أن تعطيني عشرة أمنان لحمًا ودرهمين لأشبع أطفالي في هذا

ٱلْيَوْمِ وَلَكَ ٱلْجَزَاءُ عَلَى ٱللهِ. فَوَعَدَهُ إِلَى ٱلظُّهْرِ. فَلَمَّا جَاءَ ٱلظُّهْرُ عَادَ إِلَيْهِ. فَوَعَدَهُ إِلَى ٱلْعَصْرِ. فَلَمَّا جَاءَ ٱلْعَصْرُ عَادَ إِلَيْهِ وَأَوْلَادُهُ فِي مَنْزِلِهِ ذَابَتْ أَكْبَادُهُمْ مِنَ ٱلْجُوعِ فَوَعَدَهُ إِلَى ٱلْمَغْرِبِ. فَعَادَ إِلَيْهِ عِنْدَ ٱلْغُرُوبِ. فَقَالَ لَهُ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيكَهُ. فَرَجَعَ ٱلْفَقِيرُ مُنْكَسِرَ ٱلْقَلْبِ بَاكِيَ ٱلْعَيْنِ خَائِفًا مِنْ أَطْفَالِهِ كَيْفَ جَوَابُهُ لَهُمْ. فَمَرَّ وَهُوَ يَبْكِي بِنَصْرَانِيٍّ جَالِسٍ عَلَى بَابِهِ. فَرَآهُ بَاكِيًا فَقَالَ لَهُ: لِمَ بُكَاؤُكَ يَا هٰذَا. فَقَالَ لَهُ: لَا تَسْأَلْ عَنْ حَالِي. فَقَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ بِٱللهِ أَنْ أَعْلِمْنِي بِحَالِكَ. فَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ مَعَ ٱلْقَاضِي. فَقَالَ لَهُ ٱلنَّصْرَانِيُّ: مَا هٰذَا ٱلْيَوْمُ عِنْدَكُمْ. فَقَالَ لَهُ: هُوَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ. فَرَقَّ لَهُ ٱلنَّصْرَانِيُّ وَأَعْطَاهُ أَكْثَرَ مِمَّا ذَكَرَ مِنَ ٱلْخُبْزِ وَٱللَّحْمِ وَأَعْطَاهُ عِشْرِينَ دِرْهَمًا فَوْقَ ٱلدِّرْهَمَيْنِ. فَقَالَ لَهُ: خُذْ هٰذَا وَهُوَ لَكَ وَلِعِيَالِكَ عَلَيَّ فِي كُلِّ شَهْرٍ. فَذَهَبَ بِهِ ٱلْفَقِيرُ لِأَطْفَالِهِ فَرِحًا مَسْرُورًا. فَلَمَّا رَآهُ أَطْفَالُهُ فَرِحُوا فَرَحًا شَدِيدًا. ثُمَّ نَادَوْا بِأَعْلَى أَصْوَاتِهِمْ: أَللّٰهُمَّ مَنْ أَدْخَلَ عَلَيْنَا ٱلسُّرُورَ فَأَدْخِلْ عَلَيْهِ ٱلْفَرَحَ عَاجِلًا. فَلَمَّا كَانَ ٱللَّيْلُ وَنَامَ ٱلْقَاضِي سَمِعَ هَاتِفًا يَقُولُ لَهُ: ٱرْفَعْ رَأْسَكَ. فَرَفَعَهُ وَإِذَا هُوَ يَنْظُرُ قَصْرَيْنِ مَبْنِيَّيْنِ لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ. فَقَالَ: إِلٰهِي لِمَنْ هٰذَانِ ٱلْقَصْرَانِ. فَأُجِيبَ إِنَّهُمَا كَانَا لَكَ لَوْ قَضَيْتَ حَاجَةَ ٱلْفَقِيرِ فَلَمَّا رَدَدْتَهُ صَارَا لِلنَّصْرَانِيِّ فُلَانٍ. فَٱنْتَبَهَ ٱلْقَاضِي مَرْعُوبًا يُنَادِي بِٱلْوَيْلِ وَٱلثُّبُورِ. ثُمَّ سَارَ إِلَى ٱلنَّصْرَانِيِّ وَقَالَ لَهُ: مَا فَعَلْتَ ٱلْبَارِحَةَ مِنَ ٱلْخَيْرِ. فَقَالَ لَهُ: وَلِمَ ذَا سُؤَالُكَ. فَأَخْبَرَهُ بِمَا

رأى . ثُمَّ قَالَ لَهُ : بِعْنِي هٰذَا ٱلْجَمِيلَ ٱلَّذِي فَعَلْتَهُ ٱلْبَارِحَةَ مَعَ ٱلْفَقِيرِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ ٱلنَّصْرَانِيُّ : إِنِّي لَا أَبِيعُ ذٰلِكَ بِمِلْءِ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا . فَرَحِمَ ٱللهُ ثَرَاهُ وَجَعَلَ ٱلْجَنَّةَ مَثْوَاهُ (للقليوبي)

اجارة معن لرجل استغاث بهِ وكان المنصور قد اهدر دمهُ

٣٢٨ رُوِيَ أَنَّ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْمَنْصُورَ أَهْدَرَ دَمَ رَجُلٍ كَانَ يَسْعَى بِفَسَادِ دَوْلَتِهِ مَعَ ٱلْخَوَارِجِ مِنْ أَهْلِ ٱلْكُوفَةِ . وَجَعَلَ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ أَوْ جَاءَ بِهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ إِنَّ ٱلرَّجُلَ ظَهَرَ فِي بَغْدَادَ . فَبَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي مُخْتَفِيًا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا إِذْ بَصُرَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكُوفَةِ فَعَرَفَهُ فَأَخَذَ بِمَجَامِعِ ثِيَابِهِ وَقَالَ : هٰذَا بُغْيَةُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . فَبَيْنَمَا ٱلرَّجُلُ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالَةِ إِذْ سَمِعَ وَقْعَ حَوَافِرِ ٱلْخَيْلِ . فَٱلْتَفَتَ فَإِذَا مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ . فَٱسْتَغَاثَ بِهِ وَقَالَ لَهُ : أَجِرْنِي أَجَارَكَ ٱللهُ . فَٱلْتَفَتَ مَعْنٌ إِلَى ٱلرَّجُلِ ٱلْمُتَعَلِّقِ بِهِ وَقَالَ لَهُ : مَا شَأْنُكَ وَهٰذَا . فَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ بُغْيَةُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِي أَهْدَرَ دَمَهُ وَجَعَلَ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ : دَعْهُ . وَقَالَ لِغُلَامِهِ : ٱنْزِلْ عَنْ دَابَّتِكَ وَٱحْمِلِ ٱلرَّجُلَ عَلَيْهَا . فَصَاحَ ٱلرَّجُلُ ٱلْمُتَعَلِّقُ بِهِ وَصَرَخَ وَٱسْتَجَارَ بِٱلنَّاسِ وَقَالَ : أَيُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَ بُغْيَةِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ مَعْنٌ : ٱذْهَبْ فَقُلْ لِأَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَخْبِرْهُ أَنَّهُ عِنْدِي . فَٱنْطَلَقَ ٱلرَّجُلُ إِلَى ٱلْمَنْصُورِ وَأَخْبَرَهُ . فَأَمَرَ ٱلْمَنْصُورُ بِإِحْضَارِ مَعْنٍ فِي ٱلسَّاعَةِ . فَلَمَّا وَصَلَ أَمْرُ ٱلْمَنْصُورِ إِلَى مَعْنٍ دَعَا جَمِيعَ أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَوَالِيهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَقَارِبِهِ وَحَاشِيَتِهِ وَجَمِيعَ مَنْ يَلُوذُ بِهِ وَقَالَ لَهُمْ :

أُقْسِمُ عَلَيْكُمْ بِأَنْ لَا يَصِلَ إِلَى هٰذَا ٱلرَّجُلِ مَكْرُوهٌ أَبَدًا وَفِيكُمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ. ثُمَّ إِنَّهُ سَارَ إِلَى ٱلْمَنْصُورِ فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ ٱلْمَنْصُورُ ٱلسَّلَامَ. ثُمَّ إِنَّ ٱلْمَنْصُورَ قَالَ لَهُ: يَا مَعْنُ أَتُجِيرُ عَلَيَّ. قَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ ٱلْمَنْصُورُ: وَنَعَمْ أَيْضًا. وَقَدِ ٱشْتَدَّ غَضَبُهُ. فَقَالَ مَعْنٌ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ كَمْ مِنْ مَرَّةٍ تَقَدَّمَ فِي دَوْلَتِكُمْ بَلَائِي وَحُسْنُ عَنَائِي. وَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ خَاطَرْتُ بِدَمِي. أَفَمَا رَأَيْتُمُونِي أَهْلًا بِأَنْ يُوهَبَ لِي رَجُلٌ وَاحِدٌ ٱسْتَجَارَ بِي بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِوَهْمِهِ أَنِّي عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَكَذٰلِكَ هُوَ. فَمُرْ بِمَا شِئْتَ هَا أَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ. قَالَ: فَأَطْرَقَ ٱلْمَنْصُورُ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَدْ سَكَنَ مَا بِهِ مِنَ ٱلْغَضَبِ وَقَالَ لَهُ: قَدْ أَجَرْنَاهُ لَكَ يَا مَعْنُ. فَقَالَ لَهُ مَعْنٌ: إِنْ رَأَى أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ ٱلْأَجْرَيْنِ فَيَأْمُرَ لَهُ بِصِلَةٍ فَيَكُونُ قَدْ أَحْيَاهُ وَأَغْنَاهُ. فَقَالَ ٱلْمَنْصُورُ: قَدْ أَمَرْنَا لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. فَقَالَ لَهُ مَعْنٌ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ صِلَاتِ ٱلْخُلَفَاءِ عَلَى قَدْرِ جِنَايَاتِ ٱلرَّعِيَّةِ. وَإِنَّ ذَنْبَ ٱلرَّجُلِ عَظِيمٌ فَأَجْزِلْ صِلَتَهُ. قَالَ: قَدْ أَمَرْنَا لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَقَالَ لَهُ مَعْنٌ: عَجِّلْهَا يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلْبِرِّ عَاجِلُهُ. فَأَمَرَ بِتَعْجِيلِهَا فَحَمَلَهَا وَٱنْصَرَفَ وَأَتَى مَنْزِلَهُ وَقَالَ لِلرَّجُلِ: يَا رَجُلُ خُذْ صِلَتَكَ وَٱلْحَقْ بِأَهْلِكَ وَإِيَّاكَ وَمُخَالَفَةَ ٱلْخُلَفَاءِ فِي أُمُورِهِمْ بَعْدَ هٰذِهِ (للابشيهي)

ملك الفرس وصاحب المطبخ

٣٢٩ كَانَ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ ٱلْفُرْسِ عَظِيمَ ٱلْمَمْلَكَةِ شَدِيدَ ٱلنِّقْمَةِ.

وَكَانَ لَهُ صَاحِبُ مَطْبَخٍ . فَلَمَّا قَرَّبَ إِلَيْهِ طَعَامَهُ فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ سَقَطَتْ نُقْطَةٌ مِنَ ٱلطَّعَامِ عَلَى يَدَيْهِ . فَزَوَى لَهَا ٱلْمَلِكُ وَجْهَهُ وَعَلِمَ صَاحِبُ ٱلْمَطْبَخِ أَنَّهُ قَاتِلُهُ . فَكَفَأَ ٱلصَّحْفَةَ عَلَى رَأْسِهِ . فَقَالَ ٱلْمَلِكُ : عَلَيَّ بِهِ . فَلَمَّا أَتَاهُ قَالَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ سُقُوطَ ٱلنُّقْطَةِ أَخْطَأَتْ بِهَا يَدُكَ . فَمَا عُذْرُكَ فِي ٱلثَّانِيَةِ . قَالَ : ٱسْتَحْيَيْتُ لِلْمَلِكِ أَنْ يَقْتُلَ مِثْلِي فِي سِنِّي وَقَدِيمِ حُرْمَتِي فِي نُقْطَةٍ فَأَرَدْتُ أَنْ أُعَظِّمَ ذَنْبِي لِيَحْسُنَ بِهِ قَتْلِي وَلِئَلَّا يَنْسُبَكَ ٱلنَّاسُ إِلَى ٱلظُّلْمِ وَٱلْجَوْرِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ : إِنَّ لُطْفَ ٱلْاعْتِذَارِ يُنْجِيكَ مِنَ ٱلْقَتْلِ فَأَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ ٱللهِ (لابن عبد ربه)

الرشيد والدمشقي

٣٣٠ رُفِعَ إِلَى هَارُونَ ٱلرَّشِيدِ أَنَّ رَجُلًا بِدِمَشْقَ مِنْ بَقَايَا بَنِي أُمَيَّةَ عَظِيمُ ٱلْمَالِ كَثِيرُ ٱلْجَاهِ مُطَاعٌ فِي ٱلْبَلَدِ لَهُ جَمَاعَةٌ وَأَوْلَادٌ وَمَمَالِيكُ يَرْكَبُونَ ٱلْخَيْلَ وَيَحْمِلُونَ ٱلسِّلَاحَ وَيَغْزُونَ ٱلرُّومَ . وَأَنَّهُ سَمْحٌ جَوَادٌ كَثِيرُ ٱلْبَذْلِ وَٱلضِّيَافَةِ وَأَنَّهُ لَا يُؤْمَنُ مِنْهُ . فَعَظُمَ ذٰلِكَ عَلَى ٱلرَّشِيدِ . قَالَ مَنَارَةُ : وَكَانَ وُقُوفُ ٱلرَّشِيدِ عَلَى هٰذَا وَهُوَ بِٱلْكُوفَةِ فِي بَعْضِ حَجِّهِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ وَقَدْ عَادَ مِنَ ٱلْمَوْسِمِ . وَقَدْ بَايَعَ لِلْأَمِينِ وَٱلْمَأْمُونِ وَٱلْمُعْتَصِمِ أَوْلَادِهِ فَدَعَانِي وَهُوَ خَالٍ . وَقَالَ : إِنِّي دَعَوْتُكَ لِأَمْرٍ يُهِمُّنِي وَقَدْ مَنَعَنِي ٱلنَّوْمَ . فَٱنْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُ . ثُمَّ قَصَّ عَلَيَّ خَبَرَ ٱلْأُمَوِيِّ وَقَالَ : ٱخْرُجِ ٱلسَّاعَةَ فَقَدْ أَعْدَدْتُ لَكَ ٱلْخُيُولَ وَأَزَحْتُ عِلَّتَكَ فِي ٱلزَّادِ وَٱلنَّفَقَةِ وَٱلْآلَةِ . وَتَضُمُّ إِلَيْكَ مِائَةَ

غلام وأسلك البرية وهذا كتابي إلى نائب دمشق وهذه قيود فابدأ بالرجل فإن سمع وأطاع فقيده وجئني به . وإن عصى فتوكل به أنت ومن معك لئلا يهرب . وأنفذ الكتاب إلى أمير دمشق ليكون مساعدا واقبضا عليه وجئني به وأجلتك لذهابك ستا ولإيابك ستا ويوما لمقامك . وهذا محمل تجعله في شقة منه إذا قيدته وتقعد أنت في الشقة الأخرى . ولا تكل حفظه إلى غيرك حتى تأتيني به في الثالث عشر يوما من خروجك . فإذا دخلت داره فتفقدها وجميع ما فيها من أهله وولده وغلمانه وقدر نعمته والحال والمحال . واحفظ ما يقوله الرجل حرفا بحرف من ألفاظه منذ يقع طرفك عليه حتى تأتيني به . وإياك أن يشذ عنك شيء من أمره . انطلق . قال منارة : فودعته وانطلقت وخرجت فركبت الإبل وسرت أطوي المنازل أسير الليل والنهار إلى أن وصلت إلى دمشق في أول الليلة السابعة وأبواب البلد مغلقة . فكرهت طروقها ليلا فبت بظاهر البلد إلى أن فتح بابها من غد . فدخلت على هيئتي ثم أتيت باب الرجل وعليه صف عظيم وحاشية كثيرة فلم أستأذن ودخلت بغير إذن . فلما رأى القوم ذلك سألوا بعض من معي عني . قال : هذا منارة رسول أمير المؤمنين إلى صاحبكم . (قال) فلما صرت في صحن الدار نزلت ودخلت مجلسا رأيت فيه قوما جلوسا فظننت أن الرجل فيهم . فقاموا ورحبوا بي . فقلت : أفيكم

فلانٌ. قالوا: لا. نحن أولاده وهو في الحمّام. فقلتُ: استعجلوه. فمضى بعضهم يستعجله وأنا أتفقّد الدار والأحوال والحاشية فوجدتها ماجت بأهلها موجا كثيرا. فلم أزل كذلك حتّى خرج الرجل بعد أن أطال مكثه. واسترِبتُ به واشتدّ قلقي وخوفي من أن يتوارى إلى أن رأيتُ شيخا بزيّ الحمّام يمشي في صحن الدار وحواليه جماعة كهول وأحداثٌ وصبيانٌ. وهم أولاده وغلمانه فعلمتُ أنّه الرجل. فجاء وجلس وسلّم عليّ سلاما خفيفا. وسألني عن أمير المؤمنين واستقامة أمر حضرته فأخبرته بما وجب. وما قضى كلامه حتّى جاؤوا بأطباق فاكهة فقال: تقدّم يا منارة وكل معنا. فقلتُ: ما لي إلى ذلك من سبيل. فلم يعاودني فأكل هو ومن معه. ثمّ غسل يديه ودعا بالطعام فجاؤوا إليه بمائدة حسنة لم أرَ مثلها إلّا للخليفة. فقال: يا منارة ساعِدنا على الأكل. لا يزيدني على أن يدعوني باسمي كما يدعوني الخليفة. فامتنعتُ عليه فما عاودني. فأكل ومن معه وكانوا تسعة من أولاده. فتأمّلتُ أكله في نفسه فوجدته يأكل أكل الملوك. ووجدتُ ذلك الاضطراب الذي كان في داره قد سكن ووجدتهم لا يرفعون شيئا من بين يديه قد وضع على المائدة إلّا نُهِبَ. وكان غلمانه أخذوا لمّا نزلت إلى الدار مالي وغلماني وعدلوا بهم إلى دار أخرى. فما أطاقوا ممانعتهم وبقيتُ وحدي وليس بين يديّ إلّا خمسة أو ستّة غلمان وقوفٍ على رأسي.

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هٰذَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ فَإِنِ ٱمْتَنَعَ مِنَ ٱلشُّخُوصِ لَمْ أُطِقْ إِشْخَاصَهُ بِنَفْسِي وَلَا بِمَنْ مَعِي وَلَا حِفْظَهُ إِلَّا أَنْ يَحْمِيَنِي أَمِيرُ ٱلْبَلَدِ. وَجَزِعْتُ جَزَعًا شَدِيدًا وَرَابَنِي مِنْهُ ٱسْتِخْفَافُهُ وَتَهَاوُنُهُ بِأَمْرِي . يَدْعُونِي بِٱسْمِي وَلَا يُفَكِّرُ فِي ٱمْتِنَاعِي مِنَ ٱلْأَكْلِ . وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا جِئْتُ بِهِ وَيَأْكُلُ مُطْمَئِنًّا وَأَنَا مُفَكِّرٌ فِي ذٰلِكَ . فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ أَكْلِهِ وَغَسَلَ يَدَيْهِ دَعَا بِٱلْبَخُورِ فَتَبَخَّرَ وَقَامَ إِلَى ٱلصَّلَاةِ فَصَلَّى ٱلظُّهْرَ وَأَكْثَرَ مِنَ ٱلدُّعَاءِ وَٱلِٱبْتِهَالِ . وَرَأَيْتُ صَلَاتَهُ حَسَنَةً . فَلَمَّا ٱنْتَقَلَ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ أَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ : مَا أَقْدَمَكَ يَا مَنَارَةُ . فَأَخْرَجْتُ كِتَابَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِ فَفَضَّهُ وَقَرَأَهُ . فَلَمَّا ٱسْتَتَمَّ قِرَاءَتَهُ دَعَا أَوْلَادَهُ وَحَاشِيَتَهُ فَٱجْتَمَعَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ . فَلَمْ أَشُكَّ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُوقِعَ بِي . فَلَمَّا تَكَامَلُوا ٱبْتَدَأَ فَحَلَفَ أَيْمَانًا غَلِيظَةً فِيهَا ٱلطَّلَاقُ وَٱلْعَتَاقُ وَٱلْحَجُّ وَٱلصَّدَقَةُ وَٱلْوَقْفُ أَنْ لَا يَجْتَمِعَ ٱثْنَانِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ . وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَنْصَرِفُوا وَيَدْخُلُوا مَنَازِلَهُمْ وَلَا يَظْهَرُوا إِلَى أَنْ يُكْشَفَ لَهُمْ أَمْرٌ يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ وَقَالَ : هٰذَا كِتَابُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِٱلْمُضِيِّ إِلَيْهِ وَلَسْتُ أُقِيمُ بَعْدَ نَظَرِي فِيهِ سَاعَةً وَاحِدَةً . فَٱسْتَوْصُوا بِمَنْ وَرَائِي مِنَ ٱلْحَرِيمِ خَيْرًا . وَمَا لِي حَاجَةٌ أَنْ يَصْحَبَنِي أَحَدٌ . هَاتِ قُيُودَكَ يَا مَنَارَةُ . فَدَعَوْتُ بِهَا وَكَانَتْ فِي سَفَطٍ وَمَدَّ رِجْلَيْهِ فَقَيَّدْتُهُ وَأَمَرْتُ غِلْمَانِي بِحَمْلِهِ حَتَّى صَارَ فِي ٱلْمَحْمِلِ وَرَكِبْتُ فِي ٱلشِّقِّ ٱلْآخَرِ وَسِرْتُ مِنْ وَقْتِي . وَلَمْ أَلْقَ أَمِيرَ ٱلْبَلَدِ وَلَا غَيْرَهُ . وَسِرْتُ بِٱلرَّجُلِ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَى أَنْ

صِرْنَا بِظَاهِرِ دِمَشْقَ . فَابْتَدَأَ يُحَدِّثُنِي بِانْبِسَاطٍ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى بُسْتَانٍ حَسَنٍ فِي الْغُوطَةِ فَقَالَ لِي : أَتَرَى هٰذَا . قُلْتُ: نعم . قَالَ : إِنَّهُ لِي . وَفِيهِ مِنْ غَرَائِبِ الْأَشْجَارِ كَيْتَ وَكَيْتَ . ثُمَّ انْتَهَى إِلَى آخَرَ فَقَالَ مِثْلَ ذٰلِكَ . ثُمَّ انْتَهَى إِلَى مَزَارِعَ حِسَانٍ وَقُرًى فَقَالَ مِثْلَ ذٰلِكَ : هٰذَا لِي . فَاشْتَدَّ غَيْظِي مِنْهُ . وَقُلْتُ : أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَهَمَّهُ أَمْرُكَ حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْكَ مَنِ انْتَزَعَكَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِكَ وَمَالِكَ وَوَلَدِكَ وَأَخْرَجَكَ فَرِيدًا مُقَيَّدًا مَغْلُولًا مَا تَدْرِي إِلَى مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ أَمْرُكَ وَلَا كَيْفَ يَكُونُ . وَأَنْتَ فَارِغُ الْقَلْبِ مِنْ هٰذَا حَتَّى تَصِفَ ضِيَاعَكَ وَبَسَاتِينَكَ بَعْدَ أَنْ جِئْتُكَ . وَأَنْتَ لَا تُفَكِّرُ فِيمَ جِئْتُ بِهِ . وَأَنْتَ سَاكِنُ الْقَلْبِ قَلِيلُ التَّفَكُّرِ لَقَدْ كُنْتَ عِنْدِي شَيْخًا فَاضِلًا . فَقَالَ لِي مُجِيبًا : إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أَخْطَأَتْ فِرَاسَتِي فِيكَ . لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ رَجُلٌ كَامِلُ الْعَقْلِ وَأَنَّكَ مَا حَلَلْتَ مِنَ الْخُلَفَاءِ هٰذَا الْمَحَلَّ إِلَّا لِمَا عَرَفُوكَ بِذٰلِكَ . فَإِذَا كَلَامُكَ يُشْبِهُ كَلَامَ الْعَوَامِّ . وَاللّٰهُ الْمُسْتَعَانُ . أَمَّا قَوْلُكَ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْعَاجِهِ وَإِخْرَاجِهِ إِيَّايَ إِلَى بَابِهِ عَلَى صُورَتِي هٰذِهِ فَإِنِّي عَلَى ثِقَةٍ مِنَ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي بِيَدِهِ نَاصِيَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَا يَمْلِكُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا بِإِذْنِ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَلَا ذَنْبَ لِي عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَخَافَهُ . وَبَعْدُ فَإِذَا عَرَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرِي وَعَرَفَ سَلَامَتِي وَصَلَاحَ نَاحِيَتِي سَرَّحَنِي مُكَرَّمًا . فَإِنَّ الْحَسَدَةَ وَالْأَعْدَاءَ رَمَوْنِي عِنْدَهُ بِمَا لَيْسَ فِيَّ .

وَتَقَوَّلُوا عَلَيَّ ٱلْأَقَاوِيلَ فَلَا يَسْتَحِلُّ دَمِي وَيَخْرُجُ مِنْ إِيذَاءِي وَإِزْعَاجِي.
وَيَرُدُّنِي مُكْرَمًا وَيُقِيمُنِي بِبِلَادِهِ مُعَظَّمًا مُبَجَّلًا . وَإِنْ كَانَ قَدْ سَبَقَ فِي
عِلْمِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ يَبْدُرُ إِلَيَّ مِنْهُ بَادِرَةُ سُوءٍ وَقَدْ حَضَرَ أَجَلِي وَكَانَ
سَفْكُ دَمِي عَلَى يَدِهِ . فَإِنِّي أُحْسِنُ ٱلظَّنَّ بِٱللهِ ٱلَّذِي خَلَقَ وَرَزَقَ وَأَحْيَا
وَأَمَاتَ . وَإِنَّ ٱلصَّبْرَ وَٱلرِّضَا وَٱلتَّسْلِيمَ إِلَى مَنْ يَمْلِكُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ .
وَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّكَ تَعْرِفُ هٰذَا فَإِذْنْ قَدْ عَرَفْتُ مَبْلَغَ فَهْمِكَ .
فَإِنِّي لَا أُكَلِّمُكَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَنَا أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنْ
شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى . ثُمَّ أَعْرَضَ عَنِّي فَمَا سَمِعْتُ مِنْهُ لَفْظَةً غَيْرَ ٱلتَّسْبِيحِ أَوْ
طَلَبِ مَاءٍ أَوْ حَاجَةٍ حَتَّى شَارَفْنَا ٱلْكُوفَةَ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّالِثَ عَشَرَ بَعْدَ
ٱلظُّهْرِ وَٱلنُّجُبُ قَدِ ٱسْتَقْبَلَتْنِي قَبْلَ سِتَّةِ فَرَاسِخَ مِنَ ٱلْكُوفَةِ يَتَجَسَّسُونَ
خَبَرِي . فَحِينَ رَأَوْنِي رَجَعُوا عَنِّي مُتَقَدِّمِينَ بِٱلْخَبَرِ إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ .
فَٱنْتَهَيْتُ إِلَى ٱلْبَابِ فِي آخِرِ ٱلنَّهَارِ فَحَطَطْتُ رَحْلِي . وَدَخَلْتُ عَلَى
ٱلرَّشِيدِ وَقَبَّلْتُ ٱلْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَوَقَفْتُ . فَقَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ
يَا مَنَارَةُ وَإِيَّاكَ أَنْ تُغْفِلَ مِنْهُ عَنْ لَفْظَةٍ وَاحِدَةٍ . فَسُقْتُ ٱلْحَدِيثَ مِنْ
أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ حَتَّى ٱنْتَهَيْتُ إِلَى ذِكْرِ ٱلْفَاكِهَةِ وَٱلطَّعَامِ وَٱلْغَسْلِ
وَٱلْبَخُورِ وَمَا حَدَّثَتْنِي بِهِ نَفْسِي مِنِ ٱمْتِنَاعِهِ . وَٱلْغَضَبُ يَظْهَرُ فِي وَجْهِ
أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَيَتَزَايَدُ . حَتَّى ٱنْتَهَيْتُ إِلَى فَرَاغِ ٱلْأُمَوِيِّ مِنَ ٱلصَّلَاةِ
وَٱلْتِفَاتِهِ إِلَيَّ وَسُؤَالِهِ عَنْ سَبَبِ قُدُومِي وَدَفْعِي ٱلْكِتَابَ إِلَيْهِ وَمُبَادَرَتِهِ
إِلَى إِحْضَارِ وَلَدِهِ وَأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَحَلِفِهِ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَتْبَعَهُ أَحَدٌ

وصرفه إياهم ومد رجليه فقيدته . فما زال وجه الرشيد يسفر حتى انتهيت إلى ما خاطبني به عند توبيخي له لما ركبنا في المحمل فقال : صدق والله ما هذا الرجل إلا محسود على النعمة مكذوب عليه . ولعمري لقد أزعجناه وآذيناه وروعنا أهله . فبادر بنزع قيوده وائتني به . (قال) فخرجت ونزعت قيوده وأدخلته إلى الرشيد . فما هو إلا أن رآه حتى رأيت ماء الحياء يجول في وجه الرشيد . فدنا الأموي وسلم بالخلافة ووقف . فرد عليه الرشيد ردا جميلا وأمره بالجلوس . فجلس وأقبل عليه الرشيد فسأله عن حاله . ثم قال له : بلغنا عنك فضل هيئة وأمور أحببنا معها أن نراك ونسمع كلامك ونحسن إليك فاذكر حاجتك . فأجاب الأموي جوابا جميلا وشكر ودعا ثم قال : ليس لي عند أمير المؤمنين إلا حاجة واحدة . فقال : مقضية فما هي . قال : يا أمير المؤمنين تردني إلى بلدي وأهلي وولدي . قال : نفعل ذلك . ولكن سل ما تحتاج إليه في مصالح جاهك ومعاشك فإن مثلك لا يخلو أن يحتاج إلى شيء من هذا . فقال : يا أمير المؤمنين عمالك منصفون وقد استغنيت بعدلهم عن مسألتي . فأموري مستقيمة وكذلك أهل بلدي بالعدل الشامل في ظل أمير المؤمنين . فقال الرشيد : انصرف محفوظا إلى بلدك واكتب إلينا بأمر إن عرض لك . فودعه الأموي . فلما ولى خارجا قال الرشيد : يا منارة احمله من وقتك وسر به راجعا كما جئت به حتى إذا وصلت إلى مجلسه

الذي أخذته منه فودعه وانصرف. قال منارة: فما زلت معه حتى انتهى إلى محله ففرحت به أهله وأعطاني عطاء جزيلا وانصرفت

(للاتليدي)

استقامة رجل اشتكي عليه ظلماً

٣٣١ نقل عن الربيع حاجب أبي جعفر المنصور قال: ما رأيت رجلاً أحضر جناناً ولا أربط جاشاً من رجل سعي به إلى المنصور أن عنده ودائع وأموالاً لبني أمية. فأمرني بإحضاره فأحضرته ودخلت به إليه. فقال له المنصور: قد رفع إلينا خبر الودائع والأموال التي عندك لبني أمية فأخرجها لنا. فقال: يا أمير المؤمنين أوارث أنت لبني أمية. قال: لا. قال: أفأنت لهم وصي. قال: لا. فقال له الرجل: إذاً فما سبب سؤالك عما في يدي من ذلك. فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال للرجل: إن بني أمية ظلموا المسلمين في هذه الأموال وأنا وكيلهم في حقهم فأريد أن آخذ هذه الودائع وأردها إلى بيت المال. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين يلزم في ذلك إقامة البينة العادلة على أن الذي في يدي هو لبني أمية ولنهم قد خانوا به واغتصبوه ظلماً من أموال المسلمين. فإن بني أمية كان لهم أموال غير أموال المسلمين. فعاد المنصور وأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه والتفت إلي وقال لي: يا ربيع ما وجب على الرجل عندنا شيء. ثم إن المنصور التفت إلى الرجل وبشر به

مُبْتَسِماً فِي وَجْهِهِ وَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ فَأَقْضِيَهَا لَكَ . فَقَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ حَاجَتِي أَنْ تُنْفِذَ كِتَابِي عَلَى ٱلْبَرِيدِ إِلَى أَهْلِي فِي ٱلشَّامِ لِيَسْكُنُوا إِلَى سَلَامَتِي فَقَدْ رَاعَهُمْ إِشْخَاصِي مِنْ عِنْدِهِمْ . ثُمَّ أَسْأَلُكَ حَاجَةً أُخْرَى يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ : وَمَا هِيَ . فَقَالَ : أُرِيدُ مِنْ كَرَمِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ سَعَى بِي إِلَيْهِ فَوَٱللهِ مَا عِنْدِي لِبَنِي أُمَيَّةَ شَيْءٌ . وَلَا فِي يَدِي مَالٌ وَلَا وَدِيعَةٌ وَلَا فِي مَعْرِفَتِي أَنَّ لَهُمْ عِنْدَ أَحَدٍ شَيْئاً . وَلٰكِنِّي لَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَسَأَلْتَنِي رَأَيْتُ مَا قُلْتُهُ أَقْرَبَ إِلَى ٱلْخَلَاصِ وَٱلنَّجَاةِ . فَٱلْتَفَتَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْمَنْصُورُ إِلَيَّ وَقَالَ لِي : يَا رَبِيعُ ٱجْمَعْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ سَعَى بِهِ . قَالَ ٱلرَّبِيعُ : فَأَخَذْتُ ٱلرَّجُلَ وَجَمَعْتُهُ بِٱلَّذِي سَعَى بِهِ . فَحِينَ رَآهُ ٱلرَّجُلُ قَالَ : هٰذَا غُلَامِي ضَرَبَ عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ مِنْ مَالِي وَأَبَقَ بِهَا مِنِّي . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْمَنْصُورُ ذٰلِكَ هَدَّدَهُ وَشَدَّدَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ بِتَعْذِيبِهِ . فَأَقَرَّ عِنْدَ ذٰلِكَ ٱلْغُلَامُ بِصِدْقِ كَلَامِ ٱلرَّجُلِ وَأَنَّهُ غُلَامُهُ . وَأَنَّهُ أَخَذَ ٱلْمَالَ ٱلَّذِي ذَكَرَهُ مَوْلَاهُ وَأَبَقَ بِهِ . وَسَعَى بِمَوْلَاهُ لِيَجْرِيَ عَلَيْهِ أَمْرُ ٱللهِ وَيَسْلَمَ هُوَ مِنَ ٱلْوُقُوعِ فِي يَدِهِ . فَٱلْتَفَتَ ٱلْمَنْصُورُ إِلَى ٱلرَّجُلِ وَقَالَ : نَسْأَلُكَ ٱلصَّفْحَ عَنْهُ . فَقَالَ ٱلرَّجُلُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ صَفَحْتُ عَنْ جُرْمِهِ وَأَبْرَأْتُ ذِمَّتَهُ مِنَ ٱلْمَالِ وَأَعْطَيْتُهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ أُخْرَى . فَقَالَ ٱلْمَنْصُورُ : مَا عَلَى مَا فَعَلْتَ مِنَ ٱلْكَرَمِ مَزِيدٌ . فَقَالَ : بَلَى يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ هُوَ كَلَامُكَ لِي وَعَفْوُكَ عَنِّي . ثُمَّ ٱسْتَأْذَنَ

وَٱنصرَفَ . وَكَانَ ٱلْمَنصُورُ بَعدَ ذٰلِكَ يَذكُرُهُ يَتَعجَّبُ وَيَقُولُ لِي : مَا رَأَيتُ قَطُّ مِثلَ هٰذَا ٱلرَّجُلِ يَا رَبِيعُ (للاتليدي)

غيلان بن سلمة عند كسرى

٣٣٢ خَرَجَ أَبُو سُفيَانَ فِي جَمَاعَةٍ مِن قُرَيشٍ يُرِيدُونَ ٱلعِرَاقَ بِتِجَارَةٍ . فَلَمَّا سَارُوا ثَلَاثًا جَمَعَهُم أَبُو سُفيَانَ فَقَالَ لَهُم : إِنَّا مِن مَسِيرِنَا هٰذَا لَعَلَى خَطَرٍ مَا . قُدُومُنَا عَلَى مَلِكٍ جَبَّارٍ لَم يَأذَنْ لَنَا فِي ٱلقُدُومِ عَلَيهِ وَلَيسَت بِلَادُهُ لَنَا بِمَتجَرٍ . وَلٰكِن أَيُّكُم يَذهَبُ بِٱلعِيرِ فَإِن أُصِيبَ فَنَحنُ بُرَآءُ مِن دَمِهِ وَإِن غَنِمَ فَلَهُ نِصفُ ٱلرِّبحِ . فَقَالَ غَيلَانُ بنُ سَلَمَةَ : دَعُونِي إِذًا فَأَنَا لَهَا ... فَلَمَّا قَدِمَ بِلَادَ كِسرَى تَخَلَّقَ وَلَبِسَ ثَوبَينِ أَصفَرَينِ . وَشَهَرَ أَمرَهُ وَجَلَسَ بِبَابِ كِسرَى حَتَّى أَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ عَلَيهِ وَبَينَهُمَا شُبَّاكٌ مِن ذَهَبٍ . فَخَرَجَ إِلَيهِ ٱلتَّرجُمَانُ وَقَالَ لَهُ : يَقُولُ لَكَ ٱلمَلِكُ : مَا أَدخَلَكَ بِلَادِي بِغَيرِ إِذنِي . فَقَالَ : قُل لَهُ : لَستُ مِن أَهلِ عَدَاوَةٍ لَكَ وَلَا أَتَيتُكَ جَاسُوسًا لِضِدٍّ مِن أَضدَادِكَ . وَإِنَّمَا جِئتُ بِتِجَارَةٍ تَستَمتِعُ بِهَا . فَإِن أَرَدتَهَا فَهِيَ لَكَ . وَإِن لَم تُرِدهَا وَأَذِنتَ فِي بَيعِهَا لِرَعِيَّتِكَ بِعتُهَا . وَإِن لَم تَأذَن فِي ذٰلِكَ رَدَدتُهَا . (قَالَ) فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ فَإِذ سَمِعَ صَوتَ كِسرَى سَجَدَ . فَقَالَ لَهُ ٱلتَّرجُمَانُ : يَقُولُ لَكَ ٱلمَلِكُ . لِمَ سَجَدتَ . فَقَالَ : سَمِعتُ صَوتًا عَالِيًا حَيثُ لَا يَنبَغِي لِأَحَدٍ أَن يَعلُوَ صَوتُهُ إِجلَالًا لِلمَلِكِ فَعَلِمتُ أَنَّهُ لَم يُقدِم عَلَى رَفعِ ٱلصَّوتِ هُنَاكَ غَيرُ ٱلمَلِكِ فَسَجَدتُ إِعظَامًا لَهُ . (قَالَ) فَٱستَحسَنَ كِسرَى مَا فَعَلَ وَأَمَرَ لَهُ بِمِرفَقَةٍ

تُوضَعُ تَحْتَهُ . فَلَمَّا أُتِيَ بِهَا رَأَى عَلَيْهَا صُورَةَ ٱلْمَلِكِ فَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِهِ فَٱسْتَجْهَلَهُ كِسْرَى وَٱسْتَحْمَقَهُ . وَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ : قُلْ لَهُ : إِنَّمَا بَعَثْنَا بِهٰذِهِ لِتَجْلِسَ عَلَيْهَا . قَالَ : قَدْ عَلِمْتُ وَلٰكِنِّي لَمَّا أُتِيتُ بِهَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا صُورَةَ ٱلْمَلِكِ فَلَمْ يَكُنْ حَقُّ صُورَتِهِ عَلَى مِثْلِي أَنْ أَجْلِسَ عَلَيْهَا . وَلٰكِنْ كَانَ حَقُّهَا ٱلتَّعْظِيمَ فَوَضَعْتُهَا عَلَى رَأْسِي لِأَنَّهُ أَشْرَفُ أَعْضَائِي وَأَكْرَمُهَا عَلَيَّ . فَٱسْتَحْسَنَ فِعْلَهُ جِدًّا . ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَلَكَ وَلَدٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَيُّهُمْ أَحَبُّ إِلَيْكَ . قَالَ : ٱلصَّغِيرُ حَتَّى يَكْبُرَ . وَٱلْمَرِيضُ حَتَّى يَبْرَأَ . وَٱلْغَائِبُ حَتَّى يَؤُوبَ . فَقَالَ كِسْرَى : زِهْ . مَا أَدْخَلَكَ عَلَيَّ وَدَلَّكَ عَلَى هٰذَا ٱلْقَوْلِ وَٱلْفِعْلِ إِلَّا حَظُّكَ . فَهٰذَا فِعْلُ ٱلْحُكَمَاءِ وَكَلَامُهُمْ وَأَنْتَ مِنْ قَوْمٍ جُفَاةٍ لَا حِكْمَةَ فِيهِمْ . فَمَا غِذَاؤُكَ . قَالَ : خُبْزُ ٱلْبُرِّ . قَالَ : هٰذَا ٱلْعَقْلُ مِنَ ٱلْبُرِّ لَا مِنَ ٱللَّبَنِ وَٱلتَّمْرِ . ثُمَّ ٱشْتَرَى مِنْهُ ٱلتِّجَارَةَ بِأَضْعَافِ ثَمَنِهَا وَكَسَاهُ وَبَعَثَ مَعَهُ مِنَ ٱلْفُرْسِ مَنْ بَنَى لَهُ أُطُمًا بِٱلطَّائِفِ فَكَانَ أَوَّلَ أُطُمٍ بُنِيَ بِهَا (للاصبهاني)

المأمون وراثي البرامكة

٣٣٣ قَالَ خَادِمُ ٱلْمَأْمُونِ : طَلَبَنِي أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَيْلَةً وَقَدْ مَضَى مِنَ ٱللَّيْلِ ثُلُثُهُ . فَقَالَ لِي : خُذْ مَعَكَ فُلَانًا وَفُلَانًا وَسَمَّاهُمَا لِي أَحَدُهُمَا عَلِيُّ ٱبْنُ مُحَمَّدٍ وَٱلْآخَرُ دِينَارٌ ٱلْخَادِمُ . وَٱذْهَبْ مُسْرِعًا لِمَا أَقُولُ لَكَ . فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ شَيْخًا يَحْضُرُ لَيْلًا إِلَى آثَارِ دُورِ ٱلْبَرَامِكَةِ وَيُنْشِدُ شِعْرًا وَيَذْكُرُهُمْ ذِكْرًا كَثِيرًا وَيَنْدُبُهُمْ وَيَبْكِي عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَنْصَرِفُ . فَٱمْضِ أَنْتَ وَعَلِيٌّ

ودينار حتى تردوا تلك الخرابات فاستتروا خلف بعض الجدر . فإذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد أبياتا فأتوني به . (قال) فأخذتهما ومضينا حتى أتينا الخرابات فإذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسي جديد . وإذا شيخ قد جاء وله جمال وعليه مهابة ولطف فجلس على الكرسي وجعل يبكي وينتحب ويقول هذه الأبيات :

ولما رأيت السيف جندل جعفرا ونادى مناد للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تأسفي عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع أبيات أطالها . فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له : أجب أمير المؤمنين . ففزع فزعا شديدا وقال : دعوني حتى أوصي بوصية فإني لا أوقن بعدها بحياة . ثم تقدم إلى بعض الدكاكين فاستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية وسلمها إلى غلامه . ثم سرنا به فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين فقال حين رآه : من أنت وبم استوجبت منك البرامكة ما تفعله في خرائب دورهم . قال الشيخ : يا أمير المؤمنين إن للبرامكة أيادي خطيرة عندي أفتأذن لي أن أحدثك بحالي معهم . قال : قل . فقال : يا أمير المؤمنين أنا المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك . وقد زالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال . فلما ركبني الدين واحتجت إلى بيع مسقط رأسي ورؤوس أهلي وبيتي الذي ولدت فيه أشاروا علي بالخروج إلى البرامكة فخرجت من

دِمشق ومعي نيفٌ وثلاثون رجلاً من أهلي وولدي وليس معنا ما يُباع ولا ما يوهب . حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد . فدعوتُ ببعض ثيابٍ كنتُ أعددتُها لأستترَ بها فلبستُها وخرجتُ . وتركتُهم جياعاً لا شيءَ عندهم . ودخلتُ شوارعَ بغداد سائلاً عن البرامكة . فإذا أنا بمسجدٍ مزخرفٍ وفي جانبه شيخٌ بأحسنِ زيٍّ وزينةٍ . وعلى الباب خادمانِ وفي الجامع جماعةٌ جلوسٌ . فطمعتُ في القوم ودخلتُ المسجد وجلستُ بين أيديهم . وأنا أقدّمُ رِجلاً وأؤخّرُ أخرى . والعرقُ يسيلُ مني لأنها لم تكنْ صناعتي . وإذا الخادمُ قد أقبلَ ودعا القومَ فقاموا وأنا معهم . فدخلوا دارَ يحيى بنِ خالدٍ فدخلتُ معهم وإذا بيحيى جالسٌ على دكّةٍ له وسطَ بستانٍ . فسلّمنا وهو يعدُّنا مائةً وواحداً . وبين يديه عشرةٌ من ولده . وإذا بمائةٍ واثنا عشرَ خادماً قد أقبلوا ومع كلِّ خادمٍ صينيةٌ من فضةٍ على كلِّ صينيةٍ ألفُ دينارٍ . فوضعوا بين يدي كلِّ رجلٍ منا صينيةً . فرأيتُ القاضيَ والمشايخَ يصبّون الدنانيرَ في أكمامهم ويجعلون الصواني تحتَ آباطهم ويقوم الأولُ فالأولُ حتى بقيتُ وحدي لا أجسرُ على أخذِ الصينيةِ . فغمزني الخادمُ فجسرتُ وأخذتُها وجعلتُ الذهبَ في كمّي والصينيةَ في يدي . وقمتُ وجعلتُ ألتفتُ إلى ورائي مخافةَ أن أُمنعَ من الذهابِ . فوصلتُ وأنا كذلك إلى صحنِ الدارِ ويحيى يلاحظني . فقال للخادم : ائتني بهذا الرجلِ .

فَأَتَى بِي. فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ تَتَلَفَّتُ يَمِينًا وَشِمَالًا. فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّتِي. فَقَالَ لِلْخَادِمِ: اِئْتِنِي بِوَلَدِي مُوسَى. فَأَتَاهُ بِهِ. فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ هٰذَا رَجُلٌ غَرِيبٌ فَخُذْهُ إِلَيْكَ وَاحْفَظْهُ بِنَفْسِكَ وَنِعْمَتِكَ. فَقَبَضَ مُوسَى وَلَدُهُ عَلَى يَدِي وَأَدْخَلَنِي إِلَى دَارٍ مِنْ دُورِهِ. فَأَكْرَمَنِي غَايَةَ الْإِكْرَامِ وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ يَوْمِي وَلَيْلَتِي فِي أَلَذِّ عَيْشٍ وَأَتَمِّ سُرُورٍ. فَلَمَّا أَصْبَحَ دَعَا بِأَخِيهِ الْعَبَّاسِ وَقَالَ لَهُ: الْوَزِيرُ أَمَرَنِي بِالْعَطْفِ عَلَى هٰذَا الْفَتَى وَقَدْ عَلِمْتَ اشْتِغَالِي فِي بَيْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَاقْبِضْهُ إِلَيْكَ وَأَكْرِمْهُ. فَفَعَلَ ذٰلِكَ وَأَكْرَمَنِي غَايَةَ الْإِكْرَامِ. ثُمَّ لَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ تَسَلَّمَنِي أَخُوهُ أَحْمَدُ. ثُمَّ لَمْ أَزَلْ فِي أَيْدِي الْقَوْمِ يَتَدَاوَلُونَنِي عَلَى مُدَّةِ عَشَرَةِ أَيَّامٍ لَا أَعْرِفُ خَبَرَ عِيَالِي وَصِبْيَانِي أَفِي الْأَمْوَاتِ هُمْ أَمْ فِي الْأَحْيَاءِ. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الْحَادِي عَشَرَ جَاءَنِي خَادِمٌ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْخَدَمِ. فَقَالُوا: قُمْ فَاخْرُجْ إِلَى عِيَالِكَ بِسَلَامٍ. فَقُلْتُ: وَاوَيْلَاهُ سُلِبَتِ الدَّنَانِيرُ وَالصِّينِيَّةُ وَأَخْرُجُ عَلَى هٰذِهِ الْحَالَةِ. إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. فَرَفَعَ السِّتْرَ الْأَوَّلَ ثُمَّ الثَّانِيَ ثُمَّ الثَّالِثَ ثُمَّ الرَّابِعَ. فَلَمَّا رَفَعَ الْخَادِمُ السِّتْرَ الْأَخِيرَ. قَالَ لِي: مَهْمَا كَانَ لَكَ مِنَ الْحَوَائِجِ فَارْفَعْهَا إِلَيَّ. فَإِنِّي مَأْمُورٌ بِقَضَاءِ جَمِيعِ مَا تَأْمُرُنِي بِهِ. فَلَمَّا رَفَعَ السِّتْرَ الْأَخِيرَ رَأَيْتُ حُجْرَةً كَالشَّمْسِ حُسْنًا وَنُورًا. وَاسْتَقْبَلَنِي مِنْهَا رَائِحَةُ النَّدِّ وَالْعُودِ وَنَفَحَاتُ الْمِسْكِ. وَإِذَا بِصِبْيَانِي وَعِيَالِي يَتَقَلَّبُونَ فِي الْحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ وَحُمِلَ إِلَيَّ أَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَعَشَرَةُ آلَافِ دِينَارٍ. وَمَنْشُورًا بِضَيْعَتَيْنِ.

وَتِلْكَ ٱلصِّينِيَّةُ ٱلَّتِي كُنْتُ أَخَذْتُهَا بِمَا فِيهَا مِنَ ٱلدَّنَانِيرِ وَٱلْبَنَادِقِ. وَأَقَمْتُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَعَ ٱلْبَرَامِكَةِ فِي دُورِهِمْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً لَا يَعْلَمُ ٱلنَّاسُ أَمِنَ ٱلْبَرَامِكَةِ أَنَا أَمْ رَجُلٌ غَرِيبٌ. فَلَمَّا جَاءَتْهُمُ ٱلْبَلِيَّةُ وَنَزَلَ بِهِمْ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنَ ٱلرَّشِيدِ مَا نَزَلَ أَجْحَفَنِي عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ وَأَلْزَمَنِي فِي هَاتَيْنِ ٱلضَّيْعَتَيْنِ مِنَ ٱلْخَرَاجِ مَا لَا يَفِي دَخْلُهُمَا بِهِ. فَلَمَّا تَحَامَلَ عَلَيَّ ٱلدَّهْرُ كُنْتُ فِي آخِرِ ٱللَّيْلِ أَقْصِدُ خَرَابَاتِ دُورِهِمْ فَأَنْدُبُهُمْ وَأَذْكُرُ حُسْنَ صُنْعِهِمْ إِلَيَّ وَأَبْكِي عَلَى إِحْسَانِهِمْ. فَقَالَ ٱلْمَأْمُونُ: عَلَيَّ بِعَمْرِو بْنِ مَسْعَدَةَ. فَلَمَّا أُتِيَ بِهِ قَالَ لَهُ: تَعْرِفُ هٰذَا ٱلرَّجُلَ. قَالَ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ هُوَ بَعْضُ صَنَائِعِ ٱلْبَرَامِكَةِ. قَالَ: كَمْ أَلْزَمْتَهُ فِي ضَيْعَتِهِ. قَالَ: كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ لَهُ: رُدَّ إِلَيْهِ كُلَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنْهُ فِي مُدَّتِهِ وَأَفْرِغْهُمَا لَهُ لِيَكُونَا لَهُ وَلِعَقِبِهِ مِنْ بَعْدِهِ. (قَالَ) فَعَلَا نَحِيبُ ٱلرَّجُلِ. فَلَمَّا رَأَى ٱلْمَأْمُونُ كَثْرَةَ بُكَائِهِ قَالَ لَهُ: يَا هٰذَا قَدْ أَحْسَنَّا إِلَيْكَ فَمَا يُبْكِيكَ. قَالَ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَهٰذَا أَيْضًا مِنْ صَنِيعِ ٱلْبَرَامِكَةِ. لَوْ لَمْ آتِ خَرَابَاتِهِمْ فَأَبْكِيَهُمْ وَأَنْدُبَهُمْ حَتَّى ٱتَّصَلَ خَبَرِي إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَفَعَلَ بِي مَا فَعَلَ مِنْ أَيْنَ كُنْتُ أَصِلُ إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ. قَالَ إِبْرٰهِيمُ بْنُ مَيْمُونٍ: فَرَأَيْتُ ٱلْمَأْمُونَ وَقَدْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَظَهَرَ عَلَيْهِ حُزْنُهُ وَقَالَ: لَعَمْرِي هٰذَا مِنْ صَنَائِعِ ٱلْبَرَامِكَةِ فَعَلَيْهِمْ فَٱبْكِ وَإِيَّاهُمْ فَٱشْكُرْ وَلَهُمْ فَأَوْفِ وَلِإِحْسَانِهِمْ فَٱذْكُرْ (للاتليدي)

البابُ العاشر
في الفكاهاتِ

٣٣٤ قرعَ قومٌ على الجاحظِ البابَ فخرجَ صبيٌّ له . فسألوهُ ما يصنعُ .
فقالَ : هوَذا يكذبُ على اللهِ . قيلَ : كيفَ . قالَ : نظرَ في المرآةِ
فقالَ : الحمدُ للهِ الذي خلقَني فأحسنَ صورتي (لكمال الدين الحلبي)

٣٣٥ تحاكمَ إلى أبي يوسفَ القاضي الرشيدُ وزبيدةُ في الفالوذجِ
واللوزينجِ أيُّهما أطيبُ . فقالَ : أنا لا أحكمُ على الغائبِ . فأمرَ
باتّخاذِهما وتقديمِهما إليهِ . فجعلَ يأكلُ من هذا مرّةً ومن ذاكَ أخرى
حتّى نصفَ الجامَ . ثمَّ قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ما رأيتُ أعدلَ منهما
كلّما أردتُ أن أسجّلَ لأحدِهما أدلى الآخرُ بحجّتهِ (للابشيهي)

العائد والمريض

٣٣٦ مرضَ صديقٌ لحامدِ بنِ العبّاسِ فأرادَ أن ينفذَ إليهِ ابنهُ
يعودُهُ . فأوصاهُ وقالَ : إذا دخلتَ فاجلسْ في أرفعِ الموضعِ وقلْ
للمريضِ : ما تشكو . فإذا قالَ : كذا وكذا فقلْ : سليمٌ إنْ شاءَ اللهُ .
وقلْ لهُ : ما يجيئُكَ منَ الأطبّاءِ . فإذا قالَ : فلانٌ . فقلْ : مباركٌ
ميمونٌ . وقلْ لهُ : ما غذاؤكَ . فإذا قالَ : كذا وكذا . فقلْ طعامٌ محمودٌ .
فذهبَ الابنُ فدخلَ على العليلِ . وكانتْ بينَ يديهِ منارةٌ فجلسَ
عليها لارتفاعِها . فسقطتْ على صدرِ العليلِ فأوجعتهُ . ثمَّ جلسَ فقالَ

للعليل : ما تشكو . فقال بضجرة : أشكو علة الموت . فقال : سليم إن شاء الله . قال : فمن يجيئك من الأطباء . قال : ملك الموت . قال : مبارك ميمون . قال : فما غذاؤك . فقال : سم الموت . قال : طعام طيب محمود (لكمال الدين الحلبي)

الطبخ للفضل

٣٣٧ من ظريف ما اتفق لأبي الرقعمق قال : كان لي إخوان أربعة وكنت أنادمهم في أيام الأستاذ كافور . فأتى إلي رسولهم في يوم بارد وليست لي كسوة تحصنني من البرد . فقال الرسول : إخوانك يقرأون عليك السلام ويقولون لك : اصطبحنا اليوم وذبحنا شاة سمينة فاشته ما نطبخه لك وأتنا عاجلًا . فكتبت إليهم :

إخواننا قصدوا الصبوح بسحرة ... فأتى رسولهم إلي خصيصا
قالوا اقترح شيئًا نجد لك طبخه ... قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

فذهب الرسول إليهم بالرقعة . فما شعرت حتى عاد ومعه أربع خلع وأربع صرر في كل صرة عشرة دنانير فلبست إحداها وسرت إليهم

٣٣٨ وحكي أنه أتي برجل مدني سكران إلى بعض الولاة فأمر بإقامة الحد عليه . وكان الرجل طويلًا والجلاد قصيرًا فلم يتمكن من ضربه . فقال الجلاد : تقاصر لينالك الضرب . فقال له : ويلك إلى أكل الفالوذج تدعوني . ولقد وددت لو أني أطول من عوج

ٱبْنِ عَنَقٍ وَأَنتَ أَقصَرُ مِن يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ (للنواجي)

الاعرابي وجرو الذئب

٣٣٩ حُكِيَ أَنَّ أَعرَابِيًّا أَخَذَ جِروَ ذِئبٍ فَرَبَّاهُ بِلَبَنِ شَاةٍ فَقَالَ: إِذَا رَبَّيتُهُ مَعَ ٱلشَّاةِ يَأنَسُ بِهَا فَيَذُبُّ عَنهَا وَيَكُونُ أَشَدَّ مِنَ ٱلكَلبِ. فَلَا يَعرِفُ طَبعَ أَجنَاسِهِ. فَلَمَّا قَوِيَ وَثَبَ عَلَى شَاتِهِ فَٱفتَرَسَهَا. فَقَالَ ٱلأَعرَابِيُّ:

بَقَرتَ شُوَيهَتِي وَفَجَعتَ قَلبِي وَأَنتَ لِشَاتِنَا وَلَدٌ رَبِيبُ
غُذِيتَ بِدَرِّهَا وَرَبِيتَ فِينَا فَمَن أَنبَاكَ أَنَّ أَبَاكَ ذِيبُ

عدل غريب

٣٤٠ جَاءَتِ ٱمرَأَةٌ إِلَى قَاضٍ فَقَالَت: مَاتَ زَوجِي وَتَرَكَ أَبَوَيهِ وَوَلَدًا وَٱمرَأَةً وَأَهلًا وَلَهُ مَالٌ. فَقَالَ: لِأَبَوَيهِ ٱلثُّكلُ. وَلِوَلَدِهِ ٱليُتمُ. وَلِٱمرَأَتِهِ ٱلخَلَفُ. وَلِأَهلِهِ ٱلقِلَّةُ وَٱلذِّلَّةُ. وَٱلمَالُ يُحمَلُ إِلَينَا حَتَّى لَا يَقَعَ فِيهِ بَينَكُم خُصُومَةٌ (للثعالبي)

ابو دلامة وابن سليمان في الصيد

٣٤١ رُوِيَ أَنَّ أَبَا دُلَامَةَ كَانَ مُنحَرِفًا عَلَى عَلِيِّ بنِ سُلَيمَانَ فَٱتَّفَقَ أَن خَرَجَ ٱلمَهدِيُّ إِلَى ٱلصَّيدِ وَمَعَهُ عَلِيٌّ وَأَبُو دُلَامَةَ. فَرَمَى ٱلمَهدِيُّ ظَبيًا عَنَّ لَهُ فَأَنفَذَ مَقَاتِلَهُ. وَرَمَى عَلِيُّ بنُ سُلَيمَانَ فَٱصطَادَ كَلبًا مِن كِلَابِ ٱلصَّيدِ فَٱرتَجَلَ أَبُو دُلَامَةَ:

قَد رَمَى ٱلمَهدِيُّ ظَبيًا شَكَّ بِٱلسَّهمِ فُؤَادَه

وَعَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَا نَ رَمَى كَلْبًا فَصَادَهُ
فَهَنِيئًا لَهُمَا كُلُّ فَتًى يَأْكُلُ زَادَهُ

فَضَحِكَ ٱلْمَهْدِيُّ حَتَّى كَادَ يَسْقُطُ (بدائع البدائه للازدي)

٣٤٢ يُحْكَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا ٱسْتَضَافَ حَاتِمًا فَلَمْ يَنْزِلْهُ. فَبَاتَ جَائِعًا مَقْرُورًا. فَلَمَّا كَانَ فِي ٱلسَّحَرِ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَٱنْصَرَفَ. فَتَقَدَّمَهُ حَاتِمٌ. فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ بَيْنِ ٱلْبُيُوتِ لَقِيَهُ مُتَنَكِّرًا فَقَالَ لَهُ: مَنْ كَانَ أَبَا مَثْوَاكَ ٱلْبَارِحَةَ. قَالَ: حَاتِمٌ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ مَبِيتُكَ عِنْدَهُ. قَالَ: خَيْرَ مَبِيتٍ. نَحَرَ لِي نَاقَةً فَأَطْعَمَنِي لَحْمًا عَبِيطًا وَأَسْقَانِي ٱلْخَمْرَ. وَعَلَفَ رَاحِلَتِي وَسِرْتُ مِنْ عِنْدِهِ بِخَيْرِ حَالٍ. فَقَالَ لَهُ: أَنَا حَاتِمٌ. وَإِنَّكَ لَا تَبْرَحُ حَتَّى تَرَى مَا وَصَفْتَ فَرَدَّهُ وَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى ٱلْكَذِبِ. فَقَالَ لَهُ ٱلْأَعْرَابِيُّ: إِنَّ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمْ يُثْنُونَ عَلَيْكَ بِٱلْجُودِ. وَلَوْ ذَكَرْتُ شَرًّا كُنْتُ أَكْذَبَ. فَرَجَعْتُ مُضْطَرًّا إِلَى قَوْلِهِمْ إِبْقَاءً عَلَى نَفْسِي لَا عَلَيْكَ (للشريشي)

الفتى والحمار

٣٤٣ قِيلَ مَضَى فَتًى فِي طَرِيقٍ عَلَى حِمَارٍ لَهُ حَتَّى أَمْسَى فَنَزَلَ فِي مَنْزِلٍ بِٱلطَّرِيقِ. وَإِذَا بِرَجُلٍ قَدْ أَقْبَلَ عَلَى مُهْرٍ فَٱسْتَقْبَلَهُ ٱلْفَتَى وَحَيَّاهُ فَأَنِسَ بِهِ. وَجَلَسَا يَتَحَادَثَانِ بُرْهَةً فَٱسْتَلْطَفَهُ ٱلرَّجُلُ. ثُمَّ دَعَا بِطَعَامٍ فَحَضَرَ. وَدَعَا بِعَلَفٍ لِمُهْرِهِ فَقُدِّمَ إِلَيْهِ. وَجَلَسَ يَأْكُلُ وَٱلْفَتَى. وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ نَفَقَةٌ لِعَلَفِ حِمَارِهِ فَنَظَرَ إِلَى ٱلرَّجُلِ وَقَالَ:

يَا سَيِّدِي نَظْمِي يُعَابُ بِنَثْرِكَا فَلِذَاكَ شِعْرِي لَا يُقَاسُ بِشِعْرِكَا
أَوْلَيْتَنِي فَضْلًا وَإِنِّي عَاجِزٌ مَا طَالَ عُمْرِي أَنْ أَقُومَ بِشُكْرِكَا
أَنَا فِي ضِيَافَتِكَ ٱلْعَشِيَّةَ كُلَّهَا فَٱجْعَلْ حِمَارِي فِي ضِيَافَةِ مُهْرِكَا

فَضَحِكَ ٱلرَّجُلُ. وَقَالَ: مَا هِيَ إِلَّا غَفْلَةٌ مِنِّي. وَدَعَا بِعَلَفِ لِلْحِمَارِ كَعَلَفِ ٱلْمُهْرِ فَقَدَّمَ إِلَيْهِ (لابن خلكان)

٣٤٤ قِيلَ لِرَجُلٍ جَبَانٍ فِي بَعْضِ ٱلْوَقَائِعِ: تَقَدَّمْ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

وَقَالُوا تَقَدَّمْ قُلْتُ لَسْتُ بِفَاعِلٍ أَخَافُ عَلَى فَخَّارَتِي أَنْ تُحَطَّمَا
فَلَوْ كَانَ لِي رَأْسَانِ أَتْلَفْتُ وَاحِدًا وَلٰكِنَّهُ رَأْسٌ إِذَا رَاحَ أُعْقِمَا
وَلَوْ كَانَ مُبْتَاعًا لَدَى ٱلسُّوقِ مِثْلُهُ فَعَلْتُ وَلَمْ أَحْفِلْ بِأَنْ أَتَقَدَّمَا
فَأُوتِمَ أَوْلَادًا وَأُرْمِلَ نِسْوَةً فَكَيْفَ عَلَى هٰذَا تَرَوْنَ ٱلتَّقَدُّمَا

ابو دلامة في بيت الدجاج

٣٤٥ كَانَ ٱلْمَهْدِيُّ قَدْ كَسَا أَبَا دُلَامَةَ سَاجًا فَأُخِذَ بِهِ وَهُوَ سَكْرَانُ. فَأُتِيَ بِهِ إِلَى ٱلْمَهْدِيِّ فَأَمَرَ بِتَمْزِيقِ ٱلسَّاجِ عَلَيْهِ وَأَنْ يُحْبَسَ فِي بَيْتِ ٱلدَّجَاجِ. فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ ٱللَّيْلِ وَصَحَا أَبُو دُلَامَةَ مِنْ سُكْرِهِ وَرَأَى نَفْسَهُ بَيْنَ ٱلدَّجَاجِ صَاحَ: يَا صَاحِبَ ٱلْبَيْتِ. فَٱسْتَجَابَ لَهُ ٱلسَّجَّانُ وَقَالَ: مَالَكَ يَا عَدُوَّ ٱللهِ. قَالَ: وَيْلَكَ مَنْ أَدْخَلَنِي مَعَ ٱلدَّجَاجِ. قَالَ: أَعْمَالُكَ ٱلْخَبِيثَةُ. أُتِيَ بِكَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ سَكْرَانُ. فَأَمَرَ بِتَمْزِيقِ سَاجِكَ وَحَبْسِكَ مَعَ ٱلدَّجَاجِ. قَالَ لَهُ: وَيْلَكَ أَرْقِبْ لِي سِرَاجًا وَجِئْنِي بِدَوَاةٍ وَوَرَقٍ. فَكَتَبَ أَبُو دُلَامَةَ إِلَى ٱلْمَهْدِيِّ:

أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَدَتْكَ نَفْسِي ... عَلَامَ حَبَسْتَنِي وَخَرَقْتَ سَاجِي
أُقَادُ إِلَى ٱلسُّجُونِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ... كَأَنِّي بَعْضُ عُمَّالِ ٱلْخَرَاجِ
وَلَوْ مَعَهُمْ حُبِسْتُ لَهَانَ ذَاكُمْ ... وَلٰكِنِّي حُبِسْتُ مَعَ ٱلدَّجَاجِ
دَجَاجَاتٌ يُطِيفُ بِهِنَّ دِيكٌ ... يُنَادِي بِٱلصِّيَاحِ إِذَا يُنَاجِي
وَقَدْ كَانَتْ تُخَبِّرُنِي ذُنُوبِي ... بِأَنِّي مِنْ عَذَابِكَ غَيْرُ نَاجِي
عَلَى أَنِّي وَإِنْ لَاقَيْتُ شَرًّا ... لِخَيْرِكَ بَعْدَ ذَاكَ ٱلشَّرِّ رَاجِي

ثُمَّ قَالَ أَوْصِلْهَا إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِ ٱلسَّجَّانُ. فَلَمَّا قَرَأَهَا أَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ وَأَدْخَلَهُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ بِتَّ ٱللَّيْلَةَ أَبَا دُلَامَةَ. قَالَ: فِي بَيْتِ ٱلدَّجَاجِ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: فَمَا كُنْتَ تَصْنَعُ. قَالَ: كُنْتُ أُقَوْقِي مَعَهُنَّ حَتَّى أَصْبَحْتُ. فَضَحِكَ ٱلْمَهْدِيُّ وَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةٍ جَزِيلَةٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ كُسْوَةً شَرِيفَةً

في أي الاثنين اغلب على الرجل الادب او الطبع

٣٤٦ قِيلَ إِنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ فَارِسَ كَانَ لَهُ وَزِيرٌ حَازِمٌ مُجَرَّبٌ فَكَانَ يَصْدُرُ عَنْ رَأْيِهِ وَيَتَعَرَّفُ ٱلْيُمْنَ فِي مَشُورَتِهِ. ثُمَّ إِنَّهُ هَلَكَ ذٰلِكَ ٱلْمَلِكُ وَقَامَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ فَأُعْجِبَ بِنَفْسِهِ مُسْتَبِدًّا بِرَأْيِهِ وَمَشُورَتِهِ. فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ أَبَاكَ كَانَ لَا يَقْطَعُ أَمْرًا دُونَهُ. فَقَالَ: كَانَ يَغْلَطُ فِيهِ وَسَأَمْتَحِنُهُ بِنَفْسِي. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: أَيُّهُمَا أَغْلَبُ عَلَى ٱلرَّجُلِ ٱلْأَدَبُ أَوِ ٱلطَّبِيعَةُ. فَقَالَ لَهُ ٱلْوَزِيرُ: ٱلطَّبِيعَةُ أَغْلَبُ لِأَنَّهَا أَصْلٌ وَٱلْأَدَبُ فَرْعٌ. وَكُلُّ فَرْعٍ يَرْجِعُ إِلَى أَصْلِهِ. فَدَعَا بِسُفْرَتِهِ فَلَمَّا وُضِعَتْ أَقْبَلَتْ سَنَانِيرُ

(٢٠٩)

بِأَيْدِيهَا ٱلشَّمْعُ فَوَقَفَتْ حَوْلَ ٱلسُّفْرَةِ فَقَالَ لِلْوَزِيرِ: أَعْتَبِرْ خَطَأَكَ وَضَعْفَ مَذْهَبِكَ مَتَى كَانَ أَبُو هٰذِهِ ٱلسَّنَانِيرِ شَمَّاعًا. فَسَكَتَ عَنْهُ ٱلْوَزِيرُ وَقَالَ: أَمْهِلْنِي فِي ٱلْجَوَابِ إِلَى ٱللَّيْلَةِ ٱلْمُقْبِلَةِ. فَقَالَ: ذٰلِكَ لَكَ. فَخَرَجَ ٱلْوَزِيرُ فَدَعَا بِغُلَامٍ لَهُ فَقَالَ: ٱلْتَمِسْ لِي فَأْرًا وَٱرْبُطْهُ فِي خَيْطٍ وَجِئْنِي بِهِ. فَأَتَاهُ بِهِ ٱلْغُلَامُ فَعَقَدَهُ فِي سَبَنِيَّتِهِ وَطَرَحَهُ فِي كُمِّهِ. ثُمَّ رَاحَ مِنَ ٱلْغَدِ إِلَى ٱلْمَلِكِ فَلَمَّا حَضَرَتْ سُفْرَتُهُ أَقْبَلَتِ ٱلسَّنَانِيرُ بِٱلشَّمْعِ حَتَّى حَفَّتْ بِهَا فَحَلَّ ٱلْوَزِيرُ ٱلْفَأْرَ مِنْ سَبَنِيَّتِهِ ثُمَّ أَلْقَاهُ إِلَيْهَا. فَٱسْتَبَقَتِ ٱلسَّنَانِيرُ إِلَيْهِ وَرَمَتْ بِٱلشَّمْعِ حَتَّى كَادَ ٱلْبَيْتُ يَضْطَرِمُ نَارًا. فَقَالَ ٱلْوَزِيرُ: كَيْفَ رَأَيْتَ غَلَبَةَ ٱلطَّبْعِ عَلَى ٱلْأَدَبِ وَرُجُوعَ ٱلْفَرْعِ إِلَى أَصْلِهِ. قَالَ: صَدَقْتَ. وَرَجَعَ إِلَى مَا كَانَ أَبُوهُ عَلَيْهِ مَعَهُ. فَإِنَّمَا مَدَارُ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى طَبْعِهِ وَٱلتَّكَلُّفُ مَذْمُومٌ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ (لابن عبد ربّه)

المستخبر عن وفاة ابيه

٣٤٧ بَيْنَا قَوْمٌ جُلُوسٌ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ يَأْكُلُونَ عِنْدَهُ حِيتَانًا. إِذِ ٱسْتَأْذَنَ عَلَيْهِمْ أَشْعَبُ. فَقَالَ أَحَدُهُمْ: إِنَّ مِنْ شَأْنِ أَشْعَبَ ٱلْبَسْطَ إِلَى أَجَلِّ ٱلطَّعَامِ. فَٱجْعَلُوا كِبَارَ هٰذِهِ ٱلْحِيتَانِ فِي قَصْعَةٍ بِنَاحِيَةٍ وَيَأْكُلُ مَعَنَا ٱلصِّغَارَ. فَفَعَلُوا وَأَذِنَ لَهُ. فَقَالُوا لَهُ: كَيْفَ رَأْيُكَ فِي ٱلْحِيتَانِ. فَقَالَ: إِنَّ لِي عَلَيْهَا لَحَرَدًا شَدِيدًا وَحَنَقًا لِأَنَّ أَبِي مَاتَ فِي ٱلْبَحْرِ وَأَكَلَتْهُ ٱلْحِيتَانُ. قَالُوا لَهُ: فَدُونَكَ خُذْ بِثَأْرِ أَبِيكَ. فَجَلَسَ وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى حُوتٍ مِنْهَا صَغِيرٍ. ثُمَّ وَضَعَهُ عِنْدَ أُذُنِهِ وَقَدْ نَظَرَ إِلَى

ٱلْقَصْعَةِ ٱلَّتِي فِيهَا ٱلْحِيتَانُ فِي زَاوِيَةِ ٱلْمَجْلِسِ فَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ لِي هٰذَا ٱلْحُوتُ. قَالُوا: لَا. قَالَ: إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهُ لَمْ يَحْضُرْ مَوْتَ أَبِي وَلَا أَدْرَكَهُ لِأَنَّ سِنَّهُ يَصْغُرُ عَنْ ذٰلِكَ. وَلٰكِنْ قَالَ لِي: عَلَيْكَ بِتِلْكَ ٱلْكِبَارِ ٱلَّتِي فِي زَاوِيَةِ ٱلْبَيْتِ فَهِيَ أَدْرَكَتْ أَبَاكَ وَأَكَلَتْهُ

لحبّ الايجاز

٣٤٨ اِصْطَحَبَ نَحْوِيٌّ وَرَجُلٌ فِي سَفَرٍ. فَمَرِضَ ٱلنَّحْوِيُّ. وَأَرَادَ ٱلرَّجُلُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى بَلَدِهِ. فَأَرَادَ ٱلنَّحْوِيُّ أَنْ يُحَمِّلَهُ رِسَالَةً إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ لَهُ: قُلْ لِأَهْلِي: لَقَدْ أَصَابَهُ صُدَاعٌ فِي رَاسِهِ. وَبُلِيَ بِوَجَعِ أَضْرَاسِهِ. وَوَقَعَتِ ٱلْحُمْدَةُ فِي أَنْفَاسِهِ. وَقَدْ فَتَرَتْ يَدَاهُ. وَتَوَرَّمَتْ رِجْلَاهُ. وَشَخَصَتْ عَيْنَاهُ. وَٱنْحَلَّتْ رُكْبَتَاهُ. وَأَصَابَهُ وَجَعٌ فِي ظَهْرِهِ. وَضَرَبَانٌ فِي صَدْرِهِ. وَهُزَالٌ فِي طِحَالِهِ. وَتَقَطُّعٌ فِي أَوْصَالِهِ. وَخَفَقَانٌ فِي قَلْبِهِ. وَأَلَمٌ فِي صُلْبِهِ. وَمَاءٌ فِي عَيْنَيْهِ. وَرِيحٌ فِي سَاقَيْهِ. وَٱرْتِخَاءٌ فِي حَنَكِهِ. وَنَبَضَانٌ فِي صُدْغَيْهِ. وَسُكُونٌ فِي نَبْضِهِ مِنْ تَوَاتُرِ غَشَيَانِهِ وَسَكْتَةٌ فِي لِسَانِهِ. فَقَالَ ٱلرَّجُلُ: يَا سَيِّدِي ٱلشَّيْخُ أَنَا أَكْرَهُ أَنْ أُطِيلَ ٱلْكَلَامَ وَلٰكِنْ أَقُولُ لَهُمْ: مَاتَ وَٱلسَّلَامُ

البقرة الغارقة

٣٤٩ حُكِيَ فِي ٱلْإِحْيَاءِ أَنَّ شَخْصًا كَانَ لَهُ بَقَرَةٌ وَكَانَ يَشُوبُ لَبَنَهَا بِٱلْمَاءِ وَيَبِيعُهُ. فَجَاءَ ٱلسَّيْلُ فِي بَعْضِ ٱلْأَوْدِيَةِ وَهِيَ وَاقِفَةٌ تَرْعَى فَمَرَّ عَلَيْهَا فَغَرَّقَهَا. فَجَلَسَ صَاحِبُهَا لِيَنْدُبَهَا. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ بَنِيهِ: يَا أَبَتِ لَا

تَندُبُها فإنَّ ٱلمِياهَ ٱلَّتي كُنَّا نَخلِطُها بِلَبَنِها ٱجتَمَعَت فَغَرَّقَتها (للابشيهي)

السائل والبخيل

٣٥٠ قِيلَ إنَّ سائِلًا أتى إلى بابِ رَجُلٍ مِن أغنِياءِ أصفَهانَ فَسَأَلَ شَيئًا لِلّهِ. فَسَمِعَهُ ٱلرَّجُلُ فَقالَ لِعَبدِهِ: يا مُبارَكُ قُل لِعَنبَرٍ: يَقولُ لِجَوهَرٍ وَجَوهَرٌ يَقولُ لِياقوتٍ وَياقوتٌ يَقولُ لِأَلماسٍ وَأَلماسٌ يَقولُ لِفَيروزٍ وَفَيروزٌ يَقولُ لِمَرجانَ وَمَرجانٌ يَقولُ لِهٰذا ٱلسّائِلِ: يَفتَحُ ٱللهُ عَلَيكَ. فَسَمِعَهُ ٱلسّائِلُ فَرَفَعَ يَدَيهِ إلى ٱلسَّماءِ وَقالَ: يا رَبِّ قُل لِجِبرائيلَ يَقولُ لِميكائيلَ وَميكائيلُ يَقولُ لِدَردائيلَ وَدَردائيلُ يَقولُ لِكَكائيلَ وَكَكائيلُ يَقولُ لِإِسرافيلَ وَإِسرافيلُ يَقولُ لِعَزرائيلَ أَن يَزورَ هٰذا ٱلبَخيلَ. فَخَجِلَ ٱلتّاجِرُ وَمَضى ٱلسّائِلُ لِحالِ سَبيلِهِ (لليمني)

٣٥١ قالَ بَعضُ ٱلشُّعَراءِ يَصِفُ بَخيلًا:

لا يَخرُجُ ٱلزِّئبَقُ مِن كَفِّهِ ... وَلَو ثَقَبناها بِمِسمارِ
يُحاسِبُ ٱلدّيكَ عَلى نَقدِهِ ... وَيَطرُدُ ٱلهِرَّ مِنَ ٱلدّارِ
يَكتُبُ في كُلِّ رَغيفٍ لَهُ ... يَحرُسُكَ ٱللهُ مِنَ ٱلفارِ

٣٥٢ قالَ عَبدُ ٱللهِ بنُ سالِمٍ ٱلخَيّاطُ في رَجُلٍ كَثيرِ ٱلكَلامِ:

لي صاحِبٌ في حَديثِهِ ٱلبَرَكَه ... يَزيدُ عِندَ ٱلسُّكونِ وَٱلحَرَكَه
لَو قالَ لا في قَليلِ أَحرُفِها ... لَرَدَّها بِٱلحُروفِ مُشتَبِكَه

٣٥٣ حَكى دِعبِلٌ قالَ: كُنّا عِندَ سَهلِ بنِ هارونَ يَومًا فَوَجَدناهُ يَتَضَوَّرُ جوعًا. ثُمَّ إنَّهُ نادى غُلامًا لَهُ وَقالَ: وَيحَكَ أَينَ ٱلغَداءُ. فَجاءَ

بِقَصْعَةٍ فِيهَا دِيكٌ مَطْبُوخٌ . فَتَأَمَّلَهُ ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ ٱلرَّأْسُ . فَقَالَ ٱلْغُلَامُ : رَمَيْتُهُ . قَالَ : إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ يَرْمِيَ بِرِجْلِهِ فَكَيْفَ بِرَأْسِهِ . وَيْحَكَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ٱلرَّأْسَ رَئِيسُ ٱلْأَعْضَاءِ وَمِنْهُ يَصْرُخُ ٱلدِّيكُ . وَلَوْلَا صَوْتُهُ مَا أُرِيدَ . وَفِيهِ فَرْقُهُ ٱلَّذِي يُتَبَرَّكُ بِهِ . وَعَيْنُهُ ٱلَّتِي يُضْرَبُ بِهَا ٱلْمَثَلُ . فَيُقَالُ شَرَابٌ كَعَيْنِ ٱلدِّيكِ . وَدِمَاغُهُ مُفِيدٌ لِوَجَعِ ٱلْبَطْنِ . وَلَمْ أَرَ عَظْمًا أَهَشَّ تَحْتَ ٱلْأَسْنَانِ مِنْ عَظْمِ رَأْسِهِ . وَهَبْكَ ظَنَنْتَ أَنِّي لَا آكُلُهُ أَمَا قُلْتَ عِنْدَهُ مَنْ يَأْكُلُهُ . ٱنْظُرْ فِي أَيِّ مَكَانٍ رَمَيْتَهُ فَأْتِنِي بِهِ . فَقَالَ : بِحَيَاتِكَ مَا أَدْرِي أَيْنَ رَمَيْتُهُ . قَالَ : لَكِنِّي أَدْرِي وَأَعْرِفُ . رَمَيْتَهُ فِي بَطْنِكَ ٱللهُ حَسْبُكَ . نَعُوذُ بِٱللهِ مِنَ ٱلْبُخْلِ وَأَهْلِهِ (للقيرواني)

الاصبع المقطوعة

٣٥٤ قَالَ ٱلشَّيْبَانِيُّ : بَلَغَنِي أَنَّ أَعْرَابِيَّيْنِ ظَرِيفَيْنِ مِنْ شَيَاطِينِ ٱلْعَرَبِ حَطَمَتْهُمَا سَنَةٌ فَٱنْحَدَرَا إِلَى ٱلْعِرَاقِ . فَبَيْنَمَا هُمَا يَتَمَاشَيَانِ فِي ٱلسُّوقِ وَٱسْمُ أَحَدِهِمَا خِنْدَانُ إِذَا فَارِسٌ قَدْ أَوْطَأَ دَابَّتَهُ رِجْلَ خِنْدَانَ فَقَطَعَ إِصْبَعًا مِنْ أَصَابِعِهِ . فَتَعَلَّقَا بِهِ حَتَّى أَخَذَا أَرْشَ ٱلْإِصْبَعِ . وَكَانَا جَائِعَيْنِ مَقْرُورَيْنِ . فَلَمَّا صَارَ ٱلْمَالُ بِأَيْدِيهِمَا قَصَدَا إِلَى بَعْضِ ٱلْكَرَاجِ فَٱبْتَاعَا مِنَ ٱلطَّعَامِ مَا ٱشْتَهَيَا . فَلَمَّا شَبِعَ صَاحِبُ خِنْدَانَ أَنْشَأَ يَقُولُ :

فَلَا غَرْثَ مَا دَامَ فِي ٱلنَّاسِ كُرْبَجٌ ... وَمَا بَقِيَتْ فِي رِجْلِ خِنْدَانَ إِصْبَعُ

السفط المقفل

٣٥٥ أُتِيَ ٱلْحَجَّاجُ بِسَفَطٍ قَدْ أُصِيبَ فِي بَعْضِ خَزَائِنِ كِسْرَى مُقْفَلٍ :

فَأَمَرَ بِالْقُفْلِ فَكُسِرَ فَإِذَا فِيهِ سَفَطٌ آخَرُ مُقْفَلٌ . فَقَالَ ٱلْحَجَّاجُ : مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي هٰذَا ٱلسَّفَطَ بِمَا فِيهِ فَتَزَايَدَ فِيهِ أَصْحَابُهُ حَتَّى بَلَغَ خَمْسَةَ آلَافِ دِينَارٍ . فَأَخَذَهُ ٱلْحَجَّاجُ وَنَظَرَ فِيهِ فَقَالَ : مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ فِيهِ إِلَّا حَمَاقَةٌ مِنْ حَمَاقَاتِ ٱلْعَجَمِ . ثُمَّ أَنْفَذَ ٱلْبَيْعَ وَعَزَمَ عَلَى ٱلْمُشْتَرِي أَنْ يَفْتَحَهُ وَيُرِيَهُ مَا فِيهِ . فَفَتَحَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَإِذَا فِيهِ رُقْعَةٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا : مَنْ أَرَادَ أَنْ تَطُولَ لِحْيَتُهُ فَلْيُمَشِّطْهَا مِنْ أَسْفَلَ (لابن عبد ربه)

٣٥٦ دَخَلَ بَشَّارٌ ٱلضَّرِيرُ عَلَى ٱلْمَهْدِيِّ وَعِنْدَهُ خَالُهُ يَزِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ ٱلْحِمْيَرِيُّ فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً يَمْدَحُهُ بِهَا . فَلَمَّا أَتَمَّهَا قَالَ لَهُ يَزِيدُ : مَا صِنَاعَتُكَ أَيُّهَا ٱلشَّيْخُ . فَقَالَ لَهُ : أَثْقُبُ ٱللُّؤْلُؤَ . فَقَالَ لَهُ ٱلْمَهْدِيُّ : أَتَهْزَأُ بِخَالِي . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَا يَكُونُ جَوَابِي لَهُ وَهُوَ يَرَانِي شَيْخًا أَعْمَى أُنْشِدُ شِعْرًا . فَضَحِكَ ٱلْمَهْدِيُّ وَأَجَازَهُ

٣٥٧ كَانَ أَبُو ٱلشَّمَقْمَقِ ٱلشَّاعِرُ ٱلظَّرِيفُ ٱلْمَشْهُورُ قَدْ لَزِمَ بَيْتَهُ لِأَطْمَارٍ رَثَّةٍ كَانَ يَسْتَحِي أَنْ يَخْرُجَ بِهَا إِلَى ٱلنَّاسِ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ إِخْوَانِهِ يُسَلِّيهِ عَمَّا رَأَى مِنْ سُوءِ حَالِهِ : أَبْشِرْ يَا أَبَا ٱلشَّمَقْمَقِ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ ٱلْعَارِينَ فِي ٱلدُّنْيَا هُمُ ٱلْكَاسُونَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ . فَقَالَ لَهُ : إِنْ كَانَ ذٰلِكَ حَقًّا فَإِنِّي لَأَكُونَنَّ بَزَّازًا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ (لبهاء الدين)

٣٥٨ قَالَ ٱبْنُ سُكَّرَةَ ٱلْهَاشِمِيُّ فِي صَاحِبٍ يُعْرَفُ بِٱبْنِ ٱلْبُرْغُوثِ :

بُلِيتُ وَلَا أَقُولُ بِمَنْ لِأَنِّي ... مَتَى مَا قُلْتُ مَنْ هُوَ يَصْحَبُوهُ
خَلِيلٌ قَدْ نَفَى عَنِّي رُقَادِي ... فَإِنْ أَغْمَضْتُ أَيْقَظَنِي أَبُوهُ

الحمار المحبوس

٣٥٩ كَانَ عَلَى ٱلْمَدِينَةِ طَائِفٌ يُقَالُ لَهُ صَفْوَانُ . فَجَاءَ ٱلْحَزِينُ ٱلدِّيلِيُّ إِلَى شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ فَٱسْتَعَارَهُ حِمَارَهُ وَذَهَبَ إِلَى ٱلْعَقِيقِ فَشَرِبَ . وَأَقْبَلَ عَلَى ٱلْحِمَارِ وَقَدْ سَكِرَ . فَجَاءَ ٱلْحِمَارُ حَتَّى وَقَفَ بِهِ عَلَى بَابِ ٱلْمَسْجِدِ كَمَا كَانَ صَاحِبُهُ عَوَّدَهُ إِيَّاهُ . فَمَرَّ بِهِ صَفْوَانُ فَأَخَذَهُ فَحَبَسَهُ وَحَبَسَ ٱلْحِمَارَ فَأَصْبَحَ ٱلْحِمَارُ مَحْبُوسًا مَعَهُ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَيَا أَهْلَ ٱلْمَدِينَةِ خَبِّرُونِي ... بِأَيِّ جَرِيرَةٍ حُبِسَ ٱلْحِمَارُ

فَمَا لِلْعَيْرِ مِنْ جُرْمٍ إِلَيْكُمْ ... وَمَا بِٱلْعَيْرِ إِنْ ظُلِمَ ٱنْتِصَارُ

فَرَدُّوا ٱلْحِمَارَ عَلَى صَاحِبِهِ وَضَرَبُوا ٱلْحَزِينَ ٱلْحَدَّ (الاغاني)

البرهان القاطع

٣٦٠ إِدَّعَى رَجُلٌ فِي أَيَّامِ ٱلْمَأْمُونِ أَنَّهُ إِبْرٰهِيمُ ٱلْخَلِيلُ . فَقَالَ لَهُ ٱلْمَأْمُونُ : إِنَّ مُعْجِزَةَ ٱلْخَلِيلِ ٱلْإِلْقَاءُ فِي ٱلنَّارِ . فَنَحْنُ نُلْقِيكَ فِيهَا لِنَرَى حَالَكَ . قَالَ : أُرِيدُ وَاحِدَةً أَخَفَّ مِنْ هٰذِهِ . قَالَ : فَبُرْهَانُ مُوسَى إِذْ أَلْقَى ٱلْعَصَا فَصَارَتْ ثُعْبَانًا . قَالَ : هٰذِهِ أَصْعَبُ عَلَيَّ مِنَ ٱلْأُولَى . قَالَ : فَبُرْهَانُ عِيسَى وَهُوَ إِحْيَاءُ ٱلْمَوْتَى . قَالَ : مَكَانَكَ وَصَلْتَ . أَنَا أَضْرِبُ رَقَبَةَ ٱلْقَاضِي يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ وَأُحْيِيهِ لَكُمْ فِي هٰذِهِ ٱلسَّاعَةِ . فَقَالَ يَحْيَى : أَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِكَ وَصَدَّقَ . فَضَحِكَ ٱلْمَأْمُونُ وَأَعْطَاهُ جَائِزَةً

المتظلم من خصمه

٣٦١ بَيْنَمَا عَبْدُ ٱللّٰهِ بْنُ جَعْفَرٍ رَاكِبٌ إِذْ تَعَرَّضَ لَهُ رَجُلٌ فِي ٱلطَّرِيقِ

فَمسكَ بِعنانِ فَرسِهِ وقالَ : سألتكَ باللهِ أيها الأميرُ أن تضربَ عُنقي . فبهتَ فيهِ عبدُ اللهِ وقالَ: أمعتوهٌ أنتَ . قالَ: لا ورأسِ الأميرِ . قالَ : فما الخبرُ . قالَ: لي خصمٌ ألدُّ قد لزمني وألحَّ وضيّقَ عليَّ وليسَ لي بهِ طاقةٌ . قالَ : ومَنْ خصمكَ . قالَ : الفقرُ . فالتفتَ عبدُ اللهِ لفتاهُ وقالَ : ادفعْ لهُ ألفَ دينارٍ . ثمَّ قالَ لهُ : يا أخا العربِ خذها ونحنُ سائرونَ . ولكنْ إذا عادَ إليكَ خصمكَ متغشماً فأتِنا متظلماً . فإنّا منصفوكَ منهُ إنْ شاءَ اللهُ . فقالَ الأعرابيُّ : إنَّ معي مِنْ جودِكَ ما أدحضُ بهِ حجةَ خصمي بقيةَ عمري . ثمَّ أخذَ المالَ وانصرفَ

سليمان بن عبد الملك والاعرابي

٣٦٢ ذُكِرَ أنَّ سليمانَ بنَ عبدِ الملكِ خرجَ ذاتَ يومٍ إلى الصيدِ وكانَ كثيرَ التطيّرِ . فبينا هوَ في بعضِ الطريقِ إذْ لقيهُ رجلٌ أعورُ . فقالَ: أوثقوهُ . فأوثقوهُ ومرّوا بهِ على بئرٍ خرابٍ قد تهجّمَ . فقالَ سليمانُ : ألقوهُ في هذهِ البئرِ فإنْ صِدنا في يومِنا هذا أطلقناهُ وإلّا قتلناهُ لتعرّضهِ لنا معَ علمهِ بتطيّرِنا . فألقوهُ في تلكَ البئرِ فما رأى سليمانُ في عمرهِ صيداً أكثرَ منْ ذلكَ اليومِ . فلمّا رجعوا ومرّوا على الرجلِ أمرَ بإخراجهِ . فلمّا وقفَ بينَ يديهِ قالَ : يا شيخُ ما رأيتُ أسرَّ وأبرَّ مِنْ طلعتكَ . قالَ الشيخُ : صدقتَ ولكنّي أنا ما رأيتُ أشأمَ مِنْ طلعتكَ عليَّ . فضحكَ سليمانُ وأحسنَ إليهِ وأمرَ بإطلاقهِ

٣٦٣ إعترضَ بعضُ الأعرابِ المأمونَ فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ

أنا رجلٌ من الأعراب. قال: لا عجب. قال: إني أريد الحج. قال: الطريق واسعة. قال: ليس معي نفقة. قال: قد سقط عنك الحج. قال: أيها الأمير جئتك مستجديا لا مستفتيا. فضحك المأمون وأمر له بجائزة (لليمني)

٣٦٤ كان العماد بن جبريل المعروف بابن أخي العلم صاحب ديوان بيت المال بمصر. وكان قد وقع فانكسرت يده. فقال فيه ابن المسلم العراقي:

إنّ العماد بن جبريل أخي علمٍ ... له يدٌ أصبحت مذمومة الأثرِ
تأخر القطع عنها وهي سارقةٌ ... فجاءها الكسر يستقصي عن الخبرِ

٣٦٥ دخل العبسي على بعض الرؤساء فمنعه البواب فقال:

حمدت بوابك إذ ردّني ... وذمّه غيري على ردّهِ
لأنّه قلّدني نعمةً ... تستوجب الإغراق في حمدهِ
أراحني من قبح ملقاك لي ... وكبرك الزائد في حدّهِ

٣٦٦ كتب سبط بن التعاويذي قصيدة وسيّرها إلى مجاهد الدين الزيني فأجازه جائزة سنية. وسيّر معها بغلة فوصلت إليه وقد هزلت من تعب الطريق فكتب إليه:

مجاهد الدين دمت ذخرا ... لكلّ ذي فاقةٍ وكنزا
بعثت لي بغلةً ولكن ... قد مسخت في الطريق عنزا

٣٦٧ ذكر بعض أصحاب الجزولي اليزدكتي أنه حضر عنده

لِيقرأ عليهِ قِراءَةَ أَبي عمرو . فقال بعض الحاضرين : أَتُريدُ أن تقرأَ على الشيخ النحوَ . قال : فقلتُ : لا . فسألني آخر كذلك . فقلتُ : لا . فأنشد الشيخ وقال : قل لهم :

لستُ للنحوِ جئتكم لا ولا فيهِ أرغبُ
خلِّ زيدًا لشأنهِ أينما شاء يذهبُ
أنا ما لي ولأمرئٍ أبدَ الدهرِ يضربُ

الباهليّ والاعرابي

٣٦٨ كانتِ العربُ تستنكفُ الانتسابَ إلى قبيلةِ باهلةَ وتضربُ بها المثلَ في الحمقِ والجهلِ . ويُحكى أنَّ أعرابيًّا لقي شخصًا في الطريقِ فسألهُ : مَن أنتَ . فقال : من باهلةَ . فرثى لهُ الأعرابيُّ . فقال ذلك الشخصُ : وأزيدك أني لستُ من صميمهم ولكن من مواليهم . فأقبل الأعرابيُّ عليهِ يقبّل يديهِ ورجليهِ . فقال لهُ : ولِمَ هذا . فقال : لأنَّ الله تباركَ وتعالى ما ابتلاك بهذهِ الرزيَّةِ في الدنيا إلَّا ويعوّضك الجنةَ في الآخرةِ (لابن خلكان)

ابان بن عثمان والاعرابي

٣٦٩ حدَّثنا ابنُ زنبجٍ قال : كان أبانُ بنُ عثمانَ من أهزلِ الناسِ وأعبثهم . فبينا نحن ذاتَ يومٍ عندهُ وعندهُ أشعبُ إذ أقبل أعرابيٌّ ومعهُ جملٌ لهُ . والأعرابيُّ أشقرُ أزرقُ أزعرُ غضوبٌ يتلظَّى كأنهُ أفعى ويتبيَّنُ الشرُّ في وجههِ . ما يدنو منهُ أحدٌ إلَّا شتمهُ ونهرهُ . فقال

أَشْعَبُ لِأَبَانَ: هٰذا مِنَ ٱلْبادِيَةِ ٱدْعُهُ. فَدُعِيَ وَقيلَ لَهُ إِنَّ ٱلْأَميرَ أَبانَ ٱبْنَ عُثْمانَ يَدْعوكَ. فَأَتاهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ. فَسَأَلَهُ أَبانُ عَنْ نَسَبِهِ فَٱنْتَسَبَ لَهُ. فَقالَ: حَيّاكَ ٱللهُ يا خالي. حَبيبٌ ٱزْدادَ حُبًّا. فَجَلَسَ. فَقالَ لَهُ: إِنّي في طَلَبِ جَمَلٍ مِثْلِ جَمَلِكَ هٰذا مُنْذُ زَمانٍ. فَلَمْ أَجِدْهُ كَما أَشْتَهي بِهٰذِهِ ٱلصِّفَةِ وَهٰذِهِ ٱلْقامَةِ وَٱللَّوْنِ وَٱلصَّدْرِ وَٱلْوَرِكِ وَٱلْأَخْفافِ. فَٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذي جَعَلَ ظَفَري بِهِ مِنْ عِنْدِ مَنْ أُحِبُّهُ. أَتَبيعُهُ. فَقالَ: نَعَمْ أَيُّها ٱلْأَميرُ. فَقالَ: فَإِنّي قَدْ بَذَلْتُ لَكَ بِهِ مِائَةَ دينارٍ. وَكانَ ٱلْجَمَلُ يُساوي عَشَرَةَ دَنانيرَ. فَطَمِعَ ٱلْأَعْرابِيُّ وَسُرَّ وَٱنْتَفَخَ وَبانَ ٱلسُّرورُ وَٱلطَّمَعُ في وَجْهِهِ. فَأَقْبَلَ أَبانُ عَلى أَشْعَبَ ثُمَّ قالَ لَهُ: وَيْلَكَ يا أَشْعَبُ إِنَّ خالي هٰذا مِنْ أَهْلِكَ وَأَقارِبِكَ (يَعْني ٱلطَّمَعَ) فَأَوْسِعْ لَهُ مِمّا عِنْدَكَ. فَقالَ لَهُ: نَعَمْ بِأَبي أَنْتَ وَزِيادَةً. فَقالَ لَهُ أَبانُ: يا خالي إِنَّما زِدْتُكَ فِي ٱلثَّمَنِ عَلى بَصيرَةٍ وَإِنَّما ٱلْجَمَلُ يُساوي سِتّينَ دينارًا. وَلٰكِنْ بَذَلْتُ لَكَ مِائَةً لِقِلَّةِ ٱلنَّقْدِ عِنْدَنا. وَإِنّي أُعْطيكَ بِهِ عُروضًا تُساوي مِائَةً. فَزادَ طَمَعُ ٱلْأَعْرابِيِّ وَقالَ: قَدْ قَبِلْتُ ذٰلِكَ أَيُّها ٱلْأَميرُ. فَأَسَرَّ إِلى أَشْعَبَ فَأَخْرَجَ شَيْئًا مُغَطًّى. فَقالَ لَهُ: أَخْرِجْ ما جِئْتَ بِهِ. فَأَخْرَجَ جُرْدَ عِمامَةِ خَزٍّ خَلَقٍ تُساوي أَرْبَعَةَ دَراهِمَ فَقالَ لَهُ: قَوِّمْها يا أَشْعَبُ. فَقالَ لَهُ: عِمامَةُ ٱلْأَميرِ تُعْرَفُ بِهِ وَيَشْهَدُ فيها ٱلْأَعْيادَ وَٱلْجُمَعَ وَيَلْقى فيها ٱلْخُلَفاءَ. خَمْسونَ دينارًا. فَقالَ: ضَعْها بَيْنَ يَدَيْهِ. وَقالَ لِٱبْنِ زَبْنَجٍ: أَثْبِتْ قيمَتَها. فَكَتَبَ ذٰلِكَ وَوُضِعَتِ ٱلْعِمامَةُ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْأَعْرابِيِّ.

فكاد يدخل بعضه في بعض غيظاً. ولم يقدر على الكلام. ثم قال: هات قلنسوتي فأخرج قلنسوة طويلة خلقة قد علاها الوسخ والدهن وتخرقت تساوي نصف درهم. فقال: قوم. قال: قلنسوة الأمير تعلو هامته ويصلي فيها الصلوات الخمس ويجلس للحكم ثلاثون ديناراً. قال: أثبت. فأثبت ذلك ووضعت القلنسوة بين يدي الأعرابي. فتربد وجهه وجحظت عيناه وهم بالوثوب ثم تماسك وهو متقلقل. ثم قال لأشعب: هات ما عندك. فأخرج خفين خلقين قد نقبا وتقشرا وتفتقا. فقال: قوم. قال: خفا الأمير يطأ بهما الروضة ويعلو بهما المنبر أربعون ديناراً. فقال: ضعهما بين يديه. فوضعهما ثم قال للأعرابي: أضمم إليك متاعك وقال لبعض الأعوان: اذهب فخذ الجمل. وقال لآخر: امض مع الأعرابي فاقبض منه ما بقي لنا عليه من ثمن المتاع وهو عشرون ديناراً. فوثب الأعرابي فأخذ القماش فضرب به وجوه القوم لا يألو في شدة الرمي به. ثم قال للأمير: أتدري أضلحك الله من أي شيء أموت. قال: لا. قال: لم أدرك أباك عثمان فأشترك والله في دمه إذ ولد مثلك. ثم نهض مثل المجنون حتى أخذ برأس بعيره. وضحك أبان حتى سقط وضحك كل من كان معه. وكان الأعرابي بعد ذلك إذا لقي أشعب يقول له: يا ابن الخبيثة حتى أكافئك على تقويمك المتاع يوم قوم. فيهرب أشعب منه

(الاغاني)

الباب الحادي عشر
في النوادر

٣٧٠ أُمسِكَ عَلى ٱلنَّابغةِ ٱلجعديِّ ٱلشِّعرُ أَربعينَ يوماً فلم ينطق. ثُمَّ إنَّ بَني جعدة غزَوْا قوماً فظفِروا فلمّا سمِعَ فرِح وطرِب فاستحثَّهُ ٱلشِّعرُ فذلَّ لهُ ما ٱستصعبَ عليهِ. فقال له قومُه: بحياتِكَ لنحنُ بإطلاقِ لسانِ شاعرِنا أَسرُّ مِنَ ٱلظَّفرِ بعدوِّنا (لبهاء الدين)

وضع الشطرنج

٣٧١ لمّا ٱفتخرَ مُلوكُ فارسَ على مُلوكِ ٱلهندِ بوضعِ ٱلملكِ أزدشير لِنفسهِ ٱلنَّردَ وضعَ صِصَّهُ ٱلحكيمُ ٱلشَّطرنجَ وعرضها على ٱلملكِ وأظهرَ خفيَّ أمرِها ومكنونَ سرِّها. فقال له: ٱقترحْ ما تشتهي. قال: أن تضعَ حبَّةً مِنَ ٱلبُرِّ في ٱلبيتِ ٱلأوَّلِ ولا تزالَ تُضاعِفُها حتَّى تنتهي إلى آخرِ ٱلبيوتِ فمهما بلغَ تعطيني. فٱستخفَّ ٱلملكُ عقلَهُ وٱحتقرَ ما طلبَ وقال له: كُنتُ أظنُّكَ برجاحةِ عقلِكَ وتوقُّدِ فكرِكَ تطلبُ شيئاً نفيساً. فقال: أيُّها ٱلملكُ إنَّكَ لمّا أمرتني بٱلتَّمنّي لم يخطرْ ببالي غيرُ ذلكَ ولا سبيلَ إلى ٱلرُّجوعِ عنهُ. فأمرَ له ٱلملكُ بما سألَ وتقدَّمَ بإحضارِ ٱلحُسّابِ وأمرَهم بحسابِ ذلكَ. فأعملوا في بلوغِ قصدِهِ مطايا ٱلأفكارِ. حتّى لاحَ لهم نجمُ صِدقِهِ فعرفوه بعد

الْإِنْكَارِ . فَلَمْ يَجِدُوا فِي بِلَادِ الدُّنْيَا مَا يَفِي لَهُ مُرَادَهُ مِنَ الْبُرِّ وَلَوْ كَانَتِ الرِّمَالُ مِنْ أَمْدَادِهِ (للقليوبي)

المريض والخنفساء

٣٧٢ حَكَى الْقَزْوِينِيُّ أَنَّ رَجُلًا رَأَى خُنْفُسَاءَ فَقَالَ : مَاذَا يُرِيدُ اللهُ تَعَالَى مِنْ خَلْقِ هٰذِهِ . أَحُسْنَ شَكْلِهَا أَوْ طِيبَ رِيحِهَا . فَابْتَلَاهُ اللهُ تَعَالَى بِقَرْحَةٍ عَجَزَ عَنْهَا الْأَطِبَّاءُ حَتَّى تَرَكَ عِلَاجَهَا . فَسَمِعَ يَوْمًا صَوْتَ طَبِيبٍ مِنَ الطُّرُقِيِّينَ يُنَادِي فِي الدَّرْبِ . فَقَالَ : هَاتُوهُ حَتَّى يَنْظُرَ فِي أَمْرِي . فَقَالُوا : وَمَا تَصْنَعُ بِطُرُقِيٍّ وَقَدْ عَجَزَ عَنْكَ حُذَّاقُ الْأَطِبَّاءِ . فَقَالَ : لَا بُدَّ لِي مِنْهُ . فَلَمَّا أَحْضَرُوهُ وَرَأَى الْقَرْحَةَ اسْتَدْعَى بِخُنْفُسَاءَ . فَضَحِكَ الْحَاضِرُونَ مِنْهُ . فَتَذَكَّرَ الْعَلِيلُ الْقَوْلَ الَّذِي سَبَقَ مِنْهُ . فَقَالَ : أَحْضِرُوا لَهُ مَا طَلَبَ فَإِنَّ الرَّجُلَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ . فَأَحْضَرُوهَا لَهُ فَأَحْرَقَهَا وَذَرَّ رَمَادَهَا عَلَى قَرْحَتِهِ فَبَرِئَ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى . فَقَالَ لِلْحَاضِرِينَ : إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَرَادَ أَنْ يُعَرِّفَنِي أَنَّ أَخَسَّ الْمَخْلُوقَاتِ أَعَزُّ الْأَدْوِيَةِ (للدميري)

النعمان وسنمار

٣٧٣ بَنَى النُّعْمَانُ بْنُ امْرِئِ الْقَيْسِ قَصْرًا بِظَاهِرِ الْحِيرَةِ فِي سِتِّينَ سَنَةً اسْمُهُ الْخَوَرْنَقُ . بَنَاهُ رَجُلٌ مِنَ الرُّومِ يُقَالُ لَهُ سِنِمَّارُ . وَكَانَ يَبْنِي عَلَى وَضْعٍ عَجِيبٍ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ أَنْ يَبْنِيَ مِثْلَهُ . فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ بِنَائِهِ كَانَ قَصْرًا عَجِيبًا لَمْ يَكُنْ لِلْمُلُوكِ مِثْلُهُ . فَفَرِحَ بِهِ النُّعْمَانُ . فَقَالَ

لهُ سِنِمَّارُ : إِنِّي لَأَعلَمُ مَوضِعَ آجُرَّةٍ لَوْ زالَتْ لَسَقَطَ ٱلْقَصرُ كُلُّهُ. فَقَالَ لهُ ٱلنُّعمانُ : هَلْ يَعرِفُها أَحَدٌ غَيرُكَ. قالَ : لا. فَأَمَرَ بِهِ فَقُذِفَ مِنْ أَعْلَى ٱلْقَصرِ إِلَى أَسْفَلِهِ فَتَقَطَّعَتْ أَوصالُهُ. فَٱشْتَهَرَ ذٰلِكَ حَتَّى ضُرِبَ بِهِ ٱلْمَثَلُ فَقالَ ٱلشَّاعِرُ :

جَزانِي جَزاهُ ٱللهُ شَرَّ جَزائِهِ   جَزاءَ سِنِمَّارٍ وَما كانَ ذا ذَنْبِ
سِوَى رَصِّهِ ٱلْبُنْيانَ سِتِّينَ حِجَّةً   يُعَلُّ عَلَيهِ بِٱلْقَرامِيدِ وَٱلسَّكْبِ
فَلَمَّا رَأَى ٱلْبُنْيانَ تَمَّ سُحُوقُهُ   وَآضَ كَمِثْلِ ٱلطَّوْدِ وَٱلشَّامِخِ ٱلصَّعْبِ
وَظَنَّ سِنِمَّارٌ بِهِ كُلَّ حَبْوَةٍ   وَفازَ لَدَيْهِ بِٱلْمَوَدَّةِ وَٱلْقُرْبِ
فَقالَ ٱقْذِفُوا بِٱلْعِلْجِ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ   فَهٰذا لَعَمْرُ ٱللهِ مِنْ أَعْجَبِ ٱلْخَطْبِ

فَصَعِدَ ٱلنُّعمانُ قُلَّتَهُ وَنَظَرَ إِلَى ٱلْبَحْرِ تُجاهَهُ وَإِلَى ٱلْبَرِّ خَلْفَهُ وَٱلْبَساتِينِ حَوْلَهُ. وَرَأَى ٱلظَّبْيَ وَٱلْحُوتَ وَٱلنَّخْلَ فَقالَ لِوَزِيرِهِ : ما رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْ هٰذا ٱلْبِناءِ قَطُّ. فَقالَ لهُ وَزِيرُهُ : لَهُ عَيْبٌ عَظِيمٌ. قالَ : وَما ذٰلِكَ. قالَ : إِنَّهُ غَيْرُ باقٍ. قالَ ٱلنُّعمانُ : وَما ٱلشَّيْءُ ٱلَّذِي هُوَ باقٍ. قالَ : مُلْكُ ٱلْآخِرَةِ. قالَ : فَكَيْفَ تَحْصِيلُ ذٰلِكَ. قالَ : بِتَرْكِ ٱلدُّنْيا. قالَ : فَهَلْ لَكَ أَنْ تُساعِدَنِي فِي طَلَبِ ذٰلِكَ. قالَ : نَعَمْ. فَتَرَكَ ٱلْمُلْكَ وَتَزَهَّدَ هُوَ وَوَزِيرُهُ (للقزويني)

الوزير الحاسد

٣٧٤ حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ ٱلْعَرَبِ دَخَلَ عَلَى ٱلْمُعْتَصِمِ فَقَرَّبَهُ وَأَدْناهُ وَجَعَلَهُ نَدِيمَهُ. وَكانَ لهُ وَزِيرٌ حاسِدٌ فَغارَ مِنَ ٱلْبَدَوِيِّ وَحَسَدَهُ وَقالَ

فِي نَفْسِهِ : إنْ لَمْ أَحْتَلْ عَلَى هٰذَا ٱلْبَدَوِيّ فِي قَتْلِهِ أَخَذَ بِقَلْبِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَبْعَدَنِي مِنْهُ . فَصَارَ يَتَلَطَّفُ بِٱلْبَدَوِيّ حَتَّى أَتَى بِهِ إلَى مَنْزِلِهِ فَطَبَخَ لَهُ طَعَامًا وَأَكْثَرَ فِيهِ مِنَ ٱلثُّومِ . فَلَمَّا أَكَلَ ٱلْبَدَوِيُّ مِنْهُ قَالَ لَهُ : ٱحْذَرْ أَنْ تَقْرُبَ مِنْ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَيَشَمَّ مِنْكَ رَائِحَةَ ٱلثُّومِ فَيَتَأَذَّى مِنْ ذٰلِكَ فَإِنَّهُ يَكْرَهُ رَائِحَتَهُ . ثُمَّ ذَهَبَ ٱلْوَزِيرُ إلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَخَلَا بِهِ . وَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إنَّ ٱلْبَدَوِيَّ يَقُولُ عَنْكَ لِلنَّاسِ : إنَّ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَبْخَرُ وَهَلَكْتُ مِنْ رَائِحَةِ فَمِهِ . فَلَمَّا دَخَلَ ٱلْبَدَوِيُّ عَلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ جَعَلَ كُمَّهُ عَلَى فَمِهِ مَخَافَةَ أَنْ يَشَمَّ مِنْهُ رَائِحَةَ ٱلثُّومِ . فَلَمَّا رَآهُ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ يَسْتُرُ فَمَهُ بِكُمِّهِ قَالَ : إنَّ ٱلَّذِي قَالَهُ ٱلْوَزِيرُ عَنْ هٰذَا ٱلْبَدَوِيّ صَحِيحٌ . فَكَتَبَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا إلَى بَعْضِ عُمَّالِهِ يَقُولُ لَهُ فِيهِ : إذَا وَصَلَ إلَيْكَ كِتَابِي هٰذَا فَٱضْرِبْ رَقَبَةَ حَامِلِهِ . ثُمَّ دَعَا بِٱلْبَدَوِيّ وَدَفَعَ إلَيْهِ ٱلْكِتَابَ وَقَالَ لَهُ : ٱمْضِ بِهِ إلَى فُلَانٍ وَأْتِنِي بِٱلْجَوَابِ . فَٱمْتَثَلَ ٱلْبَدَوِيُّ مَا رَسَمَ بِهِ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَخَذَ ٱلْكِتَابَ وَخَرَجَ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ فَبَيْنَمَا هُوَ بِٱلْبَابِ إذْ لَقِيَهُ ٱلْوَزِيرُ فَقَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ . قَالَ : أَتَوَجَّهُ بِكِتَابِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إلَى عَامِلِهِ فُلَانٍ . فَقَالَ ٱلْوَزِيرُ فِي نَفْسِهِ : إنَّ هٰذَا ٱلْبَدَوِيَّ يَحْصُلُ لَهُ مِنْ هٰذَا ٱلتَّقْلِيدِ مَالٌ جَزِيلٌ . فَقَالَ لَهُ : يَا بَدَوِيُّ مَا تَقُولُ فِيمَنْ يُرِيحُكَ مِنْ هٰذَا ٱلتَّعَبِ ٱلَّذِي يَلْحَقُكَ فِي سَفَرِكَ وَيُعْطِيكَ أَلْفَيْ دِينَارٍ . فَقَالَ : أَنْتَ ٱلْكَبِيرُ وَأَنْتَ ٱلْحَاكِمُ وَمَهْمَا رَأَيْتَهُ مِنَ ٱلرَّأْيِ أَفْعَلُ . قَالَ : أَعْطِنِي ٱلْكِتَابَ .

فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ وَأَعْطَاهُ ٱلْوَزِيرُ أَلْفَيْ دِينَارٍ وَسَارَ بِٱلْكِتَابِ إِلَى ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي هُوَ قَاصِدُهُ. فَلَمَّا قَرَأَ ٱلْعَامِلُ ٱلْكِتَابَ أَمَرَ بِضَرْبِ رَقَبَةِ ٱلْوَزِيرِ. فَبَعْدَ أَيَّامٍ تَذَكَّرَ ٱلْخَلِيفَةُ فِي أَمْرِ ٱلْبَدَوِيِّ وَسَأَلَ عَنِ ٱلْوَزِيرِ فَأُخْبِرَ بِأَنَّ لَهُ أَيَّامًا مَا ظَهَرَ وَأَنَّ ٱلْبَدَوِيَّ بِٱلْمَدِينَةِ مُقِيمٌ فَتَعَجَّبَ مِنْ ذٰلِكَ وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ ٱلْبَدَوِيِّ فَحَضَرَ. فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ فَأَخْبَرَهُ بِٱلْقِصَّةِ ٱلَّتِي ٱتَّفَقَتْ لَهُ مَعَ ٱلْوَزِيرِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا. فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ قُلْتَ عَنِّي لِلنَّاسِ إِنِّي أَبْخَرُ. فَقَالَ: مَعَاذَ ٱللّٰهِ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَتَحَدَّثَ بِمَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِنَّمَا كَانَ ذٰلِكَ مَكْرًا مِنْهُ وَحَسَدًا. وَأَعْلَمَهُ كَيْفَ دَخَلَ بِهِ بَيْتَهُ وَأَطْعَمَهُ ٱلثُّومَ وَمَا جَرَى لَهُ مَعَهُ. فَقَالَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ: قَاتَلَ ٱللّٰهُ ٱلْحَسَدَ مَا أَعْدَلَهُ بَدَأَ بِصَاحِبِهِ فَقَتَلَهُ. ثُمَّ خَلَعَ عَلَى ٱلْبَدَوِيِّ وَٱتَّخَذَهُ وَزِيرًا وَرَاحَ ٱلْوَزِيرُ بِحَسَدِهِ (للابشيهي)

كلبٌ جاد بنفسه

٣٧٥ كَانَ مَلِكٌ عَظِيمُ ٱلشَّأْنِ يُحِبُّ ٱلتَّنَزُّهَ وَٱلصَّيْدَ. وَكَانَ لَهُ كَلْبٌ قَدْ رَبَّاهُ لَا يُفَارِقُهُ. فَخَرَجَ يَوْمًا إِلَى بَعْضِ مُنْتَزَهَاتِهِ وَقَالَ لِبَعْضِ غِلْمَانِهِ: قُلْ لِلطَّبَّاخِ يُصْلِحُ لَنَا ثُرْدَةً بِلَبَنٍ. فَجَاؤُوا بِٱللَّبَنِ إِلَى ٱلطَّبَّاخِ وَنَسِيَ أَنْ يُغَطِّيَهُ بِشَيْءٍ وَٱشْتَغَلَ بِٱلطَّبْخِ. فَخَرَجَ مِنْ بَعْضِ ٱلشُّقُوقِ أَفْعًى فَكَرَعَ فِي ذٰلِكَ ٱللَّبَنِ وَنَفَثَ فِي ٱلثُّرْدَةِ مِنْ سُمِّهِ. وَٱلْكَلْبُ رَابِضٌ يَرَى ذٰلِكَ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ حِيلَةً يَصِلُ بِهَا إِلَى ٱلْأَفْعَى. وَكَانَ هُنَاكَ جَارِيَةٌ خَرْسَاءُ زَمْنَى قَدْ رَأَتْ مَا صَنَعَ ٱلْأَفْعَى. وَوَافَى ٱلْمَلِكُ مِنَ ٱلصَّيْدِ فِي

آخِرَ ٱلنَّهارِ فقالَ: يا غِلْمانُ أدرِكُوني بِٱلثَّرْدَةِ فلمَّا وُضِعَت بَيْنَ يدَيهِ أومأَتِ ٱلخَرْساء إِلَيْهِ فلم يَفهم ما تقولُ. ونَبَحَ ٱلكَلْبُ وصاحَ فلم يَلتفِتْ إليهِ ولَجَّ في ٱلصِّياحِ فلم يعلم مُرادَهُ. فقالَ لِلغِلْمانِ. نَحُّوهُ عَنِّي. ومدَّ يدَهُ إلى ٱللَّبَنِ بعدَ ما رمى إلى ٱلكَلْبِ ما كانَ يَرْمي إليهِ. فلم يَلتفِتِ ٱلكَلْبُ إلى شيءٍ مِن ذٰلك ولم يَلتفِتْ إلى غيرِ ٱلمَلِكِ. فلمَّا رآهُ يُريدُ أن يضعَ ٱللُّقْمةَ مِنَ ٱللَّبَنِ في فَمِهِ طَفَرَ إلى وَسَطِ ٱلمائدةِ وأدخلَ فَمَهُ وكَرَعَ مِنَ ٱللَّبَنِ وسقطَ مَيْتاً وتَنَثَّرَ لَحْمُهُ وبَقِيَ ٱلمَلِكُ مُتعجِّباً مِنَ ٱلكَلْبِ ومِن فِعلِهِ. فأومأَتِ ٱلخَرْساء إِليهم فعرفوا مُرادَها وما صَنَعَ ٱلكَلْبُ. فقالَ ٱلمَلِكُ: لِحاشيتِهِ هذا ٱلكَلْبُ قد فَداني بِنَفْسِهِ وقد وَجَبَ أن نُكافِئَهُ. وما يَحمِلُهُ ويَدْفِنُهُ غيري. فدفنَهُ وبنى عليهِ قُبَّةً في ظاهِرِ ٱلمدينةِ (للحموي)

ابرهيم الخوّاص والسبع

٣٧٦ حكى إبرهيمُ ٱلخَوّاصُ قالَ: في بعضِ أسفاري ٱنتهيتُ إلى شجرةٍ فقعدتُ تحتَها فإذا سَبُعٌ هائلٌ يأتي نحوي. فلمَّا دنا مِنِّي رأيتُهُ يَعرُجُ. فإذا يدُهُ مُنتفِخةٌ وفيها فَتْحٌ فهمهم وتَرَكَها في حِجْري. وعرفتُ أنَّهُ يقولُ: عالِجْ هذهِ. فأخذتُ خشبةً ففتحتُ بها ٱلفَتْحَ ثمَّ شدَدتُها بخِرقةٍ خرقتُها مِن ثوبي. فغابَ ثمَّ جاءني ومعهُ شِبلانِ يُبَصْبِصانِ ورغيفٌ تركَهُ عندي ومشى (للقزويني)

المطيَّب اسم الله

٣٧٧ كَانَ سَبَبُ تَوْبَةِ بِشْرِ بْنِ ٱلْحَارِثِ أَنَّهُ أَصَابَ فِي ٱلطَّرِيقِ وَرَقَةً وَفِيهَا ٱسْمُ ٱللهِ تَعَالَى مَكْتُوبٌ . وَقَدْ وَطِئَتْهَا ٱلْأَقْدَامُ فَأَخَذَهَا وَٱشْتَرَى بِدَرَاهِمَ كَانَتْ مَعَهُ غَالِيَةً . فَطَيَّبَ بِهَا ٱلْوَرَقَةَ وَجَعَلَهَا فِي شِقِّ حَائِطٍ فَرَأَى فِي ٱلنَّوْمِ كَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ لَهُ : يَا بِشْرُ طَيَّبْتَ ٱسْمِي لَأُطَيِّبَنَّ ٱسْمَكَ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ . فَلَمَّا تَنَبَّهَ مِنْ نَوْمِهِ تَابَ (لابن خلكان)

الدواء الشافي

٣٧٨ قَالَ بَعْضُ ٱلْأَبْدَالِ مَرَرْتُ بِبِلَادِ ٱلْمَغْرِبِ عَلَى طَبِيبٍ وَٱلْمَرْضَى بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَصِفُ لَهُمْ عِلَاجَهُمْ . فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ : عَالِجْ مَرَضِي يَرْحَمُكَ ٱللهُ . فَتَأَمَّلَ فِي وَجْهِي سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : خُذْ عُرُوقَ ٱلْفَقْرِ وَوَرَقَ ٱلصَّبْرِ مَعَ إِهْلِيلَجِ ٱلتَّوَاضُعِ . وَٱجْمَعِ ٱلْكُلَّ فِي إِنَاءِ ٱلْيَقِينِ وَصُبَّ عَلَيْهِ مَاءَ ٱلْخَشْيَةِ وَأَوْقِدْ تَحْتَهُ نَارَ ٱلْحُزْنِ . ثُمَّ صَفِّهِ بِمِصْفَاةِ ٱلْمُرَاقَبَةِ فِي جَامِ ٱلرِّضَا . وَٱمْزِجْهُ بِشَرَابِ ٱلتَّوَكُّلِ . وَتَنَاوَلْهُ بِكَفِّ ٱلصِّدْقِ . وَٱشْرَبْهُ بِكَأْسِ ٱلِٱسْتِغْفَارِ . وَتَمَضْمَضْ بَعْدَهُ بِمَاءِ ٱلْوَرَعِ . وَٱحْتَمِ عَنِ ٱلْحِرْصِ وَٱلطَّمَعِ فَتُشْفَى إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى (لبهاء الدين العاملي)

ذكر الأمم التي دخلت في دين النصارى

٣٧٩ مِنَ ٱلْأُمَمِ ٱلْمُتَنَصِّرَةِ أُمَّةُ ٱلرُّومِ . عَلَى كَثْرَتِهَا وَعِظَمِ مُلُوكِهَا وَٱتِّسَاعِ بِلَادِهَا . (وَمِنَ ٱلْكَامِلِ وَغَيْرِهِ) أَنَّ ٱلرُّومَ كَانَتْ تَدِينُ بِدِينِ ٱلصَّابِئَةِ وَيَعْبُدُونَ أَصْنَامًا عَلَى أَسْمَاءِ ٱلْكَوَاكِبِ . وَمَا زَالَتِ ٱلرُّومُ

ملوكها ورعيتها كذلك حتى تنصر قسطنطين وحملهم على دين النصارى فتنصروا عن آخرهم. ومن أمم النصارى (الأرمن) كانوا بأرمينية. وقاعدة ملكها خلاط. ولما ملكناها صاروا فيها رعية. ثم تغلبوا وملكوا منا طرسوس والمصيصة وبلاد سيس وسيس مدينة بقلعة حصينة هي كرسي ملكهم في زماننا هذا. ومنها (الكرج) بلادهم مجاورة لبلاد خلاط إلى الخليج القسطنطيني وإلى نحو الشمال. ولهم جبال منيعة وقلاع حصينة. والغالب عليهم النصرانية. يلي ملكهم الرجال والنساء بالوراثة. وهم خلق كثير في صلح التتار اليوم. ومنها (الجركس) على شرقي بحر نيطش في شظف من العيش غالبهم نصارى. ومنها (الروس) لهم جزائر في بحر نيطش وبحر القسطنطينية ولهم بلاد شمالي البحر. ومنها (البلغار) نسبة إلى مدينة يسكنونها شمالي نيطش كان غالبهم نصارى فأسلم بعضهم. ومنها (الألمان) أكبر أمم النصارى غربي القسطنطينية إلى الشمال جنودهم كثيرة. قصد ملكهم في مائة ألف مقاتلة صلاح الدين بن أيوب فهلك هو وغالب عسكره في الطريق. ومنها (البرجان) أمة بل أمم طاغية مثلثون. بلادهم متوغلة في الشمال. سيرهم منقطعة لبعدهم عنا وجفاء طباعهم. ومنها (الفرنج) أمم أصل بلادهم فرنجة ويقال فرنسة جوار جزيرة الأندلس شماليها يقال لملكهم الفرنسيس. قصد ديار مصر وأخذ دمياط. ثم أسره المسلمون

وَٱستَنقَذُوا دِمياطَ مِنهُ بَعدَ مَوتِ ٱلمَلِكِ ٱلصَّالِحِ أَيُّوبَ ٱبنِ ٱلكَامِلِ. وَقَد غَلَبَ ٱلفِرَنجُ عَلَى مُعظَمِ ٱلأَندَلُسِ. وَلَهُم فِي بَحرِ ٱلرُّومِ جَزَائِرُ مَشهُورَةٌ مِثلُ صِقِلِّيَةَ وَقُبرُسَ وَأَقرِيطِشَ. وَمِنهُم (ٱلجَنوِيَّةُ) نِسبَةً إِلَى جَنوَةَ مَدِينَةٍ عَظِيمَةٍ. وَبِلَادُهُم كَبِيرَةٌ غَربِيَّ ٱلقُسطَنطِينِيَّةِ عَلَى بَحرِ ٱلرُّومِ. وَمِنهُم (ٱلبَنَادِقَةُ) مَدِينَتُهُم ٱلبُندُقِيَّةُ عَلَى خَلِيجٍ مِن بَحرِ ٱلرُّومِ تَمتَدُّ نَحوَ سَبعِمِائَةِ مِيلٍ فِي جِهَةِ ٱلشَّمَالِ وَٱلغَربِ. وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِن جَنوَةَ فِي ٱلبَرِّ. بَينَهُمَا ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ (لابن الوردي)

ذكر امم الهنود وتقاسيمهم وعوائدهم

٣٨٠ أُمَمُ ٱلهِندِ فِرَقٌ مِنهُم (ٱلبَاسُوِيَّةُ). زَعَمُوا أَنَّ لَهُم رَسُولًا مَلَكًا رُوحَانِيًّا نَزَلَ بِصُورَةِ ٱلبَشَرِ أَمَرَهُم بِتَعظِيمِ ٱلنَّارِ وَٱلتَّقَرُّبِ إِلَيهَا بِٱلطِّيبِ وَٱلذَّبَائِحِ. وَنَهَاهُم عَنِ ٱلقَتلِ وَٱلذَّبحِ لِغَيرِ ٱلنَّارِ. وَسَنَّ لَهُم أَن يَتَوَشَّحُوا بِخَيطٍ يَعقِدُونَهُ مِن مَنَاكِبِهِمِ ٱلأَيَامِنِ إِلَى تَحتِ شَمَائِلِهِم. وَعَظَّمَ ٱلبَقَرَ وَأَمَرَ بِٱلسُّجُودِ لَهَا حَيثُ رَأَوهَا. وَمِنهُم (ٱلبَهُودِيَّةُ) يَقُولُونَ: ٱلأَشيَاءُ كُلُّهَا صُنعُ ٱلخَالِقِ فَلَا يَعَافُونَ شَيئًا. وَيَتَقَلَّدُونَ بِعِظَامِ ٱلنَّاسِ وَيَمسَحُونَ رُؤُوسَهُم وَأَجسَادَهُم بِٱلرَّمَادِ. وَمِنهُم (عَبَدَةُ ٱلشَّمسِ وَعَبَدَةُ ٱلقَمَرِ). وَمِنهُم (عَبَدَةُ ٱلأَصنَامِ) وَهُم كَٱلصَّابِئَةِ وَلِكُلِّ طَائِفَةٍ صَنَمٌ. وَأَشكَالُ ٱلأَصنَامِ مُختَلِفَةٌ. وَمِنهُم (عُبَّادُ ٱلمَاءِ ٱلجَلهَكِينِيَّةُ). يَزعُمُونَ أَنَّ ٱلمَاءَ مَلَكٌ وَهُوَ أَصلُ كُلِّ شَيءٍ. إِذَا أَرَادَ ٱلرَّجُلُ عِبَادَةَ ٱلمَاءِ تَجَرَّدَ وَدَخَلَ ٱلمَاءَ إِلَى وَسَطِهِ.

وَيُقِيمُ سَاعَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ وَمَعَهُ رَيَاحِينُ يُقَطِّعُهَا صِغَارًا وَيُلْقِيهَا فِيهِ. وَهُوَ يُسَبِّحُ وَيَقْرَأُ. وَإِذَا أَرَادَ ٱلِٱنْصِرَافَ حَرَّكَ ٱلْمَاءَ بِيَدِهِ. ثُمَّ نَقَطَ مِنْهُ عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَسَجَدَ وَٱنْصَرَفَ. وَمِنْهُمْ (عُبَّادُ ٱلنَّارِ ٱلْأَكْنَوَاطِرِيَّةُ). عِبَادَتُهُمْ أَنْ يَحْفِرُوا أُخْدُودًا مُرَبَّعًا وَيُؤَجِّجُوا بِهِ ٱلنَّارَ ثُمَّ لَا يَدَعُونَ طَعَامًا لَذِيذًا وَلَا ثَوْبًا فَاخِرًا وَلَا شَرَابًا لَطِيفًا وَلَا عِطْرًا فَائِحًا وَلَا جَوْهَرًا نَفِيسًا إِلَّا طَرَحُوهُ فِي تِلْكَ ٱلنَّارِ تَقَرُّبًا إِلَيْهَا. وَحَرَّمُوا إِلْقَاءَ ٱلنُّفُوسِ فِيهَا خِلَافًا لِطَائِفَةٍ أُخْرَى. وَمِنْهُمْ (ٱلْبَرَاهِمَةُ) أَصْحَابُ فِكْرَةٍ وَعِلْمٍ بِٱلْفَلَكِ وَٱلنُّجُومِ. تُخَالِفُ طَرِيقَتُهُمْ مُنَجِّمِي ٱلرُّومِ وَٱلْعَجَمِ. لِأَنَّ أَكْثَرَ أَحْكَامِهِمْ بِٱتِّصَالَاتِ ٱلثَّوَابِتِ دُونَ ٱلسَّيَّارَاتِ. يُعَظِّمُونَ أَمْرَ ٱلْفِكْرِ وَيَقُولُونَ: هُوَ ٱلْمُتَوَسِّطُ بَيْنَ ٱلْمَحْسُوسِ وَٱلْمَعْقُولِ. وَيَجْتَهِدُونَ فِي صَرْفِ ٱلْفِكْرِ عَنِ ٱلْمَحْسُوسَاتِ لِيَتَجَرَّدَ ٱلْفِكْرُ عَنْ هٰذَا ٱلْعَالَمِ وَيَتَجَلَّى لَهُ ذٰلِكَ ٱلْعَالَمُ. فَرُبَّمَا يُخْبِرُ عَنِ ٱلْمُغَيَّبَاتِ (للشهرستاني باختصار)

٣٨١ وَمِنْ عَوَائِدِ أُمَمِ ٱلْهِنْدِ إِقَامَةُ عِيدٍ كَبِيرٍ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ. فَيَخْرُجُ أَهْلُ ٱلْبَلَدِ جَمِيعًا مِنْ شَيْخٍ وَشَابٍّ وَكَبِيرٍ وَصَغِيرٍ إِلَى صَحْرَاءَ خَارِجَ ٱلْبَلَدِ فِيهَا حَجَرٌ كَبِيرٌ مَنْصُوبٌ. فَيُنَادِي مُنَادِي ٱلْمَلِكِ لَا يَصْعَدُ عَلَى هٰذَا ٱلْحَجَرِ إِلَّا مَنْ حَضَرَ ٱلْعِيدَ ٱلسَّابِقَ قَبْلَ هٰذَا. فَرُبَّمَا جَاءَ ٱلشَّيْخُ ٱلْهَرِمُ ٱلَّذِي ذَهَبَتْ قُوَّتُهُ وَعَمِيَ بَصَرُهُ أَوِ ٱلْعَجُوزُ ٱلشَّوْهَاءُ وَهِيَ تَرْتَعِشُ مِنَ ٱلْكِبَرِ. فَيَصْعَدَانِ عَلَى ذٰلِكَ ٱلْحَجَرِ أَوْ أَحَدُهُمَا وَرُبَّمَا لَا يَجِيءُ أَحَدٌ وَيَكُونُ قَدْ فَنِيَ ذٰلِكَ ٱلْقَرْنُ بِأَسْرِهِ. فَمَنْ صَعِدَ عَلَى ذٰلِكَ

الفجر نادى بأعلى صوتٍ: قد حضرت العيد السابق وأنا طفل صغير وكان ملكنا فلانا ووزيرنا فلانا. ثم يصف الأمة السابقة من ذلك القرن كيف طحنهم الموت وأهلكهم البلاء وصاروا تحت الثرى. ثم يقوم خطيبهم فيعظ الناس ويذكرهم بالموت وغرور الدنيا وتقلبها بأهلها. فيكثر في ذلك اليوم البكاء وذكر الموت والتأسف على صدور الذنوب والغفلة عن ذهاب العمر. ثم يتوبون ويكثرون الصدقات ويخرجون من التبعات (لبهاء الدين العاملي)

٣٨٢ ومن عوائدهم في مملكة بلهرا وغيره من ملوك الهند من يحرق نفسه بالنار. وذلك لقولهم بالتناسخ وتمكنه في قلوبهم وزوال الشك فيه عنهم. وفي ملوكهم من إذا قعد للملك طبخ له أرز ثم وضع بين يديه على ورق الموز. وينتدب من أصحابه الثلاثمائة والأربعمائة باختيارهم لأنفسهم لا بإكراه من الملك لهم. فيعطيهم الملك من ذلك الأرز بعد أن يأكل منه. ويتقرب رجل رجل منهم فيأخذ منه شيئا يسيرا فيأكله. فيلزم كل من أكل من هذا الأرز إذا مات الملك أو قتل أن يحرقوا أنفسهم بالنار عن آخرهم في اليوم الذي يموت فيه. لا يتأخرون عنه حتى لا يبقى منهم عين ولا أثر. وإذا عزم الرجل على إحراق نفسه صار إلى باب الملك فاستأذن. ثم دار في الأسواق وقد أججت له النار في حطب جزل كثير. عليها رجال يقومون بإيقادها حتى تصير كالعقيق حرارة والتهابا. ثم يعدو

وبين يديه الصنوج دائراً في الأسواق وقد احتوشه أهله وذوو قرابته. وبعضهم يضع على رأسه إكليلاً من الريحان يملأه جمراً ويصب عليه السندروس وهو مع النار كالنفط. ويمشي وهامته تحترق وروائح لحم رأسه تفوح وهو لا يتغير في مشيته. ولا يظهر منه جزع حتى يأتي النار فيثب فيها فيصير رماداً. فذكر بعض من حضر أن رجلاً منهم أراد دخول النار فلما أشرف عليها أخذ الخنجر فوضعه على رأس فؤاده فشقه بيده. ثم أدخل يده اليسرى فقبض على كبده فجذب منها ما تهيأ له وهو يتكلم. ثم قطع بالخنجر منها قطعة فدفعها إلى أخيه استهانة بالموت. وصبر على الألم ثم زج بنفسه في النار إلى لعنة الله. ومن عوائدهم القمار بالديكة والنرد والديكة عندهم عظيمة الأجسام وافرة الصياصي. يستعملون لها من الخناجر الصغار المرهفة ما يشد على صياصيها ثم ترسل. وقمارهم في الذهب والفضة والأرضين والنبات وغير ذلك. فيبلغ الديك الغالب جملة من الذهب (كتاب سلسلة التواريخ)

نبذة من عوائد السودان

٣٨٣ إن عاصمة ملك السودان تسمى بالغابة ويكتنفها الحدائق والمساكن وبناء بيوتهم بالحجارة وخشب السنط. وللملك قصر وقباب وقد أحاط بذلك كله حائط كالسور. وحول مدينة الملك غابات وشعراء يسكن فيها سحرتهم وهم الذين يقيمون دينهم. وفيها

دكاكيرهم وقبور ملوكهم . ولتلك الغابات حرس ولا يمكن أحدا دخولها ولا معرفة ما فيها . وهناك سجون الملك فإذا سجن فيها أحدا انقطع عن الناس خبره . وتراجمة الملك من المسلمين وكذلك صاحب بيت ماله وأكثر وزرائه . ولا يلبس المخيط من أهل دين الملك غيره وغير ولي عهده . ويلبس سائر الناس ملاحف القطن والحرير والديباج على قدر أحوالهم . وهم أجمع يحلقون لحاهم . وملكهم يتحلى بحلى النساء في العنق والذراعين . ويجعل على رأسه الطراطير المذهبة عليها عمائم القطن الرفيعة . وهو يجلس للناس والمظالم في قبة . ويكون حوالي القبة عشرة أفراس بثياب مذهبة . ووراء الملك عشرة من الغلمان يحملون الحجف والسيوف المحلاة بالذهب . وعن يمينه أولاد ملوك بلده قد ضفروا على رؤوسهم الذهب وعليهم الثياب الرفيعة . ووالي المدينة بين يدي الملك جالس في الأرض وحواليه الوزراء . وعلى باب القبة كلاب منسوبة لا تكاد تفارق موضع الملك تحرسه . في أعناقها سواجير الذهب والفضة يكون في الساجور عدد رمانات ذهب وفضة . وهم ينذرون بجلوسه بطبل وهو خشبة طويلة منقورة فيجتمع الناس . فإذا دنا أهل دينه منه جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤوسهم فتلك تحيتهم له . وديانتهم المجوسية وعبادة الدكاكير وإذا مات ملكهم عقدوا له قبة عظيمة من خشب الساج ووضعوها في موضع قبره . ثم أتوا به

عَلَى سَرِيرٍ قَلِيلِ ٱلْفُرُشِ وَٱلْوِطَاء فَأَدْخَلُوهُ فِي تِلْكَ ٱلْقُبَّةِ . وَوَضَعُوا مَعَهُ حِلْيَتَهُ وَسِلَاحَهُ وَآنِيَتَهُ ٱلَّتِي كَانَ يَأْكُلُ فِيهَا وَيَشْرَبُ . وَأَدْخَلُوا فِيهَا ٱلْأَطْعِمَةَ وَٱلْأَشْرِبَةَ وَأَدْخَلُوا مَعَهُ رِجَالًا مِمَّنْ كَانَ يَخْدُمُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ . وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِمْ بَابَ ٱلْقُبَّةِ وَجَعَلُوا فَوْقَ ٱلْقُبَّةِ ٱلْحُصُرَ وَٱلْأَمْتِعَةَ . ثُمَّ ٱجْتَمَعَ ٱلنَّاسُ فَرَدَمُوا فَوْقَهَا بِٱلتُّرَابِ حَتَّى تَأْتِيَ كَٱلْجَبَلِ ٱلضَّخْمِ . ثُمَّ يُخَنْدِقُونَ حَوْلَهَا حَتَّى لَا يُوصَلَ إِلَى ذٰلِكَ إِلَّا مِنْ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ . وَهُمْ يَذْبَحُونَ لِمَوْتَاهُمُ ٱلذَّبَائِحَ وَيُقَرِّبُونَ لَهُمُ ٱلْخُمُورَ

(المسالك والممالك للبكري)

فائدة فيما خُصَّت به كل بلدةٍ

٣٨٤ يُقَالُ : أَفَاعِي سِجِسْتَانَ . وَثَعَابِينُ مِصْرَ . وَذُبَابُ تَلِّ فَافِلٍ . وَأَوْزَغِيلَةَ . وَيُقَالُ : بُرُودُ ٱلْيَمَنِ . وَقَبَاطِيُّ مِصْرَ . وَدِيبَاجُ ٱلرُّومِ . وَخَزُّ ٱلسُّوسِ . وَحَرِيرُ ٱلصِّينِ . وَمِلْحُ مَرْوَ . وَأَكْسِيَةُ فَارِسَ . وَحُلَلُ أَصْبَهَانَ . وَسَقْلَاطُونِيُّ بَغْدَادَ . وَعَمَائِمُ ٱلْأُبُلَّةِ . وَيُقَالُ : سِنْجَابُ خِرْخِيزَ . وَسَمُّورُ بُلْغَارَ . وَثَعَالِبُ ٱلْخَزَرِ . وَفَنَكُ كَاشْغَرَ . وَحَوَاصِلُ هَرَاةَ . وَقَاقُمُ ٱلتَّغَزْغُزِ . وَيُقَالُ : عِتَاقُ ٱلْبَادِيَةِ . وَنَجَائِبُ ٱلْحِجَازِ . وَحَمِيرُ مِصْرَ . وَبَرَاذِينُ طَخَارِسْتَانَ . وَبِغَالُ بَرْذَعَةَ . وَيُقَالُ : سُكَّرُ ٱلْأَهْوَازِ . وَعَسَلُ أَصْفَهَانَ . وَقَصَبُ مِصْرَ . وَدِبْسُ أَرَّجَانَ . وَرُطَبُ ٱلْعِرَاقِ . وَعُنَّابُ جُرْجَانَ . وَتَمْرُ كِرْمَانَ . وَإِجَّاصُ بُسْتَ . وَسَفَرْجَلُ نَيْسَابُورَ . وَتُفَّاحُ ٱلشَّامِ . وَمِشْمِشُ طُوسَ . وَكُمَّثْرَى نَهَاوَنْدَ . وَنَارَنْجُ ٱلْبَصْرَةِ . وَفُشُوشُ

هَرَاةَ . وَأُتْرُجُ طَبَرِسْتَانَ . وَتِينُ حُلْوَانَ . وَعِنَبُ بَغْدَادَ . وَمَوْزُ ٱلْيَمَنِ وَوَرْدُ جُورَ . وَنَيْلُوفَرُ شِرْوَانَ . وَزَعْفَرَانُ قُمَّ . وَتَمْرُ حِنَّاءِ مَكَّةَ[1] . وَيُقَالُ: طَوَاعِينُ ٱلشَّامِ . وَطِحَالُ ٱلْبَحْرَيْنِ . وَحُمَّى خَيْبَرَ . وَدَمَامِلُ ٱلْجَزِيرَةِ . وَعِرْقُ مَكَّةَ . وَوَبَاءُ مِصْرَ . وَبِرْسَامُ ٱلْعِرَاقِ . وَقُرُوحُ بَلْخَ . وَٱلنَّارُ ٱلْفَارِسِيَّةُ . وَيُقَالُ: شِتَاءُ أَرْمِينِيَةَ . وَمَصِيفُ مِصْرَ . وَصَوَاعِقُ تِهَامَةَ . وَزَلْزَالُ ٱلدَّيْبُلِ . وَيُقَالُ: شُقْرَةُ ٱلرُّومِ . وَسَوَادُ ٱلزَّنْجِ . وَغِلَظُ ٱلتُّرْكِ . وَجَفَاءُ ٱلْخُتَّلِ . وَدَمَامَةُ ٱلصِّينِ . وَلَطَافَةُ بَغْدَادَ . وَقِصَرُ يَأْجُوجَ . وَطُولُ مَأْجُوجَ . وَذَكَاءُ مِصْرَ . وَبَلَادَةُ ٱلشَّامِ . وَحَمَاقَةُ ٱلْحَبَشِ . وَيُقَالُ: رُطَبُ تُوتَ . وَرُمَّانُ بَابَهْ . وَمَوْزُ هَتُورَ . وَسَمَكُ كِيهَكَ . وَلَبَنُ تَرْمَهَاتَ . وَنَبِقُ بَشَنْسَ (*) (الكنز المدفون)

[1] كذا في الاصل ونظنّ انهُ قد سقط منهُ كلمة بمرعد: تمرَ ٱلبصرة وحنّاء مكّة

(*) ومن قبيل تفرُّد البلاد تفرُّد الناس . قال الصَفَدِيّ: جماعة رُزِقوا السعادة في اشياء لم يأتِ بعدهم مَن نالها مثلهم . عليّ بن أبي طالب في القضاء . ابو عُبَيدة في الأمانة . ابو ذَرّ في صِدق اللهجة . أُبَيّ بن كعب في القرآن . زيد بن ثابت في الفرائض . ابن عبَّاس في تفسير القرآن . الحَسَن البصريّ في التذكير . وَهْب بن مُنَبِّه في القصص . ابن سيرين في التعبير . نافع في القراءة . ابو حنيفة في الفقه قياسًا . ابن اسحاق في المَغازي . مُقاتل في التأويل . ابن الكلبي الصغير في النَسَب . ابو الحسن المدائني في الأخبار . محمَّد بن جرير الطبريّ في علوم الأثر . الخليل في العَروض . الفُضَيل بن عياض في العِبادة . مالك بن أنَس في العلم . الشافعي في فقه الحديث . أبو عُبَيدة في الغريب . عليّ بن المديني في عِلَل الحديث . يحيى بن مَعين في الرجال . أحمد بن حُنبَل في السُنَّة . البُخاريّ في نقد الحديث الصحيح . الجُنَيد في التصوُّف . محمَّد بن نصر المَرْوَزي في الاختلاف . الجُبّائي في الاعتزال . الأشعريّ في الكلام . ابو القاسم الطبراني في العوالي . عبد الرزَّاق في ارتحال الناس اليهِ . ابن مَنْدَه في سعة الرحلة . أبو بكر الخطيب في سرعة الخطابة . سيبَوَيه في النحو . أبو الحَسَن البكريّ في الكذب . أياس في التفرُّس . عبد الحميد في الكتابة . أبو مُسْلم الخُراساني في علوّ الهمَّة والحزم . المَوصِليّ النديم في الغناء . أبو الفرَج

العقعق السارق

٣٨٥ حدثَ حمادُ بنُ إسحاقَ عن أبيهِ قالَ : كانَ لي وأنا صبيٌّ عقعقٌ قد ربيتُهُ وكانَ يتكلمُ بكلِّ شيءٍ سمعهُ . فسرقَ خاتمَ ياقوتٍ كانَ أبي وضعهُ على حجرٍ ليتوضأَ ثمَّ رجعَ فلم يجدهُ . فطلبهُ وضربَ غلامهُ الذي كانَ واقفًا فلم يقفْ لهُ على خبرٍ . فبينا أنا ذاتَ يومٍ في دارنا إذ أبصرتُ العقعقَ قد نبشَ ترابًا . فأخرجَ الخاتمَ منهُ ولعبَ بهِ طويلًا ثمَّ ردَّهُ فيهِ ودفنهُ . فأخذتهُ وجئتُ بهِ إلى أبي فسُرَّ بذلكَ وقالَ يهجو العقعقَ :

الأصبهانيّ صاحب الأغانيّ في المحاضرة . أبو معشر في النجوم . الرازيّ في الطبّ . الفضل بن يحيى في الجود . جعفر بن يحيى في التوقيع . ابن زيدون في سعة العبارة . ابن القِرِّيّة في البلاغة . الجاحظ في الأدب والبيان . الحريريّ في المقامات . البديع الهمذانيّ في الحفظ . ابو نواس في المطايبات والهزل . ابن الحجّاج في سخف الألفاظ . المتنبي في الحكم والأمثال شعرًا . الزمخشريّ في تعاطي العربيّة . النسفيّ في الجدل . جريرٌ في الهجاء الخبيث . حمّاد الراوية في شعر العرب . معاوية في الحلم . المأمون في حبّ العفو . عمرو بن العاص في الدهاء . الوليد في شرب الخمر . ابو موسى الأشعريّ في سلامة الباطن . عطاء السُّلَميّ في الخوف من الله . ابن البوّاب في الكتابة . القاضي الفاضل في الترسّل . العماد الكاتب في الجناس . ابن الجوزيّ في الوعظ . أشعب في الطمع . ابو نصر الفارابي في نقل كلام القدماء ومعرفته وتفسيره . حُنَين بن اسحاق في ترجمة اليونانيّ الى العربي . ثابت بن قرّة في تهذيب ما نُقِل من الرياضيّ الى العربي . ابن سينا في الفلسفة وعلوم الأوائل . الإمام فخر الدين في الاطّلاع على العلوم . السيف الآمدي في التحقيق . النصير الطوسيّ في المجسطي . ابن الهيثم في الرياضيّ . نجم الدين الكاتبي في المنطق . ابو العلاء المعرّيّ في الاطّلاع على اللغة . أبو العيناء في الأجوبة المسكتة . مَزْيد في البخل القاضي احمد بن ابي دؤاد في المروءة وحسن التقاضي . ابن المعتزّ في التشبيه . ابن الرومي في التطير . الصوليّ في الشطرنج . ابو محمد الغزالي في الجمع بين المنقول والمعقول . ابو الوليد بن رشد في تلخيص كتب الاقدمين الفلسفيّة والطبيّة . محيي الدين بن عربي في التصوّف (لبهاء الدين)

إذا بارَكَ اللهُ في طائرٍ   فلا بارَكَ اللهُ في العقعقِ
طويلُ الذنابى قصيرُ الجناحِ   متى ما يجد غفلةً يسرقِ
يُقلّبُ عينيهِ في رأسِهِ   كأنهما قطرتا زئبقِ

(الاغاني)

قصة اصحاب الكهف (سنة ٢٥١ للمسيح)

٣٨٦ كانَ للرومِ ملكٌ اسمهُ دقيانوسُ (دِسيوس) وكانَ يعبدُ الأصنامَ ويذبحُ للطواغيتِ. وكانَ ينزلُ قرى الرومِ ولا يتركُ فيها أحداً مؤمناً إلّا فتنهُ حتى يعبدَ الأصنامَ. فنزلَ يوماً مدينةَ أصحابِ الكهفِ وهي أفسوس وكانَ فيها بقايا على دينِ عيسى بن مريم يعبدونَ اللهَ. فهرب منهُ أهلُ الإيمانِ. وكانَ حينَ قدمَ المدينةَ اتّخذَ شرطةً منَ الكفارِ من أهلها يتتبعونَ أهلَ الإيمانِ في أماكنهم. فمن وقعَ بهِ الملكُ خيّرهُ بينَ القتلِ وعبادةِ الأصنامِ. فمنهم من يرغبُ ومنهم من يأبى فيُقتلُ. ثمّ يؤمرُ بأجسادِهم أن تعلّقَ على سورِ المدينةِ وعلى كلِّ بابٍ

فاتفقَ أنّ سبعةَ فتيانٍ من أولادِ البطارقةِ من أشرافِ القومِ خرجوا ذاتَ يومٍ لينظروا إلى المعذّبينَ من إخوتِهم. ففتحَ اللهُ أبصارَهم فكانوا يرونَ الرجلَ إذا قُتلَ هبطت إليهِ الملائكةُ منَ السماءِ وعرجوا بروحهِ. فآمنوا وتضرّعوا إلى اللهِ وجعلوا يقولونَ: ربّنا ربُّ السماواتِ والأرضِ لن ندعوَ من دونهِ إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً. اللّهمّ اكشف عن عبادكَ المؤمنينَ هذهِ الفتنةَ وادفعِ البلاءَ والغمَّ عن

الَّذِينَ آمَنُوا بِكَ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ أَدْرَكَهُمُ الشُّرْطَةُ وَكَانُوا قَدْ دَخَلُوا فِي مُصَلًّى لَهُمْ فَوَجَدُوهُمْ سَجَدُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ يَبْكُونَ وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى فَلَمَّا عَثَرَ عَلَيْهِمِ الْمَلِكُ قَالَ لَهُمْ: مَا مَنَعَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا آلِهَتَنَا فَاخْتَارُوا إِمَّا أَنْ تَذْبَحُوا لِآلِهَتِنَا وَإِمَّا أَنْ أَقْتُلَكُمْ. فَقَالَ مَكْسَلْمِينَا وَهُوَ أَكْبَرُهُمْ: إِنَّ لَنَا إِلٰهًا مَلَأَتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ عَظَمَتُهُ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلٰهًا. أَمَّا الطَّوَاغِيتُ وَعِبَادَتُهَا فَلَنْ نَعْبُدَهَا أَبَدًا فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ. فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ أَمَرَ الْمَلِكُ فَنَزَعَ مِنْهُمُ الْمَلْبُوسَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ مِنْ لُبُوسِ عُظَمَائِهِمْ وَقَالَ: إِنْ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فَإِنِّي سَأُؤَخِّرُكُمْ وَأَفْرُغُ لَكُمْ وَأُنْجِزُكُمْ مَا وَعَدْتُكُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ. وَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أُعَجِّلَ ذَلِكَ إِلَّا أَنِّي أَرَاكُمْ شَبَابًا حَدِيثَةً أَسْنَانُكُمْ. فَلَا أُحِبُّ أَنْ أُهْلِكَكُمْ حَتَّى أَجْعَلَ لَكُمْ أَجَلًا تَتَذَاكَرُونَ فِيهِ وَتُرَاجِعُونَ عُقُولَكُمْ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَأُخْرِجُوا مِنْ عِنْدِهِ. وَانْطَلَقَ دِقْيَانُوسُ إِلَى مَدِينَةٍ سِوَى مَدِينَتِهِمْ لِبَعْضِ أُمُورِهِ.

فَلَمَّا عَلِمَ الْفِتْيَةُ أَنَّ دِقْيَانُوسَ خَرَجَ مِنْ مَدِينَتِهِمُ ائْتَمَرُوا أَنْ يَأْخُذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ نَفَقَةً مِنْ بَيْتِ أَبِيهِ فَيَتَصَدَّقُوا مِنْهَا ثُمَّ يَتَزَوَّدُوا بِمَا بَقِيَ. ثُمَّ يَنْطَلِقُوا إِلَى كَهْفٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَدِينَةِ فَيَمْكُثُونَ فِيهِ وَيَعْبُدُونَ اللهَ تَعَالَى. حَتَّى إِذَا جَاءَ دِقْيَانُوسُ أَتَوْهُ فَقَامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَصْنَعُ بِهِمْ مَا شَاءَ. فَلَمَّا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ خَرَجُوا إِلَى الْجَبَلِ وَجَعَلُوا نَفَقَتَهُمْ إِلَى فَتًى مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ تَمْلِيخَا. فَكَانَ يَبْتَاعُ لَهُمْ طَعَامَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ. وَكَانَ

مِنْ أَجْمَلِهِمْ وَأَجْلَدِهِمْ . وَكَانَ إِذَا دَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ لَبِسَ ثِيَابَ ٱلْمَسَاكِينِ وَٱشْتَرَى طَعَامَهُمْ وَتَجَسَّسَ لَهُمُ ٱلْأَخْبَارَ . فَلَبِثُوا كَذٰلِكَ زَمَانًا . ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ ٱلْمَلِكَ يَتَطَلَّبُهُمْ . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذٰلِكَ عِنْدَ غُرُوبِ ٱلشَّمْسِ يَتَحَدَّثُونَ وَيَتَدَارَسُونَ إِذْ ضَرَبَ ٱللهُ عَلَى آذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ . فَوَقَفَ ٱلْمَلِكُ عَلَى أَمْرِهِمْ فَأَلْقَى إِبْلِيسُ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَأْمُرَ بِٱلْكَهْفِ فَيُسَدَّ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَمُوتُوا جُوعًا وَعَطَشًا . وَقَدْ تَوَفَّى ٱللهُ أَرْوَاحَهُمْ وَفَاةَ ٱلنَّوْمِ . ثُمَّ عَمَدَ رَجُلَانِ مُؤْمِنَانِ كَانَا فِي بَيْتِ ٱلْمَلِكِ فَكَتَبَا شَأْنَ ٱلْفِتْيَةِ وَأَسْمَاءَهُمْ وَأَنْسَابَهُمْ فِي رَقِيمٍ . وَجَعَلَاهُ فِي تَابُوتٍ مِنْ نُحَاسٍ وَجَعَلَاهُ فِي ٱلْبُنْيَانِ . وَنَامُوا ثَلَاثَمِائَةِ سَنَةٍ وَٱزْدَادُوا تِسْعًا وَفَقَدَهُمُ ٱلْمَلِكُ وَقَوْمُهُمْ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ مَلَكَ أَهْلَ تِلْكَ ٱلْبِلَادِ رَجُلٌ صَالِحٌ يُقَالُ لَهُ تَاوُدُوسِيُوسُ . وَتَحَزَّبَ ٱلنَّاسُ فِي مُلْكِهِ أَحْزَابًا فَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِٱللهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ ٱلسَّاعَةَ حَقٌّ وَمِنْهُمْ مَنْ يُكَذِّبُ . فَحَزِنَ حُزْنًا شَدِيدًا لَمَّا رَأَى أَهْلَ ٱلْبَاطِلِ يَزِيدُونَ وَيَظْهَرُونَ عَلَى أَهْلِ ٱلْحَقِّ وَيَقُولُونَ : لَا حَيَاةَ إِلَّا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا . وَإِنَّمَا تُبْعَثُ ٱلْأَرْوَاحُ وَلَا تُبْعَثُ ٱلْأَجْسَادُ .

ثُمَّ إِنَّ ٱلرَّحْمٰنَ ٱلرَّحِيمَ أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ ٱلْفِتْيَةَ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ شَأْنَهُمْ وَيَجْعَلَهُمْ آيَةً لِيَعْلَمُوا بِهَا أَنَّ ٱلسَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا . فَأَلْقَى ٱللهُ فِي نَفْسِ رَجُلٍ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ أَنْ يَبْنِيَ فِيهِ حَظِيرَةً لِغَنَمِهِ . فَٱسْتَأْجَرَ عَامِلَيْنِ فَجَعَلَا يَنْزِعَانِ تِلْكَ ٱلْأَحْجَارَ وَيَبْنِيَانِ بِهَا تِلْكَ ٱلْحَظِيرَةَ . حَتَّى فَرَغَ مَا عَلَى فَمِ ٱلْكَهْفِ . فَلَمَّا فَتَحَ عَلَيْهِمْ

ٱلْبَابُ أَذِنَ ٱللهُ ذُو ٱلْقُدْرَةِ وَٱلْعَظَمَةِ وَٱلسُّلْطَانِ مُحْيِي ٱلْمَوْتَى أَنْ يَقُومَ ٱلْفِتْيَةُ. فَجَلَسُوا فَرِحِينَ مُسْتَبْشِرَةً وُجُوهُهُمْ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ. فَسَلَّمَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ. حَتَّى كَأَنَّمَا ٱسْتَيْقَظُوا مِنْ سَاعَتِهِمِ ٱلَّتِي كَانُوا يَسْتَيْقِظُونَ فِيهَا إِذَا أَصْبَحُوا مِنْ لَيْلَتِهِمِ ٱلَّتِي يَبِيتُونَ فِيهَا. ثُمَّ قَامُوا إِلَى ٱلصَّلَاةِ فَصَلَّوْا كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ لَا يُرَى فِي وُجُوهِهِمْ وَلَا فِي أَبْشَارِهِمْ وَلَا أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ يُكْرِهُونَهُ. إِنَّمَا هُمْ كَهَيْئَتِهِمْ حِينَ رَقَدُوا. وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مَلِكَهُمْ دِقْيَانُوسَ ٱلْجَبَّارَ فِي طَلَبِهِمْ. فَلَمَّا قَضَوْا صَلَاتَهُمْ قَالَ لَهُمْ مَكْسَلْمِينَا: يَا إِخْوَتَاهُ ٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُو ٱللهِ فَلَا تَكْفُرُوا بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِذَا دَعَاكُمْ غَدًا. ثُمَّ قَالَ لِتَمْلِيخَا: ٱنْطَلِقْ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَٱسْمَعْ مَا يَقُولُهُ ٱلنَّاسُ فِي شَأْنِنَا. فَتَلَطَّفْ وَلَا تُشْعِرَنَّ بِنَا أَحَدًا وَٱبْتَعْ لَنَا طَعَامًا وَأْتِنَا بِهِ فَإِنَّهُ قَدْ نَالَنَا ٱلْجُوعُ. فَأَخَذَ تَمْلِيخَا ٱلثِّيَابَ ٱلَّتِي كَانَ يَتَنَكَّرُ فِيهَا وَأَخَذَ وَرِقًا مِنْ نَفَقَتِهِمِ ٱلَّتِي كَانَتْ مَعَهُمُ ٱلَّتِي ضُرِبَتْ بِطَابَعِ دِقْيَانُوسَ. فَٱنْطَلَقَ تَمْلِيخَا خَارِجًا فَلَمَّا مَرَّ بِبَابِ ٱلْكَهْفِ رَأَى ٱلْحِجَارَةَ مَنْزُوعَةً عَنْ بَابِ ٱلْكَهْفِ. فَعَجِبَ مِنْهَا ثُمَّ مَرَّ فَلَمْ يُبَالِ بِهَا. حَتَّى أَتَى بَابَ ٱلْمَدِينَةِ مُسْتَخْفِيًا يَصُدُّ عَنِ ٱلطَّرِيقِ تَخَوُّفًا مِنْ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا فَيَعْرِفَهُ فَيَذْهَبَ بِهِ إِلَى دِقْيَانُوسَ ٱلْجَبَّارِ. وَلَمْ يَشْعُرْ أَنَّ دِقْيَانُوسَ وَأَهْلَهُ قَدْ هَلَكُوا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ. فَلَمَّا رَأَى تَمْلِيخَا بَابَ ٱلْمَدِينَةِ رَفَعَ رَأْسَهُ فَرَأَى فَوْقَ ظَهْرِ ٱلْبَابِ عَلَامَةً تَكُونُ لِأَهْلِ ٱلْإِيمَانِ. فَلَمَّا رَآهَا عَجِبَ وَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا مُسْتَخْفِيًا. فَنَظَرَ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَمْ يَرَ أَحَدًا مِمَّنْ يَعْرِفُهُ.

ثُمَّ تَرَكَ ذٰلِكَ ٱلْبَابَ وَتَحَوَّلَ إِلَى بَابٍ آخَرَ مِنْ أَبْوَابِهَا فَرَأَى مِثْلَ ذٰلِكَ. فَجَعَلَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّ ٱلْمَدِينَةَ لَيْسَتْ بِٱلَّتِي كَانَ يَعْرِفُهَا. وَرَأَى نَاسًا كَثِيرِينَ مُحْدَثِينَ فَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُمْ قَبْلَ ذٰلِكَ. فَجَعَلَ يَمْشِي وَيَتَعَجَّبُ مِنْهُمْ وَمِنْ نَفْسِهِ وَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ حَيْرَانُ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى ٱلْبَابِ ٱلَّذِي أَتَى مِنْهُ. فَجَعَلَ يَتَعَجَّبُ مِنْهُ وَمِنْ نَفْسِهِ وَيُخَيَّلُ لَهُ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَ شِعْرِي أَمَّا هٰذِهِ عَشِيَّةَ أَمْسِ كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ يُخْفُونَ هٰذِهِ ٱلْعَلَامَةَ وَيَسْتَخْفُونَ بِهَا. فَأَمَّا ٱلْيَوْمَ فَإِنَّهَا ظَاهِرَةٌ لَعَلِّي حَالِمٌ. ثُمَّ يَرَى أَنَّهُ لَيْسَ بِنَائِمٍ فَأَخَذَ كِسَاءَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى رَأْسِهِ

ثُمَّ دَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَمْشِي بَيْنَ ظَهْرَانَيْ سُوقِهَا فَيَسْمَعُ نَاسًا كَثِيرِينَ يَذْكُرُونَ ٱللهَ ثُمَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ. فَزَادَهُ عَجَبًا وَرَأَى كَأَنَّهُ حَيْرَانُ. فَقَامَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى جِدَارٍ مِنْ جُدْرَانِ ٱلْمَدِينَةِ وَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ: مَا أَدْرِي مَا هٰذَا أَمَّا عَشِيَّةَ أَمْسِ فَمَا كَانَ عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ إِنْسَانٌ يَذْكُرُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ إِلَّا قُتِلَ. وَأَمَّا ٱلْغَدَاةَ فَأَسْمَعُ كُلَّ إِنْسَانٍ يَذْكُرُ أَمْرَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَلَا يَخَافُ. ثُمَّ قَالَ فِي نَفْسِهِ: لَعَلَّ هٰذِهِ لَيْسَتِ ٱلْمَدِينَةَ ٱلَّتِي أَعْرِفُهَا أَسْمَعُ كَلَامَ أَهْلِهَا وَلَا أَعْرِفُ أَحَدًا لٰكِنِّي مَا أَعْلَمُ مَدِينَةً أَقْرَبَ مِنْ مَدِينَتِنَا. ثُمَّ قَامَ كَٱلْحَيْرَانِ لَا يَتَوَجَّهُ وَجْهًا. ثُمَّ لَقِيَ فَتًى مِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ فَقَالَ: يَا فَتَى مَا ٱسْمُ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ. فَقَالَ: أَفْسُوسُ. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: لَعَلَّ بِي مَسًّا أَوْ أَمْرًا أَذْهَبَ عَقْلِي. ثُمَّ إِنَّهُ أَفَاقَ فَقَالَ: لَوْ عَجَّلْتُ ٱلْخُرُوجَ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ يُفْطَنَ بِي لَكَانَ

أكيس بي . فدنا من الذين يبيعون الطعام فأخرج الورق التي كانت معه فأعطاها رجلا منهم فقال : يا عبد الله بعني بهذه الورق طعاما . فأخذها الرجل ونظر إلى ضرب الورق ونقشها وعجب منها . ثم طرحها إلى رجل من أصحابه فنظر إليها . ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل وهم يعجبون منها . ثم جعلوا يتشاورون من أجله ويقول بعضهم : إن هذا الرجل قد أصاب كنزا خبيئا في الأرض منذ زمان ودهر طويل . فلما رآهم يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا وحزن حزنا عظيما . وجعل يرتعد ويظن أنهم فطنوا به وعرفوه وإنما يريدون أن يحملوه إلى ملكهم دقيانوس . وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرفونه . فقال لهم وهو شديد الفرق : اقضوا لي حاجتي فقد أخذتم ورقي وإلا فأمسكوا طعامكم فلا حاجة لي فيه . فقالوا له : من أنت يا فتى وما شأنك . إنك لقد وجدت كنزا من كنوز الأولين وأنت تريد أن تخفيه عنا فانطلق معنا وشاركنا فيه يخف عليك ما وجدت . فإنك إن لم تفعل نأت بك السلطان فنسلمك إليه فيقتلك . فلما سمع قولهم عجب في نفسه وقال : قد وقعت في كل شيء أحذر منه . ثم قالوا : يا فتى إنك لا تستطيع أن تكتم شيئا وجدته ولا تظن في نفسك أن سيخفى عليك فأطرق تمليخا لا يدري ما يقول وما يرجع إليهم وفرق حتى لم يحر إليهم جوابا . فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطوقوه في عنقه . ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة مكبلا

حَتَّى سَمِعَ بِهِ كُلُّ مَنْ فِيهَا فَقِيلَ: أُخِذَ رَجُلٌ عِنْدَهُ كَنْزٌ. وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ صَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَقُولُونَ: مَا هٰذَا الْفَتَى مِنْ أَهْلِ هٰذِهِ الْمَدِينَةِ وَمَا رَأَيْنَاهُ فِيهَا قَطُّ وَمَا نَعْرِفُهُ. فَجَعَلَ تَمْلِيخَا مَا يَدْرِي مَا يَقُولُ لَهُمْ مَعَ مَا سَمِعَ مِنْهُمْ. فَلَمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فَرِقَ وَسَكَتَ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ. وَلَوْ قَالَ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَمْ يُصَدَّقْ. وَكَانَ مُسْتَيْقِنًا أَنَّ أَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ بِالْمَدِينَةِ وَأَنَّ حَسَبَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنْ عُظَمَاءِ أَهْلِهَا وَأَنَّهُمْ سَيَأْتُونَهُ إِذَا سَمِعُوا. وَقَدِ اسْتَيْقَنَ أَنَّهُ عَشِيَّةَ أَمْسِ كَانَ يَعْرِفُ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِهَا وَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ الْيَوْمَ مِنْ أَهْلِهَا أَحَدًا

فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ كَالْحَيْرَانِ يَنْتَظِرُ مَنْ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْضِ أَهْلِهِ إِمَّا أَبُوهُ أَوْ بَعْضُ إِخْوَتِهِ فَيُخَلِّصُهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ إِذِ اخْتَطَفُوهُ فَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى رَئِيسَيِ الْمَدِينَةِ وَمُدَبِّرَيْهَا اللَّذَيْنِ يُدَبِّرَانِ أَمْرَهَا. وَهُمَا رَجُلَانِ صَالِحَانِ اسْمُ أَحَدِهِمَا أَرْمُوسُ وَالْآخَرِ إِصْطَفُوسُ. فَلَمَّا انْطُلِقَ بِهِ إِلَيْهِمَا ظَنَّ تَمْلِيخَا أَنَّمَا يُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى دِقْيَانُوسَ الْجَبَّارِ مَلِكِهِمِ الَّذِي هَرَبُوا مِنْهُ. فَجَعَلَ يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا وَجَعَلَ النَّاسُ يَسْخَرُونَ بِهِ كَمَا يَسْخَرُونَ مِنَ الْمَجْنُونِ وَالْحَيْرَانِ. وَجَعَلَ تَمْلِيخَا يَبْكِي ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: اللّٰهُمَّ إِلٰهَ السَّمَاءِ وَإِلٰهَ الْأَرْضِ أَفْرِغْ عَلَيَّ الْيَوْمَ صَبْرًا وَأَوْلِجْ مَعِي رُوحًا مِنْكَ تُؤَيِّدُنِي بِهِ عِنْدَ هٰذَا الْجَبَّارِ. وَجَعَلَ يَبْكِي وَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ: فُرِّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي يَا لَيْتَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا لَقِيتُ وَأَيْنَ يُذْهَبُ بِي. فَلَوْ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ فَيَأْتُونِي فَنَقُومَ جَمِيعًا بَيْنَ يَدَيْ هٰذَا الْجَبَّارِ. فَإِنَّا كُنَّا

توافقنا لنكونن معاً لا نكفر بالله ولا نعبد الطواغيت من دون الله عز وجل. فرق بيني وبينهم فلم أرهم ولم يروني. وقد كنا توافقنا أن لا نفترق في حياة ولا موت أبداً. يا ليت شعري ما هو فاعل بي أقاتلي أم لا

ثم انتهي به إلى الرجلين الصالحين أرموس وإصطفوس فلما رأى تمليخا أنه لم يذهب به إلى دقيانوس أفاق وسكن عنه البكاء فأخذ أرموس وإصطفوس الورق فنظرا إليها وعجبا منها. ثم قال له أحدهما: أين الكنز الذي وجدته يا فتى. فهذا الورق يشهد عليك أنك قد وجدت كنزاً. فقال له تمليخا: ما وجدت كنزاً ولكن هذا الورق ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها. ولكني ما أدري ما أقول لكم. قال أحدهما: من أنت. فقال له تمليخا: أما ما أرى فإني كنت أرى أني من أهل هذه المدينة. فقالوا له: من أبوك ومن يعرفك بها. فأنبأهم باسم أبيه فلم يجدوا أحداً يعرفه ولا أباه. فقال له أحدهما: أنت رجل كذاب لا تخبر بالحق. فلم يدر تمليخا ما يقول لهم غير أنه نكس رأسه إلى الأرض. فقال بعض من حوله: هذا الرجل مجنون. وقال بعضهم: ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمداً لكي يفلت منكم. فقال له أحدهما ونظر إليه نظراً شديداً: أتظن أنا نرسلك ونصدقك أن هذا مال أبيك. ونقش هذه الورق وضربها أكثر من ثلاثمائة سنة. وأنت غلام شاب تظن أنك تأفكنا وتسخر

بِنا ونَحنُ نُنمَطُ كما تَرَى. وَحولَكَ سَراةُ أَهلِ المَدِينَةِ وولاةُ أَمرِها وَخزائِنُ هٰذِهِ البَلدَةِ بِأَيدِينا. ولَيسَ عِندَنا مِن هٰذا الضَّربِ دِرهَمٌ وَلا دِينارٌ. وَإِنِّي لأَظُنُّنِي سآمُرُ بِكَ فَتُضرَبُ وتُعَذَّبُ عَذاباً شَدِيداً ثُمَّ أُوثِقُكَ حَتَّى تُقِرَّ بِهٰذا الكَنزِ الَّذِي وَجَدتَ. فَلَمَّا قالَ لَهُ ذٰلِكَ قالَ لَهُ تَملِيخا: أَنبِئُونِي عَن شَيءٍ أَسأَلُكُم عَنهُ فَإِن فَعَلتُم صَدَقتُكُم ما عِندِي. قالُوا: سَل لا نَكتُمكَ شَيئاً. قالَ: فَما فَعَلَ المَلِكُ دِقيانُوسُ. فَقالُوا لَهُ: لَيسَ نَعرِفُ اليَومَ عَلى وَجهِ الأَرضِ مَلِكاً يُسَمَّى دِقيانُوسَ. وَلَم يَكُن إِلَّا مَلِكاً قَد هَلَكَ مُنذُ زَمانٍ وَدَهرٍ طَوِيلٍ وَقَد هَلَكَت بَعدَهُ قُرُونٌ كَثِيرَةٌ. فَقالَ لَهُم تَملِيخا: فَوَاللهِ ما يُصَدِّقُنِي أَحَدٌ مِنَ النّاسِ بِما أَقُولُ. لَقَد كُنّا فِتيَةَ المَلِكِ وَإِنَّهُ أَكرَهَنا عَلى عِبادَةِ الأَوثانِ وَالذَّبحِ لِلطَّواغِيتِ فَهَرَبنا مِنهُ عَشِيَّةَ أَمسِ فَنِمنا. فَلَمَّا انتَبَهنا خَرَجتُ لأَشتَرِيَ لِأَصحابِي طَعاماً وَأَتَجَسَّسَ لَهُمُ الأَخبارَ فَإِذا أَنا كَما تَرَونَ. فَانطَلِقُوا مَعِي إِلى الكَهفِ الَّذِي فِي جَبَلِ مَنجَلُوسَ أُرِكُم أَصحابِي. فَلَمَّا سَمِعَ أَرمُوسُ وَإِصطَفُوسُ ما يَقُولُ تَملِيخا قالا: يا قَومُ لَعَلَّ هٰذِهِ آيَةٌ مِن آياتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَها اللهُ لَكُم عَلى يَدَي هٰذا الفَتَى. فَانطَلِقُوا بِنا مَعَهُ لِيُرِيَنا أَصحابَهُ كَما قالَ. فَانطَلَقَ مَعَهُ أَرمُوسُ وَإِصطَفُوسُ وَانطَلَقَ مَعَهُما أَهلُ المَدِينَةِ كَبِيرُهُم وَصَغِيرُهُم نَحوَ أَصحابِ الكَهفِ لِيَنظُرُوا إِلَيهِم

وَلَمّا رَأَى الفِتيَةُ أَصحابُ الكَهفِ تَملِيخا قَدِ احتَبَسَ عَنهُم بِطَعامِهِم

وَشَرابِهِمْ عَنِ ٱلْقَدَرِ ٱلَّذِي كَانَ يَأْتِيهِمْ فِيهِ ظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ أُخِذَ وَذُهِبَ بِهِ إِلَى مَلِكِهِمْ دِقْيَانُوسَ ٱلَّذِي هَرَبُوا مِنْهُ. فَبَيْنَمَا هُمْ يَظُنُّونَ ذٰلِكَ وَيَتَخَوَّفُونَهُ إِذْ سَمِعُوا ٱلْأَصْوَاتَ وَجَلَبَةَ ٱلْخَيْلِ مُصْعِدَةً نَحْوَهُمْ. فَظَنُّوا أَنَّهُمْ رُسُلُ ٱلْجَبَّارِ دِقْيَانُوسَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ لِيُؤْتَى بِهِمْ. فَقَامُوا حِينَ سَمِعُوا ذٰلِكَ إِلَى ٱلصَّلَاةِ وَسَلَّمَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَقَالُوا: ٱنْطَلِقُوا بِنَا إِلَى أَخِينَا تَمْلِيخَا فَإِنَّهُ ٱلْآنَ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْجَبَّارِ دِقْيَانُوسَ يَنْتَظِرُ مَتَى نَأْتِيهِ. فَبَيْنَمَا هُمْ يَقُولُونَ ذٰلِكَ وَهُمْ جُلُوسٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيِ ٱلْكَهْفِ فَلَمْ يَرَوْا إِلَّا أَرْمُوسَ وَأَصْحَابَهُ وَقُومًا وُقُوفًا عَلَى بَابِ ٱلْكَهْفِ وَقَدْ سَبَقَهُمْ تَمْلِيخَا. فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَبْكِي فَلَمَّا رَأَوْهُ يَبْكِي بَكَوْا مَعَهُ. ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنْ شَأْنِهِ فَأَخْبَرَهُمْ بِخَبَرِهِ وَقَصَّ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْأَلَةَ. فَعَرَفُوا عِنْدَ ذٰلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا نِيَامًا بِإِذْنِ ٱللهِ تَعَالَى ذٰلِكَ ٱلزَّمَانَ كُلَّهُ. وَإِنَّمَا أُوقِظُوا لِيَكُونُوا آيَةً لِلنَّاسِ وَتَصْدِيقًا لِلْبَعْثِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ ٱلسَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا. ثُمَّ دَخَلَ عَلَى أَثَرِ تَمْلِيخَا أَرْمُوسُ فَرَأَى تَابُوتًا مِنْ نُحَاسٍ مَخْتُومًا بِخَاتَمٍ مِنْ فِضَّةٍ. فَقَامَ بِبَابِ ٱلْكَهْفِ وَدَعَا رِجَالًا مِنْ عُظَمَاءِ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَفَتَحَ ٱلتَّابُوتَ عِنْدَهُمْ. فَوَجَدُوا فِيهِ لَوْحَيْنِ مِنْ رَصَاصٍ مَكْتُوبًا فِيهِمَا إِنَّ مَكْسَلْمِينَا وَتَمْلِيخَا وَمَرْطُوكُشَ وَنَوَالِسَ وَسَانُيوسَ وَبَطْنُيوسَ وَكَشْفُوطَطَ (*) كَانُوا فِتْيَةً هَرَبُوا مِنْ مَلِكِهِمْ دِقْيَانُوسَ

(*) وقد ضبط مؤرخو الكنيسة اسماءهم هكذا: مكسيميانوس وملكوس ومرتينيانوس وديونيسيوس ويوحنا وسرابيون وقسطنطينوس

الجبار مخافة أن يفتنهم عن دينهم فدخلوا في هذا الكهف. فلما أخبر بمكانهم أمر بهذا الكهف فسد عليهم بالحجارة. وإنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلم من بعدهم إن عثر عليهم. فلما قرؤوه عجبوا وحمدوا الله عز وجل الذي أراهم آية البعث فيهم. ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه. ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوساً بين ظهرانيه ووجوههم مشرقة ولم تبل ثيابهم. فخر أرموس وأصحابه سجداً لله تعالى وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته. ثم كلم بعضهم بعضاً وأنبأهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس الجبار. ثم إن أرموس وأصحابه بعثوا بريداً إلى ملكهم الصالح تاودوسيوس أن عجل لعلك تنظر إلى آية من آيات الله تعالى جعلها الله آية على ملكك. وجعلها آية للعالمين ليكون ذلك نوراً وضياء وتصديقاً بالبعث. فاعجل على فتية بعثهم الله وكان قد توفاهم منذ أكثر من ثلاثمائة سنة. فلما أتى الملك الخبر قام من السدة التي كان عليها وذهب عنه همه. وقال: أحمد الله رب العالمين رب السماوات والأرض وأعبدك وأسبح لك. تطولت علي ورحمتني برحمتك فلم تطفئ النور الذي كنت جعلته لآبائي

فلما أنبئ به أهل المدينة ركبوا إليه وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف وأتوه فلما رأى الفتية تاودوسيوس فرحوا به وخروا سجداً على وجوههم. وقام تاودوسيوس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى.

وَهُمْ جُلُوسٌ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَ اللّٰهَ تَعَالَى وَيَحْمَدُونَهُ. ثُمَّ قَالَ الْفِتْيَةُ لِتَاوُدُوسِيُوسَ: نَسْتَوْدِعُكَ اللّٰهَ وَنَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ حَفِظَكَ اللّٰهُ وَمَدَّ مُلْكَكَ وَنُعِيذُكَ بِاللّٰهِ مِنْ شَرِّ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ. فَبَيْنَمَا الْمَلِكُ قَائِمٌ رَجَعُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ فَنَامُوا وَتَوَفَّى اللّٰهُ أَرْوَاحَهُمْ. وَقَامَ الْمَلِكُ فَجَعَلَ ثِيَابَهُ عَلَيْهِمْ. وَأَمَرَ أَنْ يُجْعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ تَابُوتٌ مِنْ ذَهَبٍ. فَلَمَّا أَمْسَوْا وَنَامَ أَتَوْهُ فِي الْمَنَامِ وَقَالُوا: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ مِنْ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ وَلٰكِنَّا خُلِقْنَا مِنَ التُّرَابِ وَإِلَى التُّرَابِ نَصِيرُ. فَاتْرُكْنَا كَمَا كُنَّا فِي الْكَهْفِ عَلَى التُّرَابِ حَتَّى يَبْعَثَنَا اللّٰهُ. فَأَمَرَ الْمَلِكُ حِينَئِذٍ بِتَابُوتٍ مِنْ سَاجٍ فَجُعِلُوا فِيهِ. وَحَجَبَهُمُ اللّٰهُ حِينَ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِمْ بِالرُّعْبِ فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِمْ. وَأَمَرَ الْمَلِكُ فَجُعِلَ عَلَى بَابِ الْكَهْفِ مَسْجِدًا يُصَلَّى فِيهِ. وَجَعَلَ لَهُمْ عِيدًا عَظِيمًا (للدميري بتلخيص)

الباب الثاني عشر
في الأسفار

مدح السفر

٣٨٧ اَلسَّفَرُ أَحَدُ أَسْبَابِ الْمَعَاشِ الَّتِي بِهَا قِوَامُهُ وَنِظَامُهُ لِأَنَّ اللّٰهَ تَعَالَى لَمْ يَجْمَعْ مَنَافِعَ الدُّنْيَا فِي أَرْضٍ بَلْ فَرَّقَهَا وَأَحْوَجَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ. وَمِنْ فَضْلِهِ أَنَّ صَاحِبَهَا يَرَى مِنْ عَجَائِبِ الْأَمْصَارِ. وَبَدَائِعِ الْأَقْطَارِ.

وَمَحَاسِنِ ٱلْآثَارِ . مَا يَزِيدُهُ عِلْمًا . وَيُفِيدُهُ فَهْمًا . بِقُدْرَةِ ٱللهِ وَحِكْمَتِهِ . وَيَدْعُوهُ إِلَى شُكْرِ نِعْمَتِهِ . وَيُسْمِعُ ٱلْعَجَائِبَ . وَيُكْسِبُ ٱلتَّجَارِبَ . وَيَفْتَحُ ٱلْمَذَاهِبَ . وَيَجْلِبُ ٱلْمَكَاسِبَ . وَيَشُدُّ ٱلْأَبْدَانَ . وَيُنَشِّطُ ٱلْكَسْلَانَ . وَيُسْلِي ٱلْأَحْزَانَ . وَيَطْرُدُ ٱلْأَسْقَامَ . وَيُشَهِّي ٱلطَّعَامَ . وَيَحُطُّ سَوْرَةَ ٱلْكِبْرِ . وَيَبْعَثُ عَلَى طَلَبِ ٱلذِّكْرِ . وَقَالَ حَاتِمٌ طَيِّءٍ :

إِذَا لَزِمَ ٱلنَّاسُ ٱلْبُيُوتَ رَأَيْتَهُمْ عُمَاةً عَنِ ٱلْأَخْبَارِ خُرْقَ ٱلْمَكَاسِبِ

٣٨٨ وَفِي ٱلْمَنْهَجِ : مَنْ آثَرَ ٱلسَّفَرَ عَلَى ٱلْقُعُودِ . فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَعُودَ مُورِقَ ٱلْعُودِ . وَرُبَّمَا أَسْفَرَ ٱلسَّفَرُ عَنِ ٱلظَّفَرِ . وَتَعَذَّرَ فِي ٱلْوَطَنِ قَضَاءُ ٱلْوَطَرِ . وَتَقُولُ ٱلْعَامَّةُ : كَلْبٌ جَوَّالٌ خَيْرٌ مِنْ أَسَدٍ رَابِضٍ (لِلْقُدْسِيِّ)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

تَغَرَّبْ عَنِ ٱلْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ ٱلْعُلَى وَسَافِرْ فَفِي ٱلْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
تَفَرُّجُ هَمٍّ وَٱكْتِسَابُ مَعِيشَةٍ وَعِلْمٌ وَآدَابٌ وَصُحْبَةُ مَاجِدِ
فَإِنْ قِيلَ فِي ٱلْأَسْفَارِ ذُلٌّ وَمِحْنَةٌ وَقَطْعُ ٱلْفَيَافِي وَٱرْتِكَابُ ٱلشَّدَائِدِ
فَمَوْتُ ٱلْفَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ مُقَامِهِ بِدَارِ هَوَانٍ بَيْنَ وَاشٍ وَحَاسِدِ

٣٨٩ قَالَ ٱلْمَأْمُونُ : لَا شَيْءَ أَلَذُّ مِنَ ٱلسَّفَرِ فِي كِفَايَةٍ لِأَنَّكَ تَحُلُّ كُلَّ يَوْمٍ فِي مَحَلَّةٍ لَمْ تَحُلَّهَا وَتُعَاشِرُ قَوْمًا لَمْ تُعَاشِرْهُمْ . وَفِي كِتَابِ ٱلْهِنْدِ : مَنْ لَمْ يَرْكَبِ ٱلْأَهْوَالَ لَمْ يَنَلِ ٱلرَّغَائِبَ . قَالَ ٱلشَّاعِرُ :

لَا يَمْنَعَنَّكَ خَفْضُ ٱلْعَيْشِ فِي دَعَةٍ مِنْ أَنْ تُبَدِّلَ أَوْطَانًا بِأَوْطَانِ
تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَلْتَ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلٍ وَإِخْوَانًا بِإِخْوَانِ

وقالَ أيضاً:

بِلادُ ٱللهِ واسِعةٌ فَضاءٌ ورِزقُ ٱللهِ في ٱلدُّنيا فَسيحُ
فَقُلْ لِلقاعِدينَ على هَوانٍ إذا ضاقَتْ بِكُمْ أرضٌ فَسيحوا

قالَ غيرُهُ:

أشَدُّ مِنْ فاقةِ ٱلزَّمانِ مُقامُ حُرٍّ على هَوانِ
فَٱسْتَرْزِقِ ٱللهَ وٱسْتَعِنْهُ فإنَّهُ خَيْرُ مُسْتَعانِ
وإنْ نَبا مَنْزِلٌ بِحُرٍّ فَمِنْ مَكانٍ إلى مَكانِ

قالَ آخَرُ:

سافِرْ تَجِدْ عِوَضاً عَمَّنْ تُفارِقُهُ
وٱنْصَبْ فإنَّ لَذيذَ ٱلعَيْشِ في ٱلنَّصَبِ
ما في ٱلمُقامِ لِذي لُبٍّ وذي أدَبٍ
مَعَزَّةٌ فَٱتْرُكِ ٱلأوطانَ وٱغْتَرِبِ
إنِّي رأيتُ وُقوفَ ٱلماءِ يُفْسِدُهُ
إنْ ساحَ طابَ وإنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِبِ
وٱلبَدْرُ لَوْلا أُفُولٌ مِنْهُ ما نَظَرَتْ
إلَيْهِ في كُلِّ حينٍ عَيْنُ مُرْتَقِبِ
وٱلأُسْدُ لَوْلا فِراقُ ٱلغابِ ما قَنَصَتْ
وٱلسَّهْمُ لَوْلا فِراقُ ٱلقَوْسِ لَمْ يُصِبِ
وٱلتِّبْرُ كَٱلتُّرْبِ مُلْقىً في مَعادِنِهِ

وَٱلْعُودُ فِي أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ ٱلْحَطَبِ
فَإِنْ تَغَرَّبَ هٰذَا عَزَّ مَطْلَبُهُ
وَإِنْ أَقَامَ فَلَا يَعْلُو إِلَى ٱلرُّتَبِ

٣٩٠ أَوْصَى بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ صَدِيقًا لَهُ وَقَدْ أَرَادَ سَفَرًا فَقَالَ: إِنَّكَ تَدْخُلُ بَلَدًا لَا تَعْرِفُهُ وَلَا يَعْرِفُكَ أَهْلُهُ فَتَمَسَّكْ بِوَصِيَّتِي تُنْفَقْ بِهَا فِيهِ. عَلَيْكَ بِنَظَافَةِ ٱلْبِزَّةِ فَإِنَّهَا تُنْبِئُ عَنِ ٱلنَّشْءِ فِي ٱلنِّعْمَةِ. وَٱلْأَدَبِ ٱلْجَمِيلِ فَإِنَّهُ يُكْسِبُ ٱلْمَحَبَّةَ. وَلْيَكُنْ عَقْلُكَ دُونَ دِينِكَ وَقَوْلُكَ دُونَ فِعْلِكَ وَلِبَاسُكَ دُونَ قَدْرِكَ. وَٱلْزَمِ ٱلْحَيَاءَ وَٱلْأَنَفَةَ فَإِنَّكَ إِنِ ٱسْتَحْيَيْتَ مِنَ ٱلْفَظَاظَةِ ٱجْتَنَبْتَ ٱلْخَسَاسَةَ. وَإِنْ أَنِفْتَ عَنِ ٱلْغَلَبَةِ لَمْ يَتَقَدَّمْكَ نَظِيرٌ فِي مَرْتَبَةٍ. قَالَ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْبُسْتِيُّ:

لَئِنْ تَنَقَّلْتُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارِ وَصِرْتُ بَعْدَ ثَوَاءٍ رَهْنَ أَسْفَارِ
فَٱلْحُرُّ حُرٌّ عَزِيزُ ٱلنَّفْسِ حَيْثُ ثَوَى وَٱلشَّمْسُ فِي كُلِّ بُرْجٍ ذَاتُ أَنْوَارِ

٣٩١ أَوْصَتْ أَعْرَابِيَّةٌ ٱبْنَهَا فِي سَفَرٍ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ تُجَاوِرُ ٱلْغُرَبَاءَ. وَتَرْحَلُ عَنِ ٱلْأَصْدِقَاءِ. وَلَعَلَّكَ لَا تَلْقَى غَيْرَ ٱلْأَعْدَاءِ. فَخَالِطِ ٱلنَّاسَ بِجَمِيلِ ٱلْبِشْرِ. وَٱتَّقِ ٱللهَ فِي ٱلْعَلَانِيَةِ وَٱلسِّرِّ. وَمَثِّلْ بِنَفْسِكَ مِثَالَ مَا ٱسْتَحْسَنْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَٱعْمَلْ بِهِ. وَمَا ٱسْتَقْبَحْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَٱجْتَنِبْهُ. فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ لَا يَرَى عَيْبَ نَفْسِهِ (للقيرواني)

ذم السفر

٣٩٢ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ: ٱلْغَرِيبُ كَٱلْغَرْسِ ٱلَّذِي زَايَلَ أَرْضَهُ

وَفَقَدَ شُرْبَهُ فَهُوَ ذَاوٍ لَا يُزْهِرُ. وَذَابِلٌ لَا يُثْمِرُ. وَيُقَالُ: ٱلْغَرِيبُ كَٱلْوَحْشِ ٱلنَّائِي عَنْ وَطَنِهِ فَهُوَ لِكُلِّ رَامٍ رَمِيَّةٌ وَلِكُلِّ سَبُعٍ فَرِيسَةٌ. وَقَالَ آخَرُ: ٱلْغَرِيبُ كَٱلْيَتِيمِ ٱلْفَطِيمِ ٱلَّذِي ثَكِلَ أَبَوَيْهِ فَلَا أُمَّ تَرْأَمُهُ وَلَا أَبَ يَرْأَفُ بِهِ. وَيُقَالُ: عُسْرُكَ فِي بَلَدِكَ خَيْرٌ مِنْ يُسْرِكَ فِي غُرْبَتِكَ. قَالَ بَعْضُهُمْ:

يَا نَفْسُ وَيْحَكِ فِي ٱلتَّغَرُّبِ ذِلَّةٌ ... فَتَجَرَّعِي كَأْسَ ٱلْأَذَى وَهَوَانِ
وَإِذَا نَزَلْتَ بِدَارِ قَوْمٍ دَارِهِمْ ... فَلَهُمْ عَلَيْكَ تَعَزُّزُ ٱلْأَوْطَانِ

قَالَ ٱلطَّرِيفِيُّ:

أَرَى وَطَنِي كَعُشٍّ لِي وَكِنٍّ ... أُسَافِرُ عَنْهُ فِي طَلَبِ ٱلْمَعَاشِ
وَلَوْلَا أَنَّ كَسْبَ ٱلْقُوتِ فَرْضٌ ... لَمَا بَرِحَ ٱلْفِرَاخُ مِنَ ٱلْعِشَاشِ

(للمقدسي)

سفر ابن بطوطة الى القسطنطينية (سنة ١٣٣٤م)

٣٩٣ رَغِبَتِ ٱلْخَاتُونُ بَيْلُونُ ٱبْنَةُ مَلِكِ ٱلرُّومِ مِنَ ٱلسُّلْطَانِ أُوزْبَكَ زَوْجِهَا أَنْ يَأْذَنَ لَهَا فِي زِيَارَةِ أَبِيهَا. فَسَافَرْنَا فِي ٱلْعَاشِرِ مِنْ شَوَّالٍ فِي صُحْبَةِ ٱلْخَاتُونِ بَيْلُونَ وَتَحْتَ حُرْمَتِهَا. وَرَحَلَ ٱلسُّلْطَانُ فِي تَشْيِيعِهَا مَرْحَلَةً وَرَجَعَ هُوَ وَٱلْمَلِكَةُ وَوَلِيُّ عَهْدِهِ. وَسَافَرَ سَائِرُ ٱلْخَوَاتِينِ فِي صُحْبَتِهَا مَرْحَلَةً ثَانِيَةً ثُمَّ رَجَعْنَ. وَسَافَرَ صُحْبَتَهَا ٱلْأَمِيرُ بَيْدَرَةُ فِي خَمْسَةِ آلَافٍ مِنْ عَسْكَرِهِ. وَكَانَ عَسْكَرُ ٱلْخَاتُونِ نَحْوَ خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ. مِنْهُمْ خُدَّامُهَا مِنَ ٱلْمَمَالِيكِ وَٱلرُّومِ نَحْوُ مِائَتَيْنِ وَٱلْبَاقُونَ مِنَ ٱلتُّرْكِ.

وَكَانَ مَعَهَا مِنَ ٱلْجَوَارِي نَحْوُ مِائَتَيْنِ أَكْثَرُهُنَّ رُومِيَّاتٌ وَكَانَ لَهَا مِنَ ٱلْعَرَبَاتِ نَحْوُ أَرْبَعِمِائَةِ عَرَبَةٍ وَنَحْوُ أَلْفَيْ فَرَسٍ لِجَرِّهَا وَلِلرُّكُوبِ. وَكَانَ مَعَهَا مِنَ ٱلْفِتْيَانِ ٱلرُّومِيِّينَ عَشَرَةٌ وَمِنَ ٱلْهِنْدِيِّينَ مِثْلُهُمْ وَقَائِدُهُمُ ٱلْأَكْبَرُ يُسَمَّى بِسُنْبُلَ ٱلْهِنْدِيِّ وَقَائِدُ ٱلرُّومِيِّينَ يُسَمَّى مِيخَائِيلَ. وَيَقُولُ لَهُ ٱلْأَتْرَاكُ لُؤْلُؤًا. وَهُوَ مِنَ ٱلشُّجْعَانِ ٱلْكِبَارِ. وَتَرَكَتْ أَكْثَرَ جَوَارِيهَا وَأَثْقَالَهَا بِمَحَلَّةِ ٱلسُّلْطَانِ إِذْ كَانَتْ قَدْ تَوَجَّهَتْ بِرَسْمِ ٱلزِّيَارَةِ. وَتَوَجَّهْنَا إِلَى مَدِينَةِ أُكَكَ وَهِيَ مَدِينَةٌ مُتَوَسِّطَةٌ حَسَنَةُ ٱلْعِمَارَةِ كَثِيرَةُ ٱلْخَيْرَاتِ شَدِيدَةُ ٱلْبَرْدِ. وَعَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ مِنْ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ جِبَالُ ٱلرُّوسِ. وَهُمْ شُقْرُ ٱلشُّعُورِ زُرْقُ ٱلْعُيُونِ قِبَاحُ ٱلصُّوَرِ أَهْلُ غَدْرٍ وَعِنْدَهُمْ مَعَادِنُ ٱلْفِضَّةِ وَمِنْ بِلَادِهِمْ يُؤْتَى بِسَبَائِكِ ٱلْفِضَّةِ ٱلَّتِي بِهَا يُبَاعُ وَيُشْتَرَى فِي هٰذِهِ ٱلْبِلَادِ وَوَزْنُ ٱلسَّبِيكَةِ مِنْهَا خَمْسُ أَوَاقٍ

ثُمَّ وَصَلْنَا بَعْدَ عَشْرٍ مِنْ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ إِلَى مَدِينَةِ سُرْدَاقَ وَهِيَ عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ وَمَرْسَاهَا مِنْ أَعْظَمِ ٱلْمَرَاسِي وَأَحْسَنِهَا. وَبِخَارِجِهَا ٱلْبَسَاتِينُ وَٱلْمِيَاهُ وَيَنْزِلُهَا ٱلتُّرْكُ وَطَائِفَةٌ مِنَ ٱلرُّومِ تَحْتَ ذِمَّتِهِمْ. وَهُمْ أَهْلُ ٱلصَّنَائِعِ وَأَكْثَرُ بُيُوتِهَا خَشَبٌ. وَكَانَتْ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةُ كَبِيرَةً فَخَرِبَ مُعْظَمُهَا بِسَبَبِ فِتْنَةٍ وَقَعَتْ بَيْنَ ٱلرُّومِ وَٱلتُّرْكِ. وَكَانَتِ ٱلضِّيَافَةُ تُحْمَلُ إِلَى ٱلْخَاتُونِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ مِنْ تِلْكَ ٱلْبِلَادِ مِنَ ٱلْخَيْلِ وَٱلْغَنَمِ وَٱلْبَقَرِ وَأَلْبَانِ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ. وَٱلسَّفَرُ فِي هٰذِهِ ٱلْبِلَادِ مُضْحًى وَمُعَشًّى. وَكُلُّ أَمِيرٍ بِتِلْكَ ٱلْبِلَادِ يَصْحَبُ ٱلْخَاتُونَ بِعَسَاكِرِهِ إِلَى آخِرِ حَدِّ بِلَادِهِ

تعظيماً لها لا خوفاً عليها . لأنّ تلك البلاد آمنة . ثمّ وصلنا إلى البلدة المعروفة باسم سلطوق وبينها وبين أوّل عمالة الروم ثمانية عشر يوماً في بريّة غير معمورة . منها ثمانية أيّام لا ماء بها يتزوّد لها الماء ويحمل في الروايا والقرب على العربات . وكان دخولنا إليها في أيّام البرد في منتصف ذي القعدة فلم نحتج إلى كثير من الماء . ورحلنا في هذه البريّة ثمانية عشر يوماً مضحى وممشى . وما رأينا إلّا خيراً

ثمّ وصلنا بعد ذلك إلى حصن مهتولي وهو أوّل عمالة الروم . وكانت الروم قد سمعت بقدوم هذه الخاتون على بلادها فوصلها إلى هذا الحصن كفالي نقوله الرومي في عسكر عظيم وضيافة عظيمة . وجاءت الخواتين من دار أبيها ملك القسطنطينية . وبين مهتولي والقسطنطينية مسيرة اثنين وعشرين يوماً منها ستّة عشر يوماً إلى الخليج وستّة منه إلى القسطنطينية ولا يسافر من هذا الحصن إلّا بالخيل والبغال . وتترك العربات به لأجل الوعر والجبال . وجاء كفالي المذكور ببغال كثيرة وبعثت إليّ الخاتون بستّة منها . وأوصت أمير ذلك الحصن بمن تركته من أصحابي وغلماني مع العربات والأثقال فأمر لهم بدار . ورجع الأمير بيذرة بعساكره ولم يسافر مع الخاتون إلّا ناسها . ثمّ وصلنا حصن مسلمة بن عبد الملك وهو بسفح جبل على نهر زخّار يقال له إصطفيلي . ولم يبق من هذا الحصن إلّا آثاره وبخارجه قرية كبيرة . ثمّ سرنا يومين ووصلنا إلى الخليج

وعلى ساحله قرية كبيرة فوجدنا فيه المدّ. فأقمنا حتى كان الجزر. وخضناه وعرضه نحو ميلين. ومشينا أربعة أميال في رمال. ووصلنا الخليج الثاني فخضناه وعرضه نحو ثلاثة أميال. ثم مشينا نحو ميلين في حجارة ورمل ووصلنا الخليج الثالث وقد ابتدأ المدّ. فتعبنا فيه وعرضه ميل واحد. فعرض الخليج كله مائيه ويابسه اثنا عشر ميلا. وتصير ماء كلها في أيام المطر فلا تخاض إلا في القوارب. وعلى ساحل هذا الخليج الثالث مدينة الفنيكة وهي صغيرة لكنها حسنة مانعة. وكنائسها وديارها حسان والأنهار تخرقها والبساتين تحفها ويدخر بها العنب والإجاص والتفاح والسفرجل من السنة إلى الأخرى. وأقمنا بهذه المدينة ثلاثا والخاتون في قصر لأبيها هنالك. ثم قدم أخوها شقيقها واسمه كفالي قراس في خمسة آلاف فارس شاكين في السلاح. ولما أرادوا لقاء الخاتون ركب أخوها المذكور فرسا أشهب ولبس ثيابا بيضا وجعل على رأسه مظلّلا مكلّلا بالجواهر. وجعل على يمينه خمسة من أبناء الملوك وعن يساره مثلهم لابسين البياض أيضا. وعليهم مظلّلات مزركشة بالذهب. وجعل بين يديه مائة من المشّائين ومائة فارس قد أسبغوا الدروع على أنفسهم وخيلهم. وكل واحد منهم يقود فرسا مسرجا مدرّعا عليه شكة فارس من البيضة المجوهرة والدرع والقوس والسيف. وبيده رمح في طرف رأسه راية. وأكثر تلك الرماح مكسوة بصفائح الذهب والفضة.

وتلك الخيل المقودة هي مراكب ابن السلطان وقسم فرسانه على أفواج كل فوج فيه مائتا فارس . ولهم أمير قد قدم أمامه عشرة من الفرسان شاكين في السلاح وكل واحد منهم يقود فرساً . وخلفه عشرة من العلامات ملونة بأيدي عشرة من الفرسان . وعشرة أطبال يتقلدها عشرة من الفرسان . ومعهم ستة يضربون الأبواق والأنفار والصرنايات وهي الغيطات . وركبت الخاتون في مماليكها وجواريها وفتيانها وخدامها . وهم نحو خمسمائة عليهم ثياب الحرير المزركشة بالذهب المرصعة . وعلى الخاتون حلة يقال لها النخ أو النسيج مرصعة بالجوهر . وعلى رأسها تاج مرصع وفرسها مجلل بجل حرير مزركش بالذهب . وفي يديه ورجليه خلاخل الذهب وفي عنقه قلائد مرصعة . وعظم السرج مكسو ذهباً مكلل جوهراً . وكان التقاؤهما في بسيط من الأرض على نحو ميل من البلد . وترجل لها أخوها لأنه أصغر سناً منها وقبل ركابها وقبلت رأسه . وترجل الأمراء وأولاد الملوك وقبلوا جميعاً ركابها وانصرفت مع أخيها . وفي غد ذلك اليوم وصلنا إلى مدينة كبيرة على ساحل البحر لا أثبت الآن اسمها ذات أنهار وأشجار نزلنا بخارجها . ووصل أخو الخاتون ولي العهد في ترتيب عظيم وعسكر ضخم من عشرة آلاف مدرع . وعلى رأسه تاج وعن يمينه نحو عشرين من أبناء الملوك وعن يساره مثلهم . وقد رتب فرسانه على ترتيب أخيه سواء إلا أن الحفل أعظم والجمع أكثر .

وَتلاحقت معه أُخته في مثل زيّها الأوّل وترجّلا جميعاً. وأوتي بخباء حرير فدخلا فيه. ونزلنا على عشرة أميال من القسطنطينيّة.

فلمّا كان الغد خرج أهلها من رجال ونساء وصبيان ركباناً ومشاة في أحسن زيّ وأجمل لباس وضربت عند الصبح الأطبال والأبواق والأنفار وركبت العساكر. وخرج السلطان وزوجته أمّ هذه الخاتون وأرباب الدولة والخواصّ. وعلى رأس الملك رواق يحمله جملة من الفرسان ورجال بأيديهم عصيّ طوال في أعلى كلّ عصا شبه كرة من جلد يرفعون بها الرواق. وفي وسط الرواق مثل القبّة يرفعها الفرسان بالعصيّ. ولمّا أقبل السلطان اختلطت العساكر وكثر العجاج. ولم أقدر على الدخول فيما بينهم فلزمت أثقال الخاتون وأصحابها خوفاً على نفسي. وذكر لي أنّها لمّا قربت من أبويها ترجّلت وقبّلت الأرض بين أيديهما. ثمّ قبّلت حافري فرسيهما. وفعل كبار أصحابها مثل فعلها في ذلك. وكان دخولنا عند الزوال أو بعده إلى القسطنطينيّة العظمى. وقد ضربوا نواقيسهم حتّى ارتجّت الآفاق لاختلاط أصواتها. ولمّا وصلنا الباب الأوّل من أبواب قصر الملك وجدنا به نحو مائة رجل معهم قائد لهم فوق دكّانة وسمعتهم يقولون: سراكنو سراكنو ومعناه المسلمون. ومنعونا من الدخول. فقال لهم أصحاب الخاتون: إنّهم من جهتنا. فقالوا: لا يدخلون إلّا بالإذن. فأقمنا بالباب وذهب بعض أصحاب

الخاتون فبعث من أعلمها بذلك وهي بين يدي والدها . فذكرت له شأننا فأمر بدخولنا وعين لنا دارا بقربة من دار الخاتون . وكتب لنا أمرا بأن لا نعترض حيث نذهب من المدينة ونودي بذلك في الأسواق . وأقمنا بالدار ثلاثا تبعث إلينا الضيافة من الغنم والفاكهة والدراهم والفرش وفي اليوم الرابع دخلنا على السلطان

٣٩٤ (ذكر سلطان القسطنطينية) واسمه تكفور ابن السلطان جرجيس وأبوه السلطان جرجيس بقيد الحياة لكنه تزهد وترهب وانقطع للعبادة في الكنائس وترك الملك لولده وسنذكره . وفي اليوم الرابع من وصولنا إلى القسطنطينية بعثت إلي الخاتون الفتى سنبل الهندي وأخذ بيدي وأدخلني إلى القصر فجزنا أربعة أبواب في كل باب سقائف بها رجال وأسلحتهم وقائدهم على دكانة مفروشة . فلما وصلنا إلى الباب الخامس تركني الفتى سنبل ودخل ثم أتى ومعه أربعة من الفتيان الروميين ففتشوني لئلا يكون معي سكين وقال لي القائد : تلك عادة لهم لا بد من تفتيش كل من يدخل على الملك من خاص أو عام غريب أو بلدي وكذلك الفعل بأرض الهند . ثم لما فتشوني قام الموكل بالباب فأخذ بيدي وفتح الباب وأحاط بي أربعة من الرجال أمسك اثنان بكمي واثنان من ورائي فدخلوا بي إلى مشور كبير . حيطانه بالفسيفساء قد نقش فيها صور المخلوقات من الحيوانات والجماد . وفي وسطه ساقية ماء

وَمِن جِهَتِهَا ٱلْأَشْجَارُ. وَٱلنَّاسُ وَاقِفُونَ يَمِينًا وَيَسَارًا سُكُوتًا لَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ مِنْهُمْ. وَفِي وَسَطِ ٱلْمَشْوَرِ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ وُقُوفٌ أَسْلَمَنِي أُولٰئِكَ ٱلْأَرْبَعَةُ إِلَيْهِمْ. فَأَمْسَكُوا بِثِيَابِي كَمَا فَعَلَ ٱلْآخَرُونَ وَأَشَارَ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ فَتَقَدَّمُوا بِي وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَهُودِيًّا. فَقَالَ لِي بِٱلْعَرَبِيِّ: لَا تَخَفْ فَهٰكَذَا عَادَتُهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِٱلْوَارِدِ. وَأَنَا ٱلتَّرْجُمَانُ وَأَصْلِي مِنْ بِلَادِ ٱلشَّامِ. فَسَأَلْتُهُ كَيْفَ أُسَلِّمُ. فَقَالَ: قُلِ: ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ. ثُمَّ وَصَلْتُ إِلَى قُبَّةٍ عَظِيمَةٍ وَٱلسُّلْطَانُ عَلَى سَرِيرِهِ وَزَوْجَتُهُ أُمُّ هٰذِهِ ٱلْخَاتُونِ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَأَسْفَلَ ٱلسَّرِيرِ ٱلْخَاتُونُ وَإِخْوَتُهَا. وَعَنْ يَمِينِهِ سِتَّةُ رِجَالٍ وَعَنْ يَسَارِهِ أَرْبَعَةٌ وَعَلَى رَأْسِهِ أَرْبَعَةٌ وَكُلُّهُمْ بِٱلسِّلَاحِ فَأَشَارَ إِلَيَّ قَبْلَ ٱلسَّلَامِ وَٱلْوُصُولِ إِلَيْهِ بِٱلْجُلُوسِ هُنَيَّةً لِيَسْكُنَ رَوْعِي. فَفَعَلْتُ ذٰلِكَ ثُمَّ وَصَلْتُ إِلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَأَشَارَ إِلَيَّ أَنِ ٱجْلِسْ فَلَمْ أَفْعَلْ وَسَأَلَنِي عَنْ بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ وَعَنِ ٱلصَّخْرَةِ ٱلْمُقَدَّسَةِ وَعَنِ ٱلْقُمَامَةِ وَعَنْ مَهْدِ عِيسَى وَعَنْ بَيْتِ لَحْمٍ وَعَنْ مَدِينَةِ ٱلْخَلِيلِ. ثُمَّ عَنْ دِمَشْقَ وَمِصْرَ وَٱلْعِرَاقِ وَبِلَادِ ٱلرُّومِ فَأَجَبْتُهُ عَنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَٱلْيَهُودِيُّ يَتَرْجِمُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَعْجَبَهُ كَلَامِي وَقَالَ لِأَوْلَادِهِ: أَكْرِمُوا هٰذَا ٱلرَّجُلَ وَأَمِّنُوهُ. ثُمَّ خَلَعَ عَلَيَّ خِلْعَةً وَأَمَرَ لِي بِفَرَسٍ مُسْرَجٍ مُلْجَمٍ وَمِظَلَّةٍ مِنَ ٱلَّتِي يَجْعَلُهَا ٱلْمَلِكُ فَوْقَ رَأْسِهِ وَهِيَ عَلَامَةُ ٱلْأَمَانِ. وَطَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يُعَيِّنَ مَنْ يَرْكَبُ مَعِي بِٱلْمَدِينَةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ حَتَّى أُشَاهِدَ عَجَائِبَهَا وَغَرَائِبَهَا وَأَذْكُرَهَا فِي بِلَادِي. فَعَيَّنَ لِي ذٰلِكَ. وَمِنَ ٱلْعَوَائِدِ عِنْدَهُمْ أَنَّ ٱلَّذِي

يلبس خلعة الملك ويركب فرسه يطاف به بالأبواق والأنفا والأطبال ليراه الناس لئلا يؤذوه. فطافوا بي في الأسواق

٣٩٥ (ذكر المدينة). وهي متناهية في الكبر منقسمة بقسمين بينهما نهر عظيم فيه المد والجزر. وكانت عليه فيما تقدم قنطرة مبنية فخربت وهو الآن يعبر في القوارب. واسم هذا النهر أبسمي. وأحد القسمين من المدينة يسمى أصطنبول وهو بالعدوة الشرقية من النهر. وفيه سكنى السلطان وأرباب دولته وسائر الناس. وأسواقه وشوارعه مفروشة بالصفاح متسعة. وأهل كل صناعة على حدة لا يشاركهم سواهم. وعلى كل سوق أبواب تسد عليه بالليل وأكثر الصناع والباعة بها النساء. والمدينة في سفح جبل داخل في البحر نحو تسعة أميال وعرضه مثل ذلك أو أكثر. وفي أعلاه قلعة صغيرة وقصر السلطان. والسور يحيط بهذا الجبل وهو مانع لا سبيل لأحد إليه من جهة البحر. وفيه نحو ثلاث عشرة قرية عامرة. والكنيسة العظمى هي في وسط هذا القسم من المدينة. وأما القسم الثاني منها فيسمى الغلطة وهو بالعدوة الغربية من النهر شبيه برباط الفتح في قربه من النهر. وهذا القسم خاص بنصارى الإفرنج يسكنونه. وهم أصناف فمنهم الجنويون والبنادقة وأهل رومة وأهل إفرنسة وحكمهم إلى ملك القسطنطينية يقدم عليهم منهم من يرتضونه ويسمونه القمص. وعليهم وظيفة في كل عام لملك القسطنطينية

وربّما استعصوا عليه فيحاربهم حتى يصلح بينهم البابا. وجميعهم أهل تجارة. ومرساهم من أعظم المراسي رأيت به نحو مائة جفن من القراقر وسواها من السفن الكبار. وأمّا الصغار فلا تحصى كثرة. وأسواق هذا القسم حسنة يشقها نهر صغير قذر

٣٩٦ (ذكر الكنيسة العظمى) وإنّما نذكر خارجها وأمّا داخلها فلم أشاهده. وهي تسمّى عندهم أيا صوفيا. وهي من أعظم كنائس الروم وعليها سور يطيف بها فكأنها مدينة. وأبوابها ثلاثة عشر بابا. ولها حرم هو نحو ميل عليه باب كبير ولا يمنع أحد من دخوله وقد دخلته مع والد الملك. وهو شبه مشور مسطّح بالرخام وتشقه ساقية تخرج من الكنيسة. لها حائطان مرتفعان نحو ذراع مصنوعان بالرخام المجزّع المنقوش بأحسن صنعة. والأشجار منتظمة عن جهتي الساقية. ومن باب الكنيسة إلى باب هذا المشور معرش من الخشب مرتفع عليه دوالي العنب وفي أسفله الياسمين والرياحين. وخارج باب هذا المشور قبّة خشب كبيرة فيها طبلات خشب يجلس عليها خدّام ذلك الباب. وعن يمين القبّة مصاطب وحوانيت أكثرها من الخشب يجلس بها قضاتهم وكتّاب دواوينهم. وفي وسط تلك الحوانيت قبّة خشب يصعد إليها على درج خشب. وفيها كرسي كبير مطبّق بالملف يجلس فوقه قاضيهم. وعن يسار القبّة التي على باب هذا المشور سوق العطّارين. والساقية التي ذكرناها تنقسم

قسمين أحدهما يمرّ بسوق العطّارين والآخر يمرّ بالسوق حيث القضاة والكُتّاب. وعلى باب الكنيسة سقائف يجلس بها خدّامها الذين يقمون طرقها ويوقدون سرجها ويغلقون أبوابها. ولا يدعون أحداً يدخلها حتّى يسجد للصليب الأعظم عندهم الذي يزعمون أنّه بقيّة من الخشبة التي صلب عليها عيسى. وهو على باب الكنيسة مجعول في جعبة ذهب طولها نحو عشرة أذرع. وقد عرضوا عليها جعبة ذهب مثلها حتّى صارت صليباً. وهذا الباب مصفّح بصفائح الفضّة والذهب وحلقتاه من الذهب الخالص وذكر لي أنّ عدد من بهذه الكنيسة من الرهبان والقسّيسين ينتهي إلى مئات. وأنّ بعضهم من ذرّيّة الحواريين وأنّ بداخلها كنيسة مختصّة بالنساء. ومن عادة الملك وأرباب دولته أن يأتوا كلّ يوم صباحاً إلى زيارة هذه الكنيسة

٣٩٧ (ذكر المانستارات بقسطنطينيّة) والمانستار عندهم شبه الزاوية عند المسلمين. وهذه المانستارات بها كثيرة فمنها مانستار عمّره الملك جرجيس. ومنها مانستاران خارج الكنيسة العظمى عن يمين الداخل إليها وهما في داخل بستان يشقّهما نهر ماء وأحدهما للرجال والآخر للنساء وفي كلّ واحد منهما كنيسة ويدور بهما البيوت للمتعبّدين والمتعبّدات وقد حبس على كلّ واحد منهما أحباس لكسوة المتعبّدين ونفقتهم. ومنها مانستاران عن يسار الداخل إلى الكنيسة العظمى على مثل هذين الآخرين ويطيف بهما

بيوت. وأحدهما يسكنه العميان والثاني يسكنه الشيوخ الذين لا يستطيعون الخدمة ممن بلغ الستين أو نحوها. ولكل واحد منهم كسوته ونفقته من أوقاف معينة لذلك. وفي داخل كل مانستار منها دويرة لتعبد الملك الذي بناه وأكثر هؤلاء الملوك إذا بلغ الستين أو السبعين بنى مانستارا ولبس المسوح وهي ثياب الشعر وقلد ولده الملك واشتغل بالعبادة حتى يموت. وهم يحتفلون في بناء هذه المانستارات ويعملونها بالرخام والفسيفساء وهي كثيرة بهذه المدينة. ودخلت مع الرومي الذي عينه الملك للركوب معي إلى مانستار يشقه نهر وفيه كنيسة فيها كثير من الأبكار عليهن المسوح ورؤوسهن محلوقة فيها قلانيس اللبد وعليهن أثر العبادة. وقال لي الرومي: إن هؤلاء البنات من بنات الملوك وهبن أنفسهن لخدمة هذه الكنيسة. ودخلت معه إلى كنائس فيها الرهبان يكون في الكنيسة منها مائة رجل وأكثر وأقل وكثير من أهل المدينة متعبدون وقسيسون وكنائسها لا تحصى كثرة. وأهل المدينة من جندي وغيره صغير وكبير يجعلون على رؤوسهم المظلات الكبار شتاء وصيفا. والنساء لهن عمائم كبار

٣٩٨ (ذكر الملك المترهب جرجيس) وهذا الملك ولى الملك لابنه وانقطع للعبادة وبنى مانستارا كما ذكرنا خارج المدينة على ساحلها. وكنت يوما مع الرومي المعين للركوب معي فإذا بهذا الملك ماشيا على قدميه. وعليه المسوح وعلى رأسه قلنسوة لبد وله لحية بيضاء طويلة

ووجه حسن عليه أثر العبادة وخلفه وأمامه جماعة من الرهبان وبيده عكاز وفي عنقه سبحة . فلما رآه الرومي نزل وقال لي : انزل فهذا والد الملك فلما سلم عليه الرومي سأله عني . ثم وقف وبعث عني فجئت إليه فأخذ بيدي وقال لذلك الرومي وكان يعرف اللسان العربي : قل لهذا السراكنو يعني المسلم أنا أصافح اليد التي دخلت بيت المقدس والرجل التي مشت داخل الصخرة والكنيسة العظمى التي تسمى قمامة وبيت لحم وجعل يده على قدمي ومسح بها وجهه فعجبت من اعتقادهم فيمن دخل تلك المواضع من غير ملتهم . ثم أخذ بيدي ومشيت معه فسألني عن بيت المقدس ومن فيه من النصارى وأطال السؤال ودخلت معه إلى حرم الكنيسة الذي وصفناه آنفا . ولما قارب الباب الأعظم خرجت جماعة من القسيسين والرهبان للسلام عليه وهو من كبارهم في الرهبانية . ولما رآهم أرسل يدي فقلت له أريد الدخول معك إلى الكنيسة . فقال للترجمان : قل له لا بد لداخلها من السجود للصليب الأعظم فإن هذا مما سنته الأوائل ولا يمكن خلافه فتركته ودخل وحده ولم أره بعدها... ولما ظهر لمن كان في صحبة الخاتون من الأتراك أنها راغبة في المقام مع أبيها طلبوا منها الإذن في العودة إلى بلادهم فأذنت لهم . وأعطتهم عطاء جزيلا وأجزلت لي العطاء وأوصت بي أحد أمرائها فودعتها وانصرفت . فكان مدة مقامي عندهم شهرا وستة أيام (تحفة النظار في عجائب الاسفار)

الباب الثالث عشر
في عجائب المخلوقات

في سكان السماوات وهم الملائكة

٣٩٩ إعلم أنَّ ٱلملائكةَ جواهرُ مقدَّسةٌ عن ظلمةِ ٱلشهوةِ وكدورةِ ٱلغضبِ. لا يعصونَ ٱللهَ ما أمرهمْ ويفعلونَ ما يؤمرونَ. طعامهمُ ٱلتَّسبيحُ وشرابهمُ ٱلتَّقديسُ. وأنسهمْ بذكرِ ٱللهِ تعالى. وفرحهمْ بعبادتهِ. وقالَ بعضُ ٱلحكماءِ: إنْ لمْ يكنْ في فضاءِ ٱلأفلاكِ وسعةِ ٱلسماواتِ خلائقُ فكيفَ يليقُ بحكمةِ ٱلباري تعالى تركها فارغةً خاويةً معَ شرفِ جوهرِها. وإنَّهُ لمْ يتركْ قعرَ ٱلبحارِ ٱلمالحةِ ٱلمظلمةِ فارغاً حتى خلقَ فيهِ أجناسَ ٱلحيواناتِ وغيرَها. ولمْ يتركْ جوَّ ٱلهواءِ ٱلرقيقِ حتى خلقَ لهُ أنواعَ ٱلطيرِ تسبحُ فيهِ كما تسبحُ ٱلسمكُ في ٱلماءِ. ولمْ يتركِ ٱلبراريَ ٱليابسةَ وٱلآجامَ ٱلوحلةَ وٱلجبالَ ٱلراسيةَ ٱلصلبةَ حتى خلقَ فيها أجناسَ ٱلسباعِ وٱلوحوشِ. ولمْ يتركْ ظلماتِ ٱلترابِ حتى خلقَ فيهِ أجناسَ ٱلهوامِّ وٱلحشراتِ.

ٱلملائكةُ أصنافٌ منهمُ ٱلكروبيُّونَ وهمُ ٱلعاكفونَ في حضرةِ ٱلقدسِ لا ٱلتفاتَ لهمْ إلى غيرِ ٱللهِ تعالى لِاستغراقِهمْ بجمالِ ٱلحضرةِ ٱلربوبيَّةِ وجلالِها يسبِّحونَ ٱلليلَ وٱلنهارَ لا يفترونَ. ومنهمْ ملائكةُ ٱلسماواتِ ٱلسبعِ مداومونَ على ٱلتسبيحِ وٱلتهليلِ في ٱلقيامِ وٱلقعودِ

وَٱلرُّكُوعِ وَٱلسُّجُودِ يُسَبِّحُونَ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ. وَمِنْهُمُ ٱلْمُعَقِّبَاتُ. وَهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ ٱلَّذِينَ يَنْزِلُونَ بِٱلْبَرَكَاتِ وَيَصْعَدُونَ بِأَرْوَاحِ بَنِي آدَمَ وَأَعْمَالِهِمْ بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ. وَمِنْهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ ٱلْمُوَكَّلُونَ بِٱلْكَائِنَاتِ هُمْ مَلَائِكَةٌ شَأْنُهُمْ إِصْلَاحُ ٱلْكَائِنَاتِ وَدَفْعُ ٱلْفَسَادِ عَنْهَا. وَقَدْ وُكِّلَ بِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِهَا مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ مَا شَاءَ ٱللهُ

في حقيقة العناصر وطباعها وترتيبها

٤٠٠ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ ٱلْعُنْصُرَ هُوَ ٱلْأَصْلُ فِي ٱلْمَوْضُوعَاتِ وَٱلْمُرَادُ مِنْهُ ٱلْأَجْسَامُ ٱلَّتِي دُونَ فَلَكِ ٱلْقَمَرِ. وَتِلْكَ ٱلْأَجْسَامُ أُمَّهَاتٌ وَٱلْمُوَلَّدَاتُ ٱلْمَعَادِنُ وَٱلنَّبَاتُ وَٱلْحَيَوَانُ وَيُقَالُ لِلْأُمَّهَاتِ ٱلْأَرْكَانُ. وَٱلْأَرْكَانُ أَرْبَعَةٌ ٱلنَّارُ وَٱلْهَوَاءُ وَٱلْمَاءُ وَٱلْأَرْضُ. فَٱلنَّارُ حَارَّةٌ يَابِسَةٌ مَوْضِعُهَا ٱلطَّبِيعِيُّ تَحْتَ ٱلْفَلَكِ وَفَوْقَ ٱلْهَوَاءِ. وَٱلْمَاءُ بَارِدٌ رَطْبٌ مَوْضِعُهُ ٱلطَّبِيعِيُّ تَحْتَ ٱلْهَوَاءِ وَفَوْقَ ٱلْأَرْضِ. وَٱلْأَرْضُ بَارِدَةٌ يَابِسَةٌ مَوْضِعُهَا ٱلطَّبِيعِيُّ ٱلْوَسَطُ

فصل في فوائد الجبال وعجائبها

٤٠١ أَمَّا فَائِدَتُهَا ٱلْعُظْمَى فَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ لَمْ تَكُنِ ٱلْجِبَالُ لَكَانَ وَجْهُ ٱلْأَرْضِ مُسْتَدِيرًا أَمْلَسَ. وَكَانَتْ مِيَاهُ ٱلْبِحَارِ تُغَطِّيهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا وَتُحِيطُ بِهَا إِحَاطَةَ كُرَةِ ٱلْهَوَاءِ بِٱلْمَاءِ فَتَبْطُلُ ٱلْحِكْمَةُ ٱلْمُودَعَةُ فِي ٱلْمَعَادِنِ وَٱلنَّبَاتِ وَٱلْحَيَوَانِ. فَٱقْتَضَتِ ٱلْحِكْمَةُ ٱلْإِلٰهِيَّةُ وُجُودَ ٱلْجِبَالِ لِمَا ذَكَرْنَا مِنَ ٱلْحِكْمَةِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ ٱلْجِبَالَ سَبَبٌ لِوُجُودِ ٱلْمَاءِ ٱلْعَذْبِ ٱلسَّائِحِ عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي هُوَ مَادَّةُ حَيَاةِ

ٱلنَّبَاتِ وَٱلْحَيَوَانِ وَذٰلِكَ لِأَنَّ سَبَبَ هٰذَا ٱلْمَاءِ إِنَّمَا هُوَ ٱنْعِقَادُ ٱلْبُخَارِ فِي ٱلْجَوِّ أَعْنِي ٱلسَّحَابَ. وَٱلْجِبَالُ ٱلشَّامِخَةُ ٱلطِّوَالُ عَلَى بَسِيطِ ٱلْأَرْضِ شَرْقًا وَغَرْبًا وَجَنُوبًا وَشَمَالًا تَمْنَعُ ٱلرِّيَاحَ أَنْ تَسُوقَ ٱلْبُخَارَ بَلْ تَجْعَلُهَا مُنْحَصِرَةً بَيْنَهَا حَتَّى يَلْحَقَهَا ٱلْبَرْدُ فَتَصِيرَ مَطَرًا وَثَلْجًا. فَلَوْ فُرِضَتِ ٱلْجِبَالُ مُرْتَفِعَةً عَنْ وَجْهِ ٱلْأَرْضِ لَكَانَتِ ٱلْأَرْضُ كُرَةً لَا غَوْرَ فِيهَا وَلَا نُتُوءَ فَٱلْبُخَارُ ٱلْمُرْتَفِعُ لَا يَبْقَى فِي ٱلْجَوِّ مُنْحَصِرًا إِلَى وَقْتٍ يَضْرِبُهُ ٱلْبَرْدُ بَلْ يَتَخَلَّلُ وَيَسْتَحِيلُ هَوَاءً فَلَا يَجْرِي ٱلْمَاءُ عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَدْرَ مَا يَنْزِلُ مِنَ ٱلْمَطَرِ ثُمَّ تَنْشَفُهُ ٱلْأَرْضُ. فَكَانَ يَعْرِضُ مِنْ ذٰلِكَ أَنْ يَكُونَ ٱلنَّبَاتُ وَٱلْحَيَوَانُ يَعْدَمُ ٱلْمَاءَ فِي ٱلصَّيْفِ كَمَا فِي ٱلْبَوَادِي ٱلْبَعِيدَةِ. فَٱقْتَضَى ٱلتَّدْبِيرُ ٱلْإِلٰهِيُّ وُجُودَ ٱلْجِبَالِ لِتَحْصُرَ ٱلْبُخَارَ ٱلْمُرْتَفِعَ مِنَ ٱلْأَرْضِ بَيْنَ أَغْوَارِهَا وَتَمْنَعَهُ مِنَ ٱلسَّيَلَانِ وَتَمْنَعَ ٱلرِّيَاحَ أَنْ تَسُوقَهُ

المعدنيّات

٤٠٢ ٱلْمَعَادِنُ لَا تَكَادُ تُحْصَى لٰكِنْ مِنْهَا مَا يَعْرِفُهُ ٱلنَّاسُ وَمِنْهَا مَا لَا يَعْرِفُونَهُ وَهِيَ مَقْسُومَةٌ إِلَى مَا يَذُوبُ وَإِلَى مَا لَا يَذُوبُ. وَٱلَّذِي ٱشْتَهَرَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ مِنَ ٱلْمَعَادِنِ سَبْعَةٌ وَهِيَ ٱلذَّهَبُ وَٱلْفِضَّةُ وَٱلنُّحَاسُ وَٱلْحَدِيدُ وَٱلْقَصْدِيرُ وَٱلْأُسْرُبُ وَٱلْخَارَصِينِيُّ

٤٠٣ (ٱلذَّهَبُ). طَبْعُهُ حَارٌّ لَطِيفٌ لَا يَحْتَرِقُ بِٱلنَّارِ لِأَنَّ ٱلنَّارَ لَا تَقْدِرُ عَلَى تَفْرِيقِ أَجْزَائِهِ (*). وَلَا يَبْلَى فِي ٱلتُّرَابِ وَلَا يَصْدَأُ عَلَى طُولِ

(*) ذهب الاقدمون الى ان الاحتراق متوقف على افتراق الاجزاء وقد اتّفق المحدثون

ٱلزَّمَانِ . وَهُوَ لَيِّنٌ أَصْفَرُ بَرَّاقٌ طَيِّبُ ٱلرَّائِحَةِ ثَقِيلٌ رَزِينٌ . فَصُفْرَةُ لَوْنِهِ مِنْ نَارِيَّتِهِ . وَلِينُهُ مِنْ دُهْنِيَّتِهِ . وَبَرِيقُهُ مِنْ صَفَاءِ مَائِيَّتِهِ . وَثِقْلُهُ مِنْ تُرَابِيَّتِهِ . وَهُوَ أَشْرَفُ نِعْمَةِ ٱللهِ عَلَى عِبَادِهِ إِذْ بِهِ قِوَامُ أُمُورِ ٱلدُّنْيَا وَنِظَامُ أَحْوَالِ ٱلْخَلْقِ لِٱضْطِرَارِهِمْ إِلَيْهِ فِي حَاجَاتِهِمْ . فَإِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مُحْتَاجٌ إِلَى أَعْيَانٍ كَثِيرَةٍ مِنْ مَطْعَمِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَسْكَنِهِ وَسَائِرِ حَاجَاتِهِ . وَلَعَلَّهُ يَمْلِكُ مَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ كَمَنْ يَمْلِكُ ٱلثِّيَابَ وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى ٱلْبُرِّ . وَلَعَلَّ صَاحِبَ ٱلْبُرِّ لَا يَحْتَاجُ إِلَى ٱلثِّيَابِ فَلَا بُدَّ مِنْ مُتَوَسِّطٍ يَرْغَبُ فِيهِ كُلُّ أَحَدٍ . فَخَلَقَ ٱللهُ تَعَالَى ٱلدَّرَاهِمَ وَٱلدَّنَانِيرَ مُتَوَسِّطَيْنِ بَيْنَ ٱلْأَشْيَاءِ حَتَّى يُبْذَلَا فِي مُقَابَلَةِ كُلِّ شَيْءٍ وَيُبْذَلَ فِي مُقَابَلَتِهِمَا كُلُّ شَيْءٍ . وَهُمَا كَالْقَاضِيَيْنِ بَيْنَ جَمِيعِ ٱلنَّاسِ يَقْضِيَانِ حَوَائِجَ كُلِّ مَنْ لَقِيَهُمَا

٤٠٤ (ٱلْحَدِيدُ) . جِسْمٌ (بَسِيطٌ) كَدِرُ ٱلْمَادَّةِ أَسْوَدُ ٱللَّوْنِ . وَهُوَ أَكْثَرُ فَائِدَةً مِنْ سَائِرِ ٱلْفِلِزَّاتِ وَإِنْ كَانَ أَقَلَّ ثَمَنًا . فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ . فَٱلْبَأْسُ فِي ٱلنُّصُولِ ٱلْمُتَّخَذَةِ مِنْهُ . وَٱلْمَنَافِعُ فِي ٱلْآلَاتِ وَٱلْأَدَوَاتِ حَتَّى قِيلَ : مَا مِنْ صَنْعَةٍ إِلَّا وَلِلْحَدِيدِ فِيهَا فِي أَدَوَاتِهَا مَدْخَلٌ

الشجر

٤٠٥ (ٱلشَّجَرُ) . هُوَ كُلُّ مَا لَهُ سَاقٌ مِنَ ٱلنَّبَاتِ . وَٱلْأَشْجَارُ ٱلْعِظَامُ بِمَثَابَةِ ٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلْعِظَامِ وَٱلنُّجُومُ بِمَثَابَةِ ٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلصِّغَارِ . وَٱلْأَشْجَارُ

على أن الاحتراق انما يحصل بتركب الاكسيجين في الغالب مع المادّة أو مع جزء منها

ٱلْعِظَامُ لَا ثَمَرَ لَهَا كَالسَّاجِ وَٱلدُّلْبِ وَٱلْعَرْعَرِ (*) لِأَنَّ ٱلْمَادَّةَ كُلَّهَا صُرِفَتْ إِلَى نَفْسِ ٱلشَّجَرَةِ • وَلَا كَذَٰلِكَ ٱلْأَشْجَارُ ٱلْمُثْمِرَةُ فَإِنَّ مَادَّتَهَا صُرِفَتْ إِلَى ٱلشَّجَرَةِ وَٱلثَّمَرَةِ • وَقَدْ يُشَارِكُ ٱلنَّبَاتُ ٱلْحَيَوَانَ فِي أَمْرِ ٱلتَّغْذِيَةِ • فَإِنَّ ٱلْغِذَاءَ كَمَا يَسْرِي فِي بَدَنِ ٱلْحَيَوَانِ حَتَّى لَا تَبْقَى شَعْرَةٌ إِلَّا أَخَذَتْ مِنْهَا قِسْطَهَا فَكَذَٰلِكَ ٱلْمَاءُ ٱلَّذِي صُبَّ فِي أَسْفَلِ ٱلشَّجَرَةِ فَإِنَّهُ يَعْلُو إِلَى ٱلْأَغْصَانِ فِي دَاخِلِ تَجَاوِيفِ ٱلْأَشْجَارِ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى يَنْتَشِرَ فِي جَمِيعِ أَوْرَاقِ ٱلْأَشْجَارِ وَفِي جَمِيعِ أَطْرَافِ ٱلْأَوْرَاقِ وَيُغَذِّي كُلَّ جُزْءٍ مِنْ كُلِّ وَرَقَةٍ وَيَجْرِي مِنْ تَجَاوِيفِ عُرُوقٍ شَعْرِيَّةٍ صِغَارٍ تُرَى فِي أَصْلِ ٱلْوَرَقِ وَكَأَنَّ ٱلْعِرْقَ ٱلْكَبِيرَ نَهْرٌ • وَمَا يَتَشَعَّبُ عَنْهُ جَدَاوِلُ فِي جَمِيعِ عَرْضِ ٱلْوَرَقِ فَيَصِلُ ٱلْمَاءُ إِلَى سَائِرِ أَجْزَاءِ ٱلْوَرَقَةِ • وَكَذَٰلِكَ إِلَى سَائِرِ أَجْزَاءِ ٱلْفَوَاكِهِ (*) • وَمِنْ عَجِيبِ صُنْعِ ٱلْبَارِي تَعَالَى خَلْقُ ٱلْأَوْرَاقِ عَلَى ٱلْأَشْجَارِ زِينَةً لَهَا وَوِقَايَةً لِثِمَارِهَا مِنْ نِكَايَةِ ٱلشَّمْسِ وَٱلْهَوَاءِ • ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى خَلَقَهَا مُرْتَفِعَةً عَنِ ٱلثِّمَارِ مُتَفَرِّقَةً بَعْضَ ٱلتَّفَرُّقِ لَا مُتَكَاثِفَةً عَلَيْهَا وَلَا بَعِيدَةً عَنْهَا لِتَأْخُذَ ٱلثِّمَارُ مِنَ ٱلنَّسِيمِ تَارَةً وَمِنَ ٱلشَّمْسِ تَارَةً أُخْرَى • وَلَوْ تَكَاثَفَتْ عَلَيْهَا حَتَّى مَنَعَتْهَا إِصَابَةَ ٱلنَّسِيمِ وَشُعَاعَ ٱلشَّمْسِ لَبَقِيَتْ عَلَى فَجَاجَتِهَا غَلِيظَةَ ٱلْجِلْدِ قَلِيلَةَ ٱلْمَائِيَّةِ • وَإِذَا

(*) يردُّ قول القزويني ان الجوز والنارجيل يثمران وكلاهما من الاشجار العظام والصحيح ان ثمر الاشجار العظام اصغر من ثمر الاشجار الصغار

(*) كان قدماء الطبيعيين يظنون ان الشجرة لا تغتذي الّا باصلها وفروعها وانما غذاؤها يكون ايضاً باوراقها التي هي فيها بمنزلة المسامّ في الجسد

سقط عنها بعض الورق أصابتها الشمس وأحرقتها كما ترى في الرمانة التي احترق منها أحد الجوانب . ثم إذا فرغت الثمرة تناثرت الأوراق حتى لا تجذب مائية الشجرة فتضعف قوتها (للقزويني)

٤٠٦ (البلسان) . لا يوجد اليوم منه إلا بمصر بعين شمس في موضع محاط عليه محتفظ به مساحته نحو سبعة أفدنة . وارتفاع شجرته نحو ذراع وأكثر من ذلك وعليها قشران الأعلى أحمر خفيف والأسفل أخضر ثخين . وإذا مضغ ظهر في الفم منه دهنية ورائحة عطرة . وورقه شبيه بورق السذاب ويجتنى دهنه عند طلوع الشعرى بأن تشدخ السوق بعد ما يحت عنها جميع ورقها . وشدخها يكون بحجرة تتخذ محددة ويفتقر شدخها إلى صناعة بحيث يقطع القشر الأعلى ويشق الأسفل شقاً لا ينفذ إلى الخشب . فإن نفذ إلى الخشب لم يخرج منه شيء . فإذا شدخه كما وصفنا أمهله ريثما يسيل لثاه على العود فيجمعه بإصبعه مسحاً إلى قرن . فإذا امتلأ صبه في قناني زجاج ولا يزال كذلك حتى ينتهي جناه وينقطع لثاه . كلما كثر الندى في الجو كان لثاه أكثر وأغزر . وفي الجدب وقلة الندى يكون اللثى أنزر . ثم تؤخذ القناني فتدفن إلى القيظ وحمارة الحر وتخرج من الدفن وتجعل في الشمس . ثم تتفقد كل يوم فيوجد الدهن وقد طفا فوق رطوبة مائية وأثقال أرضية فيقطف الدهن . ثم تعاد إلى الشمس . ولا يزال يشمسها ويقطف دهنها حتى لا يبقى

فِيهَا دُهْنٌ . فَيُؤْخَذُ ذَلِكَ ٱلدُّهْنُ وَيُطْبَخُ فَيُرْفَعُ إِلَى خِزَانَةِ ٱلْمَلِكِ وَمِقْدَارُ ٱلدُّهْنِ ٱلْخَالِصِ مِنَ ٱللَّتِي بِٱلتَّرْوِيقِ نَحْوُ عُشْرِ ٱلْجُمْلَةِ

٤٠٧ (أَلْجُمَّيْزُ) . كَأَنَّهُ تِينٌ بَرِّيٌّ وَتَخْرُجُ ثَمَرَتُهُ فِي ٱلْخَشَبِ لَا تَحْتَ ٱلْوَرَقِ . وَيُخْلِفُ فِي ٱلسَّنَةِ سَبْعَةَ بُطُونٍ . وَيُؤْكَلُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَيَحْمِلُ وَقْرًا عَظِيمًا . وَقَبْلَ أَنْ يُجْنَى بِأَيَّامٍ يَصْعَدُ رَجُلٌ إِلَى ٱلشَّجَرَةِ وَمَعَهُ حَدِيدَةٌ يَسِمُ بِهَا حَبَّةً حَبَّةً مِنَ ٱلثَّمَرَةِ فَيَجْرِي مِنْهَا لَبَنٌ أَبْيَضُ . ثُمَّ يَسْوَدُّ ٱلْمَوْضِعُ وَتَحْلُو ٱلثَّمَرَةُ بِذَلِكَ ٱلْفِعْلِ . وَقَدْ يُوجَدُ مِنْهُ شَيْءٌ شَدِيدُ ٱلْحَلَاوَةِ أَحْلَى مِنَ ٱلتِّينِ لَكِنَّهُ لَا يَنْفَكُّ فِي آخِرِ مَضْغِهِ مِنْ طَعْمِ خَشَبِيَّةٍ مَا . وَشَجَرَتُهُ كَبِيرَةٌ كَشَجَرَةِ ٱلْجَوْزِ ٱلْعَاتِيَةِ وَيَخْرُجُ مِنْ ثَمَرِهِ وَغُصْنَتِهِ إِذَا فُصِدَتْ لَبَنٌ أَبْيَضُ إِذَا طُلِيَ عَلَى ثَوْبٍ أَوْ غَيْرِهِ صَبَغَهُ وَأَحْمَرَ . وَخَشَبُهُ تُعْمَرُ بِهِ ٱلْمَسَاكِنُ وَتُتَّخَذُ مِنْهُ ٱلْأَبْوَابُ وَغَيْرُهَا مِنَ ٱلْآلَاتِ ٱلْجَافِيَةِ . وَلَهُ بَقَاءٌ عَلَى ٱلدَّهْرِ وَصَبْرٌ عَلَى ٱلْمَاءِ وَٱلشَّمْسِ . وَقَلَّمَا يَتَآكَلُ هٰذَا مَعَ أَنَّهُ خَشَبٌ خَفِيفٌ قَلِيلُ ٱللُّدُونَةِ . وَيُتَّخَذُ مِنْ ثَمَرَتِهِ خَلٌّ حَاذِقٌ وَنَبِيذٌ حَادٌّ (من كتاب الافادة والاعتبار لعبد اللطيف)

٤٠٨ (أَلْعَنَبَةُ) . وَهِيَ شَجَرَةٌ تُشْبِهُ أَشْجَارَ ٱلنَّارَنْجِ إِلَّا أَنَّهَا أَعْظَمُ أَجْرَامًا وَأَكْثَرُ أَوْرَاقًا . وَظِلُّهَا أَكْثَرُ ٱلظِّلَالِ غَيْرَ أَنَّهُ ثَقِيلٌ فَمَنْ نَامَ تَحْتَهُ وُعِكَ . وَثَمَرُهَا عَلَى قَدْرِ ٱلْإِجَّاصِ ٱلْكَبِيرِ . فَإِذَا كَانَ أَخْضَرَ قَبْلَ تَمَامِ نُضْجِهِ أَخَذُوا مَا سَقَطَ مِنْهُ وَجَعَلُوا عَلَيْهِ ٱلْمِلْحَ وَصَيَّرُوهُ كَمَا يُصَيَّرُ ٱللِّيمُ وَٱللَّيْمُونُ بِبِلَادِنَا وَكَذَلِكَ يُصَيِّرُونَ أَيْضًا ٱلزَّنْجَبِيلَ ٱلْأَخْضَرَ وَعَنَاقِيدَهُ

الفلفل ويأكلون ذلك مع الطعام يأخذون بإثر كل لقمة يسيرًا من هذه المملوحات. فإذا نضجت العنبة في أوان الخريف أصفرت حبّاتها فأكلوها كالتفاح. فبعضهم يقطعها بالسكين وبعضهم يمصها مصًّا. وهي حلوة يمازج حلاوتها يسير حموضة ولها نواة كبيرة يزرعونها فتنبت منها الأشجار كما تزرع نوى النارنج وغيرها. (لابن بطوطة)

٤٠٩ (الموز). معادنه عمان. وتنبت الموزة نبات البرديّة لها عنقرة غليظة وورقة طويلة عريضة نحو ثلاث أذرع في ذراعين. ليست بمخرطة على نبات السعف لكن شبه المربعة. وترتفع الموزة قامة باسطة. ولا تزال فراخها تنبت حولها واحدة أصغر من الأخرى. فإذا أجرت وذلك إدراك موزها قطعت الأمّ حينئذٍ من أصلها ويؤخذ قنوها. ويطلع أكبر فراخها فيصير هو الأمّ وتبقى البواقي فراخًا لها ولا تزال على هذا أبد الدهر. ولذلك قال أشعب لابنه فيما يروي عنه الأصمعي: يا بنيّ لِمَ لا تكون مثلي. فقال: أنا مثل الموزة لا تصلح حتى تموت أمّها. (لابي حنيفة الدينوري)

٤١٠ (الفلفل). شجرة الفلفل شبيهة بدوالي العنب وأهل الهند يغرسونها إزاء النارجيل. فتصعد فيها كصعود الدوالي إلّا أنها ليس لها عسلوج وهو الغزل كما للدوالي. وأوراق شجره تشبه أوراق الخيل. وبعضها يشبه أوراق العليق. ويثمر عناقيد صغارًا حبّها كحبّ أبي قنينة إذا كانت خضراء. وإذا كان أوان الخريف قطفوه وفرشوه على الحصر

فِي ٱلشَّمْسِ كَمَا يُصْنَعُ بِٱلْعِنَبِ عِنْدَ تَزْبِيبِهِ . وَلَا يَزَالُونَ يُقَلِّبُونَهُ حَتَّى يَسْتَحْكِمَ يُبْسُهُ وَيَسْوَدَّ . ثُمَّ يَبِيعُونَهُ مِنَ ٱلتُّجَّارِ . وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ بِمَدِينَةِ قَاقُلَّةَ يُصَبُّ لِلْكَيْلِ كَٱلذُّرَةِ بِبِلَادِنَا (لابن بطوطة)

النجوم

٤١١. (أَلنُّجُومُ) كُلُّ نَبْتٍ لَيْسَ لَهُ سَاقٌ صُلْبٌ مُرْتَفِعٌ كَٱلزُّرُوعِ وَٱلْبُقُولِ وَٱلرَّيَاحِينِ وَٱلْحَشَائِشِ ٱلْبَرِّيَّةِ . وَقَدْ أَجْرَى ٱللهُ عَادَتَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَنَّهُ يُحْيِي ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا فَيُجْرِي يَابِسَ أَنْهَارِهَا وَيَنْشُرُ رُفَاتَ نَبَاتِهَا حَتَّى تَرَى مِنَ ٱلْأَوْرَاقِ مُخْضَرَّةً . وَمِنَ ٱلْأَزْهَارِ مُحْمَرَّةً وَمُصْفَرَّةً . لِيَسْتَدِلَّ بِهِ ذُو ٱلطَّبْعِ ٱلسَّلِيمِ . وَٱلْفَهْمِ ٱلْمُسْتَقِيمِ . عَلَى إِحْيَاءِ ٱلْأَمْوَاتِ . وَإِعَادَةِ ٱلْعِظَامِ ٱلرُّفَاتِ

وَمِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلْعَجِيبَةِ ٱلْقُوَّةُ ٱلَّتِي خَلَقَهَا ٱللهُ تَعَالَى فِي نَفْسِ ٱلْحَبِّ فَإِنَّهَا إِذَا وَقَعَتْ فِي بَطْنِ ٱلْأَرْضِ جَذَبَتْ بِوَاسِطَةِ تِلْكَ ٱلْقُوَّةِ ٱلرُّطُوبَةَ ٱلَّتِي تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ لَهَا غِذَاءً مِنْ نَفْسِ ٱلْأَرْضِ مِمَّا حَوَالَيْهَا . كَشُعْلَةِ نَارِ ٱلسِّرَاجِ فَإِنَّهَا تَجْذِبُ ٱلرُّطُوبَةَ ٱلَّتِي فِي ٱلسِّرَاجِ بِوَاسِطَةِ قُوَّةٍ خَلَقَهَا ٱللهُ تَعَالَى فِيهَا . ثُمَّ إِنَّ تِلْكَ ٱلرُّطُوبَةَ إِذَا حَصَلَتْ فِي نَفْسِ ٱلْحَبِّ صَارَتْ غِذَاءً لَهَا وَتَعْمَلُ فِيهَا ٱلْقُوَى ٱلطَّبِيعِيَّةُ حَتَّى تَبْلُغَ كَمَالَهَا . وَٱلنُّجُومُ فِي جِنْسِ ٱلنَّبَاتِ كَٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلصِّغَارِ فِي جِنْسِ ٱلْحَيَوَانِ وَٱلْأَشْجَارُ ٱلْكِبَارُ كَٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلْكِبَارِ فَكَمَا أَنَّ عِنْدَ شِدَّةِ ٱلْبَرْدِ لَا يَبْقَى مِنَ ٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلَّتِي لَا عَظْمَ لَهَا شَيْءٌ كَذَلِكَ لَا يَبْقَى مِنَ ٱلنَّبَاتِ شَيْءٌ لَيْسَ لَهُ خَشَبٌ صُلْبٌ .

وأَمّا ٱلْحَيوانَاتُ ٱلْكِبارُ فَإِنَّهَا تَصْبِرُ على ٱلْبَرْدِ وَكَذٰلِكَ ٱلْأَشْجارُ . ثُمَّ إِنَّ عُقُولَ ٱلْعُقَلاءِ مُتَحَيِّرَةٌ فِي أَمْرِ ٱلْحَشائِشِ وعَجائِبِهَا . وَأَفْهامَ ٱلْأَذْكِياءِ قَاصِرَةٌ عَنْ ضَبْطِ خَواصِّهَا وَفَوائِدِهَا . وَكَيْفَ لَا مَعَ مَا يُشاهَدُ مِنْ تَنَوُّعِ صُوَرِ قُضْبانِهَا وَٱخْتِلافِ أَشْكَالِ أَوْراقِهَا وَعَجِيبِ أَلْوانِ أَزْهارِهَا وَتَنَوُّعِ كُلِّ لَوْنٍ مِنْهَا . كَٱلْحُمْرَةِ مَثَلًا فَإِنَّهَا قَدْ تَكُونُ أُرْجُوانِيَّةً كَمَا تَرَى فِي ٱلسُّوسَنِ . وَقَدْ تَكُونُ مُشْبَعَةً جِدًّا كَمَا تَرَى فِي شَقَائِقِ ٱلنُّعْمانِ . وَقَدْ تَكُونُ نَارِيَّةً كَٱلْأَذَرْيُونِ . وَقَدْ تَكُونُ خَفِيفَةً كَٱلْوَرْدِ هٰكَذَا حَالُ كُلِّ لَوْنٍ مِنْهَا . ثُمَّ عَجائِبُ رَوائِحِهَا وَمُخالَفَةُ بَعْضِهَا بَعْضًا مَعَ ٱشْتِراكِ ٱلْكُلِّ فِي ٱلطِّيبِ . ثُمَّ عَجائِبُ أَشْكَالِ حُبُوبِهَا . فَإِنَّ لِكُلِّ حَبٍّ وَوَرَقٍ وَزَهْرٍ وَعِرْقٍ شَكْلًا وَلَوْنًا وَطَعْمًا وَرائِحَةً وَخاصِيَّةً بَلْ خاصِيَّاتٍ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا ٱللهُ . وَٱلَّتِي عَرَفَهَا ٱلْإِنْسانُ بِٱلنِّسْبَةِ إِلَى مَا لَمْ يَعْرِفْهُ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرٍ (للقزويني)

٤١٢ (ٱلْبَامِيَةُ) . وَهِيَ ثَمَرٌ بِقَدْرِ إِبْهامِ ٱلْيَدِ كَأَنَّهُ جِراءُ ٱلْقِثَّاءِ شَدِيدُ ٱلْخُضْرَةِ إِلَّا أَنَّ عَلَيْهِ زِئْبِرًا مَشُوكًا وَهُوَ مُخَمَّسُ ٱلشَّكْلِ يُحِيطُ بِهِ خَمْسَةُ أَضْلاعٍ فَإِذَا شُقَّ ٱنْشَقَّ عَنْ خَمْسَةِ أَبْياتٍ بَيْنَهَا حَواجِزُ . وَفِي تِلْكَ ٱلْأَبْياتِ حَبٌّ مُصْطَفٌّ مُسْتَدِيرٌ أَبْيَضُ أَصْغَرُ مِنَ ٱللُّوبِياءِ هَشٌّ يَضْرِبُ إِلَى ٱلْحَلاوَةِ . وَفِيهِ ٱللُّعابِيَّةُ كَثِيرَةٌ . يَطْبُخُ أَهْلُ مِصْرَ بِهِ ٱللَّحْمَ بِأَنْ يُقَطَّعَ مَعَ قُشُورِهِ صِغارًا وَيَكُونُ طَعامًا لَا بَأْسَ بِهِ . ٱلْغَالِبُ عَلَى طَبْعِهِ ٱلْحَرارَةُ وَٱلرُّطُوبَةُ وَلَا يَظْهَرُ فِي طَبِيخِهِ قَبْضٌ بَلْ لُزُوجَةٌ

٤١٣ (ٱلْقُلْقَاسُ) . هُوَ أُصُولٌ بِقَدْرِ ٱلْخِيارِ . وَمِنْهُ صِغارٌ كَٱلْأَصابِعِ

يَضْرِبُ إِلَى حُمْرَةٍ خَفِيفَةٍ يُقَشَّرُ ثُمَّ يُشَقَّقُ عَلَى مِثْلِ ٱلسَّلْجَمِ . وَهُوَ كَثِيفٌ مُكْتَنِزٌ يُشَابِهُ ٱلْمَوْزَ ٱلْأَخْضَرَ ٱلْفَجَّ فِي طَعْمِهِ . وَفِيهِ قَبْضٌ يَسِيرٌ مَعَ حَرَافَةٍ قَوِيَّةٍ وَهٰذَا دَلِيلٌ عَلَى حَرَارَتِهِ وَيُبْسِهِ . فَإِذَا سُلِقَ زَالَتْ حَرَافَتُهُ جُمْلَةً وَحَدَثَ لَهُ مَعْ مَا فِيهِ مِنَ ٱلْقَبْضِ ٱلْيَسِيرِ لُزُوجَةٌ مُغَرِّيَةٌ كَانَتْ فِيهِ بِٱلْقُوَّةِ . إِلَّا أَنَّ حَرَافَتَهُ كَانَتْ تُخْفِيهَا وَتَسْتُرُهَا وَلِذٰلِكَ صَارَ غِذَاؤُهُ غَلِيظًا بَطِيءَ ٱلْهَضْمِ ثَقِيلًا فِي ٱلْمَعِدَةِ . إِلَّا أَنَّهُ لِمَا فِيهِ مِنَ ٱلْقَبْضِ وَٱلْعُفُوصَةِ صَارَ قَوِيًّا لِلْمَعِدَةِ (لعبد اللطيف)

جنس الحيوان

٤١٤ ٱلْحَيَوَانُ مَا فِيهِ حَيَاةٌ . قَالَ ٱلْجَاحِظُ : ٱلْحَيَوَانُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ . شَيْءٌ يَمْشِي وَشَيْءٌ يَطِيرُ وَشَيْءٌ يَعُومُ وَشَيْءٌ يَنْسَاحُ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَطِيرُ يَمْشِي وَلَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ يَمْشِي يَطِيرُ . فَأَمَّا ٱلنَّوْعُ ٱلَّذِي يَمْشِي فَهُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : نَاسٌ وَبَهَائِمُ وَسِبَاعٌ . وَٱلطَّيْرُ كُلُّهُ سَبُعٌ وَبَهِيمَةٌ وَهَمَجٌ . وَٱلْخَشَاشُ مَا لَطُفَ جِرْمُهُ وَصَغُرَ جِسْمُهُ وَكَانَ عَدِيمَ ٱلسِّلَاحِ . وَٱلْهَمَجُ لَيْسَ مِنَ ٱلطُّيُورِ وَلٰكِنَّهُ يَطِيرُ . وَهُوَ فِيمَا يَطِيرُ كَٱلْحَشَرَاتِ فِيمَا يَمْشِي . وَٱلسَّبُعُ مِنَ ٱلطَّيْرِ مَا أَكَلَ ٱللَّحْمَ خَالِصًا . وَٱلْبَهِيمَةُ مَا أَكَلَ ٱلْحَبَّ خَالِصًا . وَٱلْمُشْتَرَكُ كَٱلْعُصْفُورِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِذِي مِخْلَبٍ وَلَا مِنْسَرٍ وَهُوَ يَلْقُطُ ٱلْحَبَّ وَمَعَ ذٰلِكَ يَصِيدُ ٱلنَّمْلَ وَيَصِيدُ ٱلْجَرَادَ وَيَأْكُلُ ٱللَّحْمَ وَلَا يَزُقُّ فِرَاخَهُ كَمَا يَزُقُّ ٱلْحَمَامُ فَهُوَ مُشْتَرَكُ ٱلطَّبِيعَةِ . وَأَشْبَاهُ ٱلْعَصَافِيرِ مِنَ ٱلْمُشْتَرَكِ كَثِيرَةٌ وَلَيْسَ كُلُّ مَا طَارَ بِجَنَاحَيْنِ مِنَ

الطَّيرِ فقدْ يطيرُ الجِعْلانُ وَالذُّبابُ وَالزَّنابيرُ وَالجرادُ وَالنَّملُ وَالفراشُ وَالبعوضُ وَالأرضةُ وَغيرُ ذلِكَ وَلا تُسمَّى طُيورًا (للدميري)

الانسان

٤١٥ (إنسانٌ). قالَ القاضِي أبو بكرِ بنُ العربيِّ المالكيُّ الإمامُ العلَّامةُ: ليسَ لِلهِ تعالى خلقٌ أحسنَ مِنَ الإنسانِ. فإنَّ اللهَ تعالى خلقَهُ حيًّا عالِمًا قادرًا متكلِّمًا سميعًا بصيرًا مدبِّرًا حكيمًا وهذهِ صفاتُ الرَّبِّ جلَّ وعلا. قالَ تعالى: لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسانَ فِي أَحسَنِ تَقوِيمٍ وهوَ اعتدالُهُ وتسويةُ أعضائِهِ لأنَّهُ خلقَ كلَّ شيءٍ مُنكبًّا على وجهِهِ وخلقَهُ سويًّا. ولهُ لسانٌ ذلِقٌ ينطقُ بِهِ ويدٌ وأصابعُ يقبضُ بها. مؤدَّبًا بالأمرِ مهذَّبًا بالتَّمييزِ. يتناولُ مأكولَهُ ومشروبَهُ بيدِهِ. وافتتحَ ابنُ بختيشوعَ الطَّبيبُ النَّصرانيُّ كتابَهُ في الحيوانِ بالإنسانِ وقالَ: إنَّهُ أعدلُ الحيوانِ مزاجًا وأكملُهُ أفعالًا وألطفُهُ حِسًّا وأنفذُهُ رأيًا. فهوَ كالملِكِ المسلَّطِ القاهرِ لسائرِ الخليقةِ والآمرِ لها. وذلِكَ بما وهبَ اللهُ تعالى لهُ مِنَ العقلِ الَّذي بِهِ يميِّزُ على كلِّ الحيوانِ البهيميِّ فهوَ بالحقيقةِ ملِكُ العالَمِ. ولذلِكَ سمَّاهُ قومٌ مِنَ الأقدمينَ العالَمَ الأصغرَ

النعم

٤١٦ أَلنَّعمُ وهيَ تشملُ الإبلَ والبقرَ والغنمَ هيَ كثيرةُ الفائدةِ سهلةُ الانقيادِ. ليسَ لها شراسةُ الدَّوابِّ ولا نفرةُ السِّباعِ. ولشدَّةِ حاجةِ النَّاسِ إليها يخلقُ اللهُ سبحانَهُ وتعالى لها سلاحًا شديدًا كأنيابِ

السباع وبراثنها وأنياب الحشرات وإبرها. وجعل من شأنها الثبات والصبر على التعب والجوع والعطش. وخلقها ذلولا تقاد بالأيدي فمنها ركوبهم ومنها يأكلون. وجعل الله قرنها سلاحا لتأمن به من الأعداء. ولما كان مأكلها الحشيش اقتضت الحكمة الالهية أن تجعل لها أفواها واسعة وأسنانا حدادا وأضراسا صلابا لتطحن بها الحب والنوى

٤١٧ (الجاموس) . هو حيوان عنده شجاعة وشدة وبأس . وهو مع ذلك أجزع خلق الله يفرق من عض بعوضة ويهرب منها الى الماء . والأسد يخافه . وهو مع شدته وغلظه ذكي . ويقال إنه لا ينام أصلا لكثرة حراسته لنفسه وأولاده . وإذا اجتمعت ضربت دائرة وتجعل رؤوسها خارج الدائرة وأذنابها الى داخلها والرعاة وأولادها من داخل . فتكون الدائرة كأنها مدينة مسورة من صياصيها . والذكر منها يناطح ذكرا آخر . فإذا غلب أحدهما دخل أجمة فيقيم فيها حتى يعلم من نفسه أنه قوي فيخرج ويطلب ذلك الفحل الذي غلبه فيناطحه حتى يغلبه ويطرده . وهو يتغمس في الماء غالبا الى خرطومه . والجاموس يقتل التمساح مع عظم بدنه وهول جثته . يمشي الى الأسد رخي البال ثابت الجنان رابط الجاش . وليس في قرنه حدة كما في قرن البقر فضلا عن حدة أطراف مخاليب الأسد وأنيابه (للدميري)

٤١٨ (بقر) . حيوان كثير المنفعة شديد القوة خلقه الله ذلولا منقادا للناس . وإنما لم يخلق له سلاح شديد مثل السباع وغيرها لأنه

فِي رِعَايَةِ ٱلْإِنْسَانِ. فَٱلْإِنْسَانُ يَدْفَعُ عَنْهُ عَدُوَّهُ بِخِلَافِ ٱلسِّبَاعِ. وَلِأَنَّ حَاجَةَ ٱلْإِنْسَانِ إِلَيْهِ مَاسَّةٌ فَلَوْ كَانَ لَهُ سِلَاحٌ شَدِيدٌ صَعُبَ ضَبْطُهُ. وَٱلْبَقَرُ ٱلْأَجَمُّ يَعْلَمُ أَنَّ سِلَاحَهُ فِي رَأْسِهِ فَيَسْتَعْمِلُ مَحَلَّ ٱلْقَرْنِ كَمَا تَرَى مِنَ ٱلْعَجَاجِيلِ قَبْلَ نَبَاتِ ٱلْقَرْنِ تَنْطَحُ بِرُؤُوسِهَا. وَذٰلِكَ لِمَعْنًى خُلِقَ لِطَبِيعَتِهَا فَيَعْمَلُ ذٰلِكَ بِٱلطَّبْعِ. وَلَمْ يُخْلَقْ لِلْبَقَرِ ٱلثَّنَايَا ٱلْفَوْقَانِيَّةُ فَيَقْلَعُ ٱلْحَشِيشَ بِٱلسُّفْلَانِيَّةِ (للقزويني)

٤١٩ (ظَبْيُ ٱلْمِسْكِ). هُوَ كَسَائِرِ ٱلظِّبَاءِ عِنْدَنَا فِي ٱلْقَدِّ وَٱللَّوْنِ وَدِقَّةِ ٱلْقَوَائِمِ وَٱفْتِرَاقِ ٱلْأَظْلَافِ وَٱنْتِصَابِ ٱلْقُرُونِ وَٱنْعِطَافِهَا. وَلَهُ نَابَانِ دَقِيقَانِ أَبْيَضَانِ فِي ٱلْفَكَّيْنِ قَائِمَانِ فِي وَجْهِ ٱلظَّبْيِ. طُولُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِقْدَارُ فِتْرٍ وَدُونَهُ عَلَى هَيْئَةِ نَابِ ٱلْفِيلِ فَهُوَ ٱلْفَرْقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ سَائِرِ ٱلظِّبَاءِ. وَأَجْوَدُ ٱلْمِسْكِ كُلِّهِ مَا حَكَّهُ ٱلظَّبْيُ عَلَى أَحْجَارِ ٱلْجِبَالِ إِذْ كَانَ مَادَّةً تَصِيرُ فِي سُرَّتِهِ وَيَجْتَمِعُ دَمًا عَبِيطًا كَٱجْتِمَاعِ ٱلدَّمِ فِيمَا يَعْرِضُ مِنَ ٱلدَّمَامِلِ. فَإِذَا أَدْرَكَ حَكَّهُ وَأَضْجَرَهُ فَيَفْزَعُ إِلَى ٱلْحِجَارَةِ حَتَّى يَخْرِقَهُ فَيَسِيلُ مَا فِيهِ فَإِذَا خَرَجَ عَنْهُ جَفَّ وَٱنْدَمَلَ وَعَادَتِ ٱلْمَادَّةُ تَجْتَمِعُ فِيهِ كَمِنْ ذِي قَبْلُ. وَبِٱلتُّبَّتِ رِجَالٌ يَخْرُجُونَ فِي طَلَبِ هٰذَا وَلَهُمْ بِهِ مَعْرِفَةٌ. فَإِذَا وَجَدُوهُ ٱلْتَقَطُوهُ وَجَمَعُوهُ وَأَوْدَعُوهُ ٱلنَّوَافِجَ وَحَمَلُوهُ إِلَى مُلُوكِهِمْ. وَهُوَ نِهَايَةُ ٱلْمِسْكِ إِذْ كَانَ قَدْ أَدْرَكَ عَلَى حَيَوَانِهِ. وَصَارَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ ٱلْمِسْكِ كَفَضْلِ مَا يُدْرِكُ مِنَ ٱلثِّمَارِ فِي شَجَرِهِ عَلَى سَائِرِ مَا يُنْزَعُ مِنْهُ قَبْلَ إِدْرَاكِهِ (للمسعودي)

٤٢٠ (فَرَسٌ) . مِنْ أَحْسَنِ ٱلْحَيَوَانَاتِ بَعْدَ ٱلْإِنْسَانِ صُورَةً وَأَشَدِّ ٱلدَّوَابِّ عَدْوًا وَذَكَاءً . وَلَهُ خِصَالٌ حَمِيدَةٌ وَأَخْلَاقٌ مَرْضِيَّةٌ . مِنْ ذٰلِكَ حُسْنُ صُورَتِهِ وَتَنَاسُبُ أَجْزَائِهِ وَأَعْضَائِهِ وَصَفَاءُ لَوْنِهِ وَسُرْعَةُ عَدْوِهِ وَحُسْنُ طَاعَتِهِ لِفَارِسِهِ كَيْفَ صَرَفَهُ ٱنْقَادَ لَهُ . وَمِنْهَا مَا يَلْعَبُ ٱلْفَارِسُ عَلَى ظَهْرِهِ بِٱلْكُرَةِ فَلَا يَحْتَاجُ ٱلرَّاكِبُ أَنْ يَصْرِفَهُ بَلْ عَيْنُــهُ إِلَى ٱلْكُرَةِ كُلَّمَا رَأَى ٱلْكُرَةَ يَعْدُو خَلْفَهَا . وَمِنَ ٱلْفَرَسِ مَا يَعْرِفُ صَاحِبَــهُ فَلَا يُمَكِّنُ غَيْرَهُ مِنْ رُكُوبِهِ . وَمِنَ ٱلْخَيْلِ مَا يَلْحَقُ ٱلظَّبْيَ حَتَّى يَضْرِبَ رَاكِبُهُ ٱلظَّبْيَ بِٱلسَّيْفِ

السباع

٤٢١ (ٱبْنُ آوَى) . جَمْعُــهُ بَنَاتُ آوَى وَسُمِّيَ ٱبْنَ آوَى لِأَنَّهُ يَأْوِي إِلَى عُوَاءِ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ وَلَا يَعْوِي إِلَّا لَيْــلًا . وَذٰلِكَ إِذَا ٱسْتَوْحَشَ وَبَقِيَ وَحْدَهُ . وَصِيَاحُهُ يُشْبِــهُ صِيَاحَ ٱلصِّبْيَانِ . وَهُوَ طَوِيلُ ٱلْمَخَالِبِ وَٱلْأَظْفَارِ يَعْدُو عَلَى غَيْرِهِ وَيَأْكُلُ مِمَّا يَصِيــدُ مِنَ ٱلطُّيُورِ وَغَيْرِهَا . وَخَوْفُ ٱلدَّجَاجِ مِنْــهُ أَشَدُّ مِنْ خَوْفِهَا مِنَ ٱلثَّعْلَبِ لِأَنَّهُ إِذَا مَرَّ تَحْتَهَا وَهِيَ عَلَى ٱلشَّجَرَةِ أَوِ ٱلْجِدَارِ تَسَاقَطَتْ وَإِنْ كَانَتْ عَدَدًا كَثِيرًا . وَٱبْنُ آوَى يُفْسِدُ ٱلْكُرُومَ وَٱلثِّمَارَ وَإِذَا أَرَادَ صَيْدَ طَيْرِ ٱلْمَاءِ جَمَعَ حُزْمَةً مِنَ ٱلْحَشِيشِ وَيَرْمِيهَا فِي ٱلْمَاءِ وَيَتْرُكُهَا حَتَّى يَسْتَأْنِسَ ٱلطَّيْرُ بِهَا وَيَقَعَ عَلَيْهَا . فَإِذَا رَأَى ٱسْتِئْنَاسَ ٱلطَّيْرِ بِهَا جَعَلَ يَمْشِي خَلْفَهَا وَيَصْطَادُ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ

٤٢٢ (ٱلْخِنْزِيرُ) . حَيَوَانٌ سَمِجُ ٱلشَّكْلِ صَعْبٌ لَهُ نَابَانِ كَنَابَيِ

الفيل يضرب بهما. ورأسه كرأس الجاموس. وله ظلف كما للبقر يلطخ بدنه بالطين والأشياء اللزجة حتى يصير جلده كالجوشن لا تعمل فيه أنياب الخنازير عند الخصومة. وأنثاه أنسل الحيوانات لأنها تضع عشرين خنوصاً. فالخنزير يأكل الحية أكلا ذريعاً وسم الحية لا يعمل في الخنزير. وهو أروغ من الثعلب. يهرب من الفارس حتى يطمع فيه الفارس ويعدو خلفه ويتعب ثم يكر عليه ويضرب الفرس أو الفارس ضربة شديدة بنابه فيقتله (للقزويني)

٤٢٣ (الذئب). حيوان كثير الخبث ذو غارات وخصومات ومكابرة وختل شديد. وقلما يخطئ في وثبته. وعند اجتماعهما لا ينفرد أحد منهما إذ لا يأمن على نفسه منها. وإذا أصاب أحدها جرحة أو ضربة علمت أنه ضعيف فاجتمعت وأكلته. وإذا نامت الذئاب واجه بعضها بعضاً ولا ينام خلفه حتى ينظر أحدهما إلى الآخر وقيل إنه ينام بإحدى عينيه ويفتح الأخرى. قال حميد الهلالي:

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي الـمنايا بأخرى فهو يقظان هاجع

وإذا عجز عن غلبة من يقاومه يعوي حتى يأتي ما يسمع عواءه من الذئاب يعاونه. وإذا مرض انفرد عن الذئاب ويعلم أنها إن أحست بمرضه أكلته. وفيه من قوة حاسة الشم أنه يدرك المشموم من فرسخ. وأكثر ما يتعرض للغنم في الصبح وإنما يتوقع فترة الكلب ونومه وكلاله لأنه يظل طول ليله حارساً متيقظاً. ومن غريب

أمره أنه إذا كدّه الجوع عوى فتجتمع له الذئاب ويقف بعضها إلى بعض فمن ولّى منها وثب إليه الباقون وأكلوه. وإذا عرض للإنسان وخاف العجز عنه عوى عواء استغاثة فتسمعه الذئاب فتقبل على الإنسان إقبالاً واحداً وهم سواء في الحرص على أكله. فإن أدمى الإنسان واحداً منها وثب الباقون على المدمى فمزقوه وتركوا الإنسان. وقال بعض الشعراء يعاتب صديقاً مال عنه:

وكنت كذئب السوء لمّا رأى دماً بصاحبه يوماً أحال على الدم

٤٢٤ (السنّور). حيوان ألوف متملّق خلقه الله تعالى لدفع الفار. وهو يحب النظافة فيمسح وجهه بلعابه. وإذا تلطّخ شيء من بدنه لا يلبث حتى ينظفه. وإذا ألف السنور منزلاً منع غيره من السنانير الدخول إلى ذلك المنزل وحاربه أشد محاربة وهو من جنسه علماً منه بأن أربابه ربما استحسنوه وقدموه عليه أو شاركوا بينه وبينه في المطعم وإن أخذ شيئاً مما يخزنه أصحاب المنزل عنه هرب علماً منه بما يناله منهم من الضرب. وإذا طردوه تملقهم وتمسح بهم علماً منه بأنه يخلصه التملق ويحصل له العفو والإحسان. وإذا مر الفار على السقف استلقى يحرك يديه ورجليه ليراه الفار فيسقط من السقف فزعاً. وإذا صاد شيئاً من الفار يلعب بها زماناً فربما يخليها حتى تمعن في الهرب وظنت أنها نجت. ثم يثب عليها ويأخذها. فلا يزال يخدعها بالسلامة ويورثها الحسرة والأسف ويلتذ بتعذيبها ثم

يأكلها. والسنور ثلاثة أنواع. أهلي ووحشي وسنور الزباد. وكل من الأهلي والوحشي له نفس غضوبة ويفترس ويأكل اللحم الحي. وأما سنور الزباد فهو كالسنور الأهلي لكنه أطول منه ذنبا وأكبر جثة ووبره إلى السواد أميل وربما كان أنمر. ويجلب من بلاد الهند والسند. والزباد فيه شبيه بالوسخ الأسود اللزج وهو ذفر الرائحة يخالطه طيب كطيب المسك (للدميري)

٤٢٥ (النمر). ضرب من السباع فيه شبه من الأسد إلا أنه أصغر منه. وهو ذو قوة وقهر وسطوة صادقة ووثبات شديدة وهو أعدى عدو للحيوانات. وهو ذو وشي وألوان حسنة لا يردعه سطوة أحد ولا ينصرف عن العسكر الدهم. وخلقه في غاية الضيق لا يستأنس البتة وعنده كبر وعجب بنفسه إذا شبع نام أياما فإذا انتبه جائعا خرخر شديدا يعرف ما حوله من الحيوان أنه يريد الصيد. والنمر يتعرض لكل حيوان رآه في جوعه وشبعه بخلاف الأسد فإنه لا يتعرض للحيوان إلا عند جوعه

الطيور

٤٢٦ (أبو براقش). طائر حسن الصورة طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار في حجم اللقلق. يتلون كل ساعة بلون آخر من أحمر وأصفر وأخضر يضرب به المثل في التنقل والتحول. قال الشاعر:

كأبي براقش كل يو م لونه يتقلب

وَعَلَى لَوْنِ هٰذَا ٱلطَّائِرِ نُسِجَتْ ثِيَابٌ تُسَمَّى أَبَا قَلَمُونَ تُجْلَبُ مِنَ ٱلرُّومِ. وَعَجَبُ هٰذَا ٱلطَّائِرِ فِي لَوْنِهِ وَشَكْلِهِ (للقزويني)

٤٢٧ (ٱلدِّيكُ). أَكْثَرُ ٱلطُّيُورِ عُجْبًا بِنَفْسِهِ وَهُوَ أَبْلَهُ ٱلطَّبِيعَةِ وَعَلَامَتُهُ حُمْرَةُ ٱلْعُرْفِ وَغِلَظُ ٱلرَّقَبَةِ وَضِيقُ ٱلْعَيْنِ وَسَوَادُهَا وَحِدَّةُ ٱلْمَخَالِبِ وَرَفْعُ ٱلصَّوْتِ. وَأَعْظَمُ مَا فِيهِ مِنَ ٱلْعَجَائِبِ مَعْرِفَةُ ٱلْأَوْقَاتِ ٱللَّيْلِيَّةِ. فَيُقَسِّطُ أَصْوَاتَهُ عَلَيْهَا تَقْسِيطًا لَا يَكَادُ يُغَادِرُ مِنْهُ شَيْئًا سَوَاءٌ طَالَ أَوْ قَصُرَ. وَيُوَالِي صِيَاحَهُ قَبْلَ ٱلْفَجْرِ وَبَعْدَهُ فَسُبْحَانَ مَنْ هَدَاهُ لِذٰلِكَ. قَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ يَصِفُ دِيكًا:

بَشَّرَ بِٱلصُّبْحِ طَائِرٌ هَتَفَا ... هَاجَ مِنَ ٱللَّيْلِ بَعْدَمَا ٱنْتَصَفَا

مُذَكِّرًا بِٱلصَّبَاحِ صَاحَ بِنَا ... كَخَاطِبٍ فَوْقَ مِنْبَرٍ وَقَفَا

صَفَّقَ إِمَّا ٱرْتِيَاحَةً لِسَنَا ٱلْـفَجْرِ وَإِمَّا عَلَى ٱلدُّجَى أَسَفَا

٤٢٨ (ٱلصَّقْرُ). أَحَدُ أَنْوَاعِ ٱلْجَوَارِحِ ٱلْأَرْبَعَةِ وَهِيَ ٱلصَّقْرُ وَٱلشَّاهِينُ وَٱلْعُقَابُ وَٱلْبَازِي وَتُنْعَتُ أَيْضًا بِٱلسِّبَاعِ. وَهُوَ أَصْبَرُ عَلَى ٱلشِّدَّةِ وَأَحْمَلُ لِغَلِيظِ ٱلْغِذَاءِ وَٱلْأَذَى وَأَحْسَنُ أُلْفَةً وَأَشَدُّ إِقْدَامًا عَلَى جِلَّةِ ٱلطَّيْرِ مِنَ ٱلْكُرْكِيِّ وَغَيْرِهِ. وَصَيْدُهُ أَعْجَبُ مِنْ جَمِيعِ ٱلْجَوَارِحِ فَإِذَا أُرْسِلَ صَقْرَانِ عَلَى ظَبْيَةٍ أَوْ بَقَرِ وَحْشٍ يَنْزِلُ أَحَدُهُمَا عَلَى رَأْسِهِ وَيَضْرِبُ بِجَنَاحِهِ عَيْنَيْهِ ثُمَّ يَقُومُ وَيَنْزِلُ ٱلْآخَرُ وَيَفْعَلُ مِثْلَ ذٰلِكَ وَيَشْغَلَانِهِ عَنِ ٱلْمَشْيِ حَتَّى يُدْرِكَهُ مَنْ يَبْطِشُ بِهِ. وَمِنَ ٱلْعَجَبِ أَنَّ ٱلصَّقْرَ مَعَ صِغَرِ جُثَّتِهِ يَثِبُ عَلَى ٱلْكُرْكِيِّ مَعَ ضَخَامَتِهِ (للدميري)

٤٢٩ (أَلْقُبَّرَةُ) . الطائر ذو الأصوات المطربة والنغمات اللذيذة على رأسه قنزعة شبيهة بما للطاووس . وهو شديد الاحتياط إذا وقع على شيء ينظر يمينه وشماله ووراءه . ومع كثرة احتياطه كثير الوقوع في الفخ . يتخذ عشًّا عجيبًا له تأليف معجب . وهو أنه يعمد إلى ثلاثة أعواد من شجرة الكرم أو شجرة مثلها عريضة الأوراق . ويأتي بحشيش في غاية اللطافة وينسج بين تلك الأعواد سليلة لطيفة عجيبة التأليف لا يمكن للبشر أن يأتي بمثلها . ويدع البيضة فيها وتكون السليلة مستترة بأوراق الشجر لا يراها شيء من جوارح الطير . حكى بعضهم قال : كان طرفة مع عمه في سفر وهو ابن سبع سنين فنزلوا على ماء فذهب طرفة بفخ له إلى مكان فنصبه للقنابر وبقي عامة يومه لم يصد شيئًا . ثم حمل فخه وعاد إلى عمه فرحلوا من ذلك المكان فرأى القنابر يلقطن ما نثر لهن من الحب فقال :

يا لكِ من قُبَّرَةٍ بمعمرِ ... خلا لكِ الجو فبيضي واصفري
قد رُفِعَ الفخ فماذا تحذري ... ونقري ما شئت أن تنقري
قد ذهب الصياد عنك فابشري ... لا بد من أخذك يومًا فاحذري

الهوام والحشرات

٤٣٠ (حَيَّة) . إنها من أعظم الحيوانات خلقة وأشدها بأسًا وأقلها غذاء وأطولها عمرًا . قالوا ليس في حيوانات البر شيء يقتل نهشه أسرع من الحية ولا شيء يغتذي بالتراب غيرها . ومن عجائب الحية

أنها إذا عرفت أنها مقتولة أحرزت رأسها ببدنها وجعلت بدنها وقاية لرأسها ولا تزال تنطوي لئلا تقع الضربة على رأسها ملاك الحياة . وليس شيء في الأرض مثل الحية إلا وجسم الحية أقوى منه . ولذلك إذا أدخلت صدرها في حجر أو صدع لم يستطع أقوى الناس إخراجها منه وربما تقطعت ولا تخرج . وليس لها قوائم ولا أظفار تتشبث بها وإنما قوي ظهرها هذه القوة لكثرة أضلاعها فإن لها ثلاثين ضلعا . وإذا مشت على بطنها فتتدافع أجزاؤها وتسعى بذلك الدفع الشديد . ولسانها مشقوق فيظن بعض الناس أن لها لسانين . وتوصف بالنهم والشره لأنها تبتلع الفراخ من غير مضغ كما يفعل الأسد . ومن شأنها أنها إذا ابتلعت شيئا له عظم أتت شجرة أو نحوها فتلتوي عليها التواء شديدا حتى يتكسر ذلك في جوفها . والحية من الأمم التي تكثر أصنافها في الصغر والكبر والتعرض للناس والهرب منهم . فمنها ما لا يؤذي إلا إذا وطئه واطىء ومنها ما لا يؤذي إلا إذا آذاه الناس مرة . ومنها الأسود الذي يحقد ويتمكن حتى يدرك طالبه . وشر الحيات الأفاعي ومساكنها الرمال والأفعى حية رقشاء دقيقة العنق عريضة الرأس . والبقر الوحشي يأكلها أكلا ذريعا وهي أعدى عدو للإنسان . قال الجاحظ : الأفعى تظهر الصيف في أول الليل إذا سكن وهج ظاهر الأرض فتأتي قارعة الطريق وتستدير كأنها رحا ويلصق بدنها بالأرض ويشخص رأسها متعرضة لأن يطأ

إنسانٌ أو دابةٌ لتنهشهُ وسمُّها موتٌ سريعٌ

٤٣١ (ألسِنجاب). حيوانٌ على حدِّ اليَرْبوعِ. أكبرُ من الفأرِ وشعرُهُ في غايةِ النعومةِ يُتخذُ من جلدهِ الفراء يلبسهُ المتنعمونَ. وهو شديدُ الحيلِ إذا أبصرَ الإنسانَ صعدَ الشجرةَ العاليةَ وفيها يأوِي ومنها يأكلُ. وهو كثيرٌ ببلادِ الصقالبةِ والتركِ ومزاجهُ حارٌّ رطبٌ لسرعةِ حركتهِ عن حركةِ الإنسانِ. وأحسنُ جلودهِ الأزرقُ الأملسُ

٤٣٢ (عقربٌ). أخبثُ الحشراتِ. تلدغُ كلَّ شيءٍ تلقاهُ ولها ثمانيةُ أرجلٍ وعينها على بطنها. وإذا لدغتْ هربتْ في الحالِ. وإذا خرجتْ من بيتها أوّلَ الليلِ تلدغُ كلَّ شيءٍ تلقاهُ من حيوانٍ أو جمادٍ وربّما ضربتِ الحجرَ والمدرَ. ومن أحسنِ ما قيلَ في ذلكَ:

رأيتُ على صخرةٍ عقرباً ‏ ‏ وقد جعلتْ ضربَها ديدنا
فقلتُ لها إنها صخرةٌ ‏ ‏ وطبعكِ من طبعها ألينا
فقالتْ صدقتَ ولكنني ‏ ‏ أريدُ أعرِّفها من أنا

ومن عجيبِ أمرها أنها لا تضربُ الميتَ ولا النائمَ حتى يتحركَ بشيءٍ من بدنهِ فإنها عند ذلكَ تضربهُ. ومن شأنها أنها إذا لسعتِ الإنسانَ فرّتْ فرارَ مسيءٍ يخشى العقابَ (للدميري)

٤٣٣ (قُنفُذٌ). الحيوانُ الذي سلاحهُ على ظهرهِ وهو الشوكُ الذي عليهِ ويقبعُ بحيثُ لا يتبيّنُ من أطرافهِ شيءٌ. ويستطيبُ الهواءَ ويتخذُ لمسكنهِ بابينِ أحدهما مستقبلُ الشمالِ والآخرُ مستقبلُ الجنوبِ

وَيُعادِي ٱلْحَيَّةَ فَإِنْ ظَفِرَ بِقَفَاهَا أَكَلَهَا بِأَسْهَلِ طَرِيقٍ وَإِنْ ظَفِرَ بِذَنَبِهَا عَضَّ ذَنَبَهَا وَقَبَعَ. وَيُغطِّي ٱلْحَيَّةَ ظَهْرَهُ فَٱلْحَيَّةُ تَضْرِبُ نَفْسَهَا عَلَى شَوْكِهِ حَتَّى تَهْلِكَ. وَيَصْعَدُ ٱلْكَرْمَ وَيَرْمِي حَبَّاتِ ٱلْعَنَاقِيدِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَتَمَرَّغُ فِي ٱلْحَبَّاتِ لِيُدْخِلَ شَوْكَهُ فِي ٱلْحَبَّاتِ وَيَحْمِلَهَا إِلَى أَوْلَادِهِ. وَمِنْهَا صِنْفٌ يُقَالُ لَهُ ٱلدُّلْدُلُ وَهُوَ أَكْبَرُ جِسْمًا مِنَ ٱلْقُنْفُذِ وَأَطْوَلُ شَوْكًا. نِسْبَتُهُ إِلَى ٱلْقُنْفُذِ كَنِسْبَةِ ٱلْجَامُوسِ إِلَى ٱلْبَقَرِ. قَالُوا إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْمِيَ بِشَوْكِهِ حَيَوَانًا أَوْ جَمَادًا أَوْ عَدُوًّا يَرْمِيهِ كَرَمْيِ ٱلنُّشَّابِ وَلَا يُخْطِئُ فَتَمُرُّ ٱلشَّوْكَةُ كَمَرِّ ٱلنُّشَّابِ وَتَثْبُتُ فِيهِ

٤٣٤ (نَمْلٌ). حَيَوَانٌ حَرِيصٌ عَلَى جَمْعِ ٱلْغِذَاءِ وَهُوَ عَظِيمُ ٱلْحِيلَةِ فِي طَلَبِ ٱلرِّزْقِ فَإِذَا وَجَدَ شَيْئًا أَنْذَرَ ٱلْبَاقِينَ لِيَأْتُوا إِلَيْهِ. وَيُقَالُ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْهَا رُؤَسَاؤُهَا. وَمِنْ طَبْعِهِ أَنَّهُ يَحْتَكِرُ قُوتَهُ مِنْ زَمَنِ ٱلصَّيْفِ لِزَمَنِ ٱلشِّتَاءِ. وَلَهُ فِي ٱلِٱحْتِكَارِ مِنَ ٱلْحِيَلِ مَا إِنَّهُ إِذَا ٱحْتَكَرَ مَا يَخَافُ إِنْبَاتَهُ قَسَمَهُ نِصْفَيْنِ مَا خَلَا ٱلْكُزْبُرَةَ فَإِنَّهُ يَقْسِمُهَا أَرْبَاعًا لِمَا أُلْهِمَ مِنْ أَنَّ كُلَّ نِصْفٍ مِنْهَا يَنْبُتُ وَإِذَا خَافَ ٱلْعَفَنَ عَلَى ٱلْحَبِّ أَخْرَجَهُ إِلَى ظَاهِرِ ٱلْأَرْضِ وَنَشَرَهُ وَإِذَا أَحَسَّتْ بِٱلْغَيْمِ رَدَّتْهُ إِلَى مَكَانِهَا خَوْفًا مِنَ ٱلْمَطَرِ. فَإِنِ ٱبْتَلَّ شَيْءٌ مِنْهَا تَبْسُطُهُ يَوْمَ ٱلصَّحْوِ فِي ٱلشَّمْسِ. وَمِنْ عَجَائِبِهِ ٱتِّخَاذُهُ ٱلْقَرْيَةَ تَحْتَ ٱلْأَرْضِ وَفِيهَا مَنَازِلُ وَدَهَالِيزُ وَغُرَفٌ وَطَبَقَاتٌ مُنْعَطِفَاتٌ يَمْلَأُهَا حُبُوبًا وَذَخَائِرَ لِلشِّتَاءِ. وَتَجْعَلُ بَعْضَ بُيُوتِهَا مُنْخَفِضًا لِيَنْصَبَّ إِلَيْهِ ٱلْمَاءُ وَبَعْضَهَا مُرْتَفِعًا لِلْحَبِّ. وَمِنْهَا أَيْضًا أَنَّهُ مَعَ لَطَافَةِ

شَخصِهِ وَخِفَّةِ وَزْنِهِ لَهُ شَمٌّ لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنَ ٱلْحَيَوَانِ مِثْلُ ذٰلِكَ. فَإِذَا وَقَعَ شَيْءٌ مِنْ يَدِ ٱلْإِنسَانِ فِي مَوْضِعٍ لَا تَرَى فِيهِ شَيْئًا مِنَ ٱلنَّمْلِ فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يُقْبِلَ كَٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ ٱلْمَمْدُودِ إِلَى ذٰلِكَ ٱلشَّيْءِ. وَيَشُمُّ رَائِحَةَ ٱلشَّيْءِ ٱلَّذِي لَوْ وَضَعْتَهُ عَلَى أَنْفِكَ مَا وَجَدْتَ لَهُ رَائِحَةً (للقزويني)

السمك

٤٣٥ أَلسَّمَكُ مِنْ خَلْقِ ٱلْمَاءِ وَهُوَ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهُ كِبَارٌ. وَمَا لَا يُدْرِكُهُ ٱلطَّرْفُ لِصِغَرِهِ وَكُلُّهُ يَأْوِي ٱلْمَاءَ وَيَنْتَشِقُهُ كَمَا يَنْتَشِقُ بَنُو آدَمَ وَحَيَوَانُ ٱلْبَرِّ ٱلْهَوَاءَ إِلَّا أَنَّ حَيَوَانَ ٱلْبَرِّ يَنْتَشِقُ ٱلْهَوَاءَ بِٱلْأَنْفِ وَيَصِلُ بِذٰلِكَ إِلَى قَصَبَةِ ٱلرِّئَةِ. وَٱلسَّمَكُ يَنْتَشِقُ بِأَصْدَاغِهِ فَيَقُومُ لَهُ ٱلْمَاءُ فِي تَوَلُّدِ ٱلرُّوحِ ٱلْحَيَوَانِيِّ فِي قَلْبِهِ مَقَامَ ٱلْهَوَاءِ. وَإِنَّمَا ٱسْتَغْنَى عَنِ ٱلْهَوَاءِ فِي إِقَامَةِ ٱلْحَيَاةِ وَلَمْ نَسْتَغْنِ نَحْنُ وَمَا أَشْبَهَنَا مِنَ ٱلْحَيَوَانِ عَنْهُ لِأَنَّهُ مِنْ عَالَمِ ٱلْمَاءِ وَنَحْنُ مِنْ عَالَمِ ٱلْأَرْضِ. وَصِغَارُ ٱلسَّمَكِ تَحْتَرِسُ مِنْ كِبَارِهِ وَلِذٰلِكَ تَطْلُبُ مَاءَ ٱلشُّطُوطِ وَٱلْمَاءَ ٱلْقَلِيلَ ٱلَّذِي لَا يَحْمِلُ ٱلْكَبِيرَ. وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْحَرَكَةِ لِأَنَّ قُوَّتَهُ ٱلْمُحَرِّكَةَ لِلْإِرَادَةِ تَجْرِي فِي مَسْلَكٍ وَاحِدٍ لَا يَنْقَسِمُ فِي عُضْوٍ خَاصٍّ. وَهٰذَا بِعَيْنِهِ مَوْجُودٌ فِي ٱلْحَيَّاتِ. وَمِنْ جُمْلَةِ أَنْوَاعِهِ ٱلسَّقَنْقُورُ وَٱلدُّلْفِينُ وَٱلْجَرْشَفْلَى وَٱلتِّمْسَاحُ. وَمِنْ أَصْنَافِهِ مَا هُوَ عَلَى شَكْلِ ٱلْحَيَّاتِ وَغَيْرُ ذٰلِكَ

٤٣٦ (أَلدُّلْفِينُ). دَابَّةٌ مِنَ ٱلْبَحْرِ تُنْجِي ٱلْغَرِيقَ تُمَكِّنُهُ مِنْ ظَهْرِهَا لِيَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى ٱلسِّبَاحَةِ. وَهُوَ كَثِيرٌ بِأَوَاخِرِ نِيلِ مِصْرَ مِنْ جِهَةِ ٱلْبَحْرِ

الملح لأنه يقذف به البحر إلى النيل . وصفته كصفة الزق المنفوخ وله رأس صغير جداً وليس في دواب البحر ماله رئة سواه فلذلك يسمع منه النفخ والنفس . وهو إذا ظفر بالغريق كان أقوى الأسباب في نجاته لأنه لا يزال يدفعه إلى البر حتى ينجيه . ولا يؤذي أحداً ولا يأكل إلا السمك . وربما ظهر على وجه الماء كأنه ميت وهو يلد ويرضع . وأولاده تتبعه حيث ذهب ولا يلد إلا في الصيف . ومن طبعه الأنس بالناس وإذا صيد جاءت دلافين كثيرة لقتال صائده . وإذا لبث في العمق حيناً حبس نفسه . ثم صعد مسرعاً مثل السهم لطلب النفس فإن كانت بين يديه سفينة وثب وثبة ارتفع بها السفينة (للدميري)

الباب الرابع عشر
في التاريخ

ذكر دولة الكلدانيين (من ١٩٠٠ الى ٥٣٨ قبل المسيح)

٤٣٧ الكلدانيون أمة قديمة الرئاسة نبيهة الملوك . كان منهم النماردة الجبابرة الذين كان أولهم نمرود من بني حام بانى المجدل . وكان من ولد نمرود بخت نصر الذي غزا بني إسرائيل وقتل منهم خلقاً كثيراً وسبى بقيتهم . وغزا مصر وافتتحها ودوخ كثيراً من البلاد (٦٠٦) . ولم تزل ملك الكلدانيين ببابل إلى أن ظهر عليهم الفرس

وَغَلَبُوهُمْ عَلَى مَمْلَكَتِهِمْ وَأَبَادُوا كَثِيرًا مِنْهُمْ فَدَرَسَتْ أَخْبَارُهُمْ وَطُمِسَتْ آثَارُهُمْ (٥٣٨). وَكَانَتْ لَهُمْ عِنَايَةٌ بِأَرْصَادِ ٱلْكَوَاكِبِ وَتَحَقُّقٌ بِعِلْمِ أَسْرَارِ ٱلْفَلَكِ وَمَعْرِفَةٌ مَشْهُورَةٌ بِطَبَائِعِ ٱلنُّجُومِ وَأَحْكَامِهَا. وَهُمْ نَهَجُوا لِأَهْلِ ٱلشِّقِّ ٱلْغَرْبِيِّ مِنْ مَعْمُورِ ٱلْأَرْضِ ٱلطَّرِيقَ إِلَى تَدْبِيرِ ٱلْهَيَاكِلِ لِإِظْهَارِ طَبَائِعِ ٱلْكَوَاكِبِ بِضُرُوبِ ٱلتَّدَابِيرِ ٱلْمَخْصُوصَةِ بِهَا. وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنْ مَذَاهِبِ ٱلْكَلْدَانِيِّينَ فِي حَرَكَاتِ ٱلنُّجُومِ وَلَا مِنْ أَرْصَادِهِمْ غَيْرُ ٱلْأَرْصَادِ ٱلَّتِي نَقَلَهَا عَنْهُمْ بَطْلَمْيُوسُ فِي كِتَابِ ٱلْمَجِسْطِي

ذكر الفرس ودولهم ومن اشتهر من ملوكهم

٤٣٨ أَمَّا ٱلْفُرْسُ فَأَهْلُ ٱلشَّرَفِ ٱلشَّامِخِ وَٱلْعِزِّ ٱلْبَاذِخِ وَأَوْسَطُ ٱلْأُمَمِ دَارًا وَأَشْرَفُهُمْ إِقْلِيمًا وَأَسْوَسُهُمْ مُلُوكًا تَجْمَعُهُمْ وَتَدْفَعُ ظَالِمَهُمْ عَنْ مَظْلُومِهِمْ. وَتَحْمِلُهُمْ مِنَ ٱلْأُمُورِ عَلَى مَا فِيهِ حَظُّهُمْ. عَلَى ٱتِّصَالٍ وَدَوَامٍ. وَأَحْسَنِ ٱلنِّظَامِ وَٱنْتِظَامٍ. وَخَوَاصُّ ٱلْفُرْسِ عِنَايَةٌ بَالِغَةٌ بِصِنَاعَةِ ٱلطِّبِّ وَمَعْرِفَةٌ ثَاقِبَةٌ بِأَحْكَامِ ٱلنُّجُومِ. وَكَانَتْ لَهُمْ أَرْصَادٌ قَدِيمَةٌ وَقَالَ بَعْضُ عُلَمَاءِ ٱلْعَجَمِ: أَوَّلُ مَنْ مَلَكَ بَعْدَ ٱلطُّوفَانِ كَيُومَرْثُ مِنْ بَنِي سَامٍ. وَكَانَ يَنْزِلُ فَارِسَ وَٱتَّخَذَ ٱلْآلَاتِ لِإِصْلَاحِ ٱلطُّرُقِ وَحَفْرِ ٱلْأَنْهَارِ وَذَبْحِ مَا يُؤْكَلُ مِنَ ٱلْحَيَوَانِ وَقَتْلِ ٱلسِّبَاعِ. وَمَا زَالَ ٱلْمُلْكُ فِي وُلْدِهِ إِلَى أَنْ مَلَكَ دَارَا ٱلَّذِي غَزَاهُ ٱلْإِسْكَنْدَرُ وَقُتِلَ فِي ٱلْمَعْرَكَةِ (٣٣٣). ثُمَّ مَلَكَتِ ٱلدَّوْلَةُ ٱلْأَشْكَانِيَّةُ وَأَوَّلُهُمْ أَشْكُ (٢٦٦ قبل المسيح) وَتُسَمَّى خُلَفَاؤُهُ بِٱلشَّاهِيَةِ. وَدَامَ ٱلْمُلْكُ فِيهِمْ إِلَى أَنْ ظَهَرَتِ ٱلْمَمْلَكَةُ

ٱلسَّاسَانِيَّةُ (٢٢٦ للمسيح) أَوَّلُهُمْ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكَ مِنْ بَنِي كُشْتَاسَابَ فَأَحْسَنَ ٱلسِّيرَةَ وَبَسَطَ ٱلْعَدْلَ (لابي الفرج)

٤٣٩ وَٱشْتَهَرَ فِي ٱلدَّوْلَةِ ٱلسَّاسَانِيَّةِ (سَابُورُ بْنُ أَرْدَشِيرَ ٢٤١ ـ ٢٧٢) وَكَانَ جَمِيلَ ٱلصُّورَةِ حَازِمًا شَخَصَ إِلَى نَصِيبِينَ فَمَلَكَهَا عَنْوَةً. فَقَتَلَ وَسَبَى وَٱفْتَتَحَ مِنَ ٱلشَّامِ مُدُنًا وَأَسَرَ وَالَارِيَانُسَ وَحَمَلَهُ إِلَى جُنْدَيْسَابُورَ وَيُقَالُ جَدَعَ أَنْفَهُ بَلْ قَتَلَهُ. وَيُقَالُ فِي زَمَانِهِ ٱسْتُخْرِجَتِ ٱلْعُودُ وَهِيَ ٱلْمِلْهَاةُ ٱلَّتِي يُغَنَّى بِهَا. وَمِنْهُمْ (بَهْرَامُ بْنُ هُرْمُزَ ٢٧٦) وَكَانَ حَلِيمًا وَقُورًا وَأَحْسَنَ ٱلسِّيرَةَ وَٱقْتَدَى بِآبَائِهِ وَكَانَ مَانِي صَاحِبُ ٱلْقَوْلِ بِٱلنُّورِ وَٱلظُّلْمَةِ فِي أَيَّامِهِ فَجَمَعَ بَهْرَامُ ٱلْعُلَمَاءَ لِٱمْتِحَانِهِ فَأَشَارُوا بِكُفْرِهِ فَقَتَلَهُ. وَمِنْهُمْ (سَابُورُ بْنُ هُرْمُزَ ٣١٠ ـ ٣٨٠). وَظَهَرَ مِنْهُ نَجَابَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ صِبَاهُ وَلَمَّا بَلَغَ مِنَ ٱلْعُمْرِ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً ٱنْتَخَبَ فُرْسَانَ عَسْكَرِهِ عِدَّةً وَسَارَ بِهِمْ إِلَى ٱلْعَرَبِ وَقَتَلَ مَنْ وَجَدَهُ مِنْهُمْ. وَكَانَ يَنْزِعُ أَكْتَافَ ٱلْأَسْرَى فَسُمِّيَ سَابُورَ ذَا ٱلْأَكْتَافِ. وَلَمْ يَنْزِلْ بِمَاءٍ لِلْعَرَبِ إِلَّا وَغَوَّرَهُ وَلَا بِبِئْرٍ إِلَّا وَطَمَّهَا ثُمَّ عَطَفَ عَلَى بِلَادِ ٱلرُّومِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ وَسَبَى حَتَّى هَادَنَهُ قُسْطَنْطِينُ. وَٱسْتَمَرَّ عَلَى ذٰلِكَ حَتَّى تُوُفِّيَ قُسْطَنْطِينُ وَبَنُوهُ. ثُمَّ مَلَكَ عَلَى ٱلرُّومِ يُلْيَانُسُ وَٱرْتَدَّ إِلَى عِبَادَةِ ٱلْأَصْنَامِ وَقَتَلَ ٱلنَّصَارَى وَأَخْرَبَ ٱلْكَنَائِسَ وَأَحْرَقَ ٱلْإِنْجِيلَ. وَسَارَ إِلَى قِتَالِ سَابُورَ فَأَصَابَهُ سَهْمٌ فِي بَعْضِ حُرُوبِهِ غَرْبٌ فِي فُؤَادِهِ فَقَتَلَهُ (٣٦٣). وَٱنْتَظَمَ ٱلصُّلْحُ وَٱلْمَوَدَّةُ بَيْنَ ٱلْفُرْسِ وَٱلرُّومِ. وَمِنْهُمْ (أَنُوشِرْوَانُ ٥٣١) هٰذَا

قَوِيَ بعدَ ضَعفهِ بإدامةِ ٱلنَّظرِ وهجرِ ٱلمَلاذِ وتركِ ٱللَّهوِ . وقوَّى جُندهُ بالأسلحةِ وٱلكُراعِ وعمَرَ ٱلبلادَ وردَّ إلى مُلكهِ كثيرًا مِنَ ٱلأطرافِ ٱلّتي غلبت عليها ٱلأُممُ بِعِلَلٍ وأسبابٍ شتَّى منها ٱلسِّندُ وطخارستانُ ودورستانُ وغيرُها وبنى ٱلمعاقِلَ وٱلحُصونَ . ومنهم (هُرمُز بنُ أنوشروانَ ٥٧٩) وكانَ عادلًا يأخذُ للأدنى مِنَ ٱلشَّريفِ وبالغَ في ذلكَ حتَّى أبغضهُ خواصُّهُ وأقامَ ٱلحقَّ على بنيهِ ومُحبيهِ وأفرطَ في ٱلعدلِ . ثُمَّ توارثَ بنوهُ ٱلمُلكَ إلى أن ملكَ يزدجردُ بنُ شهريارَ ٱلعادلُ وهوَ آخرُ مُلوكِ ٱلفرسِ . فلمَّا ملكَ ٱنتقضت عليهِ ٱلدَّولةُ وتفاقمت أُمورُها وطلعت أعلامُ ٱلإسلامِ بٱلنُّصرةِ (٦٤١) (لأبي الفداء)

نظر في دولة اليونانيين وفلاسفتهم (من ٨٨٤ الى ١٤٦ قبل المسيح)

٤٤٠ أمَّا ٱليونانيُّونَ فكانوا أُمَّةً عظيمةَ ٱلقدرِ في ٱلأُممِ . طائرةَ ٱلذِّكرِ في ٱلآفاقِ فخمةَ ٱلمُلوكِ . منهم ٱلإسكندرُ بنُ فيلفوسَ ٱلمقدونيُّ (٣٣٦) ٱلَّذي أجمعَ مُلوكُ ٱلأرضِ طرًّا على ٱلطَّاعةِ لسُلطانهِ . وكانَ مِن بعدهِ مِن مُلوكِ ٱليونانيِّينَ ٱلبطالسةُ (٣٠١ ـ ٣٠) دامت لهمُ ٱلممالكُ وذلَّت لهمُ ٱلرِّقابُ . ولم يزل مُلكُهم متَّصلًا إلى أن غلبَ عليهمِ ٱلرُّومُ . وكانت بلادُ ٱليونانيِّينَ في ٱلرُّبعِ ٱلغربيِّ ٱلشَّماليِّ مِنَ ٱلأرضِ ... وٱلقسمُ ٱلأعظمُ منها في حيِّزِ ٱلمشرقِ وٱلقسمُ ٱلأصغرُ منها في حيِّزِ ٱلمغربِ . ولغةُ ٱليونانيِّينَ أوسعُ ٱللُّغاتِ وأجلُّها . وكانت عامَّةُ ٱليونانيِّينَ صابئةً معظِّمةً للكواكبِ دائنةً بعبادةِ ٱلأصنامِ . وٱلفلاسفةُ

مِنهُم مِن أرفَعِ ٱلنّاسِ طَبَقَةً وَأَجَلِّ أَهلِ ٱلعِلمِ مَنزِلَةً لِما ظَهَرَ مِنهُم مِنَ ٱلاعتِناءِ بِفُنونِ ٱلحِكمَةِ وَمَعارِفِ ٱلسِّياساتِ ٱلمَنزِلِيَّةِ (لابي الفرج)

٤٤١ وَجَميعُ ٱلعُلومِ ٱلعَقلِيَّةِ مَأخوذَةٌ عَنِ ٱليونانِيّينَ مِثلُ ٱلعُلومِ ٱلمَنطِقِيَّةِ وَٱلطَّبيعِيَّةِ وَٱلإلٰهِيَّةِ وَٱلرِّياضِيَّةِ . وَٱلعِلمُ ٱلرِّياضِيُّ مُشتَمِلٌ عَلى عِلمِ ٱلهَيئَةِ وَٱلهَندَسَةِ وَٱلحِسابِ وَٱللُّحونِ وَٱلإيقاعِ وَغَيرِ ذٰلِكَ . وَكانَ ٱلعالِمُ بِهٰذِهِ ٱلعُلومِ يُسَمّى فَيلَسوفًا وَتَفسيرُهُ مُحِبُّ ٱلحِكمَةِ . وَمِن فَلاسِفَتِهِم (ثاليسُ ٱلمَلَطِيُّ ٦٣٩) . (وَفيثاغورسُ ٤٨٠) مِن كِبارِ ٱلحُكَماءِ وَٱلفَلَكيّينَ . كانَ يَقولُ : ما سَمِعتُ شَيئًا أَلَذَّ مِن حَرَكاتِ ٱلأَفلاكِ وَلا رَأَيتُ شَيئًا أَبهى مِن صورَتِها . وَمِنهُم بُقراطُ ٱلحَكيمُ ٱلطَّبيبُ ٱلمَشهورُ . وَمِنهُم (سُقراطُ ٤٧٠) وَكانَ حَكيمًا فاضِلًا زاهِدًا ٱشتَغَلَ بِٱلرِّياضَةِ وَأَعرَضَ عَن مَلاذِّ ٱلدُّنيا . وَنَهى ٱلنّاسَ عَن عِبادَةِ ٱلأَصنامِ فَثارَت عَلَيهِ ٱلعامَّةُ وَأَلجَأوا مَلِكَهُم إِلى قَتلِهِ فَحَبَسَهُ ثُمَّ سَقاهُ سُمًّا فَماتَ . وَمِنهُم (أَفلاطونُ ٱلإِلٰهِيُّ ٤٣٠) وَكانَ تِلميذًا لِسُقراطَ . وَلَمّا ٱغتيلَ سُقراطُ بِٱلسُّمِّ قامَ أَفلاطونُ مَقامَهُ وَجَلَسَ عَلى كُرسِيِّهِ . وَمِنهُم أَرِسطو ٱلشَّهيرُ (٣٨٤) وَكانَ تِلميذًا لِأَفلاطونَ وَلَمّا صارَ عُمرُ أَرِسطو ٱلمَذكورِ سَبعَ عَشرَةَ سَنَةً أَسلَمَهُ أَبوهُ إِلى أَفلاطونَ فَمَكَثَ عِندَهُ نَيِّفًا وَعِشرينَ سَنَةً ثُمَّ صارَ حَكيمًا مُبرِزًا يُشتَغَلُ عَلَيهِ . وَمِن جُملَةِ تَلامِذَةِ أَرِسطو ٱلمَلِكُ إِسكَندَرُ ٱلَّذي مَلَكَ غالِبَ ٱلمَعمورِ مِنَ ٱلغَربِ إِلى ٱلشَّرقِ وَأَقامَ ٱلإِسكَندَرُ يَتَعَلَّمُ عَلى أَرِسطو خَمسَ سِنينَ وَبَلَغَ فيها

أَحسنَ ٱلمَبالِغ ونالَ مِنَ ٱلفلسفةِ ما لَم ينل سائرُ تلاميذِ أرسطو. ومنهم أقليدسُ (٣٢٠) صاحبُ كتابِ ٱلإستقصاتِ ٱلمسمَّى بِٱسْمِهِ وكانَ في أيَّامِ ملوكِ ٱليونانِ ٱلبطالسةِ. فلم يكُنْ بعدَ أرسطو ببعيدٍ. وأمَّا بطلميوسُ وجالينوسُ فإنَّ زمانهما متأخِّرٌ عن زمنِ ٱليونانِ وكانا في زمنِ ٱلرومِ. وقد أدركَ جالينوسُ زمنَ بطلميوسَ وبطلميوسُ هو ٱلمصنِّفُ ٱلمجسطي. ومنهم فرفوريوسُ (٢٦٠ للمسيح) وكانَ من أهلِ مدينةِ صورَ على ٱلبحرِ ٱلروميِّ بٱلشامِ وكانَ بعدَ زمنِ جالينوسَ. وكانَ عالمًا بكلامِ أرسطو وقد فسَّرَ كتبهُ لمَّا شكا إليهِ ٱلناسُ غموضَها وعجزَهم عن فهمِ كلامِهِ (لابن الاثير)

ملك اسكندر ذي القرنين (من ٣٣٦ الى ٣٢٣)

٤٤٢ ومِن جملةِ ملوكِ ٱليونانيِّينَ ٱلإسكندرُ بنُ فيليفوسَ ٱلمقدونيُّ ٱلَّذي أجمعَ ملوكُ ٱلأرضِ طرًّا على ٱلطاعةِ لِسلطانِهِ وملكَ ستَّ سنينَ بعدَ قتلِهِ داريوشَ. وكانَ قد ملكَ قبلَ ذلكَ ستًّا أُخرى وفتحَ بلادًا كثيرةً حتَّى بلغَ مُلكُهُ إلى أقصى ٱلهندِ وأوائلِ حدودِ ٱلصينِ وسُمِّيَ ذا ٱلقرنَينِ لبلوغِهِ قرنَي ٱلشمسِ وهما ٱلمشرقُ وٱلمغربُ. وقتلَ خمسةً وثلاثينَ ملكًا وبنى ٱثنتَي عشرةَ مدينةً منها ٱثنتانِ في بلدِ خراسانَ وهما هراةُ ومروُ وواحدةٌ في بلدِ ٱلصغدِ وهي سمرقندُ. وأُخرى في بلدِ ٱلقبطِ وهي ٱلإسكندريَّةُ. وفي عودتِهِ مِنَ ٱلهندِ ووصولِهِ إلى بابلَ ماتَ مسمومًا ووُضِعَ في تابوتِ ذهبٍ وحُمِلَ على أكتافِ ٱلملوكِ

وَالأَشرافِ إلى إسكندريةِ القبطِ ودُفِنَ بها. وبعد موتِ الإسكندرِ تقاسمَ الممالكَ أربعةٌ من عبيدهِ وهم بطلميوس بن لاغوس وأريذاوس وأنطيوخوس وسلوقوس (لابي الفرج)

ذكر الرومانيين ومبادئ دولتهم الى زمان المسيحية (من ٧٥٤ الى ٥١٠ قبل المسيح)

٤٤٣ هذهِ الأمةُ من أشهرِ أممِ العالمِ ومواطنهم من الناحيةِ الغربيةِ من خليجِ القسطنطينيةِ إلى بلادِ الإفرنجةِ فيما بينَ البحرِ المحيطِ والبحرِ الروميِّ من شمالهِ. وكانَ مقرُّ ملوكهم رومةَ الكبرى قبلَ غلبتهم على اليونانِ. وكانَ الرومُ يدينونَ بدينِ الصابئينَ ولهم أصنامٌ على أسماءِ الكواكبِ السبعةِ يعبدونها. وكانَ مبدأُ أمرهم أنَّ برقاش ملكَ اللطينيينَ بعدَ وفاتهِ أجازَ الملكَ إلى حافديهِ وهما رومُلُس وراماش واشتقَّ رومُلُس اسمَ رومةَ من اسمهِ (٧٥٤). وكانت من أحفلِ مدنِ العالمِ لم تزل دارَ مملكةِ اللطينيينَ والقياصرةِ حتى أصبحهم الإسلامُ وهي في ملكهم. ثم بعدَ ابتناءِ رومةَ وثبَ رومُلُس على أخيهِ فقتلهُ وملكَ بعدَ قتلهِ ثمانياً وثلاثينَ سنةً وحدهُ واتخذَ رومُلُس برومةَ ملعباً عجيباً. وعُدَّ بعدَ رومُلُس خمسةٌ من الملوكِ (والصحيح ستة) اغتصبَ ابنُ آخرهم رجلاً في زوجهِ فقتلت نفسها. فسئمَ اللطينيونَ ولايةَ الملوكِ وأجمعوا أن لا يولّوا عليهم ملكاً وقدّموا شيوخاً ثلاثَ مائةٍ وعشرينَ يدبرونَ ملكهم. وصارَ هكذا أمرهم شورى بينَ الوزراءِ (٥١٠). وكانَ للرومِ حروبٌ مع الأممِ المجاورةِ لهم من كلِّ

جِهةٍ فأجازوا إلى أفريقيةَ فملكوها وخربوا قرطاجنةَ ثمّ ملكوا جزيرة صقليةَ (٢٤١) ثمّ جزيرةَ الأندلسِ (٢٠٢) ثمّ حاربوا اليونانيين (١٤٦) ثمّ حاربوا الفرسَ من بعدهم واستولوا على الشامِ (٦٤) ومصرَ (٣٠)

الخبر عن تخريب قرطاجنة (من ٢٦٤ الى ١٤٦ قبل المسيح)

٤٤٤ كان بناء قرطاجنةَ قبلَ بناء رومةَ بثنتينِ وسبعينَ سنةً (والصحيح بمائةٍ وثلاث سنين) على يدي ديدُنَ. وكان بها أميرٌ يُسمّى ملكُونَ وهو الذي بعث إلى الإسكندرِ بطاعته عند استيلائه على طرسوس. ثمّ صار مُلكُ أفريقيةَ إلى أملقارَ من ملوكهم فافتتح صقليةَ وهاجتِ الحربُ بينهُ وبينَ الرومانيين بسببِ أهلِ سردانيةَ. ثمّ وقعتِ السلمُ بينهم ثمّ وَلّى بقرطاجنةَ أملقارُ ابنهُ أنيبلَ فأجازَ إلى بلادِ الإفرنجِ وغلبهم على بلادِهم وزحف إليه قوّادُ رومةَ فوالى عليهم الهزائمَ وبعث أخاهُ أشدربالَ إلى الأندلسِ فملكها وخالفهُ قوّادُ الرومانيينَ إلى أفريقيةَ بعدَ أن ملكوا من حصونِ صقليةَ أربعينَ أو نحوها ثمّ أجازوا إلى أفريقيةَ فملكوها وقتلوا خليفةَ أنيبلَ فيها وافتتحوا مدينةَ جرذا. وخرج آخرونَ من قوّادِ رومةَ إلى الأندلسِ فهزموا أشدربالَ واتبعوه إلى أن قتلوهُ (٢٠٧). وفرَّ أخوهُ أنيبلُ عن بلادِهم بعدَ ثلاثَ عشرةَ سنةً من إجازته إليهم وبعدَ أن حاصرَ رومةَ وأثخنَ في نواحيها. فلحق بأفريقيةَ ولقيهُ قوّادُ أهلِ رومةَ الذين أجازوا إلى أفريقيةَ فهزموهُ. وحاصروهُ بقرطاجنةَ حتّى سألَ الصلحَ

عَلَى أَنْ يَغْرَمَ لَهُمْ ثَلَاثَةَ آلَافِ قِنْطَارٍ مِنَ ٱلْفِضَّةِ فَأَجَابُوهُ إِلَيْهِ وَسَكَنَتِ ٱلْحَرْبُ بَيْنَهُمْ. ثُمَّ ظَاهَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ أَنِيبَلُ صَاحِبُ أَفْرِيقِيَةَ مُلُوكَ ٱلسُّرْيَانِيِّينَ عَلَى حَرْبِ أَهْلِ رُومَةَ فَهَلَكَ فِي حَرْبِهِمْ مَسْمُومًا (١٨٣). وَبَعْدَ أَنْ تَخَلَّصَ أَهْلُ رُومَةَ مِنْ تِلْكَ ٱلْحُرُوبِ رَجَعُوا إِلَى ٱلْأَنْدَلُسِ فَمَلَكُوهَا ثُمَّ أَجَازُوا ٱلْبَحْرَ إِلَى قَرْطَاجَنَةَ فَفَتَحُوهَا وَقَتَلُوا مَلِكَهَا وَخَرَّبُوهَا (١٤٦) (لابن خلدون)

حال اللطينيين الى وفاة اوغسطس (من ١٤٦ قبل المسيح الى ١٤ بعد المسيح)

٤٤٥ وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ هٰؤُلَاءِ ٱللَّطِينِيِّينَ رَاجِعًا إِلَى ٱلْوُزَرَاءِ مُنْذُ سَبْعِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْ عَهْدِ رُومَةَ تَقْتَرِعُ ٱلْوُزَرَاءُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فَيَخْرُجُ قَائِدٌ مِنْهُمْ إِلَى كُلِّ نَاحِيَةٍ كَمَا تُوجِبُهُ ٱلْقُرْعَةُ فَيُحَارِبُونَ أُمَمَ ٱلطَّوَائِفِ وَيَفْتَحُونَ ٱلْمَمَالِكَ. حَتَّى إِذَا هَلَكَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ وَٱفْتَرَقَ أَمْرُ ٱلْيُونَانِيِّينَ وَفَشِلَتْ رِيحُهُمْ وَقَعَتْ فِتْنَةُ هٰؤُلَاءِ ٱللَّطِينِيِّينَ مَعَ أَهْلِ أَفْرِيقِيَةَ وَٱسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا. وَمَلَكُوا ٱلْأَنْدَلُسَ وَمَلَكُوا ٱلشَّامَ وَأَرْضَ ٱلْحِجَازِ وَقَهَرُوا ٱلْعَرَبَ بِٱلْحِجَازِ. وَٱفْتَتَحُوا بَيْتَ ٱلْمَقْدِسِ وَأَسَرُوا مَلِكَهَا يَوْمَئِذٍ مِنَ ٱلْيَهُودِ وَهُوَ أَرِسْطَابُولُسُ ثَامِنُ مُلُوكِ بَنِي حَشْمَنَايَ وَغَرَّبُوهُ إِلَى رُومَةَ. إِلَى أَنْ خَرَجَ يُولِشُ قَيْصَرُ وَمَعْنَاهُ شُقَّ عَنْهُ لِأَنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تَلِدَهُ فَشَقُّوا بَطْنَهَا وَأَخْرَجُوهُ فَلُقِّبَ قَيْصَرَ وَصَارَ لَقَبًا لِمُلُوكِ ٱلرُّومِ. فَسَارَ إِلَى جِهَةِ ٱلْأَنْدَلُسِ وَحَارَبَ مَنْ كَانَ بِهَا مِنَ ٱلْإِفْرِنْجِ إِلَى أَنْ مَلَكَ بِرِطَانِيَةَ وَإِشْبُونَةَ وَرَجَعَ إِلَى رُومَةَ. وَٱسْتَخْلَفَ عَلَى ٱلْأَنْدَلُسِ

أكتبيانَ أغسطسَ ابنَ أخيهِ . وكانَ للشيوخِ نائبٌ بناحيةِ الشرقِ يُقالُ له فُمفيوسُ . فلمّا بلغهُ ذلكَ زحفَ بعساكرهِ إليهِ . فخرجَ إليهِ يُولشُ فهزمهُ (٤٨) ثمّ رجعَ إلى رُومةَ وشعرَ الوزراءُ أنّهُ يرومُ الاستبدادَ عليهم فقتلوهُ (٤٤) . فزحفَ أكتبيانُ ابنُ أخيهِ منَ الأندلسِ فأخذَ بثأرهِ وملكَ برُومةَ (٤٢) . ثمَّ عصى أنطونيوسُ على أغسطسَ وانهزمَ إلى مصرَ بسببِ عشقهِ قلاوفطرا . فخرجَ أغسطسُ في السنةِ الثانيةَ عشرةَ مِن مُلكهِ مِن رُومةَ بعساكرَ عظيمةٍ في البرِّ والبحرِ وسارَ إلى الديارِ المصريّةِ وأسرَ ولدَي قلاوفطرا المسمّى أحدهما شمسًا والآخرُ قمرًا وقتلهما . ولمّا سمعَ أنطونيوسُ وقلاوفطرا بقتلِ الولدينِ وكانا محاصرَينِ في بعضِ الحصونِ شربا سُمًّا وماتا (٣٠) . ولمّا ملكَ أغسطسُ ديارَ مصرَ والشامِ دخلَ بنو إسرائيلَ تحتَ طاعتهِ كما كانوا تحتَ طاعةِ البطالسةِ فولّى أغسطسُ ببيتِ المقدسِ على اليهودِ واليًا منهم وكانَ يُلقّبُ بهيرودُسَ . وفي أيّامِ أغسطسَ وُلدَ المسيحُ لثنتينِ وأربعينَ مِن مُلكهِ (لابن العميد بتصرّف)

دولة القياصرة بني اغسطس (١٤ — ٦٩)

٤٤٦ ثمّ وليَ مِن بعدِ أغسطسَ طباريوشُ قيصرُ وكانَ جائرًا واستولى على النواحي . وعلى عهدهِ كانَ شأنُ المسيحِ وبغيُ اليهودِ عليهِ وأقامَ الحواريّونَ مِن بعدهِ واليهودُ يحبسونهم ويضطهدونهم . ثمّ افترقوا في الآفاقِ لإقامةِ الدينِ وحملِ الأممِ على عبادةِ اللهِ . وماتَ طباريوشُ

لثلاث وعشرين من ملكه (٣٧) . ثم ملك غايس قيصر (٣٧ ــ ٤١) وأمر أن تنصب الأصنام في محاريب اليهود ووثب عليه بعض قواده فقتله وملك من بعده قلوديوش (٤١ ــ ٥٤) ووقعت في أيامه شدة على النصارى وقتل يعقوب أخو يوحنا من الحواريين وحبس شمعون الصفا . ثم خلص وسار إلى أنطاكية وأقام بها ودعا إلى النصرانية . ثم توجه إلى رومة ودبّرها ونصب فيها الأساقفة . وتنصرت امرأة من بيت الملك فعضدت النصارى . ولقي الذين بالقدس شدائد من اليهود وكان عليهم يومئذ يعقوب بن حلفا من الحواريين فثار اليهود على من كان بالمقدس من النصارى وقتلوا أسقفهم وهدموا البيعة . وأخذوا الصليب والخشبتين ودفنوها إلى أن استخرجتها هيلانة أم قسطنطين . وملك من بعد قلوديوش ابنه نيرون وهو خامس القياصرة وكان غشوماً فاسقاً وفي أيامه كان سيمون الساحر برومة . وبلغه أن كثيراً من أهل رومة أخذوا بدين المسيح فنكر ذلك وقتلهم حيث وجدوا . وقتل بطرس من بعد خمس وعشرين سنة مضت لبطرس في كرسيها وهو رأس الحواريين ورسول المسيح إلى رومة (٦٦) . وقتل مرقس الإنجيلي بالإسكندرية لثنتي عشرة من ملك نيرون وبعث نيرون قائده إسباشيانوس وأمر بقتل اليهود وخراب القدس . ثم إن نيرون قيصر انتقض عليه أهل مملكته . فرجع أهل أرمينية إلى طاعة الفرس وخرج عن طاعته أهل بريطانية

مِنْ جِهَةِ ٱلْجَوْفِ. فَبَعَثَ شُوَاطِيَانُس فَسَارَ إِلَيْهِمْ فِي ٱلْعَسَاكِرِ وَغَلَبَهُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ. ثُمَّ ثَارَ بِنِيرُونَ جَمَاعَةٌ مِنْ قُوَّادِهِ فَقَتَلُوهُ (٦٨) وَمَلَّكُوا غَلْبَانَ فَأَقَامَ عَلَيْهِمْ أَشْهُرًا وَقَتَلُوهُ غِيلَةً وَقَدَّمُوا عِوَضَهُ أُتُونَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ثُمَّ خَلَعُوهُ وَمَلَّكُوا بَطَالِسَ وَكَانَ رَدِيَّ ٱلسِّيرَةِ. وَبَلَغَ إِسْبَاشِيَانُوسَ مَوْتُ نِيرُونَ وَهُوَ يُحَاصِرُ ٱلْقُدْسَ فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ بِٱلِٱنْصِرَافِ إِلَى رُومَةَ وَبَشَّرَهُ يُوسُفُ بْنُ كَرْيُونَ وَكَانَ أَسِيرًا عِنْدَهُ بِٱلْمُلْكِ فَٱنْطَلَقَ إِلَى رُومَةَ وَخَلَّفَ ٱبْنَهُ طِيطُشَ عَلَى حِصَارِ ٱلْقُدْسِ. وَٱنْقَطَعَ مُلْكُ آلِ يُولُشَ قَيْصَرَ لِمِائَةٍ وَسِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ مَبْدَإِ دَوْلَتِهِمْ وَٱسْتَقَامَ مُلْكُ إِسْبَاشِيَانُوسَ فِي جَمِيعِ مَمَالِكِ ٱلرُّومِ وَتَسَمَّى قَيْصَرَ كَمَا كَانَ مِنْ قَبْلُ (٦٩) (لابن خلدون بتصرُّف واختصار)

دولة فلابيوس اسباشيانوس وبنيهِ الفلابيين (٦٩ — ٩٦)

٤٤٧ وَمَلَكَ إِسْبَاشِيَانُوسُ عَشْرَ سِنِينَ وَهُوَ بَنَى قُوقُلْسَ أَيْ مَنَارَةَ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ طُولُهَا مِائَةٌ وَخَمْسٌ وَعِشْرُونَ خُطْوَةً. وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّانِيَةِ مِنْ مُلْكِهِ ٱفْتَتَحَ طِيطُشُ ٱبْنُهُ مَدِينَةَ أُورَشَلِيمَ وَقَتَلَ فِيهَا زُهَاءَ سِتِّينَ أَلْفَ نَفْسٍ وَسَبَى نَيِّفًا وَمِائَةَ أَلْفِ نَفْسٍ وَمَاتَ فِيهَا مِنَ ٱلْجُوعِ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَٱلْبَاقُونَ تَشَتَّتُوا فِي ٱلْبِلَادِ وَدَعْثَرَهَا وَأَخْرَبَ هَيْكَلَهَا. وَتَمَّتْ نُبُوَّةُ يَعْقُوبَ حَيْثُ قَالَ: لَنْ تُفْقَدَ هِرَاوَةُ ٱلْمُلْكِ مِنْ يَهُوذَا وَلَا ٱلْمُنْذِرُ أَيِ ٱلنَّبِيُّ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ حَتَّى يَأْتِيَ مَنْ لَهُ ٱلْغَلَبَةُ وَإِيَّاهُ تَتَوَقَّعُ ٱلشُّعُوبُ. وَتَمَّ أَيْضًا مَا أَنْذَرَ بِهِ ٱلْمُخَلِّصُ مُخَاطِبًا لِأُورَشَلِيمَ: أَنَّهُ سَيَأْتِي أَيَّامٌ تُحِيطُ

بِكَ أَعداؤُكَ وَيَكْبِسُونَكَ وَبَنِيكَ فِيكِ. وَكَانَ ذٰلِكَ بَعدَ أَربَعِينَ سَنَةً مِن صَلبِ ٱلْمَسِيحِ (٧٠)

وَذَكَرَ يُوسِيفُوسُ ٱلْعِبْرِيُّ أَنَّهُ ظَهَرَ قَبْلَ خَرابِ أُورشَلِيمَ عَلاماتٌ فَظِيعَةٌ وَذٰلِكَ أَنَّهُ ظَهَرَ فَوقَ ٱلْمَدِينَةِ نَجمٌ طَوِيلٌ كَثِيفٌ مِن نَارٍ يَلمَعُ . وَأَبوابُ ٱلنُّحاسِ ٱلَّتِي كَانَت عَلَى بابِ ٱلْهَيكَلِ وَلَمْ تَكُن تُغلَقُ وَتُفتَحُ دُونَ ٱجتِماعِ عِشرِينَ رَجُلًا وُجِدَتْ نِصفَ ٱللَّيلِ مَفتُوحَةً مِن غَيرِ عِلَّةٍ . وَكَانُوا عامَّةَ ٱلسَّنَةِ يَسمَعُونَ فِي ٱلْهَيكَلِ أَصواتًا مُختَلِفَةً تَقُولُ : إِنَّا سَنَنتَقِلُ مِن هُنا

وَلَمَّا مَلَكَ طِيطُسُ بَيتَ ٱلْمَقدِسِ رَجَعَ ٱلنَّصارَى ٱلَّذِينَ كانُوا عَبَرُوا إِلَى ٱلْأُردُنِّ فَبَنَوا كَنِيسَةً بِٱلْمَقدِسِ وَسَكَنُوا وَكَانَ ٱلْأُسقُفُ فِيهِم شِمعانَ بنَ كَلاوُفا وَهُوَ ٱلثَّانِي مِن أَساقِفَةِ ٱلْمَقدِسِ . ثُمَّ هَلَكَ إِسباشِيانُوسُ لِتِسعِ سِنِينَ مِن مُلكِهِ وَمَلَكَ بَعدَهُ ٱبنُهُ طِيطُسُ قَيصَرُ سَنَتَينِ وَكَانَ مُتَفَنِّنًا فِي ٱلْعُلُومِ مُلتَزِمًا لِلْخَيرِ عارِفًا بِٱللِّسانِ ٱلْغَرِيقِيِّ وَٱللَّطِينِيِّ. وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّانِيَةِ لِمُلكِهِ ٱنشَقَّ جَبَلٌ بِٱلرُّومِ وَخَرَجَ مِنهُ شُهُبُ نارٍ أَحرَقَتْ مُدُنًا كَثِيرَةً وَوَقَعَ بِرُومَةَ حَرِيقٌ كَثِيرٌ . ثُمَّ مَلَكَ دُومِطْيانُوسُ قَيصَرُ (٨١-٩٦) وَنَفَى مِن رُومَةَ ٱلْمُنَجِّمِينَ وَأَصحابَ ٱلزَّجرِ وَٱلْفَأْلِ وَٱلْعِيافَةِ وَٱلطِّيَرَةِ وَأَمَرَ أَن لَا يُغرَسَ بِرُومَةَ كَرمٌ ٱلْبَتَّةَ . ثُمَّ ٱضطَهَدَ ٱلنَّصارَى ٱضطِهادًا شَدِيدًا وَمَعَ هٰذا كَانَ ٱلنَّاسُ يَدخُلُونَ فِي دِينِ ٱلْمَسِيحِ أَفواجًا وَيَتَمَسَّكُونَ بِهِ تَمَسُّكًا أَشَدَّ . وَٱستَتارَ

فطروفيلس المحصل واختار اتباع النصارى بالسيرة الحسنة وترك الدنيا وملاذها يفيدهم الأبد بالقول والعمل . وفي هذا الزمان عرف أفولونيس الطلسماطيقي وكان يضاد التلاميذ بأفاعيله المخالفة لأفاعيل المسيح ويقول : الويل لي إن سبقني ابن مريم . ونفى دومطيانوس يوحنا الانجيلي إلى بعض الجزائر وكتب إليه ديونوسيوس أسقف أثينا كتاباً يقول فيه : لا يعترينك الضجر والملل فإنه لا يطول سجنك فالله يعمل لك الخلاص فالهم نفسك بالصبر . وبعد قليل قتل دومطيانوس قيصر على بساطه في مجلسه (لابن العبري وابن العميد بتصرف)

دولة الانطونيين (٩٦ — ١٩٣)

٤٤٨ وملك بعده نرواس وأحسن السيرة وأمر برد من كان منفياً من النصارى وخلاهم ودينهم فرجع يوحنا الانجيلي إلى أفسس بعد ست سنين . ولم يكن له ولد فعهد بالملك إلى طريانس من عظماء قواده فولي بعده (٩٨) وتسمى قيصر وقتل شمعان بن كلاوفا أسقف بيت المقدس . واغناطيوس أسقف أنطاكية رمي للسباع (١٠٧) . وتتبع أئمتهم بالقتل واستعبد عامتهم وفيلنوس صاحب الشرط لما عجز من قتل النصارى لكثرتهم طالع قيصر أن أهل هذا المذهب عاملون بجميع سنن الفلاسفة غير أنهم لا يكرمون الأصنام . فأمر قيصر أن لا يجد في أذاهم إلا إذا وجد منهم من يتفوه بسب الآلهة فليدن .

ثُمَّ خَرَجَ عَلَى طَرَيَانُوسَ خَارِجِيٌّ بِبَابِلَ فَهَلَكَ فِي حُرُوبِهِ

٤٤٩ ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ أَذْرِيَانُوسُ (١١٧) وَفِي ٱلرَّابِعَةِ مِنْ مُلْكِهِ بَطَلَ ٱلْمُلْكُ مِنَ ٱلرُّهَا وَتَدَاوَلَتْهَا ٱلْقُضَاةُ مِنَ ٱلرُّومِ. وَبَنَى أَذْرِيَانُوسُ بِمَدِينَةِ أَثِينَا بَيْتًا وَرَتَّبَ فِيهِ جَمَاعَةً مِنَ ٱلْحُكَمَاءِ لِمُدَارَسَةِ ٱلْعُلُومِ. وَبَلَغَ أَذْرِيَانُوسَ أَنَّ ٱلْيَهُودَ يَرُومُونَ ٱلِٱنْتِقَاضَ وَأَنَّهُمْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ ٱبْنُ ٱلْكَوْكَبِ أَضَلَّ ٱلْيَهُودَ مُدَّعِيًا أَنَّهُ نَزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ كَٱلْكَوْكَبِ لِيُخَلِّصَهُمْ مِنْ عُبُودِيَّةِ ٱلرُّومِ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمِ ٱلْعَسَاكِرَ وَتَتَبَّعَهُمْ بِٱلْقَتْلِ وَخَرَّبَ مَدِينَتَهُمْ حَتَّى عَادَتْ صَحْرَاءَ. وَأَمَرَ أَنْ لَا يَسْكُنَهَا يَهُودِيٌّ وَأَسْكَنَ ٱلْيُونَانَ بَيْتَ ٱلْمَقْدِسِ. وَكَانَ هٰذَا ٱلْخَرَابُ لِخَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً مِنْ خَرَابِ طِيطُشَ ٱلَّذِي هُوَ ٱلْجَلْوَةُ ٱلْكُبْرَى. وَٱمْتَلَأَ ٱلْقُدْسُ مِنَ ٱلْيُونَانِ. وَكَانَتِ ٱلنَّصَارَى يَتَرَدَّدُونَ إِلَى مَوْضِعِ ٱلْقَبْرِ وَٱلصَّلِيبِ. فَمَنَعَهُمُ ٱلْيُونَانُ مِنَ ٱلصَّلَاةِ وَبَنَوْا هُنَالِكَ هَيْكَلًا عَلَى ٱسْمِ ٱلزُّهَرَةِ

وَخَلَفَ أَذْرِيَانُوسَ طِيطُوسُ أَنْطِنْيَانُسُ قَيْصَرُ ٱلْمُسَمَّى بَارًّا وَأَبَا ٱلْبَلَدِ (١٣٨) وَأَزَالَ عَنِ ٱلنَّصَارَى ٱلِٱضْطِهَادَ وَأَبَاحَ لِلنَّاسِ أَنْ يَتَدَيَّنُوا بِأَيِّ دِينٍ شَاؤُوا. وَفِي هٰذَا ٱلزَّمَانِ نَبَغَ فِي ٱلْبِيعَةِ مِنَ ٱلْمُخَالِفِينَ شَخْصٌ ٱسْمُهُ وَالِنْطِيَانُوسُ. وَكَانَ يَقُولُ إِنَّ ٱلْمَسِيحَ أَنْزَلَ مَعَهُ جَسَدًا مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱجْتَازَهُ بِمَرْيَمَ كَٱجْتِيَازِ ٱلْمَاءِ بِٱلْمِيزَابِ أَيْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْهَا شَيْئًا. وَظَهَرَ رَجُلٌ يُسَمَّى مَرْقِيُونَ وَقَالَ إِنَّ ٱلْآلِهَةَ ثَلَاثَةٌ عَادِلٌ وَصَالِحٌ وَشِرِّيرٌ وَلَمَّا رَأَى ٱلصَّالِحُ ٱلْعَالَمَ قَدِ ٱنْجَذَبَ إِلَى جِهَةِ ٱلشِّرِّيرِ أَرْسَلَ ٱبْنَهُ لِيَدْعُوَ

النَّاسَ إلَى عِبَادَةِ أَبِيهِ الصَّالِحِ فَأَتَى وَنَسَخَ التَّوْرَاةَ المُتَضَمِّنَةَ سُنَّةَ العَدْلِ بِالإنجِيلِ الَّذِي هُوَ مُتَضَمِّنٌ سُنَّةَ الفَضْلِ. فَلَمَّا أَظْهَرَ مَرْقِيُونُ هٰذِهِ الخُزْعَبِلَةَ وَعَظَتْهُ الأَسَاقِفَةُ زَمَانًا طَوِيلًا فَلَمْ يَرْجِعْ عَنْ خُزْعَبِلَتِهِ وَتَمَادَى فِي أَبَاطِيلِهِ فَنَفَوْهُ عَنِ الجَمَاعَةِ وَصَارَ لَعْنَةً (لهما بتصرُّف)

٤٥٠ لَمَّا هَلَكَ أَنْطُونْيُوس لِاثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ مِنْ مُلْكِهِ مَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ مَرْقُوسُ أُورَالِشُ (١٦١). وَكَانَتْ لَهُ حُرُوبٌ مَعَ أَهْلِ فَارِسَ وَبَعْدَ أَنْ غَلَبُوا عَلَى أَرْمِينِيَةَ وَسُورِيَّةَ مِنْ مَمَالِكِهِ فَدَفَعَهُمْ عَنْهُمَا وَغَلَبَهُمْ فِي حُرُوبٍ طَوِيلَةٍ. وَأَصَابَ الأَرْضَ عَلَى عَهْدِهِ وَبَاءٌ عَظِيمٌ وَقَحَطَ النَّاسُ وَٱسْتَسْقَى لَهُمُ النَّصَارَى فَأُمْطِرُوا وَٱرْتَفَعَ الوَبَاءُ وَالقَحْطُ بَعْدَ أَنْ كَانَ ٱشْتَدَّ عَلَى النَّصَارَى (والصحيح أنَّ ذلك وقع في بعض حروب اوريليوس) وَمَعَ كُلِّ هٰذَا قَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَهِيَ الشِّدَّةُ الرَّابِعَةُ مِنْ بَعْدِ نِيرُونَ. وَوَلِيَ مَكَانَهُ قُومُدُوسُ ٱبْنُهُ وَمَاتَ مُخْتَنِقًا (١٨٠ـ١٩٢). وَفِي هٰذَا الوَقْتِ ظَهَرَ فِي بِلَادِ آسِيَا مُنْطَانُسُ القَائِلُ عَنْ نَفْسِهِ إِنَّهُ الفَارَقْلِيطُ الَّذِي وَعَدَ المَسِيحُ أَنْ يُوَجِّهَهُ إِلَى العَالَمِ (لابن خلدون)

دولة القياصرة السوريين (١٩٢ — ٢٣٥)

٤٥١ ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ فَرْطِينَخُوسُ وَمُلْكُهُ بِٱتِّفَاقِ المُؤَرِّخِينَ شَهْرَانِ وَقَتَلَهُ بَعْضُ قُوَّادِهِ. ثُمَّ وَلِيَ سُوِيرْيَانُوسُ (١٩٣ـ٢١٢) وَٱشْتَدَّ عَلَى النَّصَارَى الشِّدَّةَ الخَامِسَةَ وَفَتَكَ فِيهِمْ. وَٱعْتَسَفَهُمْ بِالسُّجُودِ لِلأَصْنَامِ وَالأَكْلِ مِنْ ذَبَائِحِهِمْ. ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ غَزْوِهِ الصَّقَالِبَةَ. وَفِي أَيَّامِهِ بَحَثَتِ

ٱلْأَسَاقِفَةُ عَنْ أَمْرِ ٱلْفِصْحِ وَأَصْلَحُوا رَأْسَ ٱلصَّوْمِ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ أَنْطُونِيشُ (كَرَكَلَّا) فَقُتِلَ لِسِتِّ سِنِينَ لِمُلْكِهِ مَا بَيْنَ حَرَّانَ وَٱلرُّهَا . (٢١٨) ثُمَّ مَلَكَ أَلْيُوغَالِي أَرْبَعَ سِنِينَ . ثُمَّ مَقْرِينُ وَقَتَلَهُ قُوَّادُ رُومَةَ لِسَنَةٍ مِنْ مُلْكِهِ . وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ ٱلْإِسْكَنْدَرُوسُ (٢٢٢ـ ٢٣٥) وَكَانَتْ أُمُّهُ مَامَا نَصْرَانِيَّةً وَكَانَتِ ٱلنَّصَارَى مَعَهُ فِي سَعَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ . وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّالِثَةِ مِنْ مُلْكِ هٰذَا ٱلْإِسْكَنْدَرُوسِ قَيْصَرَ ٱبْتَدَأَتْ مَمْلَكَةُ ٱلْفُرْسِ ٱلْأَخِيرَةُ ٱلْمَعْرُوفَةُ بِبَيْتِ سَاسَانَ . ثُمَّ ثَارَ أَهْلُ رُومَةَ عَلَيْهِ وَقَتَلُوهُ

الحكم الفوضوي (٢٣٥ — ٢٦٨)

٤٥٢ وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ مَخْشِمْيَانُ (٢٣٥) وَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَيْتِ ٱلْمُلْكِ وَإِنَّمَا وَلَّوْهُ لِأَجْلِ حَرْبِ ٱلْإِفْرَنْجِ . وَٱشْتَدَّ عَلَى ٱلنَّصَارَى ٱلشِّدَّةُ ٱلسَّادِسَةُ مِنْ بَعْدِ نِيرُونَ . وَقُتِلَ ٱلشَّهِيدَيْنِ سَرْجِيُوسَ فِي سَلَمْيَةَ وَبَاخُوسَ فِي بَالِسَ عَلَى ٱلْفُرَاتِ وَقُوفِرْيَانُسَ ٱلْأُسْقُفَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ هَلَكَ مَخْشِمْيَانُ وَمَلَكَ بَعْدَهُ غُرْدِيَانُوسُ قَيْصَرُ (٢٣٨) وَطَالَتْ حُرُوبُهُ مَعَ ٱلْفُرْسِ وَكَانَ ظَافِرًا عَلَيْهِمْ وَقَتَلَهُ أَصْحَابُهُ عَلَى نَهْرِ ٱلْفُرَاتِ . ثُمَّ مَلَكَ فِيلِبُّوسُ قَيْصَرُ سِتَّ سِنِينَ وَآمَنَ بِٱلْمَسِيحِ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنَصَّرَ مِنْ مُلُوكِ ٱلرُّومِ فَأَحْسَنَ إِلَى ٱلنَّصَارَى ثُمَّ رَامَ ٱلِٱجْتِمَاعَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ لَهُ ٱلْأُسْقُفُ : لَا يُمْكِنُكَ ٱلدُّخُولُ إِلَى ٱلْبِيعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ عَنِ ٱلْمَحَارِمِ وَتَقْتَصِرَ عَلَى زَوْجَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ غَيْرِ ذَوَاتِ ٱلْقُرْبَى . فَكَانَ يَحْضُرُ وَقْتَ ٱلصَّلَاةِ وَيَقِفُ خَارِجَ ٱلْبِيعَةِ مَعَ ٱلَّذِينَ أَلِفُوا ٱلدِّينَ وَلَمْ يَكْمُلُوا فِيهِ بَعْدُ .

وفي السنة الثالثة لملكه ظهر قوم من أصحاب البدع قائلين إن من كفر بلسانه وأضمر الإيمان بقلبه فليس بكافر. وفي هذا الزمان بدأت أعمال الرهبان على يدي أنطونيوس وفولي المصريين. وهما أول من أظهر لبس الصوف والتخلي في البراري. ثم ملك ذوقيوس قيصر (٢٤٩) ولبغضه فيلبوس قيصر المحسن إلى النصارى عاداهم وشدد عليهم جداً وهي الشدة السابعة. فكفر كثيرون من المؤمنين إلى أن قتل فقدموا التوبة. وكان ناباطيس القسيس لا يقبل توبتهم قائلاً: إنه لا مغفرة لمن أخطأ فزيف الأساقفة تعليمه. وفي زمان ذوقيوس كان الفتية أصحاب الكهف فألقى الله عليهم سباتاً إلى يوم انتباههم من رقادهم في أيام تاودا سيوس. وفي أيامه خرج القوط من بلادهم وتغلبوا على بلاد الغريقيين ثم ولي والريانوس وكان يعبد الأصنام ولقي النصارى منه شدة. ثم سار في عساكر الروم لغزو الفرس فانهزم وحمل أسيراً إلى كسرى بهرام فقتله. فولي ابنه غلينوس (٢٦٠) وأزال الاضطهاد عن النصارى خوفاً مما نزل بأبيه من العقوبة.

دولة القياصرة الإليريين الى قسطنطين الملك (٢٦٨ — ٣٠٧)

٤٥٣ ثم ملك أقلوذيوس سنة وتسعة أشهر (٢٦٨) وفي ملكه ظهرت بدعة بولس الشمشاطي. وكان ينكر أن المسيح كلمة الله وأنه قد (ولد) من عذراء. وذكر أوسابيوس المؤرخ عن هذا بولس أنه استعان بامرأة يهودية اسمها زينب رأسها قيصر على الشام. وكانت تستحسن

عِلْمَهُ وَكَلَامَهُ وَفَوَّضَتْ إِلَيْهِ بَطْرَكِيَّةَ أَنْطَاكِيَةَ . فَاجْتَمَعَ الأَسَاقِفَةُ وَرَدُّوا مَقَالَتَهُ وَحَرَمُوهُ وَأَتْبَاعَهُ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أُورِيلِيَانُسُ (٢٧٠ ـ ٢٧٥) وَحَارَبَ القُوطَ فَظَفَرَ بِهِمْ وَجَدَّدَ بِنَاءَ رُومَةَ . وَاشْتَدَّ عَلَى النَّصَارَى تَاسِعَةً بَعْدَ نِيرُونَ وَهَمَّ بِالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِمْ . وَفِي هٰذَا الزَّمَانِ عُرِفَ مَانِي الثَّنَوِيُّ هٰذَا كَانَ يُظْهِرُ النَّصْرَانِيَّةَ ثُمَّ مَرَقَ مِنَ الدِّينِ وَسَمَّى نَفْسَهُ مَسِيحًا . وَكَانَ يَقُولُ بِعِلْمِ الثَّنَوِيَّةِ . وَهُوَ أَنَّ لِلْعَالَمِ إِلٰهَيْنِ أَحَدُهُمَا خَيْرٌ وَهُوَ مَعْدِنُ النُّورِ وَالآخَرُ شَرٌّ وَهُوَ مَعْدِنُ الظُّلْمَةِ . فَقَتَلَهُ سَابُورُ وَسَلَخَ جِلْدَهُ وَحَشَاهُ تِبْنًا وَصَلَبَهُ عَلَى سُورِ المَدِينَةِ لِأَنَّهُ كَانَ يَدَّعِي الدَّعَاوِيَ العَظِيمَةَ وَعَجَزَ عَنْ إِبْرَاءِ ابْنِهِ مِنْ مَرَضٍ عَرَضَ لَهُ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ أُورِلِيَانُسَ قَارُوشُ ثُمَّ فَرُوفُشُ وَقُتِلَ بِسِرْمِينَ ثُمَّ قَارُوشُ . وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِمُلْكِهِ قُتِلَ قُزْمَا وَدَمْيَانُ الشَّهِيدَانِ ثُمَّ أَبْرَقُ فَاسْتَظْلَمَهُ وَمَاتَ . ثُمَّ اسْتَبَدَّ دِيُوقْلَاسِيَانُوسُ بِالْمُلْكِ (٢٨٤ ـ ٣٠٥) وَأَشْرَكَ مَعَهُ فِي الأَمْرِ مَخْشِمْيَانَ وَكَانَ مُقِيمًا بِرُومَةَ . وَلِثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً مَضَتْ مِنْ مُلْكِهِ عَصَى عَلَيْهِ أَهْلُ مِصْرَ وَالإِسْكَنْدَرِيَّةِ فَسَارَ إِلَيْهِمْ مِنْ رُومَةَ وَغَلَبَهُمْ وَأَنْكَى فِيهِمْ . وَانْتَقَضَ عَلَى دِيُوقْلَاسِيَانُوسَ أَهْلُ مَمَالِكِهِ وَثَارَ الثُّوَّارُ بِبِلَادِ الإِفْرَنْجَةِ وَالأَنْدَلُسِ وَأَفْرِيقِيَةَ . فَدَفَعَ دِيُوقْلَاسِيَانُوسُ إِلَى هٰذِهِ الحُرُوبِ كُلِّهَا مَخْشِمْيَانَ هَرْكُولِيسَ وَصَيَّرَهُ قَيْصَرَ . ثُمَّ اسْتَعْمَلَ مَخْشِمْيَانُ صِهْرَهُ قُسْطَنْطَشَ فَمَضَى إِلَى الأَلْمَانِيِّينَ فِي نَاحِيَةِ بِلَادِ الإِفْرَنْجِ فَظَفِرَ بِهِمْ بَعْدَ حُرُوبٍ طَوِيلَةٍ . ثُمَّ أَمَرَ دِيُوقْلَاسِيَانُوسُ بِغَلْقِ كَنَائِسِ

النَّصارى بإغراء مخشميان وكان أشدّ كفراً منه. ولقي النصارى منهما شدَّة وقتل ماري جرجس وكان من أكابر أبناء البطارقة. وفي عاشرة ملكه قدم ماري بطرس بطركاً بالإسكندرية. ثمَّ قام بعد موته تلميذه إسكندروس وكان كبير تلامذته آريوش كثير المخالفة له. وفي أيَّام ديوقلاسيانوس رأى قسطنطش هيلانة وكانت تنصرت على يد أسقف الرُّها فأعجبته وتزوجها. وولدت له قسطنطين فأجمع ديوقلاسيانوس على قتله فهرب إلى الرُّها. ثمَّ جاء بعد موت ديوقلاسيانوس فوجد أباه قسطنطش قد ملك على الروم فتسلَّم الملك من يده (لابن العميد)

ملك قسطنطين (٣٠٦–٣٣٧)

٤٥٤ ثمَّ استعدَّ قسطنطينوس لغزو مكسنطيس بن مخشميان لأنَّه عصى ولم يبايعه وغلب على رومة. وكان قسطنطينوس يتفكَّر إلى أيّ الآلهة يُلجي أمره في هذا الغزو. فبينما هو في هذا الفكر رفع رأسه إلى السماء نصف النهار فرأى راية الصليب في السماء مثال النور وكان فيه مكتوب: أن بهذا الشكل تغلب. فصاغ له صليباً من ذهب وكان يرفعه في حروبه على رأس الرمح. ثمَّ إنَّه غزا رومة فخرج إليه مكسنطيس ووقع في نهر فاختنق. فافتتح قسطنطينوس مدينة رومة واعتمد في هذا الوقت برومة من اليهود وعبدة الأصنام زهاء اثني عشر ألف نفس خلا النساء والصبيان (٣١٢). ثمَّ حصل لقسطنطينوس برص. فأشار عليه خدم الأصنام أن يذبح أطفال

الْمَدِينَةِ وَيَغْتَسِلَ بِدِمَائِهِمْ فَيَبْرَأَ مِنْ مَرَضِهِ . فَأَخَذَ جَمَاعَةً مِنَ الْأَطْفَالِ لِيَذْبَحَهُمْ فَصَارَتْ مَنَاحَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الْمَدِينَةِ فَأَحْجَمَ عَنْ قَتْلِهِمْ . وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ رَأَى فِي مَنَامِهِ بُطْرُسَ وَبُولُسَ يَقُولَانِ لَهُ : وَجِّهْ إِلَى سِلْوِسْطْرُسَ أُسْقُفِ رُومِيَةَ فَجِئْ بِهِ فَهُوَ يُبْرِئُ مَرَضَكَ . فَلَمَّا أَصْبَحَ وَجَّهَ فِي طَلَبِهِ فَأَتَوْهُ بِهِ وَوَعَظَ الْمَلِكَ وَأَوْضَحَ لَهُ سِرَّ النَّصْرَانِيَّةِ فَتَعَمَّدَ وَذَهَبَ مَرَضُهُ وَأَمَرَ بِبِنَاءِ كَنَائِسِ النَّصَارَى الْمَهْدُومَةِ (٣١٣) . وَفِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ لِمُلْكِهِ أَمَرَ فَبُنِيَ لِبُوزَنْطِيَةَ سُورٌ فَزَادَ فِي سَاحَتِهَا أَرْبَعَةَ أَمْيَالٍ وَسَمَّاهَا قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَنَقَلَ الْمُلْكَ إِلَيْهَا (لابي الفرج)

ثُمَّ شَخَصَتْ هِيلَانَةُ أُمُّ قُسْطَنْطِينَ لِزِيَارَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ . فَسَأَلَتْ عَنْ مَوْضِعِ الصَّلِيبِ فَأَخْبَرَهَا مَقَارِيُوسُ الْأُسْقُفُ أَنَّ الْيَهُودَ أَهَالُوا عَلَيْهِ التُّرَابَ وَالزِّبْلَ . ثُمَّ اسْتَخْرَجَتْ ثَلَاثَةً مِنَ الْخَشَبِ وَسَأَلَتْ أَيَّتُهَا خَشَبَةُ الْمَسِيحِ . فَقَالَ لَهَا الْأُسْقُفُ : عَلَامَتُهَا أَنَّ الْمَيْتَ يَحْيَا بِمَسِّهَا فَصَدَّقَتْ ذَلِكَ بِتَجْرِبَتِهَا . وَاتَّخَذَ النَّصَارَى ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا لِوُجُودِ الصَّلِيبِ . وَبَنَتْ عَلَى الْمَوْضِعِ كَنِيسَةَ الْقُمَامَةِ وَأَمَرَتْ مَقَارِيُوسَ الْأُسْقُفَ بِبِنَاءِ الْكَنَائِسِ (رواه ابن خلدون عن ابن الراهب)

مجمع نيقية (٣٢٥)

٤٥٥ وَفِي هٰذَا الزَّمَانِ كَانَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ إِسْكَنْدَرُوسُ الْبَطْرَكُ وَكَانَ بِعَهْدِهِ آرِيُوشُ . وَكَانَ يَذْهَبُ إِلَى حُدُوثِ الِابْنِ وَأَنَّهُ إِنَّمَا خَلَقَ الْخَلْقَ بِتَفْوِيضِ الْآبِ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ . فَمَنَعَهُ إِسْكَنْدَرُوسُ

ٱلدُّخولَ إلى ٱلكنيسةِ وأعلمَ أنَّ إيمانَهُ فاسدٌ . وكتبَ بذلكَ إلى سائرِ ٱلأساقفةِ وٱلبطاركةِ في ٱلنَّواحي وفعلَ ذلكَ بأُسقفَينِ آخرَينِ على مثلِ رأيِ آريُوشَ . فرفعوا أمرَهم إلى قُسطنطينَ وأحضرَهم جميعًا لتسعَ عشرةَ من دولتِهِ وتناظروا . ولمَّا قالَ آريُوشُ إنَّ ٱلابنَ حادثٌ وإنَّ ٱلآبَ فوَّضَ إليهِ بالخلقِ . وقالَ ٱلإسكندروسُ ٱلخلقَ أستحقَّ ٱلأُلوهيةَ فاستحسنَ قُسطنطينُ قولَهُ وأذنَ لهُ أنْ يُشيدَ بكفرِ آريُوشَ . وطلبَ ٱلإسكندروسُ ٱجتماعَ ٱلنَّصرانيَّةِ لتحريرِ ٱلمعتقدِ ٱلإيمانيِّ . فجمعهم قُسطنطينُ وكانوا ثلاثَ مائةٍ وثمانيةَ عشرةَ أُسقفًا وذلكَ في مدينةِ نيقيةَ فسمِّيَ ٱلمجتمعُ مجتمعَ نيقيةَ . وكانَ رئيسهم ٱلإسكندروسُ بطركُ إسكندريَّةَ ومقاريوسُ أُسقفُ بيتِ ٱلمقدسِ . وبعثَ سلطوسُ (سلوسطروس) بطركُ رومةَ بقسيسٍ حضرَ معهم لذلكَ نيابةً عنهُ . فتفاوضوا وتناظروا واتَّفقوا على رأيٍ واحدٍ . فصارَ قُسطنطينُ إلى قولهم وأعطى سيفَهُ وخاتمَهُ وباركوا عليهِ ووضعوا لهُ قوانينَ ٱلدِّينِ وٱلمُلكِ . ونفى آريُوشَ . وكتبوا ٱلعقيدةَ ٱلَّتي ٱتَّفقَ عليها أهلُ ذلكَ ٱلمجمعِ (لابن خلدون)

قسطنطين في مجمع نيقية

٤٥٦ وكانَ في هذا ٱلمجمعِ أُسقفٌ يرى رأيَ ناباطيس . فقالَ لهُ ٱلمَلِكُ: لِمَ لا توافقُ ٱلجمهورَ في قبولِ من تابَ عن معاصيهِ مُنيبًا إلى ٱللهِ . فأجابهُ ٱلأسقفُ: إنَّهُ لا مغفرةَ لمن فرطتْ منهُ كبيرةٌ بعدَ ٱلإيمانِ

وَٱلعِمَادِ بِدَلِيلِ قَوْلِ فُولُسَ ٱلرَّسُولِ حَيْثُ يَقُولُ: لَا يَسْتَطِيعُ ٱلَّذِينَ ذَاقُوا كَلِمَةَ ٱللهِ أَنْ يَذْنِبُوا بِٱلْخَطِيئَةِ لِيَطْهُرُوا بِٱلتَّوْبَةِ ثَانِيَةً. فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ هَازِئًا بِهِ: إِنْ كَانَ ٱلْأَمْرُ كَمَا تَزْعُمُ فَٱنْصِبْ لَكَ سُلَّمًا لِتَرْقَى فِيهِ وَحْدَكَ إِلَى ٱلسَّمَاءِ. وَنَهَضَ بَعْضُ ٱلْأَسَاقِفَةِ فَرَفَعَ إِلَى ٱلْمَلِكِ كِتَابًا فِيهِ سِعَايَةٌ بِبَعْضِ ٱلْأَسَاقِفَةِ. فَلَمَّا قَرَأَهُ ٱلْمَلِكُ أَمَرَ أَنْ يُحْرَقَ ٱلْكِتَابُ بِٱلنَّارِ وَقَالَ: لَوْ وَجَدْتُ أَحَدًا مِنَ ٱلْكَهَنَةِ فِي رِيبَةٍ لَسَتَرْتُهُ بِأُرْجُوَانِيَّتِي

موت قسطنطين وتملك بنيه

٤٥٧ وَلَمْ يَزَلْ دِينُ ٱلنَّصْرَانِيَّةِ يَظْهَرُ وَيَقْوَى إِلَى أَنْ دَخَلَ فِيهِ أَكْثَرُ ٱلْأُمَمِ ٱلْمُجَاوِرَةِ لِلرُّومِ مِنَ ٱلْجَلَالِقَةِ وَٱلصَّقَالِبَةِ وَٱلرُّوسِ وَٱللَّانِ وَٱلْأَرْمَنِ وَٱلْكُرْجِ وَجَمِيعُ أَهْلِ مِصْرَ مِنَ ٱلْقِبْطِ وَغَيْرِهِمْ وَجُمْهُورُ أَصْنَافِ ٱلسُّودَانِ مِنَ ٱلْحَبَشَةِ وَٱلنُّوبَةِ وَسِوَاهُمْ. وَآمَنَ بَعْدَ هٰؤُلَاءِ أَصْنَافٌ مِنَ ٱلتُّرْكِ أَيْضًا. وَبَنَى قُسْطَنْطِينُوسُ بِيعَةً عَظِيمَةً بِٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَسَمَّاهَا أَجِيَا صُوفِيَا أَيْ حِكْمَةَ ٱلْقُدُّوسِ. وَبِيعَةً أُخْرَى عَلَى ٱسْمِ ٱلسَّلِيحِينَ. وَبَنَى بِيعَةً بِمَدِينَةِ بَعْلَبَكَّ. وَبَنَى بِأَنْطَاكِيَةَ هَيْكَلًا ذَا ثَمَانِي زَوَايَا عَلَى ٱسْمِ ٱلسَّيِّدَةِ. وَفِي أَيَّامِهِ غَزَا سَابُورُ بِلَادَ ٱلرُّومِ فَنَهَضَ قُسْطَنْطِينُوسُ لِمُحَارَبَتِهِ. وَعِنْدَ وُصُولِهِ إِلَى نِيقُومُوذِيَا أَدْرَكَتْهُ ٱلْمَنِيَّةُ وَفِي مَرَضِهِ قَسَّمَ ٱلْمُلْكَ عَلَى أَوْلَادِهِ ٱلثَّلَاثَةِ وَمَلَّكَ ٱلْكَبِيرَ ٱلْمُسَمَّى بِٱسْمِهِ قُسْطَنْطِينُوسَ عَلَى بِلَادِ إِفْرَنْجَةَ. وَرَتَّبَ ٱلْآخَرَ ٱلْمُسَمَّى قُسْطَنْسِيُوسَ عَلَى مِصْرَ وَٱلشَّامِ وَمَا بَيْنَ ٱلنَّهْرَيْنِ وَأَرْمِينِيَةَ. وَرَتَّبَ ٱلصَّغِيرَ ٱلْمُسَمَّى

قُسطَنطِسَ على رُومَةَ وإسبانيا وما يليها مِن ناحيةِ ٱلمَغرِبِ . ثُمَّ إنَّ قُسطَنطِيُوسَ صارَ إلى نِيقُومُوذِيا فأَخَذَ جسدَ أبيهِ فحنَّطَهُ . ووضعَهُ في صُندُوقِ ذَهَبٍ وحمَلَهُ إلى قُسطَنطِينِيَّةَ ووضعَهُ في هيكلِ ٱلسَّلِيحِينَ . وفي هذِهِ ٱلسَّنَةِ صَعِدَ سابُورُ مَلِكُ ٱلفُرسِ فغزَا نَصِيبِينَ لمَّا بلغَهُ وفاةُ قُسطَنطِينُوسَ ٱلقاهِرِ فحاصَرَها ثلاثِينَ يومًا ورجَعَ عنها إلى مملكتِهِ خائبًا وذلِكَ بدُعاءِ مارِي يَعقُوبَ أُسقُفِها ومارِي إفرامَ تِلمِيذِهِ . فإنَّ ٱللهَ ٱستَجابَ دُعاءَهُ وأَرسَلَ على جيشِ ٱلفُرسِ بَقًّا وهمجًا هزمَ فِيَلَتَهُم . ثُمَّ إنَّ سابُورَ ٱضطَهَدَ ٱلنَّصارَى ٱلَّذِينَ في سُلطانِهِ جِدًّا . أَمَّا قُسطَنطِينُوسُ وهو ٱلأخُ ٱلكبيرُ فقُتِلَ في حربٍ وقعَ بينَهُ وبينَ أخيهِ ٱلصَّغيرِ قُسطَنطِسَ صاحِبِ رُومَةَ وخلَّفَ ٱبنَينِ غالُوسَ ويُولِيانُوسَ . ثُمَّ بعدَ قليلٍ قُتِلَ قُسطَنطِسُ صاحِبُ رُومَةَ . وأَمَّا ٱلأخُ ٱلأوسطُ قُسطَنطِيُوسُ صاحِبُ مِصرَ وٱلشَّامِ فنصَبَ غالُوسَ مَلِكًا على قُسطَنطِينِيَّةَ مكانَ أبيهِ . فعصَى على عمِّهِ فسيَّرَ عمُّهُ عليهِ جيشًا وقتلَهُ غِيلةً . ثُمَّ ماتَ أيضًا قُسطَنطِيُوسُ وٱستقلَّ يُولِيانُسُ بٱلمُلكِ (لابي الفرج)

٤٥٨ ثُمَّ مَلَكَ يُولِيانُسُ قيصَرُ (٣٦١) وسُمِّيَ ٱلمارِقَ لأنَّهُ خلعَ رِبقةَ ٱلنَّصرانِيَّةِ مِن عُنُقِهِ وعبَدَ ٱلأصنامَ . ولذلِكَ وثبَ ٱلوثنيُّونَ على ٱلنَّصارَى ووقعَ بينَهُم بلاءٌ عظيمٌ بٱلإسكندرِيَّةِ وقُتِلَ مِنَ ٱلمَكانِيِّينَ خَلقٌ كثيرٌ . ثُمَّ إنَّ يُولِيانُوسَ ٱلمَلِكَ منعَ ٱلنَّصارَى مِنَ ٱلٱشتِغالِ في شيءٍ مِن كُتُبِ ٱلفَلسَفَةِ . وسلَبَ آنِيَةَ ٱلكنائِسِ وٱلدُّيُورَةِ وٱستَصفَى

مَالَ مَن لَم يُطِعْهُ مِنَ ٱلنَّصارَى فِي أَكْلِ ذَبائِحِ ٱلأَصْنامِ وَأَهْلَكَ كَثِيرِينَ مِنْهُمْ. ثُمَّ إِنَّهُ عَزَمَ عَلَى غَزْوِ ٱلفُرْسِ وَدَخَلَ عَلَى أَفُولُونَ ٱلحَبْرِ ٱلخادِمِ لِلصَّنَمِ لِيَستَعْلِمَ مِنْهُ هَلْ يَنْجَحُ فِي غَزْوِهِ أَمْ لا. فَحَكَمَ لَهُ أَنَّهُ يَقْهَرُ أَعْداءَهُ عَلَى نَهْرِ دِجْلَةَ فَٱسْتَكْبَرَ لِذٰلِكَ يُولِيانُوسُ وَصالَ جِدًّا. وَجَمَعَ جُيُوشَهُ وَغَزا ٱلفُرْسَ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى حَرَّانَ وَأَرادَ ٱلخُرُوجَ مِنْها نَكَسَ رَأْسَهُ ساجِدًا لِآلِهَةِ ٱلحَرَّانِيِّينَ فَسَقَطَ تاجُهُ عَنْ رَأْسِهِ وَصُرِعَ فَرَسُهُ ٱلَّذِي كانَ تَحْتَهُ فَقالَ لَهُ خادِمُ ٱلصَّنَمِ: إِنَّ ٱلنَّصارَى ٱلَّذِينَ مَعَكَ هُمْ جَلَبُوا عَلَيْكَ هٰذِهِ ٱلبَلايا. فَأَسْقَطَ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ زُهاءَ عِشْرِينَ أَلْفَ رَجُلٍ. وَسارَ حَتَّى وافَى ٱلمَدائِنَ وَلَمَّا نَشِبَ ٱلحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلفُرْسِ عَلَى ٱلدِّجْلَةِ صارَ يَسِيرُ فِي صُفُوفِ مُقاتِلِيهِ وَيُنَشِّطُهُمْ لِلْحَرْبِ. فَرَماهُ بَعْضُ ٱلفُرْسِ بِسَهْمٍ فَأَصابَ جَنْبَهُ فَسَقَطَ عَنْ دابَّتِهِ. وَبَيْنَما هُوَ يَتَعَذَّبُ أَخَذَ مِلْءَ حُفْنَتَيْهِ دَمًا مِنْ دَمِهِ فَرَشَّهُ فِي ٱلجَوِّ نَحْوَ ٱلسَّماءِ وَقالَ: إِنَّكَ غَلَبْتَنِي يا ٱبْنَ مَرْيَمَ فَرِثْ مَعَ مُلْكِ ٱلسَّماءِ مُلْكَ ٱلأَرْضِ

ملك يوفيانس (٣٦٣) وولنطيانس ووالنس (٣٦٤)

٤٥٩ لَمَّا قُتِلَ يُولِيانُوسُ ٱلمارِقُ بَقِيَ عَسكَرُ ٱلرُّومِ بِغَيْرِ مَلِكٍ وَكانَ مُقَدَّمُ ٱلعَساكِرِ يُوفِيانُوسَ فَٱجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وَبايَعُوهُ وَٱشْتَرَطَ عَلَيْهِمِ ٱلدُّخُولَ فِي ٱلنَّصْرانِيَّةِ وَجَرَى ٱلصُّلْحُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلفُرْسِ. وَلَمَّا وَلِيَ نَزَلَ لِلْفُرْسِ عَنْ نَصِيبِينَ وَنَقَلَ ٱلرُّومَ ٱلَّذِينَ بِها إِلَى آمِدَ. وَرَجَعَ إِلَى كُرْسِيِّ مَمْلَكَتِهِمْ فَرَدَّ ٱلأَساقِفَةَ إِلَى ٱلكَنائِسِ وَرَجَعَ فِيمَنْ رَجَعَ أَثْناسِيُوسُ

بَطْرَكَ إسكندرية وطلب منه أن يكتب له أمانة أهل مجمع نيقية . فجمع الأساقفة وكتبوها وأشار عليه بلزومها ثم إن يوفيانس (٤٥٩) هلك بالفالج لسنة واحدة من ملكه . وافترق القوط في أيامه فرقتين على مذهب آريوش وأمانة نيقية . وفي أيامه ولي داماش بطركًا برومة . ولنطنيان ملك ثماني عشرة سنة وولّى والنش أخاه على المشرق وكان شريكه في الملك . ثم ثار عليه بعضهم بأهل أفريقية فأجاز إليهم البحر وحاربهم فظفر بالثائر وقتله بقرطاجنة ورجع إلى قسطنطينية . فحارب القوط والأمم من ورائهم وهلك في حروبهم فاستقل والنش وحده بالملك . وكان ولنطنيان يدين بالأمانة ووالنش يدين بمذهب آريوش . فاشتد على أهل الأمانة وقتلهم . وبعد وفاته عقد المجمع الثاني بقسطنطينية (٣٨١) (لابن العميد)

تتمة تاريخ الروم الى ظهور الملة الاسلامية

ملك اغراتيانوس (٣٧٥) وتاوداسيوس (٣٧٩)

٤٦٠ ثم ملك بعده أغراتيانوس قيصر سنة واحدة وأشرك معه في ملكه رجلًا اسمه تاوداسيوس واستعمله على المشرق فملك الكثير منها ثم خرج خارجي على أغراتيانوس فقتله . فاستقل تاوداسيوس بملك القياصرة سبع عشرة سنة وردّ جميع ما نفاه والنش قبله من الاساقفة الى كراسيهم وخلّى كل واحد مكانه . وفي السنة الخامسة لملكه خرج عليه مكسيموس الخارجي فوجّه اليه جيوشًا فقتل . وكان لتاوداسيوس ولدان أرقاذيوس وأونوريوس . ولما كبرا وضعهما تحت تدبير أرسانيوس . ثم هرب أرسانيوس الى مصر وترهّب . فرغّبوه بالمال فأبى وأقام في مغارة بالجبل المقطّم حتى مات . فبنى أرقاذيوس على قبره كنيسة . ثم ولّى تاوداسيوس قبل وفاته أرقاذيوس على القسطنطينية وأونوريوس على رومة (٣٩٥) (للمسيحي)

ملك ارقاذيوس (٣٩٥—٤٠٨) وانوريوس (٣٩٥—٤٢٣)

٤٦١ أرقاذيوس قيصر ملك ثلاث عشرة سنةً وفي أيامه قام يوحنّا فم الذهب بطركاً على قسطنطينيّة . ووضع تفسير الإنجيل وهو ابن ثماني وعشرين سنةً . ومنع الكهنة من أمورٍ كثيرةٍ من الفساد فحسدوه وجعلوا يطلبون عليه عثرةً . ونهى للملكة أودكسيا امرأة أرقاذيوس عن اختلاسها كرم امرأةٍ أرملةٍ . ولانها أبت رشقها في بعض خطبه ذات يومٍ وشبّهها بايزبل امرأة آحاب ملك اسرائيل التي أخذت كرماً ايضاً من أرملةٍ . فركبت يوماً من الأيام وأخذت معها تسعةً وعشرين أسقفاً ممّن عادى يوحنّا فم الذهب واجتمعوا بمدينة خلقيدونية . وحرموه وأسقطوه من مرتبته بحجّة أنّه لم يدع النظر في كتب أوريغانيس فاضطرب أهل القسطنطينيّة لذلك وهمّوا باحراق دار الملك فخافهم الملك وبعث الى فم الذهب وردّه الى مرتبته . فلمّا رجع رفع تمثالاً كان للملكة بالقرب من الكنيسة . وخطب ذات يومٍ وسمّى الملكة هيروديا أي الملكة التي قتلت يحيى بن زكرياء المعمدان . فغضبت غضباً شديداً ووجّهت الى بعض الأساقفة فجمعتهم الى قسطنطينيّة فحرموه ثانياً ونفوه . وكان ذلك في السنة الثامنة لأرقاذيوس . فنُفي الى بلدةٍ بعيدةٍ فتُوفّي هناك لثماني واربعين سنةً من عمره . وثارت الفتن بين الروم والمصريّين بسبب عظام يوحنّا فم الذهب حتى اتوا بها بعد ثلاث وثلاثين سنةً لموته . فدفنوها بقسطنطينيّة وأثبتوا اسمهُ في سفر الحياة مع باقي الآباء القدّيسين . ثم ان ارقاذيوس مات وهو ابن ثلاثين سنةً وخلّف ابنهُ تاودسيوس ابن ثماني سنين (لابي الفرج)

تاودوسيوس الاصغر (٤٠٨—٤٥٠) ومرقيان (٤٥٠—٤٥٧)

٤٦٢ وملك من بعده تاودوسيوس الأصغر وفي زمانه كثر النصارى في سلطان الفرس وظهرت النصرانيّة جدّاً على يدي مروثا أسقف ميّافارقين الذي أُرسل من تاودوسيوس الصغير الى الفرس . وفي السنة العاشرة لتاودوسيوس الصغير عُرف شمعون صاحب العمود بأنطاكية وكان يُظهر الآيات والعجائب . وكان في هذا الزمان مار إسحاق تلميذ مار إفرام صاحب الميامر المنظومة . وفي هذا الزمان انبعث أصحاب الكهف من رقدتهم التي رقدوا على عهد ديقيانوس الملك . فخرج تاودوسيوس الملك مع أساقفةٍ وقسّيسين وبطارقةٍ فنظر اليهم وكلّموهم فلمّا انصرفوا من عندهم ماتوا في مواضعهم . وانتقض لعهده قومس أفريقية وخالف طاعة القياصرة فحدثت بافريقية فتنة لذلك . ثم زحف القوط الى رومة وفرّ عنها أنوريوس فحاربوها ودخلوها عنوةً واستباحوها ثلاثاً وتجافوا عن أموال الكنائس . ثم صالحوا الروم على أن يكون لهم الأندلس فانقلبوا اليها وتركوا رومة . وفي السابعة عشرة من ملك تاودوسيوس قدم نسطوريس بطركاً بالقسطنطينيّة فاقام أربع سنين وظهرت عنهُ العقيدة التي دان بها . وكان يقول باتّحاد المشيّة دون نفس الكلمة فبلغت مقالتهُ الى كيرلّوس بطرك الإسكندريّة فخاطب

في ذلك بطرك رومة وأنطاكية وبيت المقدس ثمّ اجتمعوا بمدينة أفسس في مائتي أسقف وأجمعوا على كفر نسطوريس ونفوه (٤٣١) . وأخذ بمقالته نصارى الجزيرة والموصل الى الفرات ثمّ العراق وفارس الى المشرق . ثمّ ملك مرقيان بعده ستّ سنين وتزوّج أخت تاودوسيوس الصغير . وكان في أيّامه المجمع الرابع بخلقيدونية . وأنهُ كان بسبب ديسقرس بطرك الإسكندريّة وما أحدث من البدعة في الامّة . فقالوا بالطبيعتين والأقنوم الواحد واجمعوا على نفيه . وافترقت النصارى الى ملكيّة . وهم أهل الأمانة فنُسبوا الى مرقيان قيصر الملك . والى يعقوبيّة وهم أهل مذهب ديسقرس . وانما دُعوا يعاقبة نسبةً الى بعض تلامذة ديسقرس اسمهُ يعقوب كان يطوف البلاد داعياً الى مقالة ديسقرس . والى نسطوريّة وهم نصارى المشرق . ثمّ ملك بعد مرقيان لاون الكبير (٤٥٧) ثمّ لاونطيوس (٤٧٥) ثمّ زينون (٤٧٦) وكان يعقوبياً

ملك انسطاس (٤٩١) ويوسطينوس (٥١٨) ويوسطينيانس (٥٢٧)

٤٦٣ أنسطاس قيصر ملك سبعاً وعشرين سنةً . وفي أوّل ملكه قتل كثيرين من صبيان المكتب لأنّهم هجوهُ . واجاز البربرُ من المغرب الى رومة وغلبوا عليها . وفي السنة الثالثة له بُنيت دارا التي فوق نصيبين . ثمّ إنّ أنسطاس الملك أراد أن يوضع في البيعة قول المؤمنين في صلواتهم : إنّك صُلبت من أجلنا . فاضطرب أهل القسطنطينيّة كلّهم وأخذوا الحجارة ليرجموه بها . فهالهُ أمرهم وجبن عنهم . فوضع تاجه عن راسه قائلاً : اني انتهي الى أمركم فيما تُريدون . فكفّ الشعب عنهُ . ثمّ ملك يوسطينوس قيصر تسع سنين وكان أصله من رومة . هذا أصلح جميع البيع وردّ كلّ مَن نفاهُ الملوك قبلهُ . وفي السنة السابعة لملكه اقتتل الروم والفرس على شاطئ الفرات وغرق من الروم خلق كثير . وفي هذه السنة سقط ثلج كثير وجليد وأفسد عامّة الأشجار مع الكروم . وبعد سنةٍ قلّت الأمطار وعزّت الغلّات ونقص الماء في الينابيع ثمّ تبع ذلك حرٌّ قويّ ووباءٌ شديدٌ ودام ستّ سنين . وفي السنة التاسعة من ملكه أشرك معهُ في الملك يوسطينيانس الصغير وكان ابن أخته وبعد ثلاثة اشهر مات وفي هذا الوقت غزا كسرى ملك الفرس مدينة الرُّها وقتل فيها خلقاً كثيراً . ثمّ ملك بعدهُ يوسطينيانس قيصر ثماني وثلاثين سنةً . وفي ثالثة ملكه غزا الفرس بلادَ الروم فوقعت بين الفرس والروم حروب كثيرة . وزحف كسرى في آخرها الثاني من ملك يوسطينيانس ومعهُ المُنذر ملك العرب فبلغ الرها وغلب الروم وغرق من الفريقين في الفرات خلق كثير . وحمل الفرس أسارى الروم وسباياهم ثمّ وقع الصلح بينهما . وفي خمسٍ وثلاثين من ملك يوسطينيانس عهد بان يُتخذ عيد الميلاد في خامس وعشرين من كانون الأوّل وعيد الدنح لستّة ايّام من كانون الأخير . فامتثلوا أمرهُ خلا الأرمن فإنّهم داومو على تعييد العيدين في يوم واحدٍ . وكانت كنيسة بيت لحم صغيرةً فامر بان يُوسّع فيها فبُنيت كما هي لهذا العهد . وفي عهده كان المجمع الخامس بقسطنطينيّة (٥٥٣)

ثم ملك بعده يوسطينوس قيصر (٤٦٥) ثم طيباريوس (٥٧٨)

وموريقي (٥٨٢) وفوقاس (٦٠٢) وهرقل (٦١٠ — ٦٤١)

٤٦٦ موريقي قيصر ملك عشرين سنة . وكان حسن السيرة سهل المعاملة كثير الصدقة . وكان في كل سنة يهيئ طعاماً للفقراء والمساكين ستين مرة ويقوم هو وزوجتهُ من ملكهما فيتوليان خدمتهم وإطعامهم وإسقاءهم . وفي السنة الرابعة لموريقي عرض وباء شديد بقسطنطينية ومات من أهلها زهاء أربع مائة ألف نفس . ولعهده انتقض على هرمز كسرى قريبهُ بهرام وخلعهُ واستولى على ملكه وقتلهُ . وسار ابنهُ أبرويز الى موريقي قيصر صريخاً . فبعث معهُ العساكر وردَّ أبرويز الى ملكه وقتل بهرام الخارج عليه . وبعث اليه بالهدايا والتحف كما فعل ابوهُ من قبله مع القياصرة وخطب أبرويز من موريقي قيصر ابنتهُ مريم فزوّجهُ إياها وبعث معها من الجهاز والأمتعة والأقمشة ما يضيق عنهُ الحصر . ثم وثب على موريقي بعض مماليكه بمداخلة قريبه البطريق فوقاس فدسَّهُ عليه فقتلهُ وملك على الروم وتسمى قيصر . وقتل أولاد موريقي . وبلغ أبرويز كسرى ما جرى على موريقي وأولاده . فجمع عساكره وقصد بلاد الروم ليأخذ ثار صهره وبعث عساكره مع مرزبانه خزرويه الى القدس وعهد اليه بقتل اهلها وخراب البلد . وجاء بنفسه في عساكر الفرس الى القسطنطينية وحاصرها وضيَّق عليها . ولما خزرويه المرزبان فسار الى الشام وخرَّب البلاد . واجتمع يهود طبرية والخليل وناصرة وصور وأعانوا الفرس على قتل النصارى وخراب الكنائس . فنهبوا الأموال وأخذوا قطعة من الصليب وعادوا الى كسرى بالسبي وفيهم زخريا بطرك المقدس . ولما انتهى أبرويز في حصار القسطنطينية نهايتهُ وضيَّق عليها اجتمع البطارقة بعلوقيا وبعثوا السفن مشحونةً بالأقوات مع هرقل احد بطارقة الروم ففرحوا به ومالوا اليه وداخلهم في الملك . وثاروا على فوقاس بسبب هذه الفتنة وقتلوهُ . وملّكوا هرقل فارتحل أبرويز عن القسطنطينية راجعاً الى بلاده . وملك هرقل بعد ذلك إحدى وثلاثين سنة وكان ملكهُ أول سنة من الهجرة . وفي السابعة للهجرة بعث عساكر الفرس ومقدمهم مرزبانهُ شهربار فدوّخ بلاد الروم وحاصر القسطنطينية ثم تغيّر لهُ . فكتب الى المرازبة معهُ بالقبض عليه واتفق وقوع الكتاب بيد هرقل فبعث به الى شهربار فانتقض ومن معهُ وطلبوا هرقل في المدد فخرج معهم بنفسه في ثلاث مائة ألف من الروم وأربعين ألفاً من التركمان وسار الى بلاد الشام والجزيرة وافتتح مدائنهم التي كان ملكها كسرى من قبل وفيها افتتح أرمينية . ثم سار الى الموصل فلقيهُ جموع الفرس وقائدهم المرزبان فانهزموا . وقتل وأجفل أبرويز عن المدائن واستولى هرقل على ذخائر ملكهم . وكان شيرويه بن كسرى محبوساً فأخرجهُ شهربار وأصحابهُ وملّكوهُ وعقدوا مع هرقل الصلح واسترجع الصليب (لابن العميد)

تمّ بحوله تعالى

فهرس الجزء الثاني من كتاب مجاني الادب

تمّ طبع هذا الكتاب في المطبعة
الكاثوليكية ، بيروت ، في السابع
والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ١٩٥٤